الجزء الثالث

من كتاب المختصر فى أخبار البشر

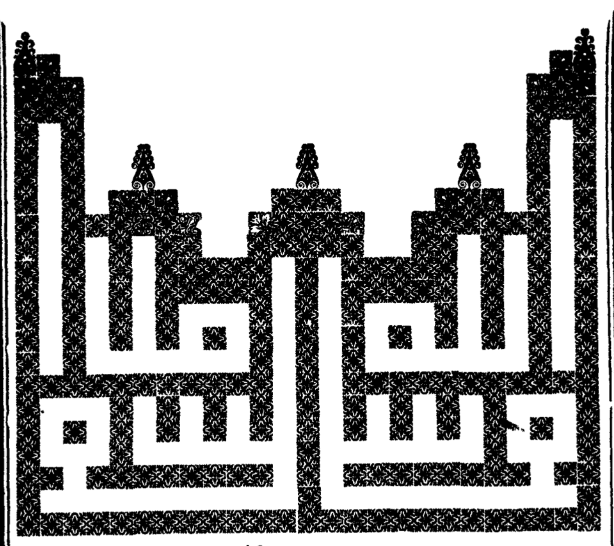
وهو ذلك التاريخ الذى سرت بذكره الركبان
وأثنى عليه أرباب هذا الفن فى كل زمان حتى كان
عمدتهم الذى يرجعون فى إحقاق الحق اليه ويعولون
فى مهمات منقولاتهم عليه تأليف الملك المؤيد
عماد الدين اسماعيل أبى الفدا صاحب حماة
المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة
هجريه رحمه الله
تعالى آمين



الطبعة الأولى

بالمطبعة الحسينية المصريه

على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه





ذكر أخبار الاسماعيلية بالشام

وقتلهم وحصر الفرنج دمشق * كان قد سار رجل من الاسماعيلية يسمى بهرام بعد قتل خاله ابراهيم الاسترابادى ببغداد الى الشام ودخل دمشق ودعى الناس الى مذهبه واعانه وزير تورى صاحب دمشق وهو طاهر بن سعد المزدغانى وسلم الى بهرام قلعة بانياس فعظم أمر بهرام بالشام وملك عدة حصون بالجبال وجرى بين بهرام وبين أهل وادى التيم مقاتلة فقتل فيها بهرام وقام مقامه بقلعة بانياس رجل منهم يسمى اسماعيل وأقام الوزير المزدغانى عوض بهرام بدمشق رجلا منهم يسمى أبا الوفا وعظم أمر أبى الوفا حتى صار الحكم له بدمشق فكاتب أبو الوفا الفرنج على أن يسلم اليهم دمشق ويسلموا اليه عوضها مدينة صور واتفقوا على ذلك وأن يكون قدوم الفرنج الى دمشق يوم الجمعة ليجعل أبو الوفا أصحابه

على أبواب جامع دمشق وعلم تاج الملوك تورى صاحب دمشق بذلك فاستدعى وزيره المزدغانى وقتله وأمر بقتل الاسماعيلية الذين بدمشق فثار بهم أهل دمشق وقتلوا من الاسماعيلية ستة آلاف نفر ووصل الفرنج الى الميعاد وحصروا دمشق فلم يظفروا بشئ وكان البرد والشتاء شديدا فرحلوا عن دمشق شبه المنهزمين وخرج تورى بعسكر دمشق في أثرهم وقتلوا منهم عدة كثيرة وأما اسماعيل الباطنى الذى كان في قلعة بانياس فانه سلم قلعة بانياس الى الفرنج وصار معهم

﴿ ذكر ملك عماد الدين زنكى حماة ﴾

(في هذه السنة) ملك عماد الدين زنكى حماة وسببه انه كان بحماة (سونج) ابن تورى نائبا بها عن أبيه تورى وكان قد سار عماد الدين زنكى من الموصل الى جهة الشام وعبر الفرات وأرسل الى تورى يستنجده على الفرنج فأرسل تورى الى ولده سونج بحماة يأمره بالمسير الى عماد الدين زنكى فسار سونج اليه فغدر عماد الدين زنكى بسونج وقبض عليه وارتكب أمرا شنيعا من الغدر ونهب خيامه والعسكر الذين كانوا صحبته واعتقل سونج وجماعة من مقدمى عسكره بحلب ولما قبض عماد الدين زنكى على سونج سار من وقته الى حماة وملكها لخلوها من الجند ثم رحل عنها الى حمص وحاصرها مدة وكان قد غدر أيضاً بصاحبها قيرخان بن قراجا وقبض عليه وأحضره صحبته الى حمص ممسوكا وأمره أن يأمر ابنه وعسكره بتسليم حمص فأمرهم قيرخان فلم يلتفتوا اليه فلما أيس زنكى منها رحل عنها عائدا الى الموصل واستصحب سونج وأمراء دمشق معه واستمر بهم معتقلين وكتب تورى اليه وبذل له مالا في ابنه سونج فلم يتفق حال

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) ملك الفرنج حصن القدموس (وفيها) توفي أبو الفتح أسعد بن أبى نصر الفقيه الشافعى مدرس النظامية وله طريقة مشهورة في الخلاف وكان له قبول عظيم عند الخليفة والناس (وفيها) توفي الشريف حمزة بن هبة الله بن محمد العلوى الحسينى النيسابورى سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وجمع بين شرف النسب وشرف النفس والتقوى وكان زيدى المذهب (ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر فتح الاثارب)

فيها جمع عماد الدين زنكى عساكره وسار من الموصل الى الشام وقصد حصن الاثارب لشدة ضرره على المسلمين فان أهله الفرنج كانوا يقاسمون أهل حلب على جميع أعمال

حلب الغربية حتى على رحى بظاهر باب الجنان بينها وبين سور حلب عرض الطريق وأظن ان اسمها العربية وكان أهل حلب معهم في ضيق شديد فسار عماد الدين اليه ونازله وجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وقصدوا عماد الدين فرحل عماد الدين عن الاثارب وسار الى ملتقاهم فالتقوا واقتتلوا أشد قتال ونصر الله المسلمين وانهزم الفرنج ووقع كثير من فرسانهم في الأسر وكثر القتل فيهم ولما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الاثارب فأخذوه عنوة وقتلوا وأسروا كل من فيه وخرب عماد الدين في ذلك الوقت حصن الاثارب المذكور وجعله دكا وبقي خرابا الى الآن

(ذكر وفاة الآمر بأحكام الله العلوى)

(في هذه السنة) في ذى القعدة قتل الآمر بأحكام الله العلوى أبو على منصور بن المستعلى أحمد بن المستنصر معد العلوى صاحب مصر وكان قد خرج الى مستنزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما وعمره أربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدى عبيد الله وهو العاشر من الخلفاء العلويين ولما قتل الآمر لم يكن له ولد فولى بعده ابن عمه الحافظ عبد المجيد بن أبى القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع أولا بالخلافة بل كان على صورة نائب لانتظار حمل ان ظهر للآمر ولما تولى الحافظ استوزر أباعلى أحمد بن الافضل بن بدر الجمالى فاستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه ونقل أبو على ما كان بالقصر من الاموال الى داره ولم يزل الامر كذلك الى ان قتل أبو على سنة ست وعشرين على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) كان الرصد في دار السلطنة شرقى بغداد تولاه البديع الاسطرلابى ولم يتم * (وفي هذه السنة) * ملك السلطان مسعود قلعة الموت * (وفيها) * توفي ابراهيم ابن عثمان بن محمد الغزى عند قلعة بلخ ودفن فيها وهو من أهل غزة ومولده سنة احدى وأربعين وأربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فمن قصائده المشهورة قصيدته التى مدح فيها الترك التى أولها

امط عن الدرر الزهر اليواقيتا ... واجعل لحجج تلاقينا مواقيتا

ومنها

في فتية من جيوش الترك ماتركت ... للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة ... حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

ثم ترك الغزى قول الشعر وغسل كثيرا منه وقال

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب البواعث والدواعى مغلق

خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب انه لا يشهترى ويخان فيه مع الكساد ويسرق

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة﴾ فيها أسر دبيس بن صدقة وسبب ذلك مسيره من العراق الى صرخد لان صرخد كان صاحبها خصيا وكانت له سرية فتوفي الخصي في هذه السنة واستولت سريته على قلعة صرخد وما فيها وعلمت انه لايتم لها ذلك ان لم تتصل برجل يحميهافأرسلت الى دبيس بن صدقة تستدعيه للتزوج به وتسلم اليه صرخد وما فيهامن مال وغيره فسار دبيس من العراق اليها فضل به الادلاء بنواحي دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقي الغوطة فأخذوه وحملوه الى تاج الملوك تورى بن طغتكين صاحب دمشق في شعبان من هذه السنة فحبسه تورى وسمع عماد الدين زنكى بأسر دبيس فأرسل الى تورى يطلبه ويبذل له اطلاق ولده سونج ومن معه من الامراء الذين غدر بهم زنكى وقبضهم كما تقدم ذكره فأجاب تورى الى ذلك وافرج زنكى عن المذكورين وتسلم دبيس فايقن دبيس بالهلاك لانه كان كثير الوقيعة في عماد الدين زنكى ففعل معه زنكى بخلاف ما كان يظن وأحسن الى دبيس وحمل اليه الاموال والسلاح والدواب وقدمه على نفسه ولم يزل دبيس مع عماد الدين زنكى حتى انحدر معه الى العراق على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وسمع الخليفة المسترشد بقبض دبيس فأرسل يطلبه مع سديد الدولة ابن الانبارى وأبي بكر بن بشر الجزرى فأمسكهما عماد الدين زنكى وسجن ابن الانبارى ووقع منه في حق ابن بشر مكروه قوى ثم شفع المسترشد في ابن الانبارى فأطلقه

(ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود)

(في هذه السنة) في شوال توفي السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق بهمدان فاقعد وزيره أبو القاسم النسابادى ابنه داود ابن محمود في السلطنة وصار اتابكه الاقسنقر الاحمديلى وكان عمر السلطان محمود لما توفي نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته السلطنة أنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما وكان حليما عاقلا يسمع المكروه ولا يعاقب عليه مع قدرته عليه

ذكر غير ذلك

(في هذه السنة) وثبت الباطنية على تاج الملوك تورى ابن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين برئ أحدهما وبقي الآخر ينسر عليه الا انه يجلس للناس ويركب على ضعف فيه ﴿وفيها﴾ توفي حماد بن مسلم الرحبي الرباشي الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله أصحاب وتلاميذ كثيرة وكان أبو الفرج بن الجوزى يذمه ويثلبه ﴿ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة﴾ فيها قتل أبو على بن الافضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ لدين الله العلوى وكان أبوعلي المذكور قد حجر على الحافظ وقطع

خطبة العلويين وخطب لنفسه خاصة وقطع من الاذان حي على خير العمل فنفرت منه قلوب شيعة العلويين وثار به جماعة من المماليك وهو يلعب بالكرة فقتلوه ونهبت داره وخرج الحافظ من الاعتقال ونقل مابقي في دار أبي علي الى القصر وبويع الحافظ في يوم قتل أبي علي بالخلافة واستوزر أبا الفتح يانس الحافظي وبقي يانس مدة قليلة ومات فاستوزر الحافظ ابنه الحسن بن الحافظ وخطب له بولاية العهد ثم قتل الحسن المذكور سنة تسع وعشرين وخمسمائة على ماسنذكره ان شاء الله تعالى ﴿ وفي هذه السنة ﴾ تحرك السلطان مسعود بن محمد في طلب السلطنة وأخذها من ابن أخيه داود بن محمود وكذلك تحرك سلجوق بن محمد صاحب فارس أخو مسعود واتابكه قراجا الساقي في طلب السلطنة وقدم سلجوق الى بغداد واتفق الخليفة المسترشد معه واستنجد مسعود بعماد الدين زنكي فسار الى بغداد لقتال الخليفة وسلجوق فقاتله قراجا اتابك سلجوق وانهزم زنكي الى تكريت وعبر منها وكان الدزدار بها اذ ذاك نجم الدين أيوب فاقام له المعابر فعبر عماد الدين وسار الى بلاده وكان هذا الفعل من نجم الدين أيوب سبباً للاتصال بعماد الدين زنكي حتى ملك بنو أيوب البلاد ثم اتفق الحال بين مسعود وأخيه سلجوق والخليفة المسترشد على أن تكون السلطنة لمسعود ويكون أخوه سلجوق شاه ولي عهده وعادوا الى بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة وسلجوق بدار الشحنكية وكان اجتماعهم في جمادى الاولى من هذه السنة ثم ان السلطان سنجر سار من خراسان ومعه طغريل ابن أخيه السلطان محمد لاخذ السلطنة من مسعود وجرى المصاف بينه وبين مسعود وسلجوق فانهزم مسعود ثم ان السلطان سنجر بذل الامان لمسعود فحضر عنده وكان قد بلغ خونج فلما رآه سنجر قبله وأكرمه وعاتبه وأعاده الى كنجه وأجلس الملك طغريل في السلطنة وخطب له في جميع البلاد ثم عاد سنجر الى خراسان فوصل الى نيسابور في رمضان من هذه السنة

ذكر الحرب بين المسترشد الخليفة وبين عماد الدين زنكي

﴿ في هذه السنة ﴾ سار عماد الدين زنكي ومعه دبيس بن صدقة وعدى الخليفة الى الجانب الغربي وسار ونزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقيا بحصن البرامكة في سابع وعشرين رجب فحمل عماد الدين على ميمنة الخليفة فهزمها وحمل الخليفة بنفسه وبقية العسكر فانهزم دبيس ثم انهزم عماد الدين وقتل بينهم خلق كثير

ذكر وفاة توري صاحب دمشق

﴿ في هذه السنة ﴾ توفي تاج الملوك توري بن طغتكين صاحب دمشق بسبب الجرح الذي كان به من الباطنية على ماتقدم ذكره فتوفي في حادي وعشرين رجب وكانت امارته أربع

سنين

سنين وخمسة أشهر وأياما ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسماعيل ووصى ببعلبك وأعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان تورى شجاعا سدمسدأبيه ولما استقر اسماعيل ابن تورى في ملك دمشق وأعمالها واستقر أخوه محمد في ملك بعلبك استولى محمد على حصن الرأس وحصن اللبوة وكاتب اسماعيل صاحب دمشق أخاه محمدا صاحب بعلبك في اعادتهما فلم يقبل محمد ذلك فسار اسماعيل وفتح حصن اللبوة ثم فتح حصن الرأس وقرر أمرهما ثم سار الى أخيه محمد وحصره ببعلبك وملك المدينة وحصر القلعة فسأله محمد في الصلح فأجابه وأعادعليه بعلبك وأعمالها واستقرت أمورهما وعاد اسماعيل الى دمشق مؤيدا منصورا (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة) فيها سار شمس الملوك اسماعيل بن تورى صاحب دمشق على غفلة من الفرنج الى حصن بانياس فملك مدينة بانياس بالسيف وقتل وأسر من كان بها وحاصر قلعة بانياس وتسلمها بالامان (وفي هذه السنة) جمع السلطان مسعود العساكر وانضم اليه ابن أخيه داود بن محمود وسار السلطان مسعود الى أخيه طغريل وجرى بينهماقتال شديد انهزم فيه طغريل واستولى مسعود على السلطنة وتبع أخاه طغريل يطرده من موضع الى موضع حتى وصل الى الري واقتتلا ثانياً فانهزم طغريل أيضاً وأسر جماعة من أمرائه (وفيها) سار الخليفة المسترشد بعساكر بغداد وحصر الموصل ثلاثة أشهر وكان عماد الدين زنكى قدخرج من الموصل الى سنجار وحصن الموصل بالرجال والذخائر ثم رحل الخليفة عن الموصل وعاد الى بغداد ووصل اليها في يوم عرفة ولم يظفر منها بطائل

(ذكر ملك شمس الملوك اسماعيل مدينة حماة)

(وفي هذه السنة) سار اسماعيل بن تورى صاحب دمشق من دمشق في العشر الآخر من رمضان الى حماة وهي لعماد الدين زنكى من حين غدر بسونج بن تورى وأخذها منه حسبما تقدم ذكره في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة فحصرها شمس الملوك اسماعيل وقاتل من بها يوم عيد الفطر وعاد ولم يملكها فلما كان الغد بكر اليهم وزحف من جميع جوانب البلد فملكه عنوة وطلب من به الامان فأمنهم وحصر القلعة ولم تكن اذ ذاك حصينة فانها حصنت فيما بعد لان تقى الدين عمر ابن أخى السلطان صلاح الدين قطع جبلها وعملها على ماهي عليه الآن في سنين كثيرة فلما حصرها شمس الملوك اسماعيل عجز النائب بها عن حفظها فسلمها اليه فاستولى عليها وعلى مابها من ذخائر وسلاح وذلك في شوال من هذه السنة ولما فرغ شمس الملوك اسماعيل من حماة سار الى شيزر وبها صاحبها من بنى منقذ فنهب بلدها وحصر القلعة فصانعه صاحبها بمال حمله اليه فعاد عنها وسار الى دمشق ووصل اليها في ذى القعدة من هذه السنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

﴿ في هذه السنة ﴾ اجتمعت التراكمين وقصدوا طرابلس فخرج من بها من الفرنج اليهم واقتتلوا فانهزم الفرنج وسار القومص صاحب طرابلس ومن في صحبته فانحصروا في حصن بعرين وحصرهم التركمان بها ثم هرب القومص من الحصن في عشرين فارسا وخلى بحصن بعرين من يحفظه ثم جمع الفرنج وقصدوا التركمان ليرحلوهم عن بعرين فاقتتلوا فانحاز الفرنج الى نحو رفنية وعاد التركمان عنهم ﴿ وفيها ﴾ اشترى الاسماعيلية حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون ﴿ وفيها ﴾ في ربيع الآخر وثب على شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق بعض مماليك جده طغتكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه وتكاثر على ذلك الشخص مماليك شمس الملوك فقبضوه وقرره شمس الملوك فقال ماأردت الاراحة المسلمين من شرك وظلمك ثم أقر على جماعة من شدة الضرب فقتلهم من غير تحقيق وقتل شمس الملوك اسماعيل أيضاً مع ذلك الشخص أخاه سونج بن توري الذى كان بحماة وأسره زنكي على ماتقدم ذكره في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة فعظم ذلك على الناس ونفروا من شمس الملوك اسماعيل المذكور ﴿ وفيها ﴾ توفي على بن يعلى بن عوض الهروى وكان واعظا وله بخراسان قبول كثير وسمع الحديث فأكثر ﴿ وفيها ﴾ توفي أبو فليتة أمير مكة وولى امارة مكة بعده أبو القاسم ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ﴾ فيها في المحرم سار شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق الى حصن الشقيق وكان بيد الضحاك ابن جندل رئيس وادى التيم قد تغلب عليه وامتنع به فأخذه شمس الملوك منه وعظم ذلك على الفرنج وقصدوا بلد حوران وجمع شمس الملوك الجموع وناوشهم ثم أغار على بلادهم من جهة طبرية ففت ذلك في أعضاد الفرنج ورحلوا عائدين الى بلادهم ثم وقعت الهدنة بينهم وبين شمس الملوك ﴿ وفي هذه السنة ﴾ استولى عماد الدين زنكى على جميع قلاع الاكراد الحميدية منها قلعة العقر وقلعة شوش وغيرهما ثم استولى على قلاع الهكارية وكواشى ﴿ وفيها ﴾ أوقع ابن دانشمند صاحب ملطية بالفرنج الذين بالشام فقتل كثيرا منهم ﴿ وفيها ﴾ اصطلح الخليفة المسترشد وعماد الدين زنكى ﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة ﴾ فيها مات السلطان طغريل ابن السلطان محمد وكان بعد هزيمته من أخيه مسعود قد استولى على بلاد الجبل ثم مات في هذه السنة في المحرم وقيل ان وفاته كانت في أول سنة ثمان وعشرين وهو الاصح في ظنى وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرم أيضاً وكان خيرا عاقلا ولما بلغ أخاه مسعودا خبر وفاته سار نحو همدان وأقبلت العساكر جميعا اليه واستولى على همدان واطاعته البلاد جميعها

ذكر قتل إسماعيل صاحب دمشق

﴿في هذه السنة﴾ في رابع عشر ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسماعيل بن تورى ابن طغتكين وكان مولده في سابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة قتله على غفلة جماعة باتفاق من والدته وقد اختلف في سببه فقيل ان الناس لفرط جور اسماعيل المذكور وظلمه ومصادرته كرهوه وشكوه لامه فاتفقت مع من قتله وقيل بل ان أمه اتهمت بشخص من أصحاب والده يقال له يوسف بن فيروز فأراد قتل أمه فاتفقت مع من قتله وسر الناس بقتله ولما قتل ملك بعده أخوه شهاب الدين محمود بن تورى وحلف له الناس (وفيها) بعد قتل شمس الملوك وصل عماد الدين زنكي الى دمشق وحصرها وضيق عليها وقام في حفظ البلد معين الدين أتز مملوك طغتكين القيام التام الذى تقدم به واستولى على الامر بسببه فلما لم يظفر زنكي في أخذ دمشق بطمع ما اصطلح مع أهلها ورحل عنها عائدا الى بلاده

ذكر قتل حسن بن الحافظ لدين الله العلوى

قد تقدم في سنة ست وعشرين وخمسمائة ان اباه استوزره فتغلب حسن المذكور على الامر واستبد به وأساء السيرة وأكثر من قتل الامراء وغيرهم ظلما وعدوانا وأكثر من مصادرات الناس فأراد العسكر الايقاع به وبأبيه فعلم أبوه الحافظ ذلك فسقاه سما فمات ولما مات حسن استوزر الحافظ تاج الدولة بهرام وكان نصرانيا فتحكم واستعمل الارمن على الناس فكان ماسنذكره

﴿ذكر الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود وأسر الخليفة وقتله﴾

(في هذه السنة) كانت الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود وسببه ان جماعة من عسكر مسعود فارقوه مغاضبين واتصلوا بالخليفة المسترشد وهونوا عليه قتال السلطان مسعود فاغتر بكلامهم وسار من بغداد الى قتال السلطان مسعود وسار مسعود اليه واتفقوا عاشر رمضان من هذه السنة فصار غالب عسكر الخليفة مع مسعود وانهزم الباقون وأخذ الخليفة المسترشد أسيرا ونهب عسكره وأسروا وبقى المسترشد مع مسعود أسيرا ثم سار به مسعود من همدان الى مراغه في شوال لقتال ابن أخيه داود بن محمود فنزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه في خيمة منفردة وكان قد اتفق مسعود مع الخليفة على مال يحمله الخليفة اليه وأن لا يعود يخرج من بغداد واتفق وصول رسول السلطان سنجر الى مسعود فركب مسعود والعساكر لملتقاة فوثبت الباطنية على المسترشد وهو في تلك الخيمة فقتلوه ومثلوا به فجدعوا أنفه وأذنيه وقتل معه نفر من أصحابه وكان قتل

المسترشد يوم الاحد سابع عشر ذى القعـدة بظاهر مراغة وكان عمره لما قتل ثلاث وأربعين سنة وثلاثة أشهر وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستةأشهر وعشرين يوماوأمه أم ولد وكان فصيحا حسن الخط شهما

(ذكر خلافة الراشد وهو الثلاثون من خلفاء بنى العباس)

لما قتل المسترشد بالله بويع ابنه الراشد بالله أبو جعفر المنصور بن المسترشد فضل ابن المستظهر أحمد وكان أبوه قدبايعله بولاية العهد في حياته ثم بعد قتله جددت له بيعة في يوم الاثنين السابع والعشرين من ذى القعدة من هذه السنة وكتب مسعود الى بغداد بذلك فحضر بيعته احد وعشرون رجلا من أولاد الخلفاء

ذكر قتل دبيس

(في هذه السنة) قتل السلطان مسعود دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى أمر غلاما أرمنيا بقتله فوقف على رأس دبيس وهو ينكت في الارض باصبعه فضرب رقبته وهو لا يشعر وكان ابنه صدقة بن دبيس بالحلة فلما بلغه الخبر اجتمع عليه عسكر أبيه وكثر جمعه وما أكثر مايتفق قرب موت المتعاديين فان دبيسا كان يعادى المسترشد بالله فاتفق قتل أحدهما عقيب قتل الآخر

(ذكر غير ذلك)

❊ في هذه السنة ❊ استولى الفرنج على جزيرة جربة من أعمال أفريقية وهرب وأسر من كان بها من المسلمين ❊ وفيها ❊ صالح المستنصر بن هود الفرنج على تسليم حصن زوطة من بلاد الاندلس وسلمه الى صاحب طليطله الفرنجى ❊ ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة ❊

ذكر ملك شهاب الدين حمص

❊ في هذه السنة ❊ في الثانى والعشرين من ربيع الاول تسلم شهاب الدين محمود بن تورى صاحب دمشق مدينة حمص وقلعتها وسبب ذلك ان أصحابها أولاد الامير قيرخان ابن قراجا والوالى بها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عماد الدين زنكى اليها والى أعمالها فراسلوا شهاب الدين في أن يسلموها اليه ويعطيهم عوضها تدمر فأجابهم الى ذلك وتسلم حمص وأقطعهـا المملوك جده معين الدين اتز وسلم اليهم تدمر فلما رأى عسكر زنكى بحلب وحماة خروج حمص الى صاحب دمشق تابعوا الغارات على بلدها فأرسل شهاب الدين محمود الى عماد الدين زنكى في الصلح فاستقر بينهما وكف عسكر عماد الدين عن حمص

ذكر غير ذلك

﴿فيها﴾ سارت عساكر عماد الدين زنكي الذين بحلب وحماة ومقدمهم أسوار نائب زنكي بحلب الى بلاد الفرنج بنواحي اللاذقية وأوقعوا بمن هناك من الفرنج وكسبوا من الجوار والمماليك والاسرى والدواب ماملأ الشام من الغنائم وعادوا سالمين

(ذكر خلع الراشد وخلافة المقتفي وهو حادى ثلاثينهم)

كان الراشد قد اتفق مع بعض ملوك الاطراف مثل عمادالدين زنكي وغيره على خلاف السلطان مسعود وطاعة داود ابن السلطان محمود فلما بلغ مسعودا ذلك جمع العساكر وسار الى بغداد ونزل عليها وحصرها ووقع في بغداد النهب من العيارين والمفسدين ودام مسعود محاصرها نيفا وخمسين يوما فلم يظفر بهم فارتحل الى النهروان ثم وصل طرنطى صاحب واسط بسفن كثيرة فعادمسعود الى بغداد وعبر الى غربى دجلة واختلفت كلمة عساكر بغداد فعاد الملك داود الى بلاده أذربيجان في ذى القعدة وسار الخليفة الراشد من بغداد مع عماد الدين زنكي الى الموصل ولما سمع مسعود بمسير الخليفة وزنكي سار الى بغداد واستقر بها في منتصف ذى القعدة وجمع مسعود القضاة وكبراء بغداد وأجمعوا على خلع الراشد بسبب انه كان قد عاهد مسعودا على انه لا يقاتله ومتى خالف ذلك فقد خلع نفسه وبسبب أمور ارتكبها فخلع وحكم بفسقه وخلعه وكانت مدة خلافة الراشد احدعشر شهرا واحد عشر يوما ثم استشار السلطان مسعود فيمن يقيمه في الخلافة فوقع الاتفاق على بن محمد المستظهر فأحضر وأجلس في الميمنة ودخل اليه السلطان مسعود وتحالفا ثم خرج السلطان وأحضر الامراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوه ولقبوه المقتفي لامر الله والمقتفي عم الراشد المذكور هو والمسترشد ابناء المستظهر وليا الخلافة وكذلك السفاح والمنصور اخوان وكذلك المهدى والرشيد اخوان وكذلك الواثق والمتوكل وأما ثلاثة اخوة ولوا الخلافة فالامين والمأمون والمعتصم أولاد الرشيد وكذلك المكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر وأما أربعة اخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان لايعرف غيرهم وعمل محضر بخلع الراشد وأرسل الى الموصل وزاد المقتفي في اقطاع عماد الدين زنكي والقابه وأرسل المحضر فحكم به قاضي القضاة الزينبي بالموصل وخطب للمقتفي في الموصل في رجب سنة احدى وثلاثين (ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وخمسمائة) فيها عزل الحافظ وزيره بهرام النصراني الارمني بسبب ما اعتمده من تولية الارمن على المسلمين واهانتهم لهم فانف من ذلك شخص يسمى رضوان بن الوكحشى وجمع جمعا وقصد بهرام فهرب بهرام الى الصعيد ثم عاد وامسكه الحافظ وحبسه في القصر ثم ان بهرام المذكور ترهب وأطلقه الحافظ ولما هرب بهرام استوزر الحافظ

رضوان المذكور ولقبه الملك الافضل وهو أول وزير للمصريين لقب بالملك ثم انه فسد مابين رضوان والحافظ فهرب رضوان وجرى له أمور يطول شرحها آخرها ان الحافظ قتل رضوان المذكور ولم يستوزر بعده أحدا وباشر الامور بنفسه الى ان مات

(ذكر حصر زنكي حمص ورحيله الى بارين وفتحها)

(في هذه السنة) نازل عماد الدين زنكي حمص وبها صاحبها معين الدين اتز فلم يظفر بها فرحل عنها في العشرين من شوال الى بعرين وحصر قلعتها وهي للفرنج وضيق عليها فجمع الفرنج ملوكهم ورجالهم وساروا الى زنكي ليرحلوه عن بعرين فلما وصلوا اليه لقيهم وجرى بينهم قتال شديد فانهزمت الفرنج ودخل كثير من ملوكهم لما هربوا الى حصن بعرين وعاود عماد الدين زنكي حصار الحصن وضيق عليه وطلب الفرنج الامان فقرر عليهم تسليم حصن بعرين وخمسين ألف دينار يحملونها اليه فأجابوا الى ذلك فأطلقهم وتسلم الحصن وخمسين ألف دينار وكان زنكي في مدة مقامه على حصار بعرين قد فتح المعرة وكفرطاب وأخذهما من الفرنج وحضر أهل المعرة وطلبوا تسليم أملاكهم التي كان قد أخذها الفرنج فطلب زنكي منهم كتب أملاكهم فذكروا انها عدمت فكشف من ديوان حلب عن الخراج وافرج عن كل ملك كان عليه الخراج لاصحابه (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة)

ذكر ملك عماد الدين زنكي حمص وغيرها

في هذه السنة في المحرم وصل زنكي الى حماة وسار منها الى بقاع بعلبك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس وأطاعه وسار الى حمص وحصرها ثم رحل عنها الى سلمية بسبب نزول الروم على حلب على مانذكره ثم عاد الى منازلة حمص فسلمت اليه المدينة والقلعة أرسل عماد الدين زنكي وخطب أم شهاب الدين محمود صاحب دمشق وتزوجها واسمها مرد خاتون بنت جاولي وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك اسمعيل بن توري وهي التي بنت المدرسة المطلة على وادي الشقرا بظاهر دمشق وحملت الخاتون الى عماد الدين في رمضان وانما تزوجها طمعا في الاستيلاء على دمشق لما رأى من تحكمها ولما خاب ماأمله ولم يحصل على شيء أعرض عنها

ذكر وصول ملك الروم الى الشام وما فعله

كان قد خرج ملك الروم متجهزا من بلاده في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فاشتغل بقتال الارمن وصاحب انطاكية وغيرهم من الفرنج فلما دخلت هذه السنة وصل الى الشام وسار الى بزاعة وهي على ستة فراسخ من حلب وحاصرها وملكها بالامان في الخامس

والعشرين

والعشرين من رجب ثم غدر بأهلها وقتل فيهم وأسر وسبى وتنصر قاضيها وقدر أربعمائة نفس من أهلها وأقام على بزاعة بعد أخذها عشرة أيام ثم رحل عنها بمن معه من الفرنج الى حلب ونزل على قويق وزحف على حلب وجرى بين أهلها وبينهم قتال كثير فقتل من الروم بطريق عظيم القدر عندهم فعادوا خاسرين وأقاموا ثلاثة أيام ورحلوا الى الاثارب وملكوها وتركوا فيها سبايا بزاعة وتركوا عندهم من الروم من يحفظهم وسار ملك الروم بجموعه من الاثارب نحو شيزر فخرج الامير أسوار نائب زنكي بحلب بمن عنده وأوقع بمن في الاثارب من الروم فقتلهم واستفكت اسرى بزاعة وسباياها وسار ملك الروم بجموعه الى شيزر وحصرها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا وأرسل صاحب شيزر أبو العساكر سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الى زنكي يستنجده فسار زنكي ونزل على العاصي بين حماة وشيزر وكان يركب عماد الدين زنكي وعسكره كل يوم ويشرفون على الروم وهم محاصرون لشيزر بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فيأخذون كل ما يظفرون به منهم واقام ملك الروم محاصرا شيزر أربعة وعشرين يوما ثم رحل عنها من غير أن ينال منها غرضا وسار زنكي في أثر الروم فظفر بكثير ممن تخلف منهم ومدح الشعراء زنكي بسبب ذلك فأكثروا فمن ذلك ماقاله مسلم بن خضر بن قسيم الحموي من أبيات

لعزمك أيها الملك العظيم ... تذل لك الصعاب وتستقيم

ألم تر ان كلب الروم لما ... تبين انه الملك الرحيم

وقد نزل الزمان على رضاه ... ودان لخطبه الخطب العظيم

فحين رميته بك عن خميس ... تيقن فوت ما أمسى يروم

كانك في العجاج شهاب نور ... توقد وهو شيطان رجيم

أراد بقاء مهجته فولى ... وليس سوى الحمام له حميم

ذكر مقتل الراشد

كان الراشد قد سار من بغداد الى الموصل مع عماد الدين زنكي وخلع كما تقدم ذكره ثم فارق الراشد زنكي وسار من الموصل الى مراغة واتفق الملك داود ابن السلطان محمود وملوك تلك الاطراف على خلاف السلطان مسعود وقتاله واعادة الراشد الى الخلافة فسار السلطان مسعود اليهم واقتتلوا فانهزم داود وغيره واشتغل أصحاب السلطان مسعود بالكسب وبقي وحده فحمل عليه أميران يقال لهما بوزابه وعبد الرحمن طغايرك فانهزم مسعود من بين أيديهما وقبض بوزابه على جماعة من أمرائه وعلى صدقة بن دبيس صاحب الحلة ثم قتلهم أجمعين وكان الراشد اذ ذاك بهمدان فلما كان من الوقعة ما كان سار الملك داود الى فارس وتفرقت تلك الجموع وبقي الراشد وحده فسار الى أصفهان فلما

كان الخامس والعشرين من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان من اعقاب مرض قد برئ منه ودفن بظاهر أصفهان بشهرستان ولما وصل خبر قتل الراشد الى بغداد جلسوا لعزائه يوما واحدا

ذكر غير ذلك

(في هذه السنة) ملك حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين قلعة الهتاخ من ديار بكر أخذها من بعض بنى مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها وهو آخر من بقى منهم (وفيها) قتل السلطان مسعود البقش شحنة بغداد (وفيها) جاءت زلزلة عظيمة بالشام والعراق وغيرهما من البلاد فخربت كثيرا وهلك تحت الهدم عالم كثير (ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة)

ذكر الحرب بين السلطان سنجر وخوارزم شاه

(في هذه السنة) في المحرم سار سنجر بجموعه الى خوارزم شاه اطسز بن محمد بن أنوش تكين وقد تقدم ذكر ابتداء أمر محمد بن أنوش تكين في سنة تسعين وأربعمائة ووصل سنجر الى خوارزم وخرج خوارزم شاه لقتاله واقتتلوا فانهزم اطسز خوارزم شاه واستولى سنجر على خوارزم وأقام بها من يحفظها وعاد الى مرو في جمادى الآخرة من هذه السنة وبعدان عاد سنجر الى بلاده عاد اطسز الى خوارزم واستولى عليها

ذكر قتل محمود صاحب دمشق

في هذه السنة في شوال قتل شهاب الدين محمود بن تورى بن طغتكين صاحب دمشق قتله غيلة على فراشه ثلاثة من خواص غلمانه وأقرب الناس منه وكانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا فنجا أحدهم وأخذ الاثنان وصلبا واستدعى معين الدين انز اخاه جمال الدين محمد بن تورى وكان صاحب بعلبك فحضر الى دمشق وملكها

ذكر ملك زنكى بعلبك

في هذه السنة في ذى القعدة سار عماد الدين زنكى الى بعلبك ووصل اليها في العشرين من ذى الحجة وحصرها ونصب عليها أربعة عشر منجنيقاً فطلب أهلها الامان فأمنهم وسلموا اليه المدينة واستمر الحصار على القلعة حتى طلبوا الامان أيضاً فأمنهم وسلموا اليه القلعة فلما نزلوا منها وملكها غدر بهم وأمر فصلبوا عن آخرهم فاستقبح الناس ذلك واستعظموه وحذره الناس وكانت بعلبك لمعين الدين انز أعطاه اياها جمال الدين محمد لما ملك دمشق وكان انز قد تزوج بأم جمال الدين محمد صاحب دمشق وكان له جارية يحبها فاخرجها انز الى بعلبك فلما ملك زنكى بعلبك أخذ الجارية المذكورة

وتزوجها

وتزوجها في حلب وبقيت مع زنكي حتى قتل على قلعة جعبر فأرسلها ابنه نور الدين محمود بن زنكي الى اتز وهي كانت أعظم الاسباب في المودة بين نور الدين واتز

(ذكر غير ذلك)

في هذه السنة توالت الزلازل بالشام وخربت كثيرا من البلاد لا سيما حلب فان أهلها فارقوا بيوتهم وخرجوا الى الصحراء ودامت من رابع صفر الى تاسع عشره (ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة) في هذه السنة سار عماد الدين زنكي الى دمشق وحصرها وزحف عليها وبذل لصاحبها جمال الدين محمد بعلبك وحمص فلم يأمنوا اليه بسبب غدره باهل بعلبك وكان نزوله على داريا في ثالث عشر ربيع الاول واستمر منازلا لدمشق فمرض في تلك المدة جمال الدين محمد بن تورى صاحب دمشق ومات في ثامن شعبان فطمع زنكي حينئذ في ملك دمشق وزحف اليها واشتد القتال فلم ينل غرضا ولما مات جمال الدين محمد أقام معين الدين اتز في الملك ولده مجير الدين ارتق بن محمد بن تورى بن طغتكين واستمر اتز يدبر الدولة فلم يظهر لموت جمال الدين محمد أثر ثم رحل زنكي ونزل بعذرا من المرج في سادس شوال وأحرق عدة من قرى المرج ورحل عائدا الى بلاده (وفي هذه السنة) ملك زنكي شهرزور وأخذها من صاحبها قبجق بن الب ارسلان شاه التركماني وبقي قبجق في طاعة زنكي ومن جملة عسكره (وفيها) قتل المقرب جوهر من كبراء عسكر سنجر وكان قد عظم في الدولة وكان من جملة اقطاع المقرب المذكور الرى قتله الباطنية ووقفوا له في زى النساء واستغاث به فوقف يسمع كلامهم فقتلوه (وفيها) توفي هبة الله بن الحسين بن يوسف المعروف بالبديع الاسطرلابي وكانت له اليد الطولى في عمل الاسطرلاب والآلات الفلكية وله شعر جيد وأكثره في الهزل (ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة) في هذه السنة وصل رسول السلطان سنجر ومعه بردة النبي صلى الله عليه وسلم والقضيب وكانا أخذا من المسترشد فاعادهما الآن الى المقتفي (وفي هذه السنة) ملك الاسماعيلية حصن مصياف بالشام وكان واليه مملوكا لبني منقذ صاحب شيزر فاحتال عليه الاسماعيلية ومكروا به حتى صعدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن (وفيها) توفي الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان قتيلا في فندق بمراكش وكان فاضلا في الادب الف عدة كتب منها قلائد العقيان ذكر فيه عدة من الفضلاء وأشعارهم ولقد أجاد فيه (ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة) في هذه السنة في المحرم وقيل في صفر كان المصاف العظيم بين الترك الكفار من الخطا وبين السلطان سنجر فان خوارزم شاه اطسز ابن محمد لما هزمه سنجر وقتل ولد اطسز عظم ذلك عليه وكاتب الخطا وأطمعهم

في ملك ماوراء النهر فساروا في جمع عظيم وسار اليهم السلطان سنجر في جمع عظيم والتقوا بما وراء النهر فانهزم عسكر سنجر وقتل منهم خلق عظيم وأسرت امرأة سنجر ولما تمت الهزيمة على المسلمين سار خوارزم شاه اطسز الى خراسان ونهب من أموال سنجر ومن بلادها شيئاً كثيرا واستقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر (ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة) في هذه السنة بعث عماد الدين زنكى جيشاً ففتحوا قلعة أشب وكانت من أعظم حصون الاكراد الهكارية وأمنعها ولما ملكها زنكى أمر باخرابها وبناء القلعة المعروفة بالعمادية عوضا عنها وكانت العمادية حصنا عظيما خرابا فلما عمره عماد الدين زنكى سمى العمادية نسبة اليه (وفيها) سارت الفرنج في البحر من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها ثم عادوا عنها (وفيها) توفى محمد بن الدانشمند صاحب ملطية والثغر واستولى على بلاده الملك مسعود بن قليج ارسلان السلجوقى صاحب قونية (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة) في هذه السنة كان الصلح بين السلطان مسعود وبين عماد الدين زنكى (وفيها) سار زنكى بعساكره الى ديار بكر ففتح منها طنزة واسعرد وحيزان وحصن الروق وحصن قطليس وحصن باتاسا وحصن ذى القرنين وأخذ من بلد ماردين مما هو بيد الفرنج جملين والموزر وتل موزر من حصون شختان (وفيها) سار السلطان سنجر بعساكره الى خوارزم وحصر اطسز بها فبذل خوارزم شاه اطسز الطاعة فأجابه سنجر الى ذلك واصطلحا وعاد سنجر الى مرو (وفيها) ملك زنكى عانة من أعمال الفرات (وفيها) قتل داود ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه قتله جماعة اغتالوه ولم يعرفوا (وفيها) توفى أبو القاسم محمود بن عمر النحوى الزمخشرى ولد فى رجب سنة سبع وستين وأربعمائة وهو من زمخشر قرية من قرى خوارزم كان اماما فى العلوم صنف المفصل فى النحو والكشاف فى التفسير وجهر القول فيه بالاعتزال وافتتحه بقوله الحمد لله الذى خلق القرآن منجما ثم أصلحه أصحابه فكتبوا الحمد لله الذى أنزل القرآن وله غير ذلك من المصنفات فمنها كتاب الفائق فى غريب الحديث وقدم الزمخشرى بغداد وناظر بها ثم حج وجاور بمكة سنين كثيرة فسمى لذلك جار الله وكان حنفى الفروع معتزلى الاصول وللزمخشرى نظم حسن فمنه من جملة أبيات

فانا اقتصرنا بالذين تضايقت ... عيونهم والله يجزى من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة ... ولم أر فى الدنيا صفاء بلا كدر

ومن شعره يرثى شيخه أبا مضر منصورا

وقائلة ماهذه الدرر التى ... تساقط من عينيك سمطين سمطين

فقلت

فقلت لها الدر الذى كان قد حشا أبو مضر اذنى تساقط من عينى

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة) فى هذه السنة فتح عماد الدين زنكى الرها من الفرنج بالسيف بعد حصار ثمانية وعشرين يوما ثم تسلم مدينة سروج وسائر الاماكن التى كانت بيد الفرنج شرقى الفرات وأما البيرة فنزل عليها وحاصرها ثم رحل عنها بسبب قتل نائبه بالموصل وهو نصير الدين جقر وسبب قتله انه كان عند زنكى الب ارسلان ابن السلطان محمود بن محمد السلجوقى وكان زنكى يقول ان البلاد التى بيدى انما هى لهذا الملك الب ارسلان المذكور وانا اتابكه * ولهذا سمى اتابك زنكى وكان الب ارسلان المذكور بالموصل وجقر يقوم بوظائف خدمته فحسن بعض المناحيس لالب ارسلان المذكور قتل جقر وأخذ البلاد من عماد الدين زنكى * فلما دخل جقر الى الب ارسلان على عادته وثب عليه من عند الب ارسلان فقتلوه فاجتمعت كبراء دولة زنكى وأمسكوا الب ارسلان ولم يطعه أحد ولما بلغ زنكى ذلك وهو محاصر للبيرة عظم عليه قتل جقر وخشى من الفتن فرحل عن البيرة لذلك وخشى الفرنج الذين بها من معاودة الحصار وعلموا بضعفهم عن عماد الدين فراسلوا نجم الدين صاحب ماردين وسلموا البيرة اليه وصارت للمسلمين (وفيها) خرج اسطول الفرنج من صقلية الى ساحل افريقية وملكوا مدينة برسك وقتلوا أهلها وسبوا الحريم (وفيها) توفي تاشفين ابن على بن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب وولى بعده أخوه اسحق بن على وضعف أمر الملثمين وقوى عبد المؤمن وقد تقدم ذكر ذلك في سنة أربع عشرة وخمسمائة

(ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة) فيها هرب على بن دبيس بن صدقة من السلطان مسعود وكان قد أراد حبسه في قلعة تكريت فهرب الى الحلة واستولى عليها وكثر جمعه وقويت شوكته (وفيها) اعتقل الخليفة المقتفى أخاه أبا طالب وضيق عليه وكذلك احتاط على غيره من أقاربه (وفيها) ملك الفرنج شنترين وباجر وماردة واشبونة وسائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الاندلس (وفيها) توفي مجاهد الدين بهروز وحكم في العراق نيفاً وثلاثين سنة وكان بهروز خصيا أبيض (وفيها) توفي الشيخ أبو منصور موهوب ابن أحمد الجواليقى اللغوى ومولده في ذى الحجة سنة خمس وستين وأربعمائة أخذ اللغة عن أبى زكريا التبريزى وكان يؤم بالخليفة المقتفى وكان طويل الصمت كثير التحقيق لا يقول الشئ الا بعد فكر كثير وكان يقول كثيرا اذا سئل لاأدرى وأخذ العلم عنه جماعة منهم تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى ومحب الدين أبو البقاء وعبد الوهاب بن سكينة (وفيها) توفي أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن تقى الاندلسى القرطبى الشاعر المشهور صاحب الموشحات البديعة ومن شعره ماأورده في قلائد العقيان

يا افتك الناس الحاظا واطيبهم ريقا متى كان فيك الصاب والعسل
في صحن خدك وهو الشمس طالعة ورد يزيدك فيه الراح والخجل
ايء ان حبك في قلبي مجدده من خدك الكتب او من لحظك الرسل
ان كنت تجهل اني عبد مملكة مرني بما شئت آتيه وأمتثل
لو اطلعت على قلبي وجدت به من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

(ثم دخلت سنة احدى وأربعين وخمسمائة)

ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب

وسبب ملكها انهم نزلوا عليها وحصروها فلما كان اليوم الثالث من نزولهم سمع الفرنج في المدينة ضجة عظيمة وخلت الاسوار من المقاتلة وكان سببه ان أهل طرابلس اختلفوا فاراد طائفة منهم تقديم رجل من الملثمين ليكون أميرهم وأرادت طائفة أخرى تقديم بنى مطروح فوقعت الحرب بين الطائفتين وخلت الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة وصعدوا بالسلالم وملكوها بالسيف في المحرم من هذه السنة وسفكوا دماء أهلها وبعد ان استقر الفرنج في ملك طرابلس بذلوا الامان لمن بقى من أهل طرابلس وتراجعت اليها الناس وحسن حالها

ذكر حصار عماد الدين زنكي حصنى جعبر وفنك ومقتله

(في هذه السنة) سار زنكي ونزل على قلعة جعبر وحصرها وصاحبها على بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي وأرسل عسكرا الى قلعة فنك وهى تجاور جزيرة ابن عمر فحصرها أيضاً وصاحبها حسام الدولة الكردى البشنوى * ولما طال على زنكي منازلة قلعة جعبر أرسل مع حسان البعلبكى الذى كان صاحب منبج يقول لصاحب قلعة جعبر قل لى من يخلصك منى فقال صاحب قلعة جعبر لحسان يخلصنى منك الذى خلصك من بلك بن بهرام بن ارتق وكان بلك محاصرا المنبج فجاءه سهم قتله فرجع حسان الى زنكي ولم يخبره بذلك فاستمر زنكي منازلا قلعة جعبر فوثب عليه جماعة من مماليكه وقتلوه في خامس ربيع الآخر من هذه السنة بالليل وهربوا الى قلعة جعبر فصاح من بها على العسكر وأعلموهم بقتل زنكي فدخل أصحابه اليه وبه رمق وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة أسمر اللون مليح العينين قد وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة ودفن بالرقة وكان شديد الهيبة على عسكره عظيمها وكان له الموصل وما معها من البلاد وملك الشام خلا دمشق وكان شجاعاً وكانت الاعداء محيطة بمملكته من كل جهة وهو ينتصف منهم ويستولى على بلادهم * ولما قتل زنكي كان ولده نور الدين محمود حاضرا عنده فأخذ خاتم والده وهو ميت من أصبعه وسار الى حلب فملكها وكان صحبة زنكي أيضا الملك

البارسلان بن محمود ابن السلطان محمد السلجوقى فركب في يوم قتل زنكى واجتمعت عليه العساكر فحسن له بعض أصحاب زنكى الاكل والشرب وسماع المغانى فسار البارسلان الى الرقة وأقام بها منكفا على ذلك وأرسل كبراء دولة زنكى الى ولده سيف الدين غازى بن زنكى يعلمونه بالحال وهو بشهرزور فسار الى الموصل واستقر في ملكها وأما البارسلان فتفرقت عنه العساكر وسار الى الموصل يريد ملكها فلما وصلها قبض عليه غازى بن زنكى وحبسه في قلعة الموصل واستقر ملك سيف الدين غازى للموصل وغيرها

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) أرسل عبد المؤمن بن على جيشاً الى جزيرة الاندلس فملكوا مافيها من بلاد الاسلام واستولوا عليها (وفيها) بعد قتل عماد الدين زنكى قصد صاحب دمشق مجير الدين ابق حصن بعلبك وحصره وكان به نجم الدين أيوب بن شاذى مستحفظاً فخاف ان أولاد زنكى لايمكنهم انجاده بالعاجل فصالحه وسلم القلعة اليه وأخذ منه اقطاعاً ومالا وملكه عدة قرى من بلاد دمشق وانتقل أيوب الى دمشق وسكنها وأقام بها (ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة) في هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكى صاحب حلب بلاد الفرنج ففتح منها مدينة ارتاح بالسيف وحصر مأمولة وبصرفوت وكفرلاثا (ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة)

ذكر ملك الفرنج المهدية بافريقية وحال مملكة بنى باديس

كان قد حصل بافريقية غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضا ودام من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة الى هذه السنة ففارق الناس القرى ودخل أكثرهم الى جزيرة صقلية فاغتنم رجار الفرنجى صاحب صقلية هذه الفرصة وجهز اسطولا نحو مائتين وخمسين شينيا مملوءة رجالا وسلاحا واسم مقدمهم جرج وساروا من صقلية الى جزيرة قوصرة وهى مابين المهدية وصقلية وساروا منها وأشرفوا على المهدية ثانى صفر من هذه السنة وكان في المهدية الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى صاحب افريقية فجمع كبراء البلد واستشارهم فرأوا ضعف حالهم وقلة المؤنة عندهم فاتفق رأى الامير حسن بن على على اخلاء المهدية فخرج منها وأخذ معه ماخف حمله وخرج أهل المهدية على وجوههم بأهليهم وأولادهم وبقى الاسطول في البحر تمنعه الريح من الوصول الى المهدية ثم دخلوا المهدية بعد مضى ثلثى النهار المذكور بغير ممانع ولامدافع ولم يكن قد بقى من المسلمين بالمهدية ممن عزم على الخروج أحد ودخل جرج مقدم الفرنج الى قصر الامير حسن بن على فوجده على حاله لم يعدم منه الا ماخف حمله ووجد فيه جماعة من حظايا الحسن بن على ووجد الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة من كل شئ

غريب يقل وجود مثله وسار الامير حسن بأهله وأولاده الى بعض أمراء العرب ممن كان يحسن اليه وأقام عنده وأراد الحسن المسير الى الخليفة العلوى الحافظ صاحب مصر فلم يقدر على المسير لخوف الطرق فسار الى ملك بجاية يحيى بن العزيز من بنى حماد فوكل يحيى المذكور على الحسن وعلى أولاده من يمنعهم من التصرف ولم يجتمع يحيى بهم وأنزلهم في جزائر بنى مزغنان وبقى الحسن كذلك حتى ملك عبد المؤمن بن على بجاية في سنة سبع وأربعين وخمسمائة وأخذها هى وجميع ممالك بنى حماد فحضر الامير الحسن عنده فأحسن اليه عبد المؤمن وأكرمه واستمر على ذلك في خدمة عبد المؤمن الى ان فتح المهدية فاقام فيها واليا من جهته وأمره أن يقتدى برأى الامير حسن ويرجع الى قوله وكان عدة من ملك من بنى باديس بن زيرى بن مناذ الى الحسن تسعة ملوك وكانت ولايتهم في سنة احدى وستين وثلاثمائة وانقضت في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ثم ان جرج بذل الامان لاهل المهدية وأرسل وراءهم بذلك وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع فتراجعوا الى المهدية

ذكر حصر الفرنج دمشق

﴿ في هذه السنة ﴾ سار ملك الالمان والالمان بلادهم وراء القسطنطينية حتى وصل الى الشام في جمع عظيم ونزل على دمشق وحصرها وصاحبها مجير الدين اتق بن محمد ابن تورى بن طغتكين والحكم وتدبير المملكة انما هو لمعين الدين آتز مملوك جده طغتكين * وفي سادس ربيع الاول زحفوا على مدينة دمشق ونزل ملك الالمان بالميدان الاخضر وأرسل اتز الى سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده فسار بعسكره من الموصل الى الشام وسار معه أخوه نور الدين محمود بعسكره ونزلوا على حمص ففت ذلك في اعضاد الفرنج وأرسل اتز الى فرنج الشام يبذل لهم تسليم قلعة بانياس فتخلوا عن ملك الالمان وأشاروا عليه بالرحيل وخوفوه من امداد المسلمين فرحل عن دمشق وعاد الى بلاده وسلم اتز قلعة بانياس الى الفرنج حسبما شرطه لهم

ذكر غير ذلك من الحوادث

﴿ في هذه السنة ﴾ كان بين نور الدين محمود وبين الفرنج مصاف بارض يغرى من العمق فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة وأرسل من الاسرى والغنيمة الى أخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل (وفيها) ملك الفرنج من الاندلس مدينة طرطوشة وجميع قلاعها وحصون لارده (وفيها) كان الغلاء العام من خراسان الى العراق الى الشام الى بلاد المغرب وفي ربيع الاول من هذه السنة أعنى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة قتل نور الدولة شاهنشاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين قتله الفرنج

لما كانوا منازلين دمشق فجرى بينهم وبين المسلمين مصاف قتل فيه شاهنشاه المذكور وهو أبو الملك المظفر عمر صاحب حماة وأبو فرخشاه صاحب بعلبك وكان شاهنشاه أكبر من صلاح الدين وكانا شقيقين (ثم دخلت سنه أربع وأربعين وخمسمائة)

ذكر وفاة غازى بن زنكى

(في هذه السنة) توفي سيف الدين غازى بن عماد الدين اتابك زنكى صاحب الموصل بمرض حادفي أواخر جمادى الآخرة وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرا وعشرين يوما وكان حسن الصورة ومولده سنة خمسمائة وخلف ولدا ذكرا فرباه عمه نور الدين وأحسن تربيته وتوفي المذكور شابا وانقرض بموته عقب سيف الدين غازى وكان سيف الدين المذكور كريما يصنع لعسكره كل يوم طعاما كثيرا بكرة وعشية وهو أول من حمل على رأسه السنجق في ركوبه وأمر الاجناد ان لايركبوا الا بالسيوف في أوساطهم والدبوس تحت ركبهم فلما فعل ذلك اقتدى به أصحاب الاطراف ولما توفي سيف الدين غازى كان أخوه قطب الدين مودود بن زنكى مقيما بالموصل فاتفق جمال الدين الوزير وزين الدين على أمير الجيش على تمليكه فحلفاه وحلفا له وكذلك باقى العسكر وأطاعه جميع بلاد أخيه سيف الدين * ولما ملك تزوج الخاتون ابنة تمرتاش صاحب ماردين وكان أخو سيف الدين قد تزوجها ومات قبل الدخول بها وهى أم أولاد قطب الدين

ذكر وفاة الحافظ لدين الله العلوي وولاية الظافر

(في هذه السنة) في جمادى الآخرة توفي الحافظ لدين الله عبد المجيد ابن الامير أبى القاسم بن المستنصر العلوى صاحب مصر وكانت خلافته عشرين سنة الا خمسة أشهر وكان عمره نحو سبع وسبعين سنة ولم يل الخلافة من العلويين المصريين من أبوه غير خليفة غير الحافظ والعاضد على ماسنذكره ولما توفي الحافظ بويع بعده ابنه الظافر بامر الله أبو منصور اسمعيل ن الحافظ عبد المجيد واستوزر ابن مصال فبقى أربعين يوما وحضر من الاسكندرية العادل ن السلار وكان قد خرج ابن مصال من القاهرة في طلب بعض المفسدين فارسل العادل بن السلار ربيبه عباس بن أبى الفتوح ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى وكان أبوه أبو الفتوح قد فارق أخاه على ابن يحيى صاحب افريقية وقدم الى الديار المصرية وتوفي بها فتزوج العادل بن السلار بزوجة أبى الفتوح المذكور ومعها ولدها عباس بن أبى الفتوح فرباه العادل وأحسن تربيته ولما قدم العادل الى مصر يريد الاستيلاء على الوزارة أرسل ربيبه عباسا في عسكر الى ابن مصال فظفر به عباس وقتله وعاد الى العادل بالقاهرة فاستقر العادل في الوزارة

وتمكن ولم يكن للخليفة الظافر معه حكم وبقي العادل كذلك الى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فقتله ربيبه عباس المذكور وتولى الوزارة على ما سنذكره

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) حصر نور الدين محمود بن زنكي حصن حارم فجمع البرنس صاحب انطاكية الفرنج وسار الى نور الدين واقتتلوا فانتصر نور الدين وقتل البرنس وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم ولما قتل البرنس ملك بعده ابنه بيمند وهو طفل وتزوجت أمه برجل آخر وتسمى بالبرنس ثم ان نور الدين غزاهم غزوة أخرى فهزمهم وقتل فيهم وأسر وكان فيمن أسر البرنس الثاني زوج أم بيمند فتمكن حينئذ بيمند في ملك انطاكية (وفيها) زلزلت الارض زلزلة شديدة (وفيها) توفي معين الدين اتز صاحب دمشق وهو الذي كان اليه الحكم فيها واليه ينسب قصير معين الدين الذي في الغور (وفيها) تولى أبو المظفر يحيى بن هبيرة وزارة الخليفة المقتفي يوم الاربعاء رابع ربيع الآخر وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام (وفيها) توفي القاضي ناصح الدين الارجاني وارجان من أعمال تستر وتولى المذكور قضاء تستر واسمه أحمد بن محمد بن الحسين وله الشعر الفائق فمن ذلك قوله

ولما بلوت الناس اطلب عندهم … أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطلعت في حالي رخاء وشدة … وناديت في الاحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءني غير شامت … ولم أر فيما سرني غير حاسد
تمتعتما يا ناظري بنظرة … وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيني كفا عن فؤادي فانه … من البغي سعي اثنين في قتل واحد

(وفيها) توفي بمراكش القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ومولده بها في سنة ست وسبعين وأربعمائة أحد الائمة الحفاظ الفقهاء المحدثين الادباء وتآليفه وأشعاره شاهدة بذلك ومن تصانيفه الاكمال في شرح كتاب مسلم ومشارق الانوار في تفسير غريب الحديث (ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة) في هذه السنة رابع عشر المحرم أخذت العرب جميع الحجاج بين مكة والمدينة ذكر ان اسم ذلك المكان الغرابي فهلك أكثرهم ولم يصل منهم الى البلاد الا القليل (وفيها) سار نور الدين محمود بن زنكي الى فامية وحصر قلعتها وتسلمها من الفرنج وحصنها بالرجال والذخائر وكان قد اجتمع الفرنج وساروا ليرحلوه عنها فلكها قبل وصولهم فلما بلغهم فتحها تفرقوا (وفيها) سار الادفونش صاحب طيطلة بجموع الفرنج الى قرطبة وحصرها ثلاثة أشهر ثم رحل عنها ولم يملكها (وفيها) مات الامير علي بن دبيس بن صدقة صاحب الحلة (ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة)

ذكر

ذكر هزيمة نور الدين من جوسلين ثم اسر جوسلين

كان جوسلين من أعظم فرسان الفرنج قد جمع بين الشجاعة وجودة الرأى وكان نور الدين قد عزم على قصد بلاده فجمع جوسلين الفرنج فأكثر وسار نحو نور الدين والتقوا فانهزم المسلمون وقتل وأسر منهم جمع كثير وكان من جملة من أسر السلاح دار ومعه سلاح نور الدين فارسله جوسلين الى مسعود بن قليج ارسلان صاحب قونيه وأقسرا وقال هذا سلاح زوج ابنتك وسآتيك بعده بما هو أعظم منه فعظم ذلك على نور الدين وهجر الملاذ وافتكر في أمر جوسلين وجمع التركمان وبذل لهم الوعود ان ظفروا به أما بامساك أو بقتل فاتفق ان جوسلين طلع الى الصيد فكبسه التركمان وأمسكوه فبذل لهم مالا فأجابوه الى اطلاقه فسار بعض التركمان وأعلم أبا بكر بن الداية نائب نور الدين بحلب فارسل عسكرا كبسوا التركمان الدين عندهم جوسلين وأحضروه الى نور الدين أسيرا وكان أسر جوسلين من أعظم الفتوح وأصيبت النصرانية كافة بأسره ولما أسر سار نور الدين الى بلاد جوسلين وقلاعه فملكها وهي تل باشر وعين تاب ودلوك وعزاز وتل خالد وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفرسود وكفرلاثا ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك في مدة يسيرة وكان نور الدين كلما فتح منها موضعا حصنه بما يحتاج اليه من الرجال والذخائر (ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة) من الكامل في هذه السنة سار عبد المؤمن بن على الى بجاية وملكها وملك جميع ممالك بنى حماد وأخذها من صاحبها يحيى بن العزيز بن حماد آخر ملوك بنى حماد وكان يحيى المذكور مولعا بالصيد واللهو لاينظر في شئ من أمور مملكته ولما هزم عبد المؤمن عسكر يحيى هرب يحيى وتحصن بقلعة قسطنطينية من بلاد بجاية ثم نزل يحيى الى عبد المؤمن بالامان فامنه وأرسله الى بلاد المغرب وأقام بها وأجرى عبد المؤمن عليه شيئاً كثيرا وقد ذكر في تاريخ القيروان ان مسير عبد المؤمن وملكه تونس وافريقية انما كان في سنة أربع وخمسين وخمسمائة

﴿ ذكر وفاة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه وملك ملكشاه ومحمد ابنى محمود ﴾

(في هذه السنة) وقيل في أواخر سنة ست وأربعين في أول رجب توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمدان ومولده سنة اثنتين وخمسمائة في ذى القعدة ومات معه سعادة البيت السلجوقى فلم يقم لهم بعده راية يعتد بها وكان حسن الاخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس كريما عفيفا عن أموال الرعايا * ولما مات عهد بالملك

الى ابن أخيه ملكشاه بن محمود فقعد في السلطنة وخطب له وكان المتغلب على المملكة أميرا يقال له خاص بك وأصله صبي تركماني اتصل بخدمة السلطان مسعود فتقدم على سائر أمرائه ثم ان خاص بك المذكور قبض على السلطان ملكشاه بن محمود وسجنه وأرسل الى أخيه محمد بن محمود وهو بخورستان فاحضره وتولى السلطنة وجلس على السرير وكان قصد خاص بك أن يمسكه ويخطب لنفسه بالسلطنة فبدره السلطان محمد في ثاني يوم وصوله فقتل خاص بك وقتل معه زنكي الجاندار وألقى برأسيهما فتفرق أصحابهما

ذكر فتح دلوك

(في هذه السنة) جمعت الفرنج وساروا الى نور الدين وهو محاصر دلوك فرحل عنها وقاتلهم أشد قتال رآه الناس وانهزمت الفرنج وقتل وأسر كثير منهم ثم عاد نور الدين الى دلوك فملكها ومما مدح به في ذلك

أعدت بعصرك هذا الجديـ ... ـد فتوح النبي واعصارها
وفي تل باشر باشرتهم ... بزحف تسور أسوارها
وان دالكتهم دلوك فقد ... أسرت فصدقت أخبارها

﴿ ذكر ابتداء ظهور الملوك الغورية وانقراض دولة آل سبكتكين ﴾

أول من اشتهر من الملوك الغورية أولاد الحسين وأولهم محمد بن الحسين وكان قد صاهر بهرام شاه بن مسعود صاحب غزنة من آل سبكتكين وسار محمد بن الحسين المذكور الى غزنة يظهر الطاعة لبهرام شاه ويبطن الغدر فأمسكه بهرام شاه وقتله فتولى بعده في ملك الغورية أخوه سودى بن الحسين وسار الى غزنة طالبا بثار أخيه وجرى القتال بينه وبين بهرام شاه فظفر بهرام شاه بسودي وقتله أيضاً وانهزم عسكره ثم ملك بعدهما أخوهما علاء الدين الحسين بن الحسين وسار الى غزنة فانهزم عنها صاحبها بهرام شاه واستولى علاء الدين الحسين على غزنة وأقام فيها أخاه سيف الدين سام بن الحسين وعاد علاء الدين الحسين بن الحسين الى الغور فكاتب أهل غزنة بهرام شاه فسار اليهم واقتتل مع سيف الدين الغوري فانتصر بهرام شاه وظفر بسيف الدين سام فقتله واستقر بهرام شاه في ملك غزنة ثم توفي بهرام شاه وملك بعده ابنه خسرو شاه وتجهز علاء الدين الحسين ملك الغورية وسار الى غزنة في سنة خمسين وخمسمائة فلما قرب منها فارقها صاحبها خسرو شاه بن بهرام شاه وسار الى لهاوور وملك علاء الدين الحسين بن الحسين غزنة ونهبها ثلاثة أيام وتلقب علاء الدين بالسلطان المعظم وحمل الجتر على عادة السلاطين السلجوقية وأقام الحسين على ذلك مدة واستعمل على غزنة ابني أخيه وهما غياث الدين محمد بن سام وأخوه شهاب الدين محمد بن سام ثم جرى بينهما وبين عمهما علاء

الدين

الدين الحسين حرب انتصرا فيه على عمهما وأسراه ولما أسراه اطلقاه وأجلساه على التخت ووقفا في خدمته واستمر عمهما في السلطنة وزوج غياث الدين بابنته وجعله ولى عهده وبقى كذلك الى ان مات علاء الدين الحسين بن الحسين فى سنة ست وخمسين وخمسمائة على مانذكره وملك بعده غياث الدين محمد بن سام بن الحسين وخطب لنفسه في الغور وغزنة بالملك ثم استولى الغز على غزنة وملكوها منه مدة خمس عشرة سنة ثم أرسل غياث الدين أخاه شهاب الدين الى غزنة فسار اليها وهزم الغز وقتل منهم خلقا كثيرا واستولى على غزنة وماجاورها من البلاد مثل كرمان وشنوران وماء السند وقصد لهاوور وبها يومئذ خسروشاه بن بهرام شاه السبكتكينى فملكها شهاب الدين في سنة تسع وسبعين وخمسمائة بعد حصار وأعطى خسروشاه الامان وحلف له فحضر خسروشاه عند شهاب الدين بن سام المذكور فاكرمه شهاب الدين وأقام خسروشاه على ذلك شهرين ولما بلغ غياث الدين بن سام ذلك أرسل الى أخيه شهاب الدين يطلب منه خسروشاه فأمره شهاب الدين بالتوجه فقال خسروشاه أنا ماأعرف أخاك ولا سلمت نفسى الا اليك فطيب شهاب الدين خاطره وأرسله وأرسل أيضاً ابن خسروشاه مع أبيه الى غياث الدين وأرسل معهما عسكرا يحفظونهما فلماوصلوا الى الغور لم يجتمع بهما غياث الدين بل أمر بهما فرفعا الى بعض القلاع وكان آخر العهد بهما وخسروشاه المذكور هو ابن بهرام شاه ابن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وهو آخر ملوك آل سبكتكين وكان ابتداء دولتهم سنة ست وستين وثلثمائة وملكوا مائتى سنة وثلاث عشرة سنة تقريباً فيكون انقراض دولتهم في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وقدمنا ذلك لتتصل أخبارهم وكان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة وقيل ان خسروشاه توفي في الملك وملك بعده ابنه ملكشاه على مانشير اليه في مواضعه ان شاء الله تعالى ولما استقر ملك الغورية بلهاوور واتسعت مملكتهم وكثرت عساكرهم كتب غياث الدين الى أخيه شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة وتلقب بالقاب منها معين الاسلام قسيم أمير المؤمنين ولما استقر ذلك سار شهاب الدين الى أخيه غياث الدين واجتمعا وسارا الى خراسان وقصدا مدينة هراة وحصراها وتسلمها غياث الدين بالامان ثم سار ومعه شهاب الدين في عساكرهما الى بوشنج فملكها ثم عاد الى باذغيس وكالين وبيوار فملكها ثم رجع غياث الدين الى بلده فيروز كوه ورجع أخوه شهاب الدين الى غزنة ولما استقر شهاب الدين بغزنة قصد بلاد الهند وفتح مدينة أجر ثم عاد الى غزنة ثم قصد الهند فذلل صعابها وتيسر له فتح الكثير من بلادهم ودوخ ملوكهم وبلغ منهم مالم يبلغ أحد من ملوك المسلمين ولما كثر فتوحه في الهند اجتمعت الهنود مع ملوكهم في خلق كثير والتقوا مع شهاب الدين وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم المسلمون وجرح

شهاب الدين وبقي بين القتلى ثم اجتمعت عليه أصحابه وحملوه الى مدينة أجر واجتمعت عليه عساكره واقام شهاب الدين في أجر حتى أتاه المدد من أخيه غياث الدين ثم اجتمعت الهنود وتنازل الجمعان وبينهما نهر فكبس عساكر المسلمين الهنود وتمت الهزيمة عليهم وقتل المسلمون من الهنود ما يفوق الحصر وقتلت ملكتهم وتمكن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند واقطع مملوكه قطب الدين أيبك مدينة دهلي وهي من كراسي ممالك الهند فأرسل أيبك عسكرا مع مقدم يقال له محمد بن بختيار فملكوا من الهند مواضع ما وصلها مسلم قبله حتى قاربوا جهة الصين

ذكر وفاة صاحب ماردين

(في هذه السنة) توفي حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين وميافارقين وكانت ولايته نيفا وثلاثين سنة لانه ولي بعد موت أبيه في سنة ست عشرة وخمسمائة حسبما تقدم ذكره وتولى بعده ابنه نجم الدين البلي بن تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق (ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة)

(ذكر أخبار الغز وهزيمة السلطان سنجر منهم وأسره)

(في هذه السنة) في المحرم انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغز وهم طائفة من الترك وكانوا بما وراء النهر فلما ملكه الخطا أخرجوهم منه فقصدوا خراسان وكانوا كفارا وكان من أسلم منهم وخالط المسلمين يصير ترجمانا بين الفريقين حتى صار من أسلم منهم قيل عنه انه صار ترجمانا ثم قيل تركمانا بالكاف العجمية وجمع على تراكمين ثم أسلم الغز جميعهم فقيل لهم تراكمين ولما قدموا الى خراسان أقاموا بنواحي بلخ مدة طويلة ثم عن للامير قماج مقطع بلخ أن يخرجهم من بلاده فامتنعوا فسار قماج اليهم في عشرة آلاف فارس فحضر اليه كبراء الغز وسألوه أن يكف عنهم ويتركهم في مراعيهم ويعطوه عن كل بيت مائتي درهم فلم يجبهم الى ذلك واسر على اخراجهم أو قتالهم فاجتمعوا واقتتلوا فانهزم قماج وتبعه الغز يقتلون ويأسرون ثم عاثوا في البلاد فاسترقوا النساء والاطفال وخربوا المدارس وقتلوا الفقهاء وعملوا كل عظيمة ووصل قماج الى السلطان سنجر منهزما واعلمه بالحال فجمع سنجر عساكره وسار اليهم في مائة ألف فارس فأرسل الغز يعتذرون اليه مما وقع منهم وبذلوا له بذلا كثيرا ليكف عنهم فلم يجبهم وقصدهم ووقعت بينهم حرب شديدة فانهزمت عساكر سنجر وتبعهم الغز يقتلون فيهم ويأسرون فقتل علاء الدين قماج وأسر السلطان سنجر وأسر معه جماعة من الامراء فضربوا أعناقهم وأما سنجر فلما أسروه اجتمع أمراء الغز وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له نحن عبيدك لا نخرج عن طاعتك وبقي معهم كذلك شهرين

أو ثلاثة ودخلوا معه الى مرو وهى كرسى ملك خراسان فطلبها منه بختيار اقطاعا وهو من أكبر أمراء الغز فقال سنجر هذه دار الملك ولا يجوز أن يكون اقطاعا لاحد فضحكوا منه وحبق له بختيار بفمه فلما رأى سنجر ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانقاه مرو وتاب من الملك واستولى الغز على البلاد فنهبوا نيسابور وقتلوا الكبار والصغار وقتلوا القضاة والعلماء والصلحاء الذين بتلك البلاد فقتل الحسين بن محمد الارسانيدى والقاضى على بن مسعود والشيخ محى الدين محمد بن يحيى الفقيه الشافعى الذى لم يكن في زمانه مثله وكان رحلة الناس من الشرق والغرب وغيرهم من الائمة والفضلاء ولم يسلم شئ من خراسان من النهب غير هراة ودهستان لحصانتهما ولما كان من هزيمة سنجر وأسره ما كان اجتمع عسكره على مملوك لسنجر يقال له (أى به) ولقبه المؤيد واستولى المؤيد على نيسابور وطوس ونسا وأبيورد وشهرستان والدامغان وازاح الغز عنها وأحسن السيرة في الناس وكذلك استولى في السنة المذكورة على الرى مملوك لسنجر يقال له اينانج وهادى الملوك واستقر قدمه وعظم شأنه

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنه) قتل العادل بن السلار وزير الظافر العلوى قتله ربيبه عباس بن أبى الفتوح الصنهاجى باشارة اسامة بن منقذ وكان العادل قد تزوج بأم عباس المذكور وأحسن تربية عباس فجازاه بأن قتله وولى مكانه وكانت الوزارة في مصر لمن غلب (وفيها) كان بين عبد المؤمن ملك الغرب وبين العرب حرب شديد انتصر فيها عبد المؤمن (وفيها) مات رجار الفرنجى ملك صقلية بالخوانيق وكان عمره قريب ثمانين سنة وملكه نحو عشرين سنة وملك بعده ابنه غليالم (وفيها) في رجب توفي بغزنة بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم السبكتكينى صاحب غزنة وقام بالملك بعده ولده نظام الدين خسروشاه وكانت مدة ملك بهرام شاه نحو ست وثلاثين سنة وذلك من حين قتل أخاه أرسلان شاه بن مسعود في سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وكان ابتداء ولايته من حين انهزم أخوه قبل ذلك في سنة ثمان وخمسمائة حسبما تقدم ذكره في السنة المذكورة وكان بهرام شاه حسن السيرة (وفيها) ملك الفرنج مدينة عسقلان وكانت لخلفاء مصر والوزراء يجهزون اليها المؤن والسلاح فلما كانت هذه السنة قتل العادل بن السلار واختلفت الاهواء في مصر فتمكن الفرنج من عسقلان وحاصروها وملكوها (وفيها) وصلت مراكب من صقلية فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصرية (وفيها) توفي أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستانى المتكلم على مذهب الاشعرى وكان اماما في علم الكلام والفقه وله عدة مصنفات منها نهاية الاقدام في علم الكلام والملل والنحل والمناهج وتلخيص الاقسام لمذاهب الانام

ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة وكانت ولادته سنة سبع وستين وأربعمائة بشهرستان وتوفي بها وشهرستان اسم لثلاث مدن الاولى شهرستان خراسان بين نيسابور وخوارزم عند أول الرمل المتصل بناحية خوارزم وهي التي منها محمد الشهرستاني المذكور وبناها عبد الله بن طاهر أمير خراسان والثانية شهرستان بأرض فارس والثالثة مدينة جي بأصفهان يقال لها شهرستان وبينها وبين اليهودية مدينة أصفهان نحو ميل ومعنى هذه الكلمة مدينة الناحية بالعجمي لان شهر اسم المدينة وأستان الناحية (ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة)

﴿ذكر قتل الظافر وولاية ابنه الفائز﴾

(في هذه السنة) في المحرم قتل الظافر بالله أبو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى قتله وزيره عباس الصنهاجي وسببه انه كان لعباس ولد حسن الصورة يقال له نصر فاحبه الظافر وما بقي يفارقه وكان قد قدم من الشام مؤيد الدولة اسامة ابن منقذ الكناني في وزارة العادل فحسن لعباس قتل العادل فقتله وتولى مكانه ثم حسن لعباس أيضاً قتل الظافر فانه قال له كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول فقال له عباس ماهو فقال ان الناس يقولون ان الظافر يفعل بابنك نصر فانف عباس وأمر ابنه نصرا فدعا الظافر الى بيته وقتلاه وقتلا كل من معه وسلم خادم صغير فحضر الى القصر وأعلمهم بقتل الظافر ثم حضر عباس الى القصر وطلب الاجتماع بالظافر وطلبه من أهل القصر فلم يجدوه فقال أنتم قد قتلتموه فاحضر أخوين للظافر يقال لهما يوسف وجبريل وقتلهما عباس المذكور أيضاً ثم أحضر الفائز بنصر الله أبا القاسم عيسى بن الظافر اسماعيل ثاني يوم قتل أبوه وله من العمر ثلاث سنين فحمله عباس على كتفه وأجلسه على سرير الملك وبايع له الناس وأخذ عباس من القصر من الاموال والجواهر النفيسة شيئاً كثيرا ولما فعل عباس ذلك اختلفت عليه الكلمة وثارت الجند والسودان وكان طلائع بن رزيك في منية ابن خصيب والياً عليها فأرسل اليه أهل القصر من النساء والخدام يستغيثون به وكان فيه شهامة فجمع جمعه وقصد عباسا فهرب عباس الى نحو الشام بما معه من الاموال والتحف التي لا يوجد مثلها ولما كان في أثناء الطريق خرجت الفرنج على عباس المذكور فقتلوه وأخذوا ما كان معه وأسروا ابنه نصرا وكان قد استقر طلائع بن رزيك بعد هرب عباس في الوزارة ولقب الملك الصالح فأرسل الصالح بن رزيك الى الفرنج وبذل لهم مالا وأخذ منهم نصر بن عباس وأحضره الى مصر وأدخل القصر فقتل وصلب على باب زويلة وأما اسامة بن منقذ فانه كان مع عباس فلما قتل عباس هرب أسامة ونجا الى الشام ولما استقر أمر الصالح بن رزيك وقع في الاعيان بالديار المصرية فأبادهم بالقتل والهروب الى البلاد البعيدة

ذكر

﴿ ذكر حصر تكريت ﴾

(في هذه السنة) سار المقتفى لامر الله الخليفة بعساكر بغداد وحصر تكريت وأقام عليها عدة مجانيق ثم رحل عنها ولم يظفر بها

(ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكي دمشق)

وأخذها من صاحبها مجير الدين أبق بن محمد بن توري بن طغتكين* كان الفرنج قد تغلبوا بتلك الناحية بعد ملكهم مدينة عسقلان حتى انهم استعرضوا كل مملوك وجارية بدمشق من النصارى واطلقوا قهرا كل من أراد منهم الخروج من دمشق واللحوق بوطنه شاء صاحبه أو أبى نخشى نور الدين أن يملكوا دمشق فكاتب أهل دمشق واستمالهم في الباطن ثم سار اليها وحصرها ففتح له باب الشرقي فدخل منه وملك المدينة وحصر مجير الدين في القلعة وبذل له اقطاعا من جملته مدينة حمص فسلم مجير الدين القلعة الى نور الدين وسار الى حمص فلم يعطه اياها نور الدين وأعطاه عوضها بالس فلم يرضها مجير الدين وسار عنها الى العراق وأقام ببغداد وابتنى دارا بقرب النظامية وسكنها حتى مات بها (وفي هذه السنة) والتي بعدها ملك نور الدين قلعة تل باشر وأخذها من الفرنج (ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة) في هذه السنة سار الخليفة المقتفى الى دقوقا فحصرها وبلغه حركة عسكر الموصل اليه فرحل عنها ولم يبلغ غرضا (وفيها) هجم الغز نيسابور بالسيف وقيل كان معهم السلطان سنجر معتقلا وله اسم السلطنة ولكن لا يلتفت اليه وكان اذا قدم اليه الطعام يدخر منه مايأ كله وقتا آخر خوفا من انقطاعه عنه لتقصيرهم في حقه (ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة) في هذه السنة ثارت أهل بلاد أفريقية على من بها من الفرنج فقتلوهم وسار عسكر عبد المؤمن فملك بونة وخرجت جميع أفريقية عن حكم الفرنج ماعدا المهدية وسوسة (وفيها) قبض زين الدين على كوجك نائب قطب الدين مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي وكان سليمان المذكور قد قدم الى بغداد وخطب له بالسلطنة في هذه السنة وخلع عليه الخليفة المقتفى وقلده السلطنة على عادتهم وخرج من بغداد بعسكر الخليفة ليملك به بلاد الجبل فاقتتل هو وابن عمه السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه فانهزم سليمان شاه وسار يريد بغداد على شهرزور فخرج اليه على كوجك بعسكر الموصل فأسره وحبسه بقلعة الموصل مكرما الى ان كان منه مانذكره في سنة خمس وخمسين وخمسمائة

(ذكر وفاة خوارزم شاه)

(في هذه السنة) تاسع جمادى الآخرة توفي خوارزم شاه اطسز بن محمد بن أنوش تكين وكان قد أصابه فالج فاستعمل أدوية شديدة الحرارة فاشتد مرضه وتوفي وكانت ولادته في رجب سنة تسعين وأربعمائة وكان حسن السيرة ولما توفي ملك بعده ابنه أرسلان بن اطسز

ذكر وفاة ملك الروم

(وفي هذه السنة) توفي الملك مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق صاحب قونية وغيرها من بلاد الروم ولما توفي ملك بعده ابنه قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان المذكور

(ذكر هرب السلطان سنجر من اسر الغز)

(في هذه السنة) في رمضان هرب السلطان سنجر بن ملكشاه من أسر الغز وسار الى قلعة ترمذ ثم سار من ترمذ الى جيحون ووصل الى دار ملكه بمرو في رمضان من هذه السنة فكانت مدة أسره من سادس جمادى الاولى سنة ثمان وأربعين الى رمضان سنة احدى وخمسين وخمسمائة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) بايع عبد المؤمن لولده محمد بولاية العهد بعده وكانت ولاية العهد لابى حفص عمر وكان من أصحاب ابن تومرت وهو من أكبر الموحدين فأجاب الى خلع نفسه والبيعة لابن عبد المؤمن (وفيها) استعمل عبد المؤمن أولاده على البلاد فاستعمل ابنه عبدالله على بجاية وأعمالها وابنه عمر على تلمسان وأعمالها وابنه عليا على فاس وأعمالها وابنه أبا سعيد على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة وكذلك غيرهم (وفي هذه السنة) سار الملك محمد ابن السلطان محمود السلجوقي من همدان بعساكر كثيرة الى بغداد وحصرها وجرى بينهم قتال وحصن الخليفة المقتفي دار الخلافة واعتد للحصار واشتد الامر على أهل بغداد وبينا الملك محمد على ذلك اذ وصل اليه الخبر ان أخاه ملكشاه ابن السلطان محمود والدكز صاحب بلاد اران ومعه الملك أرسلان ابن الملك طغريل بن محمد وكان الدكز مزوجا بأم أرسلان المذكور قد دخلوا الى همدان فرحل الملك محمد عن بغداد وسار نحوهم في الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة (وفيها) احترقت بغداد فاحترق درب فراشا ودرب الدواب ودرب اللبان وخرابة ابن حردة والظفرية والخاتونية ودار الخلافة وباب الازج وسوق

السلطان

السلطان وغير ذلك (وفيها) توفي أبو الحسن بن الخل شيخ الشافعية في بغداد وهو من أصحاب الشاشي وجمع بين العلم والعمل وتوفي ابن الآمدى الشاعر وهو من أهل النيل في طبقة العزى والارجاني وكان عمره قد زاد على تسعين سنة (وفيها) قتل مظفر ابن حماد صاحب البطيحة قتل في الحمام وتولى بعده ابنه (وفيها) توفي الواوا الحلبي الشاعر المشهور (وفيها) توفي الحكيم أبو جعفر بن محمد البخاري باسفرائن وكان عالما بعلوم الفلسفة (ثم دخلت سنة أثنتين وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الزلازل بالشام واخبار بني منقذ اصحاب شيزر الى ان ملك نور الدين شيزر)

(في هذه السنة) في رجب كان بالشام زلازل قوية تخربت بها حماة وشيزر وحمص وحصن الاكراد وطرابلس وانطاكية وغيرها من البلاد المجاورة لها حتى وقعت الاسوار والقلاع فقام نور الدين محمود بن زنكي في ذلك الوقت المقام المرضى من تداركها بالعمارة واغارته على الفرنج ليشغلهم عن قصد البلاد وهلك تحت الهدم مالا يحصى ويكفي ان معلم كتاب كان بمدينة حماة فارق المكتب وجاءت الزلزلة فسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يحضر أحد يسأل عن صبى كان له هناك ولما خربت قلعة شيزر بهذه الزلزلة ومات بنو منقذ تحت الردم سار الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي الى شيزر وملكها يوم الثلاث ثالث جمادى الاولى من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة واستولى على كل من فيها لبنى منقذ وسلمها الى مجد الدين أبى بكر بن الداية وقد ذكر ابن الاثير ان شيزر لم تزل لبني منقذ يتوارثونها من أيام صالح بن مرداس صاحب حلب وليس الامر كذلك فان صالح المذكور كانت وفاته في سنة عشرين وأربعمائة وملك بني منقذ لشيزر كان في سنة أربع وسبعين وأربعمائة فيكون ملكهم لشيزر بعد وفاة صالح بن مرداس باربع وخمسين سنة ونحن نورد أخبار بني منقذ محققة حسبما نقلناها من تاريخ مؤيد الدولة أسامة بن مرشد وكان المذكور أفضل بنى منقذ قال وفي سنة ثمان وستين وأربعمائة بدأ جدى سديد الملك أبو الحسن على بن مقلد بن نصر ابن منقذ الكناني بعمارة حصن الجسر وحصر به حصن شيزر (أقول) ويعرف الجسر المذكور في زماننا بجسر ابن منقذ وموضع الحصن اليوم تل خال من العمارة وهو غربى شيزر على مسافة قريبة منها* رجعنا الى كلام ابن منقذ قال وكان في شيزر وال للروم اسمه دمترى فلما طالت المضايقة لدمترى المذكور راسل جدى هو ومن عنده من الروم في تسليم حصن شيزر اليه باقتراحات اقترحوها عليه منها مال يدفعه الى دمترى المذكور ومنها ابقاء املاك الاسقف الذى بها عليه فانه استمر مقيما تحت يد جدى

حتى مات بشيزر ومنها ان القنطارية وهم رجالة الروم يسلفهم ديوانهم لثلاث سنين فسلم اليهم جدي ماالتمسوه وتسلم حصن شيزر يوم الاحد في رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة واستمر سديد الملك على بن مقلد المذكور مالكها الى ان توفي فيها في سادس المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة وتولى بعده ولده أبو المرهف نصر بن على الى ان توفي سنة احدى وتسعين وأربعمائة وتولي بعده أخوه أبو العساكر سلطان بن على الى ان توفي فيها وتولى ولده محمد بن سلطان الى ان مات تحت الردم هو وثلاثة أولاده بالزلزلة في هذه السنة المذكورة أعنى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في يوم الاثنين ثالث رجب انتهى مانقلناه من تاريخ ابن منقذ * ولنرجع الى كلام ابن الاثير قال فلما انتهى ملك شيزر الى نصر بن علي بن نصر بن منقذ استمر فيها الى ان مات سنة احدى وتسعين وأربعمائة * فلما حضره الموت استخلف أخاه مرشد بن على على حصن شيزر فقال مرشد والله لاوليته ولاخرجن من الدنيا كما دخلتها ومرشد هو والد مؤيد الدولة أسامة بن منقذ فلما امتنع مرشد من الولاية ولاها نصر أخاه الصغير سلطان بن على واستمر مرشد مع أخيه سلطان على أجمل صحبة مدة من الزمان وكان لمرشد عدة أولاد نجباء ولم يكن لسلطان ولد ثم جاء لسلطان الاولاد فخشى على أولاده من أولاد أخيه مرشد وسعى المفسدون بين مرشد وسلطان فتغير كل منهما على صاحبه فكتب سلطان الى أخيه مرشد أبياتاً يعاتبه وكان مرشد عالماً بالادب والشعر فأجابه مرشد بقصيدة طويلة منها

شكت هجرنا والذنب في ذاك ذنبها ... فياعجبا من ظالم جاء شاكيا
وطاوعت الواشين فيّ وطال ما ... عصيت عذولا في هواها وواشيا
ومال بها تيه الجمال الى القلى ... وهيهات ان أمسى لها الدهر قاليا

(ومنها)

ولما أتاني من قريضك جوهر ... جمعت المعالى فيه لى والمعانيا
وكنت هجرت الشعر حينا لانه ... تولى برغمي حين ولى شبابيا

(ومنها)

وقلت أخي يرعى بنى واسرتى ... ويحفظ عهدى فيهم وذماميا
فمالك لما ان حنى الدهر صعدتى ... وثلم منى صار ماكان ماضيا
تنكرت حتى صار برك قسوة ... وقربك منهم جفوة وتنائيا
على انني ماحلت عما عهدته ... ولا غيرت هذى السنون وداديا

وكان الامر بين مرشد وأخيه سلطان فيه تماسك الى أن توفي مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فأظهر سلطان التغير على أولاد أخيه مرشد المذكور وجاهرهم بالعداوة

ففارقوا

ففارقوا شيزر وقصد أكثرهم نور الدين محمود بن زنكي وشكوا اليه من عمهم سلطان فغاظه ذلك ولم يمكنه قصده لاشتغاله بجهاد الفرنج وبقي سلطان كذلك الى أن توفي وولي بعده أولاده فلما خربت القلعة في هذه السنة بالزلزلة لم ينج من بني منقذ الذين كانوا بها أحد فان صاحبها منهم كان قد ختن ولده وعمل دعوة للناس وأحضر جميع بني منقذ في داره فجاءت الزلزلة فسقطت الدار والقلعة عليهم فهلكوا عن آخرهم وكان لصاحب شيزر بن منقذ المذكور حصان يحبه ولا يزال على باب داره فلما جاءت الزلزلة وهلك بنو منقذ تحت الهدم سلم منهم واحد وهرب يطلب باب الدار فلما خرج من الباب رفسه الحصان المذكور فقتله وتسلم نور الدين القلعة والمدينة

ذكر وفاة السلطان سنجر

﴿في هذه السنة﴾ في ربيع الاول توفي السلطان سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق أصابه قولنج ثم اسهال فمات منه ومولده بسنجار في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة واستوطن مدينة مرو من خراسان وقدم الى بغداد مع أخيه السلطان محمد واجتمع معه بالخليفة المستظهر فلما مات محمد خوطب سنجر بالسلطان واستقام أمره واطاعته السلاطين وخطب له على أكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك نحو عشرين سنة ولم يزل أمره عاليا الى ان أسره الغز ولما خاص من أسرهم وكاد أن يعود اليه ملكه أدركه أجله وكان مهيباً كريماً وكانت البلاد في زمانه آمنة * ولما وصل خبر موته الى بغداد قطعت خطبته ولما حضر سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخت سنجر فاقام خائفا من الغز

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) استولى أبو سعيد بن عبد المؤمن على غرناطة من الاندلس وأخذها من الملثمين وانقرضت دولة الملثمين ولم يبق لهم غير جزيرة ميورقة ثم سار أبو سعيد في جزيرة الاندلس وفتح المرية وكانت بأيدي الفرنج مدة عشر سنين (وفيها) ملك نور الدين بعلبك وأخذها من انسان كان قد استولى عليها من أهل البقاع يقال له ضحاك البقاعي كان قد ولاه صاحب دمشق عليها فلما ملك نور الدين دمشق استولى ضحاك المذكور على بعلبك (وفيها) قلع المقتفي الخليفة باب الكعبة وعمل عوضه بابا مصفحاً بالفضة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الاول تابوتا يدفن فيه (وفيها) مات محمد بن عبد اللطيف بن محمد الخجندي رئيس أصحاب الشافعي باصفهان وكان صدرا مقدما عند السلاطين (ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة) فيها قصد

ملكشاه ابن السلطان محمود السلجوقي قم وقاشان ونهبهما وكان أخوه السلطان محمد ابن محمود بعد رحيله عن حصار بغداد قد مرض فطال مرضه فارسل الى أخيه ملكشاه أن يكف عن النهب ويجعله ولى عهده فلم يقبل ملكشاه ذلك ثم سار ملكشاه الى خورستان واستولى عليها وأخذها من صاحبها شملة التركمانى (وفي هذه السنة) توفي يحيى بن سلامة بن الحسن بميافارقين الحصكفي الشاعر وكان يتشيع ومن شعره

وخليع بت أعذله ويرى عذلى من العبث
قلت ان الخمر مخبثة قال حاشاها من الخبث
قلت فالارفاث تتبعها قال طيب العيش في الرفث
قلت منها القئ قال أجل شرفت عن مخرج الخبث
وسأسلوها فقلت متى قال عند الكون في الجدث

﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة﴾

ذكر فتح المهدية

في أواخر هذه السنة نزل عبد المؤمن على مدينة المهدية وأخذها من الفرنج يوم عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة وملك جميع افريقية وكان قد ملك الفرنج المهدية في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وأخذوها من صاحبها الحسن بن على بن يحيى بن تميم الصنهاجى وبقيت في أيديهم الى هذه السنة ففتحها عبد المؤمن فكان ملك الفرنج المهدية اثنتى عشرة سنة تقريبا ولما ملكها عبد المؤمن أصلح أحوالها واستعمل عليها بعض أصحابه وجعل معه الحسن بن على الصنهاجى الذى كان صاحبها وكان قد سار الى بنى حماد ملوك بجاية ثم اتصل بعبد المؤمن حسبما تقدم ذكر ذلك فأقام عنده مكرما الى هذه السنة فاعاده عبد المؤمن الى المهدية وأعطاه بها دورا نفيسة واقطاعاً ثم رحل عبد المؤمن عنها الى الغرب

ذكر وفاة السلطان محمد

﴿وفي هذه السنة﴾ وقيل في سنة خمس وخمسين توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد ابن ملكشاه السلجوقى في ذي الحجة وهو الذى حاصر بغداد * ولما عاد عنها لحقه سل وطال به فمات بباب همدان وكان مولده في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وكان كريما عاقلا وخلف ولدا صغيرا ولما حضره الموت سلم ولده الى اقسنقر الاحمديلى وقال أنا أعلم ان العساكر لا تطيع مثل هذا الطفل فهو وديعة عندك فارحل به الى بلادك فرحل به اقسنقر الى بلدة مراغا ولما مات السلطان محمد اختلفت الامراء فطائفة طلبوا ملكشاه أخاه وطائفة طلبوا سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه

ابن

ابن الب أرسلان الذى كان قد اعتقل في الموصل وهم الاكثر ومنهم من طلب ارسلان بن طغريل الذى كان مع الدكز وبعد موت محمد سار أخوه ملكشاه الى اصفهان فملكها

(ذكر مرض نور الدين)

﴿ وفي هذه السنة ﴾ مرض نور الدين بن زنكى مرضاً شديداً أرجف بموته بقلعة حلب فجمع أخوه أمير ميران ابن زنكى جمعا وحصر قلعة حلب وكان شيركوه بحمص وهو من أكبر أمراء نور الدين فسار الى دمشق ليستولى عليها وبها أخوه نجم الدين أيوب فانكر عليه أيوب ذلك وقال أهلكتنا والمصلحة أن تعود الى حلب فان كان نور الدين حيا خدمته في هذا الوقت وان كان قد مات فانا في دمشق تفعل ماتريد من ملكها فعاد شيركوه الى حلب مجدا وجلس نور الدين في شباك يراه الناس فلما رأوه حيا تفرقوا عن أخيه أمير ميران واستقامت الاحوال

﴿ ذكر اخبار اليمن من تاريخ اليمن لعمارة ﴾

﴿ وفي هذه السنة ﴾ استقر في ملك اليمن على بن مهدى وأزال ملك بنى نجاح على ماقدمنا ذكره في سنة اثنى عشرة وأربعمائة وعلى بن مهدى المذكور من حمير من أهل قرية يقال لها العنبرة من سواحل زبيد كان أبوه مهدى المذكور رجلا صالحا ونشأ ابنه على طريقة أبيه في العزلة والتمسك بالصلاح ثم حج واجتمع بالعراقيين وتصلع من معارفهم ثم صار على بن مهدى المذكور واعظا وكان فصيحاً صبيحا حسن الصوت عالماً بالتفسير غزير المحفوظات وكان يتحدث في شئ من أحواله المستقبلات فيصدق فمالت اليه القلوب واستفحل أمره وصار له جموع فقصد الجبال وأقام بها الى سنة احدى وأربعين وخمسمائة ثم عاد الى املاكه وكان يقول في وعظه أيها الناس دنا الوقت أزف الامر كانكم بما أقول لكم وقد رأيتموه عياناً ثم عاد الى الجبال الى حصن يقال له الشرف وهو لبطن من خولان فاطاعوه وسماهم الانصار وسمى كل من صعد معه من تهامة المهاجرين وأقام على خولان رجلا اسمه سبا وعلى المهاجرين رجلا اسمه التويتى وسمى كلا من الرجلين شيخ الاسلام وجعلهما نقيبين على الطائفتين فلا يخاطبه أحد غيرهما وهما يوصلان كلامه الى الطائفتين وكلام الطائفتين وحوائجهما اليه وأخذ يغادى الغارات ويراوحها على التهائم حتى أخلى البوادى وقطع الحرث والقوافل ثم انه حاصر زبيد واستمر مقيما عليها حتى قتل فاتك بن محمد آخر ملوك بنى نجاح قتله عبيده وجرى بين ابن مهدى وعبيد فاتك حروب كثيرة وآخرها ان ابن مهدى انتصر عليهم وملك زبيد واستقر في دار الملك يوم الجمعة رابع عشر رجب من هذه السنة

أعنى سنة أربع وخمسين وخمسمائه وبقى ابن مهدى في الملك شهرين واحد وعشرين يوما ثم مات على بن مهدى المذكور في السنة التى ملك فيها في شوال ثم ملك اليمن بعده ولده مهدى بن على بن مهدى ولم يقع تاريخ وفاته ثم ملك اليمن بعده ولده عبد النبى بن مهدى ثم خرجت المملكة عن عبد النبى المذكور الى أخيه عبد الله ثم عادت الى عبد النبى واستقر فيها حتى سار اليه توران شاه بن أيوب من مصر في سنة تسع وستين وخمسمائة وفتح اليمن واستقر في ملكه وأسر عبد النبى المذكور وهو عبد النبى ابن مهدى بن على بن مهدى الحميرى وهو من ملك اليمن من بنى حمير وكان مذهب على بن مهدى التكفير بالمعاصى وقتل من خالف اعتقاده من أهل القبلة واستباحة وطء سباياهم واسترقاق ذراريهم وكان حنفى الفروع وكان أصحابه يعتقدون فيه فوق مايعتقده الناس في الانبياء صلوات الله عليهم ومن سيرته قتل من شرب ومن سمع الغناء (ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة)

(ذكر مسير سليمان شاه الى همدان وما كان منه الى ان قتل)

مات محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان أرسلت الامراء وطلبوا عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ليولوه السلطنة وكان قد اعتقل في الموصل مكرما فجهزه قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل بشئ كثير وجهاز يليق بالسلطنة وسار معه زين الدين على كجك بعسكر الموصل الى همدان وأقبلت العساكر اليهم كل يوم تلقاه طائفة وأمير ثم تسلطت العساكر عليه ولم يبق له حكم وكان سليمان فيه تهور وخرق وكان يدمن شرب الخمر حتى انه شرب في رمضان نهارا وكان يجمع عنده المساخر ولا يلتفت الى الامراء فاهمل العسكر أمره وصاروا لايحضرون بابه وكان قد رد جميع الامور الى شرف الدين كردباز والخادم وهو من مشايخ الخدم السلجوقية يرجع الى دين وحسن تدبير فاتفق يوما ان سليمان شرب بظاهر همدان بالكشك فحضر اليه كردبازو ولامه فامر سليمان من عنده من المساخر فعبثوا بكردبازو حتى ان بعضهم كشف له سوءته فاتفق كردبازو مع الامراء على قبضه وعمل كردبازو دعوة عظيمة فلما حضرها الملك سليمان في داره قبض عليه كردبازو وحبسه وبقى في الحبس مدة ثم أرسل اليه كردبازو من خنقه وقيل سقاه سما فمات في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وخمسمائة ولما مات سار الدكز في عساكر تزيد على عشرين ألفا ومعه ارسلان شاه ابن طغريل بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان ووصل الى همدان فلقيه كردبازو وأنزله في دار المملكة وخطب لارسلان شاه بالسلطنة * وكان الدكز مزوجا بأم ارسلان شاه فولدت للدكز أولادا منهم البهلوان محمد وقزل ارسلان عثمان ابناء الدكز

وبقي الدكز اتابك ارسلان وابنه البهلوان وهو أخو ارسلان لامه حاجبه وكان هـذا الدكز أحد مماليك السلطان مسعود اشتراه في أول أمره ثم أقطعه اران وبعض بلاد اذربيجان فعظم شأنه وقوى أمره * ولما خطب لارسلان شاه بالسلطنة في تلك البلاد أرسل الدكز الى بغداد يطلب الخطبة لارسلان شاه بالسلطنة على عادة الملوك السلجوقية فلم يجب الى ذلك ونحن قد قدمنا ذكر موت سليمان وولاية أرسلان ليتصل ذكر الحادثة وهي في الكامل مذكورة في موضعين في سنة خمس وسنة ست وخمسمائة

ذكر وفاة الفائز وولاية العاضد العلويين

﴿ في هذه السنة ﴾ توفي الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى بن اسماعيل الظافر خليفة مصر وكانت خلافته ست سنين ونحو شهرين وكان عمره لما ولى ثلاث سنين وقيل خمس سنين ولما مات دخل الصالح بن رزيك القصر وسأل عمن يصلح فاحضر له منهم انسان كبير السن * فقال بعض أصحاب الصالح له سرا لايكون عباس أحزم منك حيث اختار الصغير فأعاد الصالح الرجل الى موضعه وأمر باحضار العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله ابن الامير يوسف بن الحافظ ولم يكن أبوه خليفة وكان العاضد ذلك الوقت مراهقا فبايع له بالخلافة وزوجه الصالح بابنته ونقل معها من الجهاز مالا يسمع بمثله

ذكر وفاة المقتفى لامر الله

﴿ في هذه السنة ﴾ ثاني ربيع الاول توفي الخليفة المقتفى لامر الله أبو عبد الله محمد ابن المستظهر أبي العباس أحمد بعلة التراقي وكان مولده ثاني ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأمه أم ولد وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوما وكان حسن السيرة وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه وكان يبذل الاموال العظيمة لاصحاب الاخبار في جميع البلاد حتى كان لايفوته منها شئ

ذكر خلافة المستنجد

وهو ثاني ثلاثينهم * ولما توفي المقتفى لامر الله محمد بويع ابنه يوسف ولقب المستنجد بالله وأم المستنجد أم ولد تدعى طاووس ولما بويع المستنجد بالخلافة بايعه أهله وأقاربه فمنهم عمه أبو طالب ثم أخوه أبو جعفر بن المقتفى وكان أكبر من المستنجد ثم بايعه الوزير ابن هبيرة وقاضى القضاة وغيرهم

(ذكر وفاة صاحب غزنة)

﴿ في هذه السنة ﴾ في رجب توفي السلطان خسروشاه بن بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمد بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا حسن السيرة وكانت ولايته في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ولما مات ملك بعده ابنه ملكشاه ابن خسروشاه وقيل والده خسروشاه المذكور توفي في حبس غياث الدين الغورى وانه آخر ملوك بنى سبكتكين حسبما تقدم ذكره في سنة سبع وأربعين وخمسمائة والله أعلم بالصواب

ذكر وفاة ملكشاه السلجوقى

(في هذه السنة) توفي السلطان ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان باصفهان مسموما

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

﴿ في هذه السنة ﴾ حج أسد الدين شيركوه بن شاذى مقدم جيش نور الدين محمود ابن زنكى (ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة) في هذه السنة في ربيع الآخر توفي الملك علاء الدين الحسين بن الحسين الغورى ملك الغور وكان عادلا حسن السيرة ولما مات ملك بعده ابن أخيه غياث الدين محمد وقد تقدم ذكر ذلك في سنة سبع وأربعين وخمسمائة

ذكر نهب نيسابور وتخريبها وعمارة الشاذباخ

﴿ في هذه السنة ﴾ تقدم المؤيد (أى به) بامساك أعيان نيسابور لانهم كانوا رؤساء الحرامية والمفسدين وأخذ المؤيد يقتل المفسدين نخربت نيسابور وكان من جملة ماخرب مسجد عقيل وكان مجمعا لاهل العلم وكان فيه خزائن الكتب الموقوفة وخرب من مدارس الحنفية سبع عشرة مدرسة وأحرق ونهب عدة من خزائن الكتب وأما الشاذباخ فان عبد الله بن طاهر بن الحسين بناها لما كان أميرا على خراسان للمأمون وسكنها هو والجند ثم خربت بعد ذلك ثم جددت في أيام السلطان الب ارسلان السلجوقى ثم تشعثت بعد ذلك فلما كان الآن وخربت نيسابور أمر المؤيد (أى به) باصلاح سور الشاذباخ وسكنها هو والناس نخربت نيسابور كل الخراب ولم يبق بها أحد

ذكر قتل الصالح بن رزيك

﴿ في هذه السنة ﴾ في رمضان قتل الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزيك الارمنى وزير العاضد العلوى جهزت عليه عمة العاضد من قتله وهو داخل في القصر بالسكاكين

ولم يمت في تلك الساعة بل حمل الى بيته وأرسل يعتب على العاضد فارسل العاضد الى طلائع المذكور يحلف له انه لم يرض ولا علم بذلك وأمسك العاضد عمته وأرسلها الى طلائع فقتلها وسأل العاضد أن يولي ابنه رزيك الوزارة ولقب العادل ومات طلائع واستقر ابنه العادل رزيك في الوزارة وكان للصالح طلائع شعر حسن فمنه في الفخر

أبى الله الا أن يدين لنا الدهر ويخدمنا في ملكنا العز والنصر
علمنا بأن المال تفنى ألوفه ويبقى لنا من بعده الاجر والذكر
خلطنا الندى بالبأس حتى كأننا سحاب لديه البرق والرعد والقطر

ذكر ملك عيسى مكة حرسها الله تعالى

كان أمير مكة قاسم بن أبي فليتة بن قاسم بن أبي هاشم العلوى الحسيني فلما سمع بقرب الحاج من مكة صادر المجاورين وأعيان مكة وأخذ أموالهم وهرب الى البرية فلما وصل الحاج الى مكة رتب أمير الحاج مكان قاسم عمه عيسى بن قاسم بن أبي هاشم فبقي كذلك الى شهر رمضان ثم ان قاسم بن أبي فليتة جمع العرب وقصد عمه عيسى فلما قارب مكة رحل عنها عيسى فعاد قاسم فملكها ولم يكن معه مايرضى به العرب فكاتبوا عمه عيسى وصاروا معه فقدم عيسى اليهم فهرب قاسم وصعد الى جبل أبي قبيس فسقط عن فرسه فاخذه أصحاب عمه عيسى وقتلوه فغسله عمه عيسى ودفنه بالمعلى عند ابنه أبي فليتة واستقرت مكة لعيسى

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) عبر عبد المؤمن بن على المجاز الى الاندلس وبنى على جبل طارق من الاندلس مدينة حصينة وأقام بها عدة أشهر ثم عاد الى مراكش (وفيها) ملك قرا ارسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتان وكانت لطائفة من الاكراد ولما ملكها خربها واضاف أعمالها الى حصن طالب (ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة) في هذه السنة نازل نور الدين محمود بن زنكى قلعة حارم وهى للفرنج مدة ثم رحل عنها ولم يملكها (وفيها) سارت الكرج في جمع عظيم ودخلوا بلاد الاسلام وملكوا مدينة دوين من أعمال أذربيجان ونهبوها ثم جمع الدكز صاحب أذربيجان جمعا عظيما وغزا الكرج وانتصر عليهم ﴿ وفيها ﴾ حج الناس فوقعت فتنة وقتال بين صاحب مكة وأمير الحاج فرحل الحجاج ولم يقدر بعضهم على الطواف بعد الوقفة قال ابن الاثير وكان ممن حج ولم يطف جدته أم أبيه فوصلت الى بلادها وهى على احرامها واستفتت الشيخ أبا القاسم بن البرزى فافتى أنها اذا دامت على مابقى من احرامها الى قابل وطافت كمل حجها الاول ثم تفدى وتحل ثم تحرم احراما ثانياً وتقف بعرفات وتكمل مناسك الحج فيصير لها حجة ثانية فبقيت

على احرامها الى قابل وفعلت كما قال فتم حجها الاول والثانى ﴿وفيها﴾ مات الكيا الصنهاجى صاحب الالموت مقدم الاسماعيلية وقام ابنه مقامه فاظهر التوبة ﴿وفيها﴾ في المحرم توفي الشيخ عدى بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الكهارية من أعمال الموصل واصل الشيخ عدى من الشام من بلد بعلبك فانتقل الى الموصل وتبعه أهل السواد والجبال بتلك النواحى وأطاعوه وأحسنوا الظن به ﴿ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة﴾

ذكر وزارة شاور ثم الضرغام

﴿في هذه السنة﴾ في صفر وزر شاور للعاضد لدين الله العلوى وكان شاور يخدم الصالح طلائع بن رزيك فولاه الصعيد وكانت ولاية الصعيد أكبر المناصب بعد الوزارة ولما خرج الصالح أوصى ابنه العادل ان لا يغير على شاور شيئاً لعلمه بقوة شاور فلما تولى العادل ابن الصالح الوزارة كتب الى شاور بالعزل فجمع شاور جموعه وسار نحو العادل الى القاهرة فهرب العادل وطرد وراءه شاور وأمسكه وقتله وهو العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك وانقرضت بقتله دولة بنى رزيك وفيهم يقول عمارة التميمى من أبيات طويلة

ولت ليالى بنى رزيك وانصرمت والمدح والشكر فيهم غير منصرم
كأن صالحهم يوما وعادلهم في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم

واستقر شاور في الوزارة وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بنى رزيك وودائعهم ثم الضرغام جمع جمعا ونازع شاور في الوزارة في شهر رمضان وقوى على شاور فانهزم شاور الى الشام مستنجدا بنور الدين ولما تمكن ضرغام في الوزارة قتل كثيرا من الامراء المصريين لتخلو له البلاد فضعفت الدولة لهذا السبب حتى خرجت البلاد من أيديهم

﴿ذكر وفاة عبد المؤمن﴾

في هذه السنة في العشرين من جمادى الآخرة توفي عبد المؤمن بن على صاحب بلاد المغرب وأفريقية والاندلس وكان قد سار من مراكش الى سلا فمرض بها ومات ولما حضره الموت جمع شيوخ الموحدين وقال لهم قد جربت ابنى محمدا فلم أره يصلح لهذا الامر وانما يصلح له ابنى يوسف فقدموه فبايعوه ودعى بأمير المؤمنين واستقرت قواعد ملكه وكانت مدة ولاية عبد المؤمن ثلاثا وثلاثين سنة وشهورا وكان حازما سديد الرأى حسن السياسة للامور كثير سفك الدم على الذنب الصغير وكان يعظم أمر الدين ويقويه ويلزم الناس بالصلاة بحيث انه من رؤى وقت الصلاة غير مصل قتل وجمع الناس في المغرب على مذهب مالك في الفروع وعلى مذهب أبى الحسن الاشعرى في الاصول

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) ملك المؤيد (اى به) قومس ولما ملكها أرسل اليه السلطان أرسلان بن طغريل بن ملكشاه خلعة وألوية وهدية جليلة فلبس المؤيد اى به الخلع وخطب له في بلاده (وفي هذه السنة) كبس الفرنج نور الدين محمود وهو نازل بعسكره في البقيعة تحت حصن الاكراد فلم يشعر نورالدين وعسكره الاوقد أظلت عليهم صلبان الفرنج وقصدوا خيمة نورالدين فلسرعة ذلك ركب نورالدين فرسه وفي رجله السنجة فنزل انسان كردى فقطعها فنجا نور الدين وقتل الكردى فأحسن نورالدين الى مخلفيه ووقف عليهم الوقوف وسار نور الدين الى بحيرة حمص فنزل عليها وتلاحق به من سلم من المسلمين (وفيها) أمر الخليفة المستنجد باجلاء بنى أسد وهم أهل الحلة المزيدية فقتل منهم جماعة وهرب الباقون وتشتتوا في البلاد وذلك لفسادهم فى البلاد وسلمت بطائحهم وبلادهم الى رجل يقال له ابن معروف (وفيها) توفي سديد الدولة محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم المعروف بابن الانبارى كاتب الانشاء بدار الخلافة وكان فاضلا أديبا وكان عمره قريب تسعين سنة (ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة) في هذه السنة سير نور الدين محمود بن زنكى عسكرا مقدمهم أسد الدين شيركوه بن شاذى الى الديار المصرية ومعهم شاور وكان قد سار من مصر هاربا من ضرغام الوزير فلحق شاور بنور الدين واستنجده وبذل له ثلث أموال مصر بعد رزق جندها ان أعاده الى الوزارة فأرسل نور الدين شيركوه الى مصر فوصل اليها وهزم عسكر ضرغام وقتل ضرغام عند قبر السيدة نفيسة وأعاد شاور الى وزارة العاضد العلوى وكان مسير أسد الدين في جمادى الاولى من هذه السنة واستقر شاور في الوزارة وخرجت اليه الخلع في مستهل رجب من هذه السنة ثم غدر شاور بنور الدين ولم يف له بشئ مما شرط فسار أسد الدين واستولى على بلبيس والشرقية فأرسل شاور واستنجد بالفرنج على اخراج أسد الدين شيركوه من البلاد فسار الفرنج واجتمع معهم شاور بعسكر مصر وحصروا شيركوه ببلبيس ودام الحصار مدة ثلاثة أشهر وبلغ الفرنج حركة نور الدين وأخذه حارم فراسلوا شيركوه في الصلح وفتحوا له فخرج من بلبيس بمن معه من العسكر وسار بهم ووصلوا الى الشام سالمين (وفي هذه السنة) في رمضان فتح نور الدين محمود قلعة حارم وأخذها من الفرنج بعد مصاف جرى بين نور الدين والفرنج انتصر فيه نورالدين وقتل وأسر من الفرنج عالما كثيرا وكان في جملة الاسرى البرنس صاحب انطاكية والقومص صاحب طرابلس وغنم منهم المسلمون شيأ كثيرا (وفي هذه السنة) أيضا في ذى الحجة سار نور الدين الى بانياس وفتحها وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث واربعين وخمسمائة الى هذه السنة (وفي هذه السنة) توفي جمال الدين ابو جعفر محمد بن على بن ابى

منصور الاصفهاني وزير قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في شعبان مقبوضا عليه وكان قد قبض عليه قطب الدين في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكان قد تعاهد جمال الدين المذكور واسد الدين شيركوه انهما من مات منهما قبل الآخر ينقله الآخر الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فيدفنه فيها فنقله شيركوه واكترى له من يقرأ القرآن عند شيله وحطه وكان ينادى في كل بلد ينزلونه بها بالصلاة عليه ولما ارادوا الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على موضع مرتفع وانشد

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما   سرى جوده فوق الركاب ونائله

يمر على الوادي فتبكي رمله   عليه وبالنادي فتثني ارامله

وطيف به حول الكعبة ودفن في رباط بالمدينة بناه لنفسه وبينه وبين قبر النبي صلى الله عليه وسلم نحو خمسة عشر ذراعا وهذا جمال الدين هو الذي جدد مسجد الخيف بمنى وبنى الحجر بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وغرم جملة طائلة لصاحب مكة وللمقتفي حتى مكنه من ذلك وهو الذي بنى المسجد الذي على جبل عرفات وعمل الدرج اليه وعمل بعرفات مصانع الماء وبنى سورا على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وبنى على دجلة جسرا عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس فقبض قبل ان يفرغ وبنى الربط وغيرها (وفي هذه السنة) توفي نصر بن خلف ملك سجستان وعمره اكثر من مائة سنة ومدة ملكه ثمانون سنة وملك بعده ابنه ابوالفتح احمد بن نصر (وفيها) توفي الامام عمر الخوارزمي خطيب بلخ ومفتيها والقاضي ابو بكر المحمودي صاحب التصانيف والاشعار وله مقامات بالفارسية على نمط مقامات الحريري (ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة) في هذه السنة في ربيع الاول توفي شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار بن قارن وملك بعده ابنه علاء الدين الحسن (وفيها) ملك المؤيد اي به مدينة هراة (وفيها) كان بين قليج ارسلان صاحب قونية وماجاورها من بلاد الروم وبين باغي ارسلان ابن الدانشمند صاحب ملطية وما يجاورها من بلاد الروم حروب شديدة انهزم فيها قليج ارسلان واتفق موت باغي ارسلان صاحب ملطية في تلك المدة وملك بعده ملطية ابن اخيه ابراهيم بن محمد بن الدانشمند واستولى ذوالنون ابن محمد بن الدانشمند على قيسارية وملك شاهان شاه بن مسعود اخو قليج ارسلان مدينة انكورية واصطلح المذكورون على ذلك واستقرت بينهم القواعد واتفقوا (وفيها) توفي عون الدين الوزير ابن هبيرة واسمه يحيى بن محمد بن المظفر وكان موته في جمادى الاولى ومولده سنة سبعين واربعمائة ودفن بالمدرسة التي بناها للحنابلة بباب البصرة وكان حنبلي المذهب وانفق على المقتفي انفاقا عظيما حتى ان المقتفي كان يقول لم يتوزر لبني العباس مثله ولما مات قبض على أولاده وأهله (وفيها) توفي الشيخ الامام ابوالقاسم عمر بن عكرمة بن البرزي

الفقيه الشافعي تفقه على الكيا الهراسي وكان أوحد زمانه في الفقه وهو من جزيرة ابن عمر (وفيها) توفي ابو الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله المعروف بامين الدولة ابن التلميذ وقد ناهز المائة من عمره وكان طبيب دار الخلافة ببغداد ومحظيا عند المقتفي وكان حاذقا فاضلا ظريف الشخص عالي الهمة مصيب الفكر شيخ النصارى وقسيسهم وكان له في الادب يد طولى وكان متفننا في العلوم وكان فضلاء عصره يتعجبون كيف حرم الاسلام مع كمال فهمه وغزارة علمه والله يهدي من يشاء بفضله ويضل من يريد بحكمه وكان أوحد الزمان ابو البركات هبة الله بن ملكان الحكيم المشهور صاحب كتاب المعتبر في الحكمة معاصرا لابن التلميذ المذكور وكان بينهما تنافس كما يقع كثيرا بين اهل كل فضيلة وصنعة وكان ابو البركات المذكور يهوديا ثم اسلم في آخر عمره واصابه الجذام وتداوى وبرئ منه وذهب بصره وبقي أعمى وكان متكبرا وكان ابن التلميذ متواضعا فعمل ابن التلميذ في ابي البركات المذكور

لنا صديق يهودي حماقته　　اذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة　　كأنه بعد لم يخرج من التيه

ولابن التلميذ ايضا

يامن رماني عن قوس فرقته　　بسهم هجر على تلافيه
ارض لمن غاب عنك غيبته　　فذاك ذنب عقابه فيه

وله التصانيف الحسنة منها كتاب اقراباذين وله على كليات القانون حواشي وكتاب اقراباذين ابن التلميذ المذكور هو المعتمد عليه عند الاطباء وكان شيخه في الطب ابا الحسن هبة الله ابن سعيد صاحب المغني في الطب ولابن سعيد المذكور ايضا الاقناع في الطب وهو كتاب جيد في اربعة اجزاء (ثم دخلت سنة احدى وستين وخمسمائة) في هذه السنة فتح نور الدين محمود حصن المنيطرة من الشام وكان بيد الفرنج (وفيها) في ربيع الآخر توفي الشيخ عبد القادر بن ابي صالح الجيلي وكنيته ابو محمد وكان مقيما ببغداد ومولده سنة سبعين واربعمائة قال ابن الاثير كان من الصلاح على حال عظيم وهو حنبلي المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد (ثم دخلت سنة اثنتين وستين وخمسمائة) في هذه السنة عاد أسد الدين شيركوه الى الديار المصرية وجهزه نور الدين بعسكر جيد عدتهم ألفا فارس فوصل الى ديار مصر واستولى على الجيزة وارسل شاور الى الفرنج واستنجدهم وجمعهم وساروا في اثر شيركوه الى جهة الصعيد والتقوا على بلد يقال له ايوان فانهزم الفرنج والمصريون واستولى شيركوه على بلاد الجيزة واستغلها ثم سار الى الاسكندرية وملكها وجعل فيها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب وعاد شيركوه الى جهة الصعيد فاجتمع عسكر مصر والفرنج وحصروا صلاح الدين بالاسكندرية مدة ثلاثة اشهر فسار شيركوه اليهم فاتفقوا

على الصلح على مال يحملونه الى شيركوه ويسلم اليهم الاسكندرية ويعود الى الشام فتسلم المصريون الاسكندرية في منتصف شوال من هذه السنة وسار شيركوه الى الشام فوصل الى دمشق في ثامن عشر ذي القعدة واستقر الصلح بين الفرنج والمصريين على ان يكون للفرنج بالقاهرة شحنة ويكون ابوابها بيد فرسانهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار (وفي هذه السنة) فتح نور الدين سافيثا والعريمة (وفيها) عصا غازى بن حسان صاحب منبج على نور الدين بمنبج فسير اليه نور الدين عسكرا اخذوا منه منبج ثم اقطع نور الدين منبج قطب الدين ينال بن حسان اخا غازى المذكور فبقى فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف ابن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة (وفيها) توفي فخر الدين قرا ارسلان بن داود ابن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا وملك بعده ولده نور الدين محمود بن قرا ارسلان ابن داود (وفيها) توفي عبد الكريم ابو سعيد بن محمد بن منصور بن أبي بكر المظفر السمعاني المروزى الفقيه الشافعي وكان مكثرا من سماع الحديث سافر في طلبه الى ماوراء النهر وسمع منه ما لم يسمعه غيره وله التصانيف المشهورة الحسنة منها ذيل تاريخ بغداد وتاريخ مدينة مرو وكتاب الانساب في ثمان مجلدات وقد اختصر كتاب الانساب المذكور الشيخ عز الدين على ابن الاثير في ثلاثة مجلدات والمختصر المذكور هو الموجود في ايدى الناس والاصل قليل الوجود وله غير ذلك وقد جمع مشيخته فزادت عدتهم على اربعة آلاف شيخ وقد ذكره ابو الفرج ابن الجوزى فاوقع فيه فمن جملة قوله فيه انه كان يأخذ الشيخ ببغداد ويعبر به الى فوق نهر عيسى ويقول حدثني فلان بماوراء النهر وهذا بارد جدا لان السمعاني المذكور سافر الى ماوراء النهر حقا فاى حاجة به الى هذا التدليس وانما ذنبه عند ابن الجوزى انه شافعي وله اسوة بغيره فان ابن الجوزى لم يبق على احد غير الحنابلة وكانت ولادة ابي سعيد السمعاني المذكور في شعبان سنة ست وخمسمائة وكان ابوه وجده فاضلين والسمعاني منسوب الى سمعان وهو بطن من تميم (ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة) في هذه السنة فارق زين الدين على كجك بن بكتكين نائب قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل خدمة قطب الدين واستقر باربل وكانت في اقطاع زين الدين على المذكور وكانت له أربل مع غيرها فاقتصر على أربل وسكنها وسلم ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وكان زين الدين على المذكور قد عمى وطرش (ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة)

﴿ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر﴾

(في هذه السنة) ملك نور الدين محمود قلعة جعبر وأخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن على بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي وكانت بأيديهم من أيام السلطان ملكشاه ولم يقدر نور الدين على أخذها الا بعد ان أسر صاحبها مالك

المذكور بنو كلاب وأحضروه الى نور الدين محمود واجتهد به على تسليمها فلم يفعل فأرسل عسكرا مقدمهم فخر الدين مسعود بن أبي على الزعفراني وردفه بعسكر آخر مع مجد الدين أبي بكر المعروف بابن الداية وكان رضيع نور الدين وحصروا قلعة جعبر فلم يظفروا منها بشئ وما زالوا على صاحبها مالك حتى سلمها وأخذ عنها عوضا مدينة سروج بأعمالها والملوحة من بلد حلب وعشرين ألف دينار معجلة وباب بزاعة

(ذكر ملك أسد الدين شيركوه مصر وقتل شاور)

ثم ملك صلاح الدين وهو ابتداء الدولة الايوبية (في هذه السنة) أعني سنة أربع وستين وخمسمائة في ربيع الاول سار أسد الدين شيركوه بن شاذي الى ديار مصر ومعه العساكر النورية وسبب ذلك تمكن الفرنج من البلاد المصرية وتحكمهم على المسلمين بها حتى ملكوا بلبيس قهرا في مستهل صفر من هذه السنة ونهبوها وقتلوا أهلها وأسروهم ثم ساروا من بلبيس ونزلوا على القاهرة عاشر صفر وحاصروها فاحرق شاور مدينة مصر خوفا من أن يملكها الفرنج وأمر أهلها بالانتقال الى القاهرة فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوما فأرسل العاضد الخليفة الى نور الدين يستغيث به وأرسل في الكتب شعور النساء وصانع شاور الفرنج على ألف ألف دينار يحملها اليهم فحمل اليهم مائة ألف دينار وسألهم أن يرحلوا على القاهرة ليقدر على جمع المال وحمله فرحلوا فجهز نور الدين العسكر مع شيركوه وأنفق فيهم المال وأعطى شيركوه مائتي ألف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وغير ذلك وأرسل معه عدة أمراء منهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على كره منه أحب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب الملك من بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) ولما قارب شيركوه مصر رحل الفرنج من ديار مصر على اعقابهم الى بلادهم فكان هذا لمصر فتحا جديدا ووصل أسد الدين شيركوه الى القاهرة في رابع ربيع الآخر واجتمع بالعاضد وخلع عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية وأجرى عليه وعلى عسكره الاقامات الوافرة وشرع شاور يماطل شيركوه فيما بذله لنور الدين من تقرير المال وافراد ثلث البلاد له ومع ذلك فكان شاور يركب كل يوم الى أسد الدين شيركوه ويعده ويمنيه (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) ثم ان شاور عزم على أن يعمل دعوة لشيركوه وأمرائه ويقبض عليهم فنمه ابنه الكامل بن شاور من ذلك ولما رأى عسكر نور الدين من شاور ذلك عزموا على الفتك بشاور واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك وغيرهما وعرفوا شيركوه بذلك فنهاهم عنه واتفق ان شاور قصد شيركوه على عادته فلم يجده في المخيم وكان قد مضى لزيارة قبر الشافعي رضي الله عنه فلقي صلاح الدين وجرديك

شاور واعلماه برواح شيركوه الى زيارة الشافعي فساروا جميعا الى شيركوه فوثب صلاح الدين وجرديك ومن معهما على شاور وألقوه الى الارض عن فرسه وأمسكوه في سابع ربيع الآخر من هذه السنة أعنى سنة أربع وستين وخمسمائة فهرب أصحابه عنه وأرسلوا اعلموا شيركوه بما فعلوه فحضر ولم يمكنه الا اتمام ذلك وسمع العاضد الخبر فأرسل الى شيركوه يطلب منه انفاذ رأس شاور فقتله وأرسل رأسه الى العاضد ودخل بعد ذلك شيركوه الى القصر عند العاضد فخلع عليه العاضد خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش وسار بالخلع الى دار الوزارة وهي التي كان فيها شاور واستقر في الامر وكتب له منشور بالانشاء الفاضلي أوله بعد البسملة من عبد الله ووليه أبي محمد الامام العاضد لدين الله أمير المؤمنين الى السيد الاجل الملك المنصور سلطان الجيوش ولي الائمة مجير الامة أسد الدين أبي الحارث شيركوه العاضدي عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ونسأله أن يصلي على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين والائمة المهديين وسلم تسليما ثم ذكر تفويض أمور الخلافة اليه ووصايا أضربنا عنها للاختصار وكتب العاضد بخطه على طرة المنشور هذا عهد لم يعهد لوزير بمثله فتقلد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلا لحملها فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بان اعتزت خدمتك الى بنوة البنوة ومدحت الشعراء أسد الدين ووصل اليه من الشام مديح لعماد الكاتب قصيدة أولها

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب	كم راحة جنيت من دوحة التعب
ياشيركوه بن شاذي الملك دعوة من	نادى فعرف خير ابن لخير أب
جرى الملوك وما حازوا بركضهم	من المدى في العلى ما حزت بالخبب
تمل من ملك مصر رتبة قصرت	عنها الملوك فطالت سائر الرتب
قد أمكنت أسد الدين الفريسة من	فتح البلاد فبادر نحوها وثب

وفي شيركوه وقتل شاور يقول عرقلة الدمشقي

لقد فاز بالملك العقيم خليفة	له شيركوه العاضدي وزير
هو الاسد الضاري الذي جل خطبه	وشاور كلب للرجال عقور
بغى وطغى حتى لقد قال صحبه	على مثلها كان اللعين يدور
فلا رحم الرحمن تربة قبره	ولا زال فيها منكر ونكير

وأما الكامل بن شاور فلما قتل أبوه دخل القصر فكان آخر العهد به ولما لم يبق لاسد الدين شيركوه منازع أتاه أجله (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) وتوفي يوم

السبت

السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة فكانت ولايته شهرين وخمسة أيام وكان شيركوه وأيوب ابني شاذى من بلد دوين قال ابن الاثير وأصلهما من الاكراد الروادية فقصدا العراق وخدما بهروز شحنة السلجوقية ببغداد وكان أيوب أكبر من شيركوه فجعله بهروز مستحفظا لقلعة تكريت ولما انكسر عماد الدين زنكي من عسكر الخليفة ومر على تكريت خدمه أيوب وشيركوه ثم ان شيركوه قتل انسانا بتكريت فأخرجهما بهروز من تكريت فلحقا بخدمة عماد الدين زنكي فأحسن اليهما وأعطاهما اقطاعات جليلة ولما ملك عماد الدين زنكي قلعة بعلبك جعل أيوب مستحفظا لها ولما حاصره عسكر دمشق بعد موت زنكي سلمها أيوب اليهم على اقطاع كبير شرطوه له وبقي أيوب من أكبر أمراء عسكر دمشق وبقي شيركوه مع نور الدين محمود بعد قتل أبيه زنكي وأقطعه نور الدين حمص والرحبة لما رأى من شجاعته وزاده عليهما وجعله مقدم عسكره فلما أراد نور الدين ملك دمشق أمر شيركوه فكاتب أخاه أيوب فساعد أيوب نور الدين على ملك دمشق وبقيا مع نور الدين الى أن أرسل شيركوه الى مصر مرة بعد أخرى حتى ملكها وتوفي فيها في هذه السنة على ما ذكرناه ولما توفي شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن أخيه أيوب بن شاذى وكان قد سار معه على كره قال صلاح الدين أمرني نور الدين بالمسير مع عمي شيركوه وكان قد قال شيركوه بحضرته لي تجهز يايوسف للمسير فقلت والله لو أعطيت ملك مصر ماسرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية مالا أنساه أبدا فقال لنور الدين لابد من مسيره معي فأمرني نور الدين وأنا أستقيل فقال نور الدين لا بد من مسيرك مع عمك فشكوت الضائقة فأعطاني ماتجهزت به فكأنما انساق الى الموت فلما مات شيركوه طلب جماعة من الامراء النورية التقدم على العسكر وولاية الوزارة العاضدية منهم عين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال المنبجي وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب الهكاري وشهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين فأرسل العاضد أحضر صلاح الدين وولاه الوزارة ولقبه بالملك الناصر فلم تطعه الامراء المذكورون وكان مع صلاح الدين الفقيه عيسى الهكاري فسعى مع المشطوب حتى أماله الى صلاح الدين ثم قصد الحارمي وقال هذا ابن أختك وعزه وملكه لك فمال اليه أيضاً ثم فعل بالباقين كذلك فكلهم أطاع غير عين الدولة الياروقي فانه قال أنا لا أخدم يوسف وعاد الى نور الدين بالشام وثبت قدم صلاح الدين على انه نائب لنور الدين وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالامير الا سفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما عن أن يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل الى الامير صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا ثم أرسل صلاح الدين يطلب من نور

الدين أباه أيوب وأهله فأرسلهم اليه نور الدين فأعطاهم صلاح الدين الاقطاعات بمصر وتمكن من البلاد وضعف أمر العاضد ولما فوض الامر الى صلاح الدين تاب عن شرب الخمر واعرض عن أسباب اللهو وتقمص لباس الجد ودام على ذلك الى ان توفاه الله تعالى قال ابن الاثير مؤلف الكامل رأيت كثيرا من ابتدئ بالملك ينتقل الى غير عقبه فان معاوية تغلب وملك فانتقل الملك الى بنى مروان بعده ثم ملك السفاح من بنى العباس فانتقل الملك الى أخيه المنصور وعقبه ثم السامانية أول من ابتدئ بالملك منهم نصر بن أحمد فانتقل الملك الى أخيه اسمعيل وعقبه ثم عماد الدولة بن بويه ملك فانتقل الملك الى عقب أخيه ركن الدولة ثم ملك طغريلبك السلجوقى فانتقل الملك الى عقب أخيه داود ثم شيركوه ملك فانتقل الملك الى ابن أخيه ولما قام صلاح الدين بالملك لم يبق الملك في عقبه بل انتقل الى أخيه العادل وعقبه ولم يبق لاولاد صلاح الدين غير حلب وكان سبب ذلك كثرة قتل من يتولى ذلك أولا وأخذه الملك وعيون أهله وقلوبهم متعلقة به فيحرم عقبه ذلك ولما استقر قدم صلاح الدين في الوزارة قتل مؤتمن الخلافة وكان مقدم السودان فاجتمعت السودان وهم حفاظ القصر في عدد كثير وجرى بينهم وبين صلاح الدين وعسكره وقعة عظيمة بين القصرين انهزم فيها السودان وقتل منهم خلق كثير وتبعهم صلاح الدين فاجلاهم قتلا وتهجيحا وحكم صلاح الدين على القصر وأقام فيه بهاء الدين قراقوش الاسدى وكان خصيا أبيض وبقى لايجرى في القصر صغيرة ولا كبيرة الابامر صلاح الدين

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة كان بين اينانج صاحب الرى وبين الدكز حرب انتصر فيها الدكز وملك الرى وهرب اينانج وانحصر في بعض القلاع فارسل الدكز ورغب غلمان اينانج في الاقطاعات ان قتلوا اينانج استاذهم فقتلوه ولحقوا بالدكز فلم يف لهم وقال مثل هؤلاء لاينبغى الابقاء عليهم فهربوا الى البلاد ولحق بعضهم وهو الذى قتل استاذه بخوارزم شاه فصلبه لخيانته استاذه (وفيها) توفي الشيخ ابو محمد الفارقى وكان أحد الزهاد وله كرامات كثيرة كان يتكلم على الخاطر وكلامه مجموع مشهور (وفيها) توفي ياروق ارسلان التركمانى وكان مقدما كبيرا واليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلقة يسكن بظاهر حلب وبنى على شاطئ قويق هو واتباعه عمائر كثيرة وتعرف الآن بالياروقية وهى مشهورة هناك (ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة) فيها سارت الفرنج الى دمياط وحصروها وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح والذخائر واخرج على ذلك اموالا عظيمة فحصروها خمسين يوما وخرج نور الدين فأغار على بلادهم بالشام فرحلوا عائدين على اعقابهم ولم يظفروا

بشئ

بشيء منها قال صلاح الدين مارايت أكرم من العاضد ارسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها (وفيها) سار نور الدين وحاصر الكرك مدة ثم رحل عنه (وفيها) كانت زلزلة عظيمة خربت الشام فقام نور الدين في عمارة الاسوار وحفظ البلاد اتم قيام وكذلك خربت بلاد الفرنج فخافوا من نور الدين واشتغل كل منهم عن قصد الآخر بعمارة ماخرب من بلاده (وفيها) في ذي الحجة مات قطب الدين مودود ابن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه حمى حادة ولما مات صرف ارباب الدولة الملك عن ابنه الاكبر عماد الدين زنكي بن مودود الى أخيه الذي هو اصغر منه وهو سيف الدين غازي بن مودود فسار عماد الدين زنكي الى عمه نور الدين مستنصرا به وتوفي قطب الدين وعمره اربعون سنة تقريبا وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا وكان من احسن الملوك سيرة (وفي هذه السنة) توفي الملك طغريل بك بن قاورت بك صاحب كرمان واختلف اولاده بهرام شاه وارسلان شاه وهو الاكبر واستنجد كل منهما وطلب الملك فاتفق في تلك المدة ان ارسلان شاه الاكبر مات فاستقر بهرام شاه في ملك كرمان (وفيها) توفي مجد الدين أبو بكر ابن الداية رضيع نور الدين وكانت حلب وحارم وقلعة جعبر اقطاعه فأقر نور الدين أخاه عليا ابن الداية على اقطاعه (وفيها) توفي محمد بن محمد بن ظفر صاحب كتاب سلوان المطاع صنفه لبعض القواد بصقلية سنة اربع وخمسين وخمسمائة وله ايضا كتاب نجباء الابناء وشرح مقامات الحريري ومولده بصقلية وتنقل بالبلاد وأقام بمكة شرفها الله تعالى وسكن آخر وقت مدينة حماة وتوفي بها ولم يزل يكابد الفقر حتى مات رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة المستنجد وخلافة المستضيء وهو ثالث ثلاثينهم)

في هذه السنة تاسع ربيع الآخر توفي المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفي لامر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله ومولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة وكان اسمر تام القامة طويل اللحية وكان سبب موته انه مرض واشتد مرضه وكان قد خاف منه استاذداره عضد الدين ابو الفرج ابن رئيس الرؤساء وقطب الدين قيماز المقتفوي وهو حينئذ أكبر امراء بغداد فاتفقا ووضعا الطبيب على ان يصف له مايهلكه فوصف له دخول الحمام فامتنع منه لضعفه ثم انه دخلها وغاق عليه الباب فمات ولما مات المستنجد احضر عضد الدين وقطب الدين المستضيء بأمر الله ابن المستنجد واشترطا عليه شروطا أن يكون عضد الدين وزيرا وابنه كمال الدين استاذداره وقطب الدين أمير العسكر فأجابهم الى ذلك واسم المستضيء الحسن وكنيته ابو محمد ولم يل الخلافة من اسمه حسن غير الحسن بن علي والمستضيء فبايعوه بالخلافة يوم مات ابوه بيعة خاصة وفي غده بيعة عامة وكان المستنجد حسن

السيرة أطلق كثيرا من المكوس وكان شديدا على اهل العبث والفساد

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكي الى الموصل وهي بيد ابن أخيه غازي بن مودود ابن عماد الدين زنكي بن اقسنقر فاستولى عليها نور الدين وملكها ولما ملك نور الدين الموصل قرر امرها وأطلق المكوس منها ثم وهبها لابن أخيه سيف الدين غازي المذكور واعطى سنجار لعماد الدين زنكي بن مودود وهو اكبر من أخيه سيف الدين غازي فقال كمال الدين الشهرزوري في هذا طريق الى اذى يحصل للبيت الاتابكي لان عماد الدين كبيرا لا يرى طاعة أخيه سيف الدين وسيف الدين هو الملك لا يرى الاغضاء لعماد الدين فيحصل الخلف وتطمع الاعداء (وفي هذه السنة) سار صلاح الدين عن مصر فغزا بلاد الفرنج قرب عسقلان والرملة وعاد الى مصر ثم خرج الي ايلة وحصرها وهي للفرنج على ساحل البحر الشرقي ونقل اليها المراكب وحصرها برا وبحرا وفتحها في العشر الاول من ربيع الآخر واستباح اهلها وما فيها وعاد الى مصر ولما استقر صلاح الدين بمصر كان بمصر دار للشحنة تسمى دار المعونة يحبس فيها فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية وكذلك بنى دار الغزل مدرسة للشافعية وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة ورتب قضاة شافعية وذلك في العشرين من جمادي الآخرة وكذلك اشترى تقي الدين عمر ابن أخيه صلاح الدين منازل الغزو وبناها مدرسة للشافعية (وفي هذه السنة) توفي القاضي ابن الخلال من اعيان الكتاب المصريين وفضلائهم وكان صاحب ديوان الانشاء بها (ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة)

(ذكر اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العلوية)

في هذه السنة ثاني جمعة من المحرم قطعت خطبة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله ابن الامير يوسف ابن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد ابن أبي القاسم محمد ولم يل الخلافة ابن المستنصر بالله أبي تميم معد ابن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن على ابن الحاكم بأمر الله أبي على المنصور ابن العزيز بالله أبي منصور ابن المعز لدين الله أبي تميم معد ابن المنصور بالله أبي الطاهر اسمعيل ابن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ابن المهدي بالله أبي محمد عبيد الله أول الخلفاء العلويين من هذا البيت وقد مر ذكر نسبه في ابتداء دولتهم وكان سبب الخطبة العباسية بمصر انه لما تمكن صلاح الدين من مصر وحكم على القصر واقام فيه قراقوش الاسدي وكان خصيا أبيض وبلغ نور الدين ذلك ارسل الى صلاح الدين يأمره حتما جزما بقطع الخطبة العلوية واقامة الخطبة العباسية فراجعه صلاح الدين في ذلك خوف الفتنة فلم يلتفت نور الدين الى ذلك وأصر عليه وكان العاضد قد مرض فأمر صلاح الدين الخطباء أن يخطبوا للمستضيء

ويقطعوا خطبة العاضد فامتثلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان وكان العاضد قداشتد مرضه فلم يعلمه أحد من أهله بقطع خطبته فتوفي العاضد يوم عاشوراء ولم يعلم بقطع خطبته ولما توفي العاضد جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصر الخلافة وعلى جميع مافيه وكان كثرته تخرج عن الاحصاء وكان فيه أشياء نفيسة من الاعلاق المثمنة والكتب والتحف فمن ذلك الحبل الياقوت وكان وزنه سبعة عشر درهما اوسبعة عشر مثقالا * قال ابن الاثير مؤلف الكامل أنا رأيته ووزنته ومما حكى انه كان بالقصر طبل للقولنج اذا ضرب الانسان به ضرط فكسر ولم يعلموا به الا بعد ذلك ونقل صلاح الدين أهل العاضد الى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم وأخرج جميع من فيه من عبد وأمة فباع البعض وعتق البعض ووهب البعض وخلا القصر من سكانه كان لم يغن بالامس ولما اشتد مرض العاضد ارسل الى صلاح الدين يستدعيه فظن ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما توفي علم صدقه فندم لتخلفه عنه وجميع من خطب له منهم بالخلافة اربع عشرة خليفة المهدى والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد وجميع مدة خلافتهم من حين ظهر المهدى بسجلماسة في ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين الى ان توفي العاضد في هذه السنة اعني سنة سبع وستين وخمسمائة مائتان واثنتان وسبعون سنة تقريبا وهذا دأب الدنيا لم تعط الا واستردت ولم تحل الا وتمررت ولم تصف الا وتكدرت بل صفوها لايخلو من الكدر ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر الى بغداد ضربت لها البشائر عدة ايام وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدم المقتفوية الى نور الدين وصلاح الدين والخطباء وسيرت الاعلام السود وكان العاضد المذكور قد رأى في منامه ان عقربا خرجت من مسجد بمصر معروف ذلك المسجد للعاضد ولدغته فاستيقظ العاضد مرعوبا واستدعى من يعبر الرؤيا وقص ما رآه عليه فعبره له بوصول أذى اليه من شخص بذلك المسجد فتقدم العاضد الى والي مصر باحضار من بذلك المسجد فاحضر اليه شخصا صوفيا يقال له نجم الدين الخويشاني فاستخبره العاضد عن مقدمه وسبب مقامه بالمسجد المذكور فاخبره بالصحيح في ذلك فرآه العاضد اضعف من ان يناله بمكروه فوصله بمال وقال له ادع لنا ياشيخ وأمره بالانصراف فلما اراد السلطان صلاح الدين ازالة الدولة العلوية والقبض عليهم استفتى في ذلك فافتاه بذلك جماعة من الفقهاء وكان نجم الدين الخويشاني المذكور من جملتهم فبالغ في الفتيا وصرح في خطه بتعديد مساويهم وسلب عنهم الايمان واطال الكلام في ذلك فصح بذلك رؤيا العاضد

(ذكر غير ذلك)

وفي هذه السنة جرى بين نور الدين وصلاح الدين الوحشة في الباطن فان صلاح الدين

سار ونازل الشوبك وهي للفرنج ثم رحل عنه خوفا ان يأخذه فلم يبق مايعوق نور الدين عن قصد مصر فتركه ولم يفتحه لذلك وبلغ نور الدين ذلك فكتمه وتوحش باطنه لصلاح الدين ولما استقر صلاح الدين بمصر جمع اقاربه وكبراء دولته وقال بلغني ان نور الدين يقصدنا فما الرأى فقال تقى الدين عمر ابن أخيه نقاتله ونصده وكان ذلك بحضرة أبيهم نجم الدين أيوب فانكر على تقى الدين ذلك وقال أنا والدكم لو رأيت نور الدين نزلت وقبلت الارض بين يديه بل اكتب وقل لنور الدين انه لو جاءنى من عندك انسان واحد وربط المنديل في عنقى وجرنى اليك سارعت الى ذلك وانفضوا على ذلك ثم اجتمع ايوب بابنه صلاح الدين خلوة وقال له لو قصدنا نور الدين أنا كنت أول من يمنعه ويقاتله ولكن اذا أظهرنا ذلك يترك نور الدين جميع ماهو فيه ويقصدنا ولاندرى مايكون من ذلك واذا اظهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل به الكفاية من عند الله فكان كما قال (وفي هذه السنة) توفي الامير محمد بن مرنيش صاحب شرقى بلاد الاندلس وهى مرسية وبلنسية وغيرهما فقصد أولاده أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب وسلموا اليه بلادهم فسر يوسف بذلك وتسلمها منهم وتزوج باختهم واكرمهم ووصلهم بالاموال الجزيلة وكان قد قصدهم يوسف المذكور في مائة الف مقاتل فأجابوا بدون قتال كما ذكرنا (وفي هذه السنة) عبر الخطا نهر جيحون فجمع خوارزم شاه ارسلان بن اطسز بن محمد بن أنوش تكين عساكره وسار الى لقائهم فمرض خوارزم شاه ورجع مريضا وارسل عسكرا مع بعض المقدمين فاقتتلوا مع الخطا وانهزم عسكر خوارزم شاه واسر مقدمهم ورجع الخطا الى بلادهم بعد ذلك (وفي هذه السنة) اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادى وتسمى المناسيب لنقل البطايق والاخبار (وفيها) عزل المستضئ وزيره عضد الدين بن رئيس الرؤساء مكرها لان قطب الدين قيماز ألزمه بعزله فلم يمكنه مخالفته (وفيها) مات يحيى بن سعدون بن تمام الازدى الاندلسى القرطبي وكان اماما في القراءة والنحو وغيره من العلوم توفي بالموصل (وفيها) توفي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادى العالم المشهور في الادب والنحو والتفسير والحديث وكان متضلعا من العلوم وكان قليل الاكتراث بالمأكل والملبس (وفيها) توفي نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن على بن عبد النور ابن قلاقس الشاعر المشهور الاسكندرى مدح القاضى الفاضل وكان كثير الاسفار سار الى صقلية في سنة ثلاث وخمسين ثم عاد وسار الى اليمن في سنة خمس وستين وخمسمائة وفي كثرة أسفاره يقول

الناس كثر ولكن لايقدلى　　الامرافقة الملاح والحادى

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة) في هذه السنة توفي خوارزم شاه أرسلان بن

اطـز بن محمد بن أنوش تكين وكان قد عاد من قتال الخطا مريضا ولما مات ملك بعده ابنه الصغير سلطان شاه محمود ودبرت والدته المملكة وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكين مقيما في جند قد أقطعه أبوه اياها فلما بلغه موت أبيه وولاية أخيه الصغير أنف من ذلك واستنجد بالخطا وسار الى أخيـه سلطان شاه وطرده ثم ان سلطان شاه قصد ملوك الاطراف واستنجدهم على أخيـه تكش وطرده وكانت الحرب بينهم سجالا حتى مات سلطان شاه في سنة تسع وثمانين وخمسمائة واستقر في ملك خوارزم أخوه تكش بن أرسلان وفي تلك الحروب بين الاخوين قتل المؤيد (أى به) قتله تكش صبرا وملك بعده ابنه طغانشاه ابن المؤيد اى به (وفي هذه السـنة) سار شمس الدولة توران شاه ابن أيوب أخو صـلاح الدين الأكبر من مصر الى النوبة للتغلب عليها فلم تعجبه تلك البلاد فغنم وعاد الى مصر (وفي هذه السنة) توفي شـمس الدين الدكز بهمدان وملك بعده ابنه محمد البهلوان ولم يختلف عليه أحد وكان الدكز هذا مملوكا للكمال السـميرى وزير السلطان محمود ثم صار للسلطان محمود فلما ولى السلطان مسعود ولاه وكبره حتى صار ملك أذربيجان وغيرها من بلاد الجبل وأصفهان والرى وكان عسكره خمسين ألف فارس وكان يخطب في بلاده بالسلطنة للسلطان أرسلان بن طغريل ولم يكن لارسلان معه حكم وكان الدكز حسن السيرة (وفي هذه السنة) سار طائفة من الترك من ديار مصر مع مملوك لتقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب اسمه قراقوش الى أفريقية ونزلوا على طرابلس الغرب فحاصرها مدة ثم فتحها واستولى عليها قراقوش المذكور وملك كثيرا من بلاد أفريقية (وفيها) غزا أبو يعقوب بن عبد المؤمن بلاد الفرنج بالاندلس (وفيها) سار نور الدين محمود بن زنكى الى بلاد قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان واستولى على مرعش وبهنسا ومرزبان وسيواس فأرسل اليه قليج أرسلان يستعطفه ويطلب الصلح فقال نور الدين لا أرضى الا بان ترد ملطية على ذى النون ابن الدانشمند وكان قليج أرسلان قد أخذها منه فبذل له سيواس واصطلح معه نور الدين فلما مات نور الدين عاد قليج أرسـلان واستولى على سيواس وطرد ابن الدانشمند (وفيها) سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين أن يجتمعا على الكرك وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك فخاف صلاح الدين من الاجتماع بنور الدين فرحل صلاح الدين عن الكرك عائدا الى مصر وأرسل تحفا الى نور الدين واعتذر ان أباه أيوب مريض ويخشى أن يموت فتذهب مصر فقبل نور الدين عذره في الظاهر وعلم المقصود ولما وصل صلاح الدين الى مصر وجد أباه أيوب قد مات وكان سبب موت نجم الدين أيوب بن شاذى المذكور انه ركب بمصر فنفرت

به فرسه فوقع وحمل الى قصره وبقي أياما ومات في السابع والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة وكان أيوب خيرا عاقلا حسن السيرة كريما كثير الاحسان (وفيها) توفي أبو نزار حسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار النحوى وقد ناهز الثمانين وهو المعروف بملك النحاة وبرع في النحو حتى فاق فيه أهل طبقته وكان معجبا بنفسه ولقب نفسه بملك النحاة وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك وقرأ الفقه على مذهب الشافعى وكذلك قرأ الاصولين والخلاف وسافر الى خراسان وكرمان وغزنة ثم رحل الى الشام واستوطن دمشق (ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الدولة توران شاه بن أيوب اليمن)

كان صلاح الدين وأهله خائفين من نور الدين فاتفق رأيهم على تحصيل مملكة غير مصر بحيث ان قصدهم نور الدين قاتلوه فان هزمهم التجؤا الى تلك المملكة فجهز صلاح الدين أخاه توران شاه الى النوبة فلم تعجبهم بلادها ثم سيره في هذه السنة بعسكر الى اليمن وكان صاحب اليمن حينئذ انسانا يسمى عبد النبى المقدم الذكر في سنة أربع وخمسين وخمسمائة فتجهز توران شاه ووصل الى اليمن وجرى بينه وبين عبد النبى قتال فانتصر توران شاه وهزم عبد النبى وهجم زبيد وملكها وأسر عبد النبى ثم قصد عدن وكان صاحبها انسانا اسمه ياسر فخرج لقتال توران شاه فهزمه توران شاه وهجم عدن وملكها وأسر ياسر أيضا واستولى توران شاه على بلاد اليمن واستقرت في ملك صلاح الدين واستولى على أموال عظيمة لعبد النبى وكذلك من عدن

(ذكر قتل جماعة من المصريين وعمارة اليمنى)

(في هذه السنة) في رمضان صلب صلاح الدين جماعة من أعيان المصريين فانهم قصدوا الوثوب عليه واعادة الدولة العلوية فعلم بهم وصلبهم عن آخرهم فمنهم عبد الصمد الكاتب والقاضى العويرس وداعى الدعاة وعمارة بن على اليمنى الشاعر الفقيه وله أشعار حسنة فمنها مايتعلق بأحوال العلويين وانقراض دولتهم قوله قصيدة منها

رميت يادهر كف المجد بالشلل	وجيده بعد حسن الحلى بالعطل
جدعت مارنك الاقنى فانفك لا	ينفك مابين أمر الشين والخجل
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة	على فجيعتها في أكرم الدول
ياعاذلى في هوى أبناء فاطمة	لك الملامة ان أقصرت في عذل
بالله زر ساحة القصرين وابك معى	عليهما لا على صفين والجمل
وقل لاهلهما والله لا التحمت	فيكم جروحي ولا قرحي بمندمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة	في نسل آل أمير المؤمنين على

ومنها وقد حصلتم عليها واسم جدكم محمد وأبوكم خ ير منتعل
مررت بالقصر والاركان خالية من الوفود وكانت قبلة القبل
ومنها والله لافاز يوم الحشر مبغضكم ولانجا من عذاب الله غيرولى
أثمتى وهداتى والذخيرة لى اذا ارتهنت بماقدمت من عملى
والله لاحلت عن حبى لهم أبدا ماأخر الله لى في مدة الاجل

وأيضاً له فيهم

غصبت أمية ارث آل محمد سفها وشنت غارة الشنآن
وغدت تخالف في الخلافة أهلها وتقابل البرهان بالبهتان
لم تقتنع حكامهم ركوبهم ظهر النفاق وغارب العدوان
وقعودهم في رتبة نبوية لم يبنها لهم أبو سفيان
حتى اضافوا بعد ذلك انهم أخذوا بثار الكفر في الايمان
فأتى زياد في القبيح زيادة تركت يزيد يزيد في النقصان

(ذكر وفاة نور الدين محمود)

(في هذه السنة) توفي الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة وغير ذلك يوم الاربعاء حادى عشر شوال بعلة الخوانيق بقلعة دمشق المحروسة وكان نور الدين قد شرع يتجهز للدخول الى مصر لاخذها من صلاح الدين وكان يريد أن يخلى ابن أخيه سيف الدين غازى بن مودود في الشام قبالة الفرنج ويسير هو بنفسه الى مصر فأتاه أمر الله الذى لا مرد له وكان نور الدين أسمر طويل القامة ليس له لحية الا في حنكه حسن الصورة وكان قد اتسع ملكه جدا وخطب له بالحرمين واليمن لماملكها توران شاه بن أيوب وكذلك كان يخطب له بمصر وكان مولد نور الدين سنة احدى عشرة وخمسمائة وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وكان من الزهد والعبادة على قدم عظيم وكان يصلى كثيرا من الليل فكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه ماأحسن المحراب في المحراب

وكان عارفا بالفقه على مذهب أبى حنيفة وليس عنده فيه تعصب وهو الذى بنى أسوار مدن الشام مثل دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها لما تهدمت بالزلازل وبنى المدارس الكثيرة الحنفية والشافعية ولا يحتمل هذا المختصر ذكر فضائله ولما توفي نورالدين قام ابنه الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين محمود بالملك بعده وعمره احدى عشرة سنة وحلف له العسكر بدمشق وأقام بها وأطاعه صلاح الدين بمصر وخطب له بها وضربت السكة باسمه وكان المتولى لتدبير الملك الصالح وتدبير دولته الامير شمس

الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم ولما مات نور الدين وتملك ابنه الملك الصالح سار من الموصل سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى وملك جميع البلاد الجزرية (ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة)

(ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر)

في أول هذه السنة اجتمع على رجل من أهل الصعيد يقال له الكنز جمع كثير واظهر الخلاف على صلاح الدين فأرسل صلاح الدين اليه عسكرا فاقتتلوا وقتل الكنز وجماعة معه وانهزم الباقون

(ذكر ملك صلاح الدين دمشق وغيرها)

(في هذه السنة) سلخ ربيع الاول ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب مدينة دمشق وحمص وحماة وسببه ان شمس الدين ابن الداية المقيم بحلب أرسل سعد الدين كمشتكين يستدعى الملك الصالح بن نور الدين من دمشق الى حلب ليكون مقامه بها فسار الملك الصالح الى حلب مع سعد الدين كمشتكين ولما استقر بحلب وتمكن كمشتكين قبض على شمس الدين ابن الداية واخوته وقبض على الرئيس ابن الخشاب واخوته وهو رئيس حلب واستبد سعد الدين بتدبير الملك الصالح نخافه ابن المقدم وغيره من الامراء الذين بدمشق وكاتبوا صلاح الدين بن أيوب صاحب مصر واستدعوه ليملكوه عليهم فسار صلاح الدين جريدة في سبعمائة فارس ولم يلبث ووصل الى دمشق فخرج كل من كان بها من العسكر والتقوه وخدموه ونزل بدار والده أيوب المعروفة بدار العقيقى وعصت عليه القلعة وكان فيها من جهة الملك الصالح خادم اسمه ريحان فراسله صلاح الدين واستماله فسلم القلعة اليه فصعد اليها صلاح الدين وأخذ مافيها من الاموال ولما ثبت قدمه وقرر أمر دمشق استخلف بها أخاه سيف الاسلام طغتكين بن أيوب وسار الى حمص مستهل جمادى الاولى وكانت حمص وحماة وقلعة بارين وسلمية وتل خالد والرها من بلد الجزيرة في اقطاع فخر الدين مسعود بن الزعفرانى فلما مات نور الدين لم يمكن فخر الدين مسعود المقام بحمص وحماة لسوء سيرته مع الناس وكانت هذه البلاد له بغير قلاعها فان قلاعها كان فيها ولاة لنور الدين وليس لفخر الدين معهم في القلاع حكم الا بارين فان قلعتها كانت له أيضاً ونزل صلاح الدين على حمص في حادى عشر جمادى الاولى وملك المدينة وعصت عليه القلعة فترك عليها من يضيق عليها ورحل الى حماة فملك مدينتها مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة وكان بقلعتها الامير عز الدين جرديك أحد المماليك النورية فامتنع في القلعة فذكر له صلاح الدين انه ليس له غرض سوى حفظ البلاد للملك الصالح اسمعيل وانما هو نائبه وقصده من جرديك المسير الى حلب في رسالة فاستحلفه جرديك على ذلك

وسار

وسار جرديك الى حلب برسالة صلاح الدين واستخلف في قلعة حماة أخاه فلما وصل جرديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه فلما علم أخوه بذلك سلم قلعة حماة الى صلاح الدين فملكها ثم سار صلاح الدين الى حلب وحصرها وبها الملك الصالح اسمعيل ابن نور الدين فجمع أهل حلب وقاتلوا صلاح الدين وصدوه عن حلب وأرسل سعد الدين كمشتكين الى سنان مقدم الاسماعيلية أموالا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فأرسل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا دونه واستمر صلاح الدين محاصرا لحلب الى مستهل رجب ورحل عنها بسبب نزول الفرنج على حمص ووصل صلاح الدين الى حماة ثامن رجب وسار الى حمص فرحل الفرنج عنها ووصل صلاح الدين الى حمص وحصر قلعتها وملكها في الحادي والعشرين من شعبان من هذه السنة ثم سار الى بعلبك فملكها ولما استقر ملك صلاح الدين لهذه البلاد أرسل الملك الصالح الى ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين فجهز جيشه صحبة أخيه عز الدين مسعود ابن مودود ابن زنكى وجعل مقدم الجيش أكبر أمرائه وهو عز الدين محمود ولقبه سلقندار وطلب أخاه الأكبر عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار ليسير في النجدة أيضاً فامتنع مصانعة لصلاح الدين فسار سيف الدين غازى وحصره بسنجار ووصل عسكر الموصل صحبة مسعود بن مودود وسلقندار الى حلب وانضم اليهم عسكر حلب وساروا الى صلاح الدين فأرسل صلاح الدين يبذل حمص وحماة وان تقر بيده دمشق وأن يكون فيها نائبا للملك الصالح فلم يجيبوا الى ذلك وساروا الى قتاله واقتتلوا عند قرون حماة فانهزم عسكر الموصل وحلب وغنم صلاح الدين وعسكره أموالهم وتبعهم صلاح الدين حتى حصرهم في حلب وقطع صلاح الدين حينئذ خطبة الملك الصالح ابن نور الدين وازال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة فراسلوا صلاح الدين في الصلح على أن يكون له مابيده من الشام وللملك الصالح مابقى بيده منه فصالحهم على ذلك ورحل عن حلب في العشر الاول من شوال من هذه السنة أعنى سنة سبعين وخمسمائة (وفي العشر الاخير) من شوال من هذه السنة ملك السلطان صلاح الدين قلعة بارين وأخذها من صاحبها فخر الدين مسعود بن الزعفرانى وكان فخر الدين المذكور من أكابر الامراء النورية

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) ملك البهلوان بن الدكز مدينة تبريز وأخذها من ابن اقسنقر الاحمديلى (وفيها) مات شملة التركانى صاحب خورستان وملك ابنه بعده (وفيها) وقع بين الخليفة وبين قطب الدين قيماز مقدم عسكر بغداد فتنة فنهبت دار قيماز وهرب الى الحلة ثم الى

الموصل فلحق قيماز في الطريق عطش شديد فهلك أكثر أصحابه ومات قطب الدين قيماز قبل أن يصل الى الموصل فحمل ودفن بظاهر باب العمادي ولما هرب قيماز خلع الخليفة على عضد الدولة الوزير وأعاده الى الوزارة (ثم دخلت سنة احدى وسبعين وخمسمائة)

ذكر انهزام سيف الدين غازى صاحب الموصل من السلطان صلاح الدين

(في هذه السنة) عاشر شوال كان المصاف بين السلطان صلاح الدين وبين سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى بتل السلطان فهرب سيف الدين غازى والعساكر التى كانت معه فانه كان قد استنجد بصاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما وتمت على سيف الدين غازى الهزيمة حتى وصل الموصل مرعوبا وقصد المهروب منها الى بعض القلاع فثبته وزيره واقام بالموصل واستولى السلطان صلاح الدين على اثقال عسكر الموصل وغيرهم وغنم مافيها ثم سار السلطان صلاح الدين الى بزاعة فحصرها وتسلمها ثم سار الى منبج فحصرها في آخر شوال وصاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى وكان شديد البغض لصلاح الدين وفتحها عنوة وأسر ينال وأخذ جميع موجوده ثم أطلقه فسار ينال الى الموصل فأقطعه سيف الدين غازى مدينة الرقة ثم سار السلطان صلاح الدين الى اعزاز ونازلها ثالث ذى القعدة وتسلمها حادى عشر ذى الحجة فوثب اسماعيلى على صلاح الدين في حصاره اعزاز فضربه بسكين في رأسه فجرحه فأمسك صلاح الدين يدى الاسماعيلى وبقى يضرب بالسكين فلا يؤثر حتى قتل الاسماعيلى على تلك الحال ووثب آخر عليه فقتل أيضاً وجاء السلطان الى خيمته مذعورا واعرض جنده وابعد من أنكره منهم ولما ملك السلطان اعزاز رحل عنها ونازل حلب في منتصف ذى الحجة وحصرها وبها الملك الصالح بن نور الدين وانقضت هذه السنة وهو محاصر لحلب فسألوا صلاح الدين في الصلح فأجابهم اليه وأخرجوا اليه بنتا صغيرة لنور الدين محمود فأكرمها السلطان صلاح الدين وأعطاها شيئاً كثيرا وقال لها ماتريدين فقالت أريد قلعة اعزاز وكانوا قد علموها ذلك فسلمها اليهم واستقر الصلح ورحل السلطان صلاح الدين عن حلب في العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) سار أمير الحاج العراقى طاشتكين وأمره الخليفة بعزل صاحب مكة مكثر بن عيسى فجرى بين الحجاج وبينه قتال فانهزم مكثر في البرية وأقام أخاه داود

مكانه بمكة (وفيها) في رمضان قدم شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن الى الشام وأرسل الى أخيه صلاح الدين يعلمه بوصوله وكتب اليه أبياتا من شعر ابن المنجم المصرى

والى صلاح الدين أشكو انني	من بعده مضنى الجوانح مولع
جزعا لبعد الدار عنه ولم أكن	لولا هواه لبعد دار أجزع
ولأركبن اليه متن عزائمي	ويخب بى ركب الغرام ويوسع
ولأسرين الليل لا يسرى به	طيف الخيال ولا البروق اللمع
وأقدمن اليه قلبي مخبرا	انى بجسمي عن قريب اتبع
حتى أشاهد منه أسعد طلعة	من أفقها صبح السعادة يطلع

(وفيها) توفي الحافظ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقى الملقب نور الدين كان اماما في الحديث ومن أعيان الفقهاء الشافعية صنف تاريخ دمشق في ثمانين مجلدة على وضع تاريخ بغداد أتى فيه بالغرائب ومولد المذكور في أول سنة تسع وتسعين وأربعمائة (ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة) فيها قصد السلطان صلاح الدين بلد الاسماعيلية في المحرم فنهب بلدهم وخربه واحرقه وحصر قلعة مصياف فأرسل سنان مقدم الاسماعيلية الى خال صلاح الدين وهو شهاب الدين الحارمى صاحب حماة يسأله أن يسعى في الصلح فسأل الحارمى الصفح عنهم فأجابه صلاح الدين الى ذلك وصالحهم ورحل عنهم وأتم السلطان صلاح الدين مسيره ووصل الى مصر فانه كان قد بعد عهده بها بعد ان استقر له ملك الشام ولما وصل الى مصر في هذه السنه أمر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة التى على جبل المقطم ودور ذلك تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع بالذراع الهاشمى ولم يزل العمل فيه الى ان مات صلاح الدين (وفي هذه السنة) أمر صلاح الدين ببناء المدرسة التى على الشافعى بالقرافة بمصر وعمل بالقاهرة مارستان (وفيها) تولى القاضى جمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى قاضى دمشق وجميع الشام (ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة) في هذه السنة في جمادى الاولى سار السلطان صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فوصل الى عسقلان في الرابع والعشرين من الشهر فنهب وتفرق عسكره في الاغارات وبقى السلطان في بعض العسكر فلم يشعر الا بالفرنج قد طلعت عليه فقاتلهم أشد قتال وكان لتقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولد اسمه أحمد وهو من أحسن الشباب أول ماقد تكاملت لحيته فامره أبوه تقى الدين بالحملة على الفرنج فحمل عليهم وقاتلهم فأثر فيهم أثرا كثيرا وعاد سالماً فأمره أبوه بالعود

اليهم ثانية فحمل عليهم فقتل شهيدا وتمت الهزيمة على المسلمين وقاربت حملات الفرنج السلطان فمضى منهزما الى مصر على البرية ومعه من سلم فلاقوا في طريقهم مشقة وعطشا شديدا وهلك كثير من الدواب وأخذت الفرنج العسكر الذين كانوا يتفرقون في الاغارات اسرى وأسر الفقيه عيسى وكان من أكبر أصحاب السلطان صلاح الدين ففداه السلطان من الاسر بعد سنتين بستين ألف دينار ووصل السلطان الى القاهرة نصف جمادى الآخرة * قال الشيخ عز الدين على بن الاثير مؤلف الكامل ورأيت كتاباً بخط يد صلاح الدين الى أخيه توران شاه نائبه بدمشق يذكر له الوقعة وفي أوله

ذكرتك والخطى تخطر بيننا   وقد نهلت منا المثقفة السمر

و يقول فيه لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله منه الا لامر يريده سبحانه وتعالى

* وما ثبتت الا وفي نفسها أمر *

﴿ وفي هذه السنة ﴾ سار الفرنج وحصروا مدينة حماة في جمادى الاولى وطمع الفرنج بسبب بعد السلطان بمصر وهزيمته من الفرنج ولم يكن غير توران شاه بدمشق ينوب عن أخيه صلاح الدين وليس عنده كثير من العسكر وكان توران شاه أيضا كثير الانهماك في اللذات مائلا الى الراحات ولما حصروا حماة كان بها صاحبها شهاب الدين الحارمى خال صلاح الدين وهو مريض واشتد حصار الفرنج لحماة وطال زحفهم عليها حتى انهم هجموا بعض أطراف المدينة وكادوا يملكون البلد قهرا ثم جد المسلمون في القتال وأخرجوا الفرنج الى ظاهر السور وأقام الفرنج كذلك على حماة أربعة أيام ثم رحلوا عنها الى حارم وعقيب رحيلهم عنها مات صاحبها شهاب الدين الحارمى وكان له ابن من أحسن الناس شبابا مات قبله بثلاثة أيام (وفي هذه السنة) قبض الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين صاحب حلب على سعد الدين كمشتكين وكان قد تغلب على الامر وكانت حارم لكمشتكين فارسل الملك الصالح اليهم فلم يسلموها اليه فأمر كمشتكين أن يسلمها فأمرهم بذلك فلم يقبلوا منه فأمر بتعذيب كمشتكين ليسلموا القلعة فعذب وأصحابه يرونه ولا يرحمونه فمات في العذاب وأصر أصحابه على الامتناع ووصل الفرنج الى حارم بعد رحيلهم عن حماة وحصروا حارم مدة أربعة أشهر فأرسل الملك الصالح مالا للفرنج وصالحهم فرحلوا عن حارم وقد بلغ بأهلها الجهد وبعد ان رحل الفرنج عنها أرسل اليها الملك الصالح عسكرا وحصروها فلم يبق باهلها ممانعة فسلموها الى الملك الصالح فاستناب بقلعة حارم مملوكا كان لابيه اسمه سرخك (وفي هذه السنة) في المحرم خطب للسلطان طغريل بن ارسلان بن طغرايل ابن السلطان محمد ابن السلطان ملكشاه المقيم ببلاد الدكز وكان أبوه ارسلان الذى تقدم خبره قد توفي ولم

يذكر ابن الاثير وفاة ارسلان ابن طغريل الا في هــذا الموضع وكان ينبغي أن يذكره قبل هذه السنة (وفيها) في ذى الحجة قتل عضد الدين محمد بن عبد الله بن هبة الله وزير الخليفة وكان قد عبر دجلة عازما على الحج فقتله الاسماعيلية وحمل مجروحاً الى منزله فمــات به وكان مولده في جمــادى الاولى ســنة أربع عشرة وخمسمائة (وفيها) توفي صدقة بن الحسين الحداد الذى ذيل تاريخ ابن الزعفرانى ببغداد (ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة) في هذه الســنة طلب توران شاه من أخيه السلطان صلاح الدين بعلبك وكان السلطان أعطاها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم لما سلم دمشق الى صلاح الدين فلم يمكن صلاح الدين منع أخيه عن ذلك فأرسل الى ابن المقدم ليسلم بعلبك فعصى بها ولم يسلمها فارسل السلطان وحصره ببعلبــك وطال حصارها فأجاب ابن المقــدم الى تسليمها على عوض فعوض عنها وتسلمها السلطان وأقطعها أخاه توران شاه (وفيها) كان بالبلاد غلاء عام وتبعه وباء شديد (وفيها) سير السلطان صلاح الدين ابن أخيه تقى الدين عمر الى حماة وابن عمه محمد بن شيركوه الى حمص وأمرهما بحفظ بلادهما فاستقر كل منهما ببلده (وفيها) توفي الحصيص الشاعر واسمه ســعد بن محمد بن سعد وشعره مشهور فمنه

لاتلمني في شــقائي بالعلى رغد العيش لربات الحجال
ســيف عز زانه رونقــه فهو بالطبع غني عن صقال

(وفيها) ماتت شهدة بنت أحمد بن عمر الابرى سمعت الحــديث من السراج وطراد وغيرهما وعمرت حتى قاربت مائة سنة وسمع عليها خلق كثير لعلو اسنادها (ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة) فيها سار السلطان صــلاح الدين وفتح حصــنا كان بناه الفرنج عند مخاضــة الاحزان بالقرب من بانياس عند بيت يعقوب وفي ذلك يقول على بن محمد الساعاتى الدمشقى

أتسكن أوطان النبيين عصبة تمين لدى ايمــانها وهي تحلف
نصحتكم والنصح للدين واجب ذروا بيت يعقوب فقدجاء يوسف

وفيها كان حرب بين عسكر السلطان صلاح الدين ومقدمهم ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وبين عسكر قليج ارسلان بن مســعود بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وسببها ان حصن رعبان كان بيد شمس الدين ابن المقدم فطمع فيه قليج ارسلان وأرسل اليه عسكرا كثيرا ليحصروه وكانوا قريب عشرين ألفا فسار اليهم تقى الدين في ألف فارس فهزمهم وكان تقى الدين يفتخر ويقول هزمت بالف عشرين ألفا

ذكر وفاة المستضيء وخلافة الامام الناصر وهو رابع ثلاثينهم

﴿في هذه السنة﴾ ثاني القعدة توفي المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد وأمه أم ولد أرمنية وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكان عادلا حسن السيرة وكان قد حكم في دولة ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار بعد قتل عضد الدين الوزير فلما مات المستضيء قام ظهير الدين بن العطار وأخذ البيعة لولده الامام الناصر لدين الله ولما استقرت البيعة للامام الناصر حكم أستاذ الدار مجد الدين أبو الفضل فقبض في سابع القعدة على ظهير الدين ابن العطار ونقل الى التاج وأخرج ظهير الدين المذكور ميتا على رأس حمال ليلة الاربعاء ثاني عشر ذي القعدة فثارت به العامة والقوه عن رأس الحمال وشدوا في ذكره حبلا وسحبوه في البلد وكانوا يضعون في يده مغرفة يعني انها قلم وقد غمس تلك المغرفة في العذرة ويقولون وقع لنا يامولانا هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفه عن أموالهم ثم خلص منهم ودفن (وفي هذه السنة) في ذي القعدة نزل توران شاه أخو السلطان عن بعلبك وطلب عوضها الاسكندرية فأجابه السلطان صلاح الدين الى ذلك واقطع بعلبك لعز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب فسار اليها فرخشاه وسار شمس الدولة توران شاه الى الاسكندرية وأقام بها الى ان مات بها (ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة)

﴿ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل﴾

(في هذه السنة) ثالث صفر توفي سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل والديار الجزرية وكان مرضه السل وطال وكان عمره نحو ثلاثين سنة وكانت ولايته عشر سنين ونحو ثلاثة أشهر وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة أبيض اللون عاقلا عادلا عفيفا شديد الغيرة لا يدخل بيته غير الخدم اذا كانوا صغارا فاذا كبر أحدهم منعه وكان عفيفا عن أموال الرعية مع شح كان فيه وحين حضره الموت أوصى بالمملكة بعده الى أخيه عز الدين مسعود بن مودود وأعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجر شاه بن غازي فاستقر ذلك بعد موته حسبما قرره وكان مدبر الدولة والحاكم فيها مجاهد الدين قيماز (وفي هذه السنة) سار السلطان صلاح الدين الى جهة قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم ووصل الى رعبان ثم اصطلحوا فقصد صلاح الدين بلاد ابن ليون الارمني وشن فيها الغارات فصالحه ابن ليون على مال حمله وأسرى أطلقهم (وفيها) توفي شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو

صلاح الدين الاكبر بالاسكندرية وكان له معها أكثر بلاد اليمن ونوابه هناك يحملون اليه الاموال من زبيد وعدن وغيرهما وكان أجود الناس واسخاهم كفا يخرج كل مايحمل اليه من أموال اليمن ودخل الاسكندرية ومع هذا فلما مات كان عليه نحو مائتى ألف دينار مصرية ديناعليه فوفاها أخوه صلاح الدين عنه لماوصل الى مصر ووصل السلطان صلاح الدين الى مصر في هذه السنة في شعبان واستخلف بالشام ابن أخيه عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك (ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة) في هذه السنة عزم البرنس صاحب الكرك على المسير الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم للاستيلاء على تلك النواحي الشريفة وسمع ذلك عز الدين فرخشاه نائب عمه السلطان صلاح الدين بدمشق فجمع وقصد بلاد الكرك وأغار عليها وأقام في مقابلة البرنس ففرق البرنس جموعه وانقطع عزمه عن الحركة . وفيها) وقع بين نواب توران شاه باليمن بعد موته اختلاف فخشي السلطان صلاح الدين على اليمن فجهز اليه عسكرا مع جماعة من أمرائه فوصلوا الى اليمن واستولوا عليه وكان نواب توران شاه على عدن عز الدين عثمان ابن الزنجيلي وعلى زبيد حطان بن كامل بن منقذ الكناني من بيت صاحب شيزر

﴿ذكر وفاة الملك الصالح صاحب حلب﴾

(في هذه السنة) في رجب توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بن زنكى بن اقسنقر صاحب حلب وعمره نحو تسع عشرة سنة ولما اشتد به مرض القولنج وصف له الاطبا الخمر فمات ولم يستعمله وكان حليما عفيف اليد والفرج واللسان ملازما لامور الدين لا يعرف له شئ مما يتعاطاه الشباب وأوصى بملك حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل فلما مات سار مسعود ومجاهد الدين قيماز من الموصل الى حلب واستقر في ملكها ولما استقر مسعود بن مودود في ملك حلب كاتبه أخوه عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار في أن يعطيه حلب ويأخذ منه سنجار فأشار قيماز بذلك فلم يمكن مسعود الا موافقته فأجاب الى ذلك فسار عماد الدين الى حلب وتسلمها وسلم سنجار الى أخيه مسعود وعاد مسعود الى الموصل (وفي هذه السنة) في شعبان توفي أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد النحوى المعروف بابن الانبارى ببغداد وله تصانيف حسنة في النحو وكان فقيها (ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة)

(ذكر مسير السلطان صلاح الدين الى الشام)

(في هذه السنة) خامس المحرم سار السلطان صلاح الدين عن مصر الى الشام ومن عجيب الاتفاق انه لما برز من القاهرة وخرجت أعيان الناس لوداعه أخذ كل منهم يقول شيئا

في الوداع وفراقه وفي الحاضرين معلم لبعض أولاد السلطان فأخرج رأسه من بين الحاضرين وأنشد

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

فتطير صلاح الدين وانقبض بعد انبساطه وتنكد المجلس على الحاضرين فلم يعد صلاح الدين بعدها الى مصر مع طول المدة وسار السلطان صلاح الدين وأغار في طريقه على بلاد الفرنج وغنم ووصل الى دمشق في حادى عشر صفر من السنة ولما سار السلطان الى الشام اجتمعت الفرنج قرب الكرك ليكونوا على طريقه فانتهز فرخشاه ابن أخى السلطان صلاح الدين ونائبه بدمشق الفرصة وسار الى الشقيف بعساكر الشام وفتحه واغار على مايجاوره من بلاد الفرنج وأرسل الى السلطان وبشره بذلك

(ذكر ارسال سيف الاسلام الى اليمن)

(في هذه السنة) سير السلطان أخاه سيف الاسلام طغتكين الى بلاد اليمن ليملكها ويقطع الفتن منها وكان بها حطان بن منقذ الكنانى وعز الدين عثمان الزنجيلي وقد عادا الى ولايتهما فان الامير الذى كان سيره السلطان نائبا الى اليمن تولى وعزلهما ثم توفي فعاد بين حطان وعثمان الفتن قائمة فوصل سيف الاسلام الى زبيد فتحصن حطان في بعض القلاع فلم يزل سيف الاسلام يتلطف به حتى نزل اليه فأحسن صحبته ثم ان حطان طلب دستورا ليسير الى الشام فلم يجبه الا بعد جهد فجهز حطان اثقاله قدامه ودخل حطان ليودع سيف الاسلام فقبض عليه وأرسل استرجع اثقاله وأخذ جميع أمواله وكان في جملة ماأخذه سيف الاسلام من حطان سبعين غلاف زردية مملوءة ذهبا عينا ثم سجن حطان في بعض قلاع اليمن فكان آخر العهد به وأما عثمان الزنجيلي فانه لما جرى لحطان ذلك خاف وسار نحو الشام وسير أمواله في البحر فصادفهم مراكب فيها أصحاب سيف الاسلام فأخذوا كل مال لعثمان الزنجيلي وصفت بلاد اليمن لسيف الاسلام

(ذكر غارات السلطان الملك صلاح الدين وما استولى عليه من البلاد)

(في هذه السنة) سار السلطان صلاح الدين من دمشق في ربيع الاول ونزل قرب طبرية وشن الاغارة على بلاد الفرنج مثل بانياس وجينين والغور فغنم وقتل وعاد الى دمشق ثم سار عنها الى بيروت وحصرها وأغار على بلادها ثم عاد الى دمشق ثم سار من دمشق الى البلاد الجزرية وعبر الفرات من البيرة فصار معه مظفر الدين كوكبورى ابن زين الدين على بن بكتكين وكان حينئذ صاحب حران وكاتب السلطان صلاح الدين ملوك تلك الاطراف واستمالهم فاجابه نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا وصار معه ونازل السلطان الرها وحاصرها وملكها وسلمها الى مظفر الدين

كوكبورى صاحب حران ثم سار السلطان الى الرقة وأخذها من صاحبها قطب الدين ينال ابن حسان المنبجى فسار ينال الى عز الدين مسعود صاحب الموصل ثم سار صلاح الدين الى الخابور وملك قرقيسيا وماكسين وعربان والخابور واستولى على الخابور جميعه ثم سار الى نصيبين وحاصرها وملك المدينة ثم ملك القلعة ثم أقطع نصيبين أميرا كان معه يقال له أبو الهيجا السمين ثم سار عن نصيبين وقصد الموصل وقد استعد صاحبها عز الدين مسعود ومجاهد الدين قيماز للحصار وشحنوها بالرجال والسلاح فحصر الموصل وأقام عليها منجنيقا فأقاموا عليه من داخل المدينة تسعة مناجنيق وضايق الموصل فنزل السلطان صلاح الدين محاذاة باب كندة ونزل صاحب حصن كيفا على باب الجسر ونزل تاج الملوك بورى أخو صلاح الدين على باب العمادى وجرى القتال بينهم وكان ذلك في شهر رجب من هذه السنة فلما رأى ان حصارها يطول رحل عن الموصل الى سنجار وحاصرها وملكها واستناب بها سعد الدين بن معين الدين انز وكان من أكابر الامراء وأحسنهم صورة ومعنى ثم سار السلطان صلاح الدين الى حران وعزل في طريقه عن نصيبين أبا الهيجا السمين

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) عمل البرنس صاحب الكرك أسطولا في بحر ايلة وساروا في البحر فرقتين فرقة أقامت على حصن ايلة يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب يفسدون في السواحل وبغتوا المسلمين في تلك النواحى فانهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجا قط وكان بمصر الملك العادل أبو بكر نائباً عن أخيه السلطان صلاح الدين فعمر أسطولا في بحر عيذاب وأرسله مع حسام الدين الحاجب لولو وهو متولى الاسطول بديار مصر وكان مظفرا فيه شجاعا فسار لولو مجدا في طلبهم وأوقع بالذين يحاصرون ايلة فقتلهم وأسرهم ثم سار في طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول الى الحجاز ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وسار لولو يقفو أثرهم فبلغ رابغ فأدركهم بساحل الحورا وتقاتلوا أشد قتال فظفر الله تعالى بهم وقتل لولو أكثرهم وأخذ الباقين أسرى وأرسل بعضهم الي منى لينحروا بها وعاد بالباقين الى مصر فقتلوا عن آخرهم (وفي هذه السنة) توفي عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك وكان ينوب عن صلاح الدين بدمشق وهو ثقته من بين أهله وكان فرخشاه شجاعا كريما فاضلا وله شعر جيد ووصل خبر موته الى صلاح الدين وهو في البلاد الجزرية فأرسل الى دمشق شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم ليكون بها واقر بعلبك على بهرام شاه بن فرخشاه المذكور (وفيها) توفي أبو العباس أحمد بن على بن الرفاعي من سواد واسط وكان صالحا ذا قبول عظيم عند الناس وله من

التلامذة مالا يحصى (وفيها) توفي بقرطبة خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الانصاري وكان من علماء الاندلس وله التصانيف المفيدة ومولده في سنة أربع وتسعين وأربعمائة (وفيها) توفى بدمشق مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري الفقيه الشافعي ولد سنة خمس وخمسمائة وهو الملقب قطب الدين وكان اماما فاضلا في العلوم الدينية قدم الى دمشق وصنف عقيدة للسلطان صلاح الدين وكان السلطان يقرئها أولاده الصغار (ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر ماملكه السلطان صلاح الدين من البلاد)

(في هذه السنة) ملك السلطان صلاح الدين حصن آمد بعد حصار وقتال في العشر الاول من المحرم وسلمها الى نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا ثم سار الى الشام وقصد تل خالد من أعمال حلب وملكها ثم سار الى عينتاب وحصرها وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل الذى كان خازن نور الدين محمود بن زنكى وكان قد سلم نور الدين عينتاب الى اسمعيل المذكور فبقيت معه الى الآن فحاصرها السلطان وملكها بتسليم صاحبها اليه فأقره السلطان عليها وبقي في خدمة السلطان ومن جملة أمرائه ثم سار السلطان الى حلب وحصرها وبها صاحبها عماد الدين زنكى ابن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر وطال الحصار عليه وكان قد كثر اقتراحات أمراء حلب وعسكرها عليه وقد ضجر من ذلك وكره حلب لذلك فأجاب السلطان صلاح الدين الى تسليم حلب على أن يعوض عنها بسنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج واتفقوا على ذلك وسلم حلب الى السلطان في صفر من هذه السنة فكان ينادون أهل حلب على عماد الدين المذكور ياحمار بعت حلب بسنجار وشرط السلطان على عماد الدين المذكور الحضور الى خدمته بنفسه وعسكره اذا استدعاه ولا يحتج بحجة عن ذلك ومن الاتفاقات العجيبة ان محى الدين بن الزكى قاضى دمشق مدح السلطان بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكان في جملة من قتل على حلب تاج الملوك تورى بن أيوب أخو السلطان الاصغر وكان كريما شجاعا طعن في ركبته فانفكت فمات منها ولما استقر الصلح عمل عماد الدين زنكى المذكور دعوة للسلطان واحتفل لها فبيناهم في سرورهم اذجاء انسان فاسر الى السلطان بموت أخيه تورى فوجد عليه في قلبه وجدا عظيما وأمر بتجهيزه سرا ولم يعلم السلطان في ذلك الوقت أحدا ممن كان في الدعوة بذلك لئلا يتنكد عليهم ماهم فيه وكان يقول السلطان ماوقعت حلب علينا رخيصة بموت تورى وكان هذا من السلطان من الصبر العظيم ولما ملك السلطان حلب ارسل الى حارم وبها

سرخك

سرخك الذى ولاه الملك الصالح ابن نور الدين في تسليم حارم وجرت بينهما مراسلات فلم ينتظم بينهما حال وكاتب سرخك الفرنج فوثب عليه أهل القلعة وقبضوا عليه وسلموا حارم الى السلطان فتسلمها وقرر امر حلب وبلادها واقطع اعزاز أميرا يقال له سليمان بن جندر

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة قبض عزالدين مسعود صاحب الموصل على نائبه مجاهدالدين قيماز (وفيها) لما فرغ السلطان من تقرير امر حلب جعل فيها ولده الملك الظاهر غازى وسار الى دمشق وتجهز منها للغزو فعبر نهر الاردن تاسع جمادى الآخرة من هذه السنة فاغار على بيسان وحرقها وشن الغارات على تلك النواحى ثم تجهز السلطان الى الكرك وأرسل الى نائبه بمصر وهو أخوه الملك العادل ان يلاقيه الى الكرك فسارا واجتمعا عليها وحصر الكرك وضيق عليها ثم رحل عنها في منتصف شعبان وسار معه أخوه العادل وأرسل السلطان ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر الى مصر نائبا عنه موضع الملك العادل ووصل السلطان الى دمشق واعطى أخاه أبابكر العادل مدينة حلب وقلعتها وأعمالها وسيره اليها في شهر رمضان من هذه السنة وأحضر ولده الظاهر منها الى دمشق (وفي هذه السنة) في جمادى الآخرة توفي محمد بن بختيار بن عبدالله الشاعر المعروف بالابله (وفي هذه السنة) أعنى سنة تسع وسبعين وخمسمائة في أواخرها توفي شاهرمن سكمان بن ظهير الدين ابراهيم بن سكمان القطبي صاحب خلاط وقد تقدم ذكر ملك شاهرمن المذكور في سنة احدى وعشرين وخمسمائة وكان عمر سكمان لما توفى اربعا وستين سنة ولما مات سكمان كان بكتمر مملوكه بميافارقين فلما سمع بكتمر بموته سار من ميافارقين ووصل الى خلاط وكان أكثر أهلها يريدونه وكان مماليك شاهرمن متفقين معه فأول وصوله استولى على خلاط وتملكها وجلس على كرسى شاهرمن واستقر في مملكة خلاط حتى قتل في سنة تسع وثمانين وخمسمائة حسبما نذكره ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة)

(ذكر وفاة يوسف بن عبد المؤمن)

في هذه السنة سار أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ملك الغرب الى بلاد الاندلس وعبر البحر في جمع عظيم من عساكره وقصد بلاد الفرنج فحصر شنترين من غرب الاندلس وأصابه مرض فمات منه في ربيع الاول وحمل في تابوت الى مدينة اشبيلية وكانت مدة مملكته اثنتين وعشرين سنة وشهورا وكان حسن السيرة واستقامت له المملكة لحسن تدبيره ولما مات بايع الناس ولده يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن وكنيته أبو يوسف وملكوه عليهم في الوقت الذى مات فيه أبوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من العدو فقام يعقوب بالملك أحسن قيام وأقام راية الجهاد وأحسن السيرة

(ذكر غزو السلطان الكرك)

في هذه السنة في ربيع الآخر سار السلطان صلاح الدين من دمشق للغزوة وكتب الى مصر فسارت عساكرها اليه ونازل الكرك وحصره وضيق على من به وملك ربض الكرك وبقيت القلعة وليس بينها وبين الربض غير خندق خشب وقصد السلطان صلاح الدين طمه فلم يقدر لكثرة المقاتلة فجمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه فلم يمكن السلطان الا الرحيل فرحل عن الكرك وسار اليهم فاقاموا في اماكن وعرة وأقام السلطان قبالتهم وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك فعلم بامتناعه عليه فسار الى نابلس وأحرقها ونهب مابتلك النواحي وقتل وأسر وسبى فاكثر ثم سار الى صبصطية وبها مشهد زكريا فاستنقذ مابها من اسرى المسلمين ثم سار الى جنينين ثم عاد الى دمشق

(ذكر وفاة صاحب ماردين)

في هذه السنة مات قطب الدين ايلغازى بن نجم الدين البى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين اقول انه قد تقدم في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ذكر ملك البى ولد ايلغازى المذكور وبقى البى في ملك ماردين حتى مات وملك بعده ابنه ايلغازى المذكور ولم يقع لى وفاة البى وملك ايلغازى المذكور ين متى كان لاثبته ولما مات ايلغازى المذكور كان له أولاد اطفال فاقيم في الملك بعده ولده حسام الدين بولق ارسلان وقام بتدبير المملكة وترتيبها مملوك والده نظام الدين البقش حتى كبر بولق ارسلان وكان به هوج وخبط فمات بولق ارسلان وأقام البقش بعده أخاه الاصغر ناصر الدين ارتق ارسلان بن قطب الدين ايلغازى ولم يكن له حكم بل الحكم الى البقش والى مملوك لالبقش اسمه لولو كان قد تغلب على أستاذه البقش بحيث كان لايخرج البقش عن رأى لولو المذكور ولم يكن لناصر الدين ارتق ارسلان صاحب ماردين من الحكم شئ وبقى الامر كذلك الى سنة احدى وستمائة فمرض النظام البقش واتاه ناصر الدين صاحب ماردين يعوده فلما خرج من عنده خرج معه لولو فضربه ناصر الدين بسكين فقتله ثم عاد الى البقش فقتله وهو مريض واستقل ارتق ارسلان بملك ماردين من غير منازع (وفي هذه السنة) توفي شيخ الشيوخ صدر الدين عبدالرحيم بن اسماعيل بن أبى سعيد أحمد وكان قد سار من عند الخليفة الى السلطان صلاح الدين في رسالة ومعه شهاب الدين بشير الخادم ليصلحا بين السلطان صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل فلم ينتظم حال واتفق انهما مرضا بدمشق وطلبا المسير الى العراق وسارا في الحر فمات بشير بالسخنة ومات صدر الدين شيخ الشيوخ بالرحبة ودفن بمشهد البوق وكان أوحد زمانه قد جمع بين رئاسة الدين والدنيا (وفيها) في المحرم اطلق عز الدين مسعود صاحب الموصل مجاهد الدين قيماز من الحبس وأحسن اليه (ثم دخلت

سنة

سنة احدى وثمانين وخمسمائة)

﴿ ذكر حصار السلطان صلاح الدين الموصل ﴾

(في هذه السنة) حصر السلطان صلاح الدين الموصل وهو حصاره الثاني فأرسل اليه عزالدين مسعود صاحب الموصل والدته وابنة عمه نور الدين محمود بن زنكي وغيرهما من النساء وجماعة يطلبون منه ترك الموصل وما بأيديهم فردهم واستقبح الناس ذلك من صلاح الدين لاسيما وفيهن بنت نورالدين محمود وحاصرالموصل وضايقها وبلغه وفاة شاهرمن صاحب اخلاط في ربيع الآخر من هذه السنة فسار عن الموصل الى جهة اخلاط فاستدعى أهلها ليملكها

﴿ ذكر وفاة صاحب حصن كيفا ﴾

(في هذه السنة) توفي نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود صاحب الحصن وآمد وملك بعده ولده سقمان ولقبه قطب الدين وكان صغيرا فقام بتدبيره القوام بن سماقا الاشعردى وحضر سقمان الى السلطان صلاح الدين وهو نازله على ميا فارقين فأقره على ما كان بيد والده نور الدين محمد وأقام معه أميرا من أصحاب أبي سقمان المذكور

﴿ ذكر ملك السلطان صلاح الدين ميا فارقين ﴾

لما سار السلطان عن الموصل الى اخلاط جعل طريقه على ميا فارقين وكانت لصاحب ماردين الذي توفي وفيها من حفظها من جهة شاهرمن صاحب اخلاط المتوفي فحاصرها السلطان وملكها في سلخ جمادى الاولى ثم ان السلطان رجع عن قصد اخلاط الي الموصل فجاءته رسل عز الدين مسعود يسألونه الصلح واتفق حينئذ ان السلطان صلاح الدين مرض وسار من كفر زمار عائدا الى حران فلحقته رسل صاحب الموصل بالاجابة الى ماطلب وهو أن يسلم صاحب الموصل الى السلطان صلاح الدين شهرزور وأعمالها وولاية القرابلى وجميع ماوراء الزاب وأن يخطب للسلطان صلاح الدين على جميع منابر الموصل وما بيدهٖ وأن يضرب اسمه على الدراهم والدنانير وتسلم السلطان ذلك واستقر الصلح وأمنت البلاد ووصل السلطان الى حران وأقام بها مريضاً واشتدبه المرض حتى أيسوا منه ثم انه عوفي وعاد الى دمشق في المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ولما اشتد مرض السلطان سار ابن عمه محمد بن شيركوه بن شاذى صاحب حمص الى حمص وكاتب بعض أكابر دمشق في أن يسلموا اليه دمشق اذا مات السلطان

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) ليلة عيد الاضحى شرب بحمص صاحبها ناصر الدين محمد بن شيركوه

ابن شاذى فأصبح ميتا قيل ان السلطان صلاح الدين دس عليه من سقاه سما لما بلغه مكاتبته أهل دمشق في مرضه ولما مات أقر السلطان حمص وما كان بيد محمد على ولده شيركوه بن محمد وعمره أثنتا عشرة سنة وخلف صاحب حمص شيئاً كثيرا من الدواب والآلات وغيرها فاستعرضها السلطان عند نزوله بحمص في عودته من حران وأخذ أكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه (وفيها) توفي الحافظ محمد بن عمر ابن أحمد الاصفهانى المدينى المشهور وكان امام عصره في الحفظ والمعرفة وله في الحديث وعلومه تآليف مفيدة وله كتاب الغيث في مجلد كمل به كتاب الغريبين للهروى واستدرك فيه عليه مواضع وهو كتاب نافع وكان مولده سنة احدى وخمسمائة (ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة)

ذكر نقل الملك العادل أخى السلطان من حلب واخراج الملك الافضل ابن السلطان من مصر الى دمشق

(في هذه السنة) أحضر السلطان ولده الملك الافضل من مصر واقطعه دمشق وسببه ان الملك المظفر تقى الدين عمر ابن أخى السلطان كان نائب عمه بمصر وكان معه الملك الافضل فأرسل تقى الدين يشتكى من الافضل انى لا أتمكن من استخراج الخراج فانى اذا أحضرت من عليه الخراج وأردت عقوبته يطلقه الملك الافضل فأرسل السلطان أخرج ابنه الملك الافضل من مصر وأقطعه دمشق وتغير السلطان على تقى الدين عمر في الباطن فانه ظن انه انما أخرج ولده من مصر ليتملك مصر اذا مات السلطان ثم أحضر أخاه العادل من حلب وجعل معه ولده العزيز عثمان ابن السلطان نائبا عنه بمصر واستدعى تقى الدين عمر من مصر فقيل انه توقف عن الحضور وقصد اللحاق بمملوكه قراقوش المستولي على بعض بلاد أفريقية وبرقة من المغرب وبلغ السلطان ذلك فساءه وأرسل يستدعى تقى الدين عمر ويلاطفه فحضر اليه ولما حضر تقى الدين عند السلطان زاده على حماة منبج والمعرة وكفر طاب وميا فارقين وجبل جور بجميع أعمالها واستقر العادل والعزيز عثمان في مصر ولما أخذ السلطان حلب من أخيه العادل أقطعه عوضها حران والرها

ذكر وفاة البهلوان وملك أخيه قزل

(في هذه السنة) في أولها توفي البهلوان محمد بن الدكز صاحب بلد الجبل همدان والرى وأصفهان وأذربيجان وأرانية وغيرها من البلاد وكان عادلا حسن السيرة وملك البلاد بعده أخوه قزل أرسلان واسمه عثمان وكان السلطان طغريل بن أرسلان بن طغريل

ابن

ابن محمد بن ملكشاه السلجوقي مع البهلوان وله الخطبة في بلاده وليس له من الامر شئ فلما مات البهلوان خرج طغريل عن حكم قزل وكثر جمعه واستولى على بعض البلاد وجرت بينه وبين قزل حروب

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) غدر البرنس صاحب الكرك وأخذ قافلة عظيمة من المسلمين وأسرهم فأرسل السلطان يطلب منه اطلاقهم بحكم الهدنة التى كانت بينهم على ذلك فلم يفعل فنذر السلطان انه ان ظفره الله به قتله بيده (وفيها) توفي أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري المصري الامام في علم النحو واللغة اشتغل عليه جماعة وانتفعوا به ومن جملتهم أبو موسى الجزولي صاحب المقدمة الجزولية في النحو وكانت وفاته بمصر وولد بها في سنة تسع وتسعين وأربعمائة (ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة)

ذكر غزوات السلطان الملك الناصر صلاح الدين وفتوحاته

(في هذه السنة) جمع السلطان العساكر وسار بفرقة من العسكر وضايق الكرك خوفا على الحجاج من صاحب الكرك وأرسل فرقة أخرى مع ولده الملك الافضل فأغاروا على بلد عكا وتلك الناحية وغنموا شيئاً كثيرا ثم سار السلطان ونزل على طبرية وحصر مدينتها وفتحها عنوة بالسيف وتأخرت القلعة وكانت طبرية للقومص صاحب طرابلس وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته فأرسلت الفرنج الى القومص المذكور القسوس والبطرك ينهونه عن موافقة السلطان ويوبخونه فصار معهم واجتمع الفرنج لملتقى السلطان

﴿ ذكر وقعة حطين وهي الوقعة العظيمة التى فتح الله بها الساحل وبيت المقدس ﴾

لما فتح السلطان مدينة طبرية اجتمعت الفرنج في ملوكهم بفارسهم وراجلهم وساروا الى السلطان فركب السلطان من عند طبرية وسار اليهم يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر والتقى الجمعان واشتد بينهم القتال ولما رأى القومص شدة الامر حمل على من قدامه من المسلمين وكان هناك تقي الدين صاحب حماة فافرج له وعطف عليهم فنجا القومص ووصل الى طرابلس وبقي مدة يسيرة ومات غبنا ونصر الله المسلمين واحدقوا بالفرنج من كل ناحية وأبادوهم قتلا وأسرا وكان في جملة من أسر ملك الفرنج الكبير والبرنس

أرنلط صاحب الكرك وصاحب جبيل وابن الهنفرى ومقـدم الدواية وجماعة من الاسبتارية وما أصيبت الفرنج من حين خرجوا الى الشام وهى سـنة احدى وتسعين وأربعمائة الى الآن بمصيبة مثل هذه الوقعة ولما انقضى المصاف جلس السلطان في خيمته وأحضر ملك الفرنج وأجلسه الى جانبه وكان الحر والعطش به شديدا فسقاه السلطان ماء مثلوجا وسقى ملك الفرنج منه البرنس أرنلط صاحب الكرك فقال له السلطان ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذنى فيكون أمانا له ثم كلم السلطان البرنس ووبخه وقرعه على غدره وقصده الحرمين الشريفين وقام السلطان بنفسه فضرب عنقه فارتعدت فرائص ملك الفرنج فسكن جاشه ثم عاد السلطان الى طبرية وفتح قلعتها بالامان ثم سار الى عكا وحاصرهـا وفتحها بالامان ثم أرسل أخاه الملك العادل فنازل مجداليابا وفتحه عنوة بالسيف ثم فرق السلطان عسكره ففتحوا الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعلثا والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا بالسيف وغنموا وقتلوا وأسروا أهل هذه الاماكن وأرسل فرقة الى نابلس فملكوا قلعتها بالامان ثم سار الملك العادل بعد فتح مجداليابا الى يافا وفتحها عنوة بالسيف ثم سار السلطان الى تبنين ففتحها بالامان ثم سار الى صـيدا فأخلاها صاحبها وتسلمها السلطان ساعة وصوله لتسع بقين من جمادى الاولى من هذه السنة ثم سار الى بيروت فحصرها وتسلمها في التاسع والعشرين من جمادى الاولى بالامان وكان حصرها مدة ثمانية أيام وكان صاحب جبيل من جملة الاسرى فبذل جبيل في أن يسلمها ويطلق سراحه فأجيب الى ذلك وكان صاحب جبيل من أعظم الفرنج وأشدهم عداوة للمسلمين ولم تك عاقبة اطلاقه حميـدة وأرسل السلطان فتسلم جبيل وأطلقه (وفيها) حضر المركيس في سفينة الى عكا وهى للمسلمين ولم يعلم المركيس بذلك واتفق هجوم الهواء فراسل المركيس الملك الافضل وهو بعكا يقترح أمرا بعد آخر والملك الافضل يجيب المركيس الى ذلك الى ان هب الهواء فاقلع المركيس الى صور واجتمع عليه الفرنج الذين بها وملك صورا وكان وصول المركيس الى صور واطلاق الفرنج الذين يأخذ السلطان بلادهم بالامان ويحملهم الى صور من أعظم أسباب الضرر التى حصلت حتى راحت عكا وقوى الفرنج بذلك ثم سار السلطان الى عسقلان وحاصرها أربعة عشر يوما وتسلمها بالامان سلخ جمادى الآخرة ثم بث السلطان عسكره ففتحوا الرملة والداروم وغزة وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وغير ذلك ثم سار السلطان ونازل القدس وبه من النصارى عدد يفوت الحصر وضايق السلطان السور بالنقابين واشتد القتال وغلقوا السور فطلب الفرنج الامان فلم يجبهم السلطان الى ذلك وقال لا آخذها الا بالسيف مثل ماأخذهـا الفرنج من المسلمين فعاودوه في الامان وعرفوه ماهم عليه من الكثرة وانهم ان أيسوا

منه من الامان قاتلوا خلاف ذلك فأجابهم السلطان اليه بشرط أن يؤدى كل من بها عشرة الدنانير عشرة الدنانير من الرجال ويؤدى النساء خمسة خمسة ويؤدوا عن كل طفل دينارين وأى من عجز عن الاداء كان أسيرا فأجيب الى ذلك وسلمت اليه المدينة يوم الجمعة في السابع والعشرين من رجب وكان يوما مشهودا ورفعت الاعلام الاسلامية على أسوار المدينة ورتب السلطان على أبواب البلد من يقبض منهم المال المذكور فخان المرتبون في ذلك ولم يحملوا منه الا القليل وكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب وتسلق المسلمون وقلعوه فسمع لذلك ضجة لم يعهد مثلها من المسلمين للفرح والسرور ومن الكفار بالتفجع والتوجع وكان الفرنج قد عملوا في غربي الجامع الاقصى هريا ومستراحا فأمر السلطان بازالة ذلك واعادة الجامع الى ما كان عليه وكان نور الدين محمود بن زنكي قد عمل منبرا بحلب قد تعب عليه مدة وقال هذا لاجل القدس فأرسل السلطان صلاح الدين أحضر المنبر من حلب وجعله في الجامع الاقصى وأقام السلطان بعد فتوح القدس بظاهره الى الخامس والعشرين من شعبان يرتب أمور البلد وأحوالها وأمر بعمل الربط والمدارس الشفعوية ثم رحل السلطان الى عكا ورحل منها الى صور وصاحبها المركيس وقد حصنها بالرجال وحفر خندقها ونزل السلطان على صور تاسع شهر رمضان وحاصرها وضايقها وطلب الاسطول فوصل اليه في عشرة شوان فاتفق ان الفرنج كبسوهم في الشوانى وأخذوا خمسة شوان ولم يسلم من المسلمين الا من سبح ونجا وأخذ الباقون وطال الحصار عليها فرحل السلطان عنها في آخر شوال وكان أول كانون الاول وأقام بعكا وأعطى العساكر الدستور فسار كل واحد الى بلده وبقى السلطان بعكا في حلقته وأرسل الى هونين ففتحها بالامان

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) سار شمس الدين محمد بن عبد الملك عرف بابن المقدم بعد فتح القدس حاجا وكان هو أمير الحاج الشامى ليجمع بين الغزوة وزيارة القدس والخليل عليه السلام والحج في عام واحد فسار ووقف بعرفات ولما أفاض أرسل اليه طاشتكين أمير الحاج العراقى يمنعه من الافاضة قبله فلم يلتفت اليه فسار العراقيون واتفقوا مع الشاميين فقتل بينهم جماعة وابن المقدم يمنع أصحابه من القتال ولو أمكنهم لانتصفوا من العراقيين فجرح ابن المقدم ومات شهيدا ودفن بمقبرة المعلى (وفيها) قوى أمر السلطان طغريل ابن أرسلان شاه بن طغريل بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه بن الب أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق وملك كثيرا من البلاد وأرسل قزل بن الدكز الى الخليفة يستنجده ويخوفه عاقبة أمر طغريل (وفيها) سار شهاب الدين الغورى وغزا

بلاد الهند (وفيها) قتل الخليفة الناصر أستاذ داره مجد الدين أبا الفضل بن الصاحب ولم يكن للخليفة معه حكم وظهر له أموال عظيمة فأخذت جميعها (وفيها) استوزر الخليفة الناصر لدين الله أبا المظفر عبيد الله بن يونس ولقبه جلال الدين ومشى أرباب الدولة في ركابه حتى قاضي القضاة وكان ابن يونس من حملة الناس فكان يمشي ويقول لعن الله طول العمر (وفيها) توفي قاضي القضاة الدامغاني وكان قد ولي القضاء للمقتفي (ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة)

﴿ ذكر فتوحات السلطان صلاح الدين وغزواته ﴾

شتى السلطان هذه السنة في عكا ثم سار بمن معه وقصد كوكب وجعل على حصارها أميرا يقال له قيماز النجمي وسار منها في ربيع الاول ودخل دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب الى الاطراف باجتماع العساكر وأقام في دمشق تقدير خمسة أيام وسار من دمشق في منتصف ربيع الاول من هذه السنة ونزل على بحيرة مقدس غربي حمص وأتته العساكر بها فأولهم عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين ولما تكاملت عساكره رحل ونزل تحت حصن الاكراد وشن الغارات على بلاد الفرنج وسار من حصن الاكراد فنزل على انطرطوس سادس جمادى الاولى فوجد الفرنج قد أخلوا انطرطوس فسار الى مرقية فوجدهم قد أخلوها أيضاً فسار الى تحت المرقب وهو للاستبتار فوجده لايرام ولا لاحد فيه مطمع فسار الى جبله ووصل اليها ثامن جمادى الاولى وتسلمها حالة وصوله فجعل فيها لحفظها الامير سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب شيزر ثم سار السلطان الى اللاذقية ووصل اليها في الرابع والعشرين من جمادى الاولى ولها قلعتان فحصر القلعتين وزحف اليهما فطلب أهلهما الامان فأمنهم وتسلم القلعتين ولما ملك السلطان اللاذقية سلمها الى ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب فعمرها وحصن قلعتها وكان تقي الدين عظيم الهمة في تحصين القلاع والغرامة عليها كما فعل بقلعة حماة ثم رحل السلطان عن اللاذقية في السابع والعشرين من جمادى الاولى الى صهيون وحاصرها وضايقها فطلب أهلها الامان فلم يجبهم الا على أمان أهل القدس فيما يؤدونه فاجابوه الى ذلك وتسلم السلطان قلعة صهيون وسلمها الى أمير من أصحابه يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة أبي قبيس ثم فرق عسكره في تلك الجبال فملكوا حصن بلاطنوس وكان الفرنج الذين به قد هربوا منه واخلوه وملكوا حصن العيد وحصن الجماهديين ثم سار السلطان من صهيون ثالث جمادى الآخرة ووصل الى قلعة بكاس فاخلاها أهلها وتحصنوا بقلعة الشغر فحصرها ووجدها منيعة وضايقها فارمى الله في قلوب أهلها الرعب وطلبوا الامان وتسلمها يوم

الجمعة

الجمعة سادس جمادى الآخرة بالامان وأرسل السلطان ولده الملك الظاهر غازى صاحب حلب فحصر سرمينية وضايقها وملكها واستنزل أهلها على قطيعة قررها عليهم وهدم الحصن وعفى أثره وكان في هذا الحصن وفي الحصون المذكورة من أسرى المسلمين الجم الغفير فأطلقوا وأعطوا الكسوة والنفقة ثم سار السلطان من الشغر الى برزية ورتب عسكره ثلاثة أقسام وداومها بالزحف وملكها بالسيف في السابع والعشرين من جمادى الآخرة وسبى وأسر وقتل أهلها قال مؤلف الكامل ابن الاثير كنت مع السلطان في مسيره وفتحه هذه البلاد طلبا للغزوة فنحكى ذلك عن مشاهدة ثم سار السلطان فنزل على جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكية فاقام عليه أياما حتى تلاحق به من تأخر من العسكر ثم سار الى دربساك ونزل عليها ثامن رجب من هذه السنة وحاصرها وضايقها وتسلمها بالامان على شرط أن لايخرج أحد منها الا بثيابه فقط وتسلمها تاسع عشر رجب ثم سار من دربساك الى بغراس وحصرها وتسلمها بالامان على حكم أمان دربساك وأرسل بيمند صاحب انطاكية الى السلطان يطلب منه الهدنة والصلح وبذل اطلاق كل أسير عنده فأجابه السلطان الى ذلك واصطلحوا ثمانية أشهر وكان صاحب انطاكية حينئذ أعظم ملوك الفرنج في هذه البلاد فان أهل طرابلس سلموا اليه طرابلس بعد موت القومص صاحبها على ماذكرناه فجعل بيمند صاحب انطاكية ابنه في طرابلس ولما فرغ السلطان من أمر هذه البلاد والهدنة سار الى حلب فدخلها ثالث شعبان وسار منها الى دمشق وأعطى عماد الدين زنكى بن مودود دستورا وكذلك أعطى غيره من العساكر الشرقية وجعل طريقه لما رحل من حلب على قبر عمر رضى الله عنه ابن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح أبا زكريا المغربى وكان مقيما هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع السلطان أبو فليتة الامير قاسم بن مهنا الحسينى صاحب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وشهد معه مشاهده وفتوحاته وكان السلطان يتبرك برؤيته ويتيمن بصحبته ويرجع الى قوله ودخل السلطان دمشق في شهر رمضان المعظم فأشير عليه بتفريق العساكر ليريحوا ويستريحوا فقال السلطان ان العمر قصير والاجل غير مأمون وكان السلطان لما سار الى البلاد الشمالية قد جعل على الكرك وغيرها من يحصرها وخلا أخاه الملك العادل في تلك الجهات يباشر ذلك فأرسل أهل الكرك يطلبون الامان فأمر الملك العادل المباشرين لحصارها بتسلمها فتسلموا الكرك والشوبك وما بتلك الجهات من البلاد ثم سار السلطان من دمشق في منتصف رمضان وسار الى صفد فحصرها وضايقها وتسلمها بالامان ثم سار الى كوكب وعليها قيماز النجمى يحاصرها فضايقها السلطان وتسلمها بالامان في منتصف ذى القعدة وسير أهلها الى صور وكان اجتماع أهل

هذه القلاع في صور من أعظم أسباب الضرر على المسلمين ظهر ذلك فيما بعد ثم سار السلطان الى القدس فعيد فيه عيد الاضحى ثم سار الى عكا فاقام بها حتى انسلخت السنة

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) أرسل قزل بن الدكز يستنجد بالخليفة الامام الناصر على طغريل ابن أرسلان بن طغريل السلجوقى ويحذره عاقبة أمره فأرسل الخليفة عسكرا الى طغريل والتقوا ثامن ربيع الاول من هذه السنة قرب همدان فانهزم عسكر الخليفة وغنم طغريل أموالهم وأسر مقدم العسكر جلال الدين عبيد الله وزير الخليفة (وفيها) توفي محمد بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذى الشاعر المشهور وقصائده في الغزل والنسيب مشهورة وله في غير ذلك أشياء حسنة أيضاً فمنها وقد صودر ببغداد جماعة من الدواوين من جملة قصيدته

يا قاصدا بغداد جز عن بلدة ... للجور فيها زجرة وعتاب

ان كنت طالب حاجة فارجع فقد ... سدت على الراجى بها الابواب

والناس قد قامت قيامتهم فلا ... أنساب بينهم ولا أسباب

والمرء يسلمه أبوه وعرسه ... ويخونه القرباء والاحباب

لا شافع تغنى شفاعته ولا ... جان له مما جناه متاب

شهدوا معادهم فعاد مصدقا ... من كان قبل بعثه يرتاب

جسر وميزان وعرض جرائد ... وصحائف منشورة وحساب

مافاتهم من يوم ماوعدوا به ... في الحشر الاراحم وهاب

ومولد ابن التعاويذى المذكور في سنة تسع عشرة وخمسمائة (ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة) في هذه السنة سار السلطان صلاح الدين ونزل بمرج عيون وحضر اليه صاحب شقيف أرنون وبذل اليه تسليم الشقيف بعد مدة ظهر بها خديعة منه فلما بقى للمدة ثلاثة أيام استحضره السلطان وكان اسم صاحب الشقيف أرنلط فقال له السلطان في التسليم فقال لا يوافقنى عليه أهلى وأهل الحصن فأمسكه السلطان وبعثه الى دمشق فحبس

﴿ ذكر حصار الفرنج عكا ﴾

كان قد اجتمع بصور أهل البلاد التى أخذها السلطان بالامان فكثر جمعهم حتى صاروا في عالم لا يحصى كثرتهم وأرسلوا الى البحر يبكون ويستنجدون وصوروا صورة المسيح وصورة عربى يضرب المسيح وقد أدماه وقالوا هذا نبى العرب يضرب المسيح فخرجت النساء من بيوتهن ووصل من الفرنج في البحر عالم لا يحصون كثرة وساروا الى عكا من صور ونازلوها في منتصف رجب من هذه السنة وضايقوا عكا وأحاطوا بسورها من

البحر الى البحر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فسار اليهم السلطان ونزل قريب الفرنج وقاتلهم في مستهل شعبان وباتوا على ذلك واصبحوا فحمل تقي الدين عمر صاحب حماة من ميمنة السلطان على الفرنج فازالهم عن موقفهم والتزق بالصور وانفتح الطريق الى المدينة يدخل المسلمون ويخرجون وأدخل السلطان الى عكا عسكرا نجدة فكان من جملتهم أبو الهيجاء السمين وبقي المسلمون يغادون القتال ويراوحونه الى العشرين من شعبان ثم كان بين المسلمين وبينهم وقعة عظيمة فان الفرنج اجتمعوا وضربوا مع السلطان مصافا وحملوا على القلب فازالوه وأخذوا يقتلون في المسلمين الى ان بلغوا الى خيمة السلطان فانحاز السلطان الى جانب وانضاف اليه جماعة وانقطع مدد الفرنج واشتغلوا بقتال الميمنة فحمل السلطان على الفرنج الذين خرقوا القلب وانعطف عليهم العسكر فافنوهم قتلا فكانت قتلى الفرنج نحو عشرة آلاف نفس ووصل المنهزمون من المسلمين بعضهم الى طبرية وبعضهم وصل الى دمشق وجافت الارض بعد هذه الوقعة ولحق السلطان مرض وحدث له قولنج فاشار عليه الامراء بالانتقال من ذلك الموضع فوافقهم ورحل عن عكا رابع عشر رمضان من هذه السنة الى الخروبة فلما رحل تمكن الفرنج من حصار عكا وانبسطوا في تلك الارض وفي تلك الحال وصل أسطول المسلمين في البحر مع حسام الدين لولو وكان شهما فظفر ببطشة للفرنج فأخذها ودخل بها الى عكا فقوى قلوب المسلمين وكذلك وصل الملك العادل بعسكر مصر وبالسلاح الى أخيه السلطان فقويت قلوب المسلمين بوصوله

ذكر غير ذلك

فيها توفي بالخروبة الفقيه عيسى وكان مع السلطان وهو من أعيان عسكره كان جنديا فقيها شجاعا وكان من أصحاب الشيخ أبي القاسم البرزى (وفيها) توفي محمد بن يوسف ابن محمد بن قائد الملقب موفق الدين الاربلي الشاعر المشهور وكان اماما مقدما في علم العربية وكان أعلم الناس بالعروض واحذقهم بنقد الشعر واعرفهم بجيده من رديئه واشتغل بعلوم الاوائل وحل كتاب أقليدس وهو شيخ أبي البركات ابن المستوفي صاحب تاريخ أربل ورحل ابن القائد المذكور الى شهرزور وقام بها مدة ثم رحل الى دمشق ومدح السلطان صلاح الدين يوسف ومن شعره قصيدة مدح بها زين الدين يوسف صاحب أربل منها

رب دار بالحمى طال بلاها | عكف الركب عليها فبكاها
كان لي فيها زمان وانقضى | فسقى الله زماني وسقاها
قل لجيران مواثيقهم | كلما أحكمتها رثت قواها

كنت مشغوفا بكم اذ كنتم | شجرا لا يبلغ الطير ذراهـا
واذاما طـمع اغرى بكم | عرض اليأس لنفسى فثناها
فصبابات الهوى أولهـا | طمع النفس وهذا منتهاها
لا تظنوا لى اليـكم رجعة | كشف التجريب عن عيني عماها
ان زين الدين أولانى يدا | لم تدع لى رغبة فيما سواها

وهى طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر وكان أبوه محمد تاجرا يتردد الى البحرين لتحصيل اللآلى من المغاصات (وفيها) توفي محمود بن على بن أبى طالب بن عبد الله الاصبهانى المعروف بالقاضى صاحب الطريقة في الخلاف وصنف فيه التعليقة وهى عمدة المدرسين في القاء الدروس ومن لم يذكرها فانما هو لقصور فهمه عن ادراك دقائقها وكان متفننا في العلوم وله في الوعظ اليد الطولى (ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة) في هذه السنة بعد دخول صفر رحل السلطان صلاح الدين عن الخروبة وعاد الى قتال الفرنج على عكا وكان الفرنج قد عملوا قرب سور عكا ثلاثة أبرجة طول البرج ستون ذراعا جاؤا بخشبها من جزائر البحر وعملوها طبقات وشحنوها بالسلاح والمقاتلة ولبسوها جلود البقر والطين بالخل لئلا تعمل فيها النار فتحيل المسلمون وأحرقوا البرج الاول فاحترق بمن فيه من الرجال والسلاح ثم أحرقوا الثانى والثالث وانبسطت نفوس المسلمين لذلك بعد الكآبة ووصل الى السلطان العساكر من البلاد وبلغ المسلمون وصول ملك الالمان وكان قد سار من بلاد وراء القسطنطينية بمائة ألف مقاتل واهتم المسلمون لذلك وأيسوا من الشام بالكلية فسلط الله تعالى على الالمان الغلاء والوباء فهلك أكثرهم في الطريق ولما وصل ملكهم الى بلاد الارمن نزل في نهر هناك اغتسل فغرق وأقاموا ابنه مقامه فرجع من عسكره طائفة الى بلادهم وطائفة خامرت ابن الملك المذكور فرجعوا أيضاً ولم يصل مع ابن ملك الالمان الى الفرنج الذين على عكا غير تقدير ألف مقاتل وكفى الله المسلمين شرهم وبقى السلطان والفرنج على عكا يتناوشون القتال الى العشرين من جمادى الآخرة فخرجت الفرنج من خنادقهم بالفارس والراجل وازالوا الملك العادل عن موضعه وكان معه عسكر مصر فعطفت عليهم المسلمون وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا فعادوا الى خنادقهم وحصل للسلطان مغص فانقطع في خيمة صغيرة ولولا ذلك لكانت الفيصلة ولكن اذا أراد الله أمرا فلا مرد له

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) لما قوى الشتاء واشتدت الرياح أرسل الفرنج المحاصرون عكا مراكبهم الى صور خوفا عليها ان تنكسر فانفتحت الطريق الى عكا في البحر وأرسل البدل اليها

فكان العسكر الذين خرجوا منها أضعاف الواصلين اليها فحصل التفريط بذلك لضعف البدل (وفيها) في من شوال توفي زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك صاحب أربل وكان مع السلطان في عسكره ولما توفي أقطع السلطان صلاح الدين أربل أخاه مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين علي كوجك واضاف اليه شهرزور وأعمالها وارتجع ما كان بيد مظفر الدين وهو حران والرها وسار مظفر الدين الى أربل وملكها (وفيها) استولى الخليفة الناصر لدين الله على حديثة عانة بعد حصرها مدة (وفيها) أقطع السلطان ما كان بيد مظفر الدين وهو حران والرها وسمساط والموزر الملك المظفر تقي الدين عمر زيادة على ما بيده وهو ميافارقين ومن الشام حماة والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجبلة واللاذقية وبلاطنس ومكرابيك (ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة)

(ذكر استيلاء الفرنج على عكا)

واستمر حصار الفرنج لعكا الى هذه السنة وكانوا قد أحاطوا بها من البحر الى البحر وحفروا عليهم خندقا فلم يتمكن السلطان من الوصول اليهم وكانوا محاصرين لعكا وهم كالمحصورين من خارجهم من السلطان واشتد حصارهم لعكا وطال وضعف من بها عن حفظ البلد وعجز السلطان صلاح الدين عن دفع العدو عنهم فخرج الامير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب من عكا وطلب الامان من الفرنج على مال وأسرى يقومون به للفرنج فأجابوهم الى ذلك وصعدت أعلام الفرنج على عكا ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من هذه السنة واستولوا على البلد بما فيه وحبسوا المسلمين في أماكن من البلد وقالوا انما نحبسهم ليقوموا بالمال والاسرى وصليب الصلبوت وكتبوا الى السلطان صلاح الدين بذلك فحصل ما أمكن تحصيله من ذلك وطلب منهم اطلاق المسلمين فلم يجيبوا الى ذلك فعلم منهم الغدر واستمر اسرى المسلمين بها ثم قتل الفرنج الفرنج من المسلمين جماعة كثيرة واستمروا بالباقين في الاسر وبعد استيلاء الفرنج على عكا وتقرير أمرها رحلوا عنها مستهل شعبان نحو قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتحفظون منهم ثم ساروا من قيسارية الى أرسوف ووقع بينهم وبين المسلمين مصاف ازالوا المسلمين عن موقفهم ووصلوا الى سوق المسلمين فقتلوا من السوقية وغيرهم خلقاً كثيرا ثم سار الفرنج الى يافا وقد أخلاها المسلمون فملكوها ثم رأى السلطان تخريب عسقلان مصلحة لئلا يحصل لها ما حصل لعكا فسار اليها وأخلاها وخربها ورتب الحجارين في تفليق أسوارها وتخريبها فدكها الى الارض فلما فرغ السلطان من تخريب عسقلان رحل عنها ثاني شهر رمضان الى الرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد

ثم سارّ الى القدس وقرر أموره وعاد الى مخيمه بالنطرون ثامن شهر رمضان ثم تراسل الفرنج والسلطان في الصلح على أن يتزوج الملك العادل أخو السلطان بأخت ملك الانكتار ويكون للملك العادل القدس ولامرأته عكا فحضر القسيسون وأنكروا عليها ذلك الاان يتنصر الملك العادل فلم يتفق بينهم حال ثم رحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة وبقى في كل يوم يقع بين المسلمين وبينهم مناوشات فلقوا من ذلك شدة شديدة واقبل الشتاء وحالت الاوحال بينهم ولما رأى السلطان ذلك وقد ضجرت العساكر أعطاهم الدستور وسار الى القدس لسبع بقين من ذى القعدة ونزل داخل البلد واستراحوا مما كانوا فيه وأخذ السلطان في تعمير القدس وتحصينه وأمر العسكر بنقل الحجارة وكان السلطان ينقل الحجارة بنفسه على فرسه ليقتدى به العسكر فكان يجتمع عند العمالين في اليوم الواحد مايكفيهم لعدة أيام

(ذكر وفاة الملك المظفر تقي الدين عمر)

كان الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب قد سار الى البلاد المرتجعة من كوكبورى التي زاده اياها عمه السلطان من وراء الفرات وهي حران وغيرها فامتدت عين الملك المظفر الى بلاد مجاوريه واستولى على السويدا وحاني واتفق مع بكتمر صاحب خلاط فكسره وحصره في خلاط وتملك على معظم البلاد ثم رحل عنها ونازل ملازكرد وهي لبكتمر وضايقها وكان في صحبته ولده الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر المذكور فعرض للملك المظفر مرض شديد وتزايد به حتى توفي يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان من هذه السنة أعني سنة سبع وثمانين وخمسمائة فاخفى ولده الملك المنصور وفاته ورحل عن ملازكرد ووصل به الى حماة ودفنه بظاهرها وبنى الى جانب التربة مدرسة وذلك مشهور هناك وكان الملك المظفر شجاعا شديد البأس ركنا عظيما من أركان البيت الايوبي وكان عنده فضل وأدب وله شعر حسن واتفق ان في ليلة الجمعة التي توفي فيها الملك المظفر توفي فيها حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين وأمه ست الشام بنت أيوب أخت السلطان فأصيب السلطان في تاريخ واحد بابن أخيه وابن أخته ولمامات الملك المظفر راسل ابنه الملك المنصور السلطان صلاح الدين واشترط شروطا نسبه السلطان فيها الى العصيان وكاد أمره يضطرب بالكلية فراسل الملك المنصور عمه الملك العادل في استعطاف خاطر السلطان فما برح الملك العادل بأخيه السلطان يراجعه ويشفع في الملك المنصور حتى أجابه السلطان وقرر الملك المنصور حماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم وارتجع السلطان البلاد الشرقية وما معها وأقطعها أخاه الملك العادل بعد ان شرط السلطان ان الملك العادل ينزل عن كل ماله من الاقطاع بالشام خلا الكرك والشوبك

والصلت والبلقاء ونصف خاصه بمصر وأن يكون عليه في كل سنة ستة آلاف غرارة تحمل من الصلت والبلقاء الى القدس ولما استقر ذلك سار الملك العادل الى البلاد الشرقية لتقرير أمورها فقررها وعاد الى خدمة السلطان في آخر جمادى الآخرة من السنة القابلة أعنى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ولما قدم الملك العادل على السلطان كان الملك المنصور صاحب حماة بصحبته فلما رأى السلطان الملك المنصور بن تقى الدين نهض واعتنقه وغشيه البكاء وأكرمه وأنزله في مقدمة عسكره

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) في شعبان قتل قزل أرسلان واسمه عثمان بن الدكز وهو الذى ملك أذربيجان وهمدان وأصفهان والرى بعد أخيه محمد البهلوان وكان قد قوى عليه السلطان طغريل السلجوقى وهزم عسكر بغداد كما تقدم ذكره ثم ان قزل أرسلان تغلب واعتقل السلطان طغريل بن أرسلان بن طغريل في بعض البلاد وسار قزل أرسلان بعد ذلك الى أصفهان وتعصب على الشافعية وأخذ جماعة من أعيانهم فصلبهم وعاد الى همدان وخطب لنفسه بالسلطنة ودخل لينام على فراشه وتفرق عنه أصحابه فدخل عليه من قتله على فراشه ولم يعرف قاتله (وفيها) قدم معز الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم الى السلطان صلاح الدين وسببه ان والده فرق مملكته على أولاده وأعطى ولده هذا ملطية ثم تغلب بعض اخوته على والده والزمه بأخذ ملطية من أخيه المذكور فخاف من ذلك فسار الى السلطان ملتجأ اليه فأكرمه السلطان وزوجه بابنة أخيه الملك العادل وعاد معز الدين الى ملطية في ذى القعدة وقد انقطعت اطماع أخيه منه قال ابن الاثير لما ركب السلطان صلاح الدين ليودع معز الدين قيصر شاه المذكور ترجل معز الدين له فترجل السلطان صلاح الدين ولما ركب السلطان صلاح الدين عضده قيصر شاه وركبه وكان علاء الدين بن عز الدين مسعود صاحب الموصل مع السلطان اذ ذاك فسوى ثياب السلطان أيضاً فقال بعض الحاضرين في نفسه ما بقيت تبالى يا ابن أيوب بأى موتة تموت يركبك ملك سلجوق ويسوى قماشك ابن اتابك زنكى (وفيها) قتل أبو الفتح يحيى بن حنش بن أميرك الملقب شهاب الدين السهروردى الحكيم الفيلسوف بقلعة حلب محبوسا أمر بخنقه الملك الظاهر غازى بأمر والده السلطان صلاح الدين قرأ المذكور الاصولين والحكمة بمراغة على مجد الدين الجيلى شيخ الامام فخر الدين ثم سافر السهروردى المذكور الى حلب وكان علمه أكثر من عقله فنسب الى انحلال العقيدة وانه يعتقد مذهب الفلاسفة فافتى الفقهاء باباحة دمه لما ظهر من سوء مذهبه واشتهر عنه وكان أشدهم عليه في ذلك زين الدين ومجد الدين ابنا جهيل حكى الشيخ

سيف الدين الآمدى قال اجتمعت بالسهروردى في حلب فقال لى لابد أن أملك الارض فقلت له من أين لك هذا قال رأيت في المنام كأنى شربت ماء البحر فقلت لعل يكون اشتهار علمك ومايناسب هذا فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه ووجدته كثير العلم قليل العقل وكان عمره لما قتل ثمانيا وثلاثين سنة وله عدة مصنفات في الحكمة منها التلويحات والتنقيحات والمشارع والمطارحات وكتاب الهياكل وحكمة الاشراق وكان ينتسب الى انه يعرف السيميا وله نظم حسن فمنه

أبدا تحن اليكم الارواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم والى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضاح
واذاهم كتموا يحدث عنهم عند الوشاة المدمع السحاح
لاذنب للعشاق ان غلب الهوى كتمانهم فنمى الغرام وباحوا

وهى قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر (ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة) فيها سار الفرنج الى عسقلان وشرعوا في عمارتها في المحرم والسلطان بالقدس (وفيها) قتل المركيس صاحب صور لعنه الله تعالى قتله بعض الباطنية وكانوا قد دخلوا في زى الرهبان الى صور

(ذكر عقد الهدنة مع الفرنج وعود السلطان الى دمشق)

وسبب ذلك ان ملك الانكتار مرض وطال عليه البيكار فكاتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان في الصلح فلم يجبهم السلطان الى ذلك ثم اتفق رأى الامراء على ذلك لطول البيكار وضجر العسكر ونفدت نفقاتهم فأجاب السلطان الى ذلك واستقر أمر الهدنة في يوم السبت ثامن عشر شعبان وتحالفوا على ذلك في يوم الاربعاء الثانى والعشرين من شعبان ولم يحلف ملك الانكتار بل أخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لايحلفون وقنع السلطان بذلك وحلف الكندهرى ابن أخيه وخليفته في الساحل وكذلك حلف غيره من عظماء الفرنج ووصل ابن الهنفرى وباليان الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين وأخذوا يد السلطان على الصلح واستحلفوا الملك العادل أخا السلطان والملك الافضل والظاهر ابنى السلطان والملك المنصور صاحب حماة محمد ابن تقى الدين عمر والملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والملك الامجد بهرامشاه ابن فرخشاه صاحب بعلبك والامير بدر الدين ايلدرم الياروقى صاحب تل باشر والامير سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب شيزر والامير سيف الدين على بن أحمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار وعقدت هدنة عامة في البحر والبر وجعلت مدتها ثلاث

سنين

سنين وثلاثة أشهر أولها أيلول الموافق لحادى وعشرين من شعبان وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج يافا وعملها وقيسارية وعملها وأرسوف وعملها وحيفا وعملها وعكا وعملها وأن تكون عسقلان خرابا واشترط السلطان دخول بلاد الاسماعيلية في عقد هدنته واشترط الفرنج دخول صاحب انطاكية وطرابلس في عقد هدنتهم وأن يكون لد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين فاستقرت القاعدة على ذلك ثم رحل السلطان الى القدس في رابع شهر رمضان وتفقد أحواله وأمر بتشييد أسوار وزاد في وقف المدرسة التى عملها بالقدس وهذه المدرسة كانت قبل الاسلام تعرف بصندحنة يذكرون ان فيها قبر حنة أم مريم ثم صارت في الاسلام دار علم قبل أن يتملك الفرنج بالقدس ثم لما ملك الفرنج القدس في سنة اثنين وتسعين وأربعمائة أعادوها كنيسة كما كانت قبل الاسلام فلما فتح السلطان القدس أعادها مدرسة وفوض تدريسها ووقفها الى القاضى بهاء الدين بن شداد ولما استقر أمر الهدنة أرسل السلطان مائة حجار لتخريب عسقلان وأن يخرج من بها من الفرنج وعزم على الحج والاحرام من القدس وكتب الى أخيه سيف الاسلام صاحب اليمن بذلك ثم فنده الامراء وقالوا لا نعتمد على هدنة الفرنج خوفا من غدرهم فانتقض عزمه عن ذلك ثم رحل السلطان عن القدس لخمس مضين من شوال الى نابلس ثم سار الى بيسان ثم الى كوكب فبات بقلعتها ثم رحل الى طبرية ولقيه بها الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى وقد خلص من الاسر وكان قد أسر بعكا لما أخذها الفرنج مع من أسر فسار قراقوش مع السلطان الى دمشق ثم سار منها قراقوش الى مصر ثم سار السلطان الى بيروت ووصل الى خدمته بيمند صاحب انطاكية يوم السبت حادى وعشرين شوال فأكرمه السلطان وفارقه غد ذلك اليوم وسار السلطان الى دمشق ودخلها يوم الاربعاء لخمس بقين من شوال وفرح الناس به لان غيبته كانت عنهم مدة أربع سنين وأقام العدل والاحسان بدمشق وأعطى السلطان العساكر الدستور فودعه ولده الملك الظاهر وداعا لالقاء بعده وسار الى حلب وبقى عند السلطان بدمشق ولده الملك الافضل والقاضى الفاضل وكان الملك العادل قد استأذن السلطان وسار من القدس الى الكرك لينظر في مصالحه ثم عاد الملك العادل الى دمشق طالبا البلاد الشرقية التى صارت له بعد تقى الدين فوصل الى دمشق في الحادى والعشرين من ذى القعدة وخرج السلطان الى لقائه (وفي يوم الخميس) السادس والعشرين من شوال من هذه السنة توفي الامير سيف الدين على بن أحمد المشطوب بنابلس وكانت اقطاعه فوقف السلطان ثلث نابلس على مصالح القدس وأقطع الباقى للامير عماد الدين أحمد بن سيف الدين على بن المشطوب وأميرين معه

ذكر وفاة السلطان عز الدين قليج أرسلان صاحب بلاد الروم وأخبار الذين تولوا بعده

(في هذه السنة) أعني سنة ثمان وثمانين وخمسمائة في منتصف شعبان توفي السلطان عز الدين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان يبغو بن سلجوق وكان ملكه في سنة احدى وخمسين وخمسمائة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة وكان له عشرة بنين قد ولى كل واحد منهم قطرا من بلاد الروم وأكبرهم قطب الدين ملكشاه بن قليج أرسلان المذكور وكان قد أعطاه أبوه سيواس فسولت له نفسه القبض على أبيه واخوته والانفراد بالسلطنة وساعده على ذلك صاحب ارزنكان فسار قطب الدين ملكشاه وهجم على والده قليج أرسلان بمدينة قونية وقبض عليه وقال لوالده وهو في قبضته أنا بين يديك انفذ أوامرك ثم انه أشهد على والده بانه قد جعله ولي عهده ثم مضى ملكشاه المذكور الى حرب أخيه نور الدين سلطان شاه صاحب قيسارية ووالده في القبضة معه وهو يظهر ان مايفعله انما هو بأمر والده فخرج عسكر قيسارية لحربه فوجد أبوه عز الدين قليج أرسلان عند اشتغال العسكر بالقتال فرصة فهرب الى ولده سلطان شاه صاحب قيسارية فاكرمه وعظمه كما يجب عليه فرجع قطب الدين ملكشاه الى قونية وخطب لنفسه بالسلطنة وبقي أبوه قليج أرسلان يتردد في بلاده بين أولاده كلما ضجر منه واحد منهم ينتقل الى الآخر حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان صاحب برغلو فقوى أباه قليج أرسلان وأعطاه وجمع له وحشد وسار معه الى قونية فملكها وأخذها من ابنه ملكشاه ثم سار الى أقصرا فاتفق ان عز الدين قليج أرسلان مرض ومات في التاريخ المذكور فأخذه ولده كيخسرو وعاد به الى قونية فدفنه بها واتفق موت ملكشاه بعد موت أبيه قليج أرسلان بقليل فاستقر كيخسرو في ملك قونية واثبت انه ولي عهد أبيه قليج أرسلان ثم ان ركن الدين سليمان أخا غياث الدين كيخسرو قوى على أخيه كيخسرو وأخذ منه قونية فهرب كيخسرو الى الشام مستجيرا بالملك الظاهر صاحب حلب ثم مات ركن الدين سليمان سنة ستمائة وملك بعده ولده قليج أرسلان بن سليمان فرجع غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان الى بلاد الروم وازال ملك قليج أرسلان بن سليمان وملك بلاد الروم جميعها واستقرت له السلطنة ببلاد الروم وبقي كذلك الى ان قتل وملك بعده ابنه عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ثم توفي كيكاوس وملك بعده أخوه السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو وتوفي علاء الدين كيقباذ سنة أربع وثلاثين وستمائة

وملك

وملك بعده ولده غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو وكسره التتر سنة احدى وأربعين وستمائة وتضعضع حينئذ ملك السلاطين السلجوقية ببلاد الروم ثم مات غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان ابن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق وانقضى بموت كيخسرو المذكور سلاطين بلاد الروم في الحقيقة لان من صار بعده لم يكن له من السلطنة غير مجرد الاسم وخلف كيخسرو المذكور صبيين هما ركن الدين وعز الدين فملكا معا مدة مديدة ثم انفرد ركن الدين بالسلطنة وهرب أخوه عز الدين الى قسطنطينية وتغلب على ركن الدين معين الدين البرواناه والبلاد في الحقيقة للتتر ثم ان البرواناه قتل ركن الدين وأقام ابنا لركن الدين يخطب له بالسلطنة والحكم للبرواناه وهو نائب التتر على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) غزا شهاب الدين الغوري الهند فغنم وقتل مالا يحصى (وفيها) خرج السلطان طغريل بن أرسلان بن طغريل من الحبس بعد قتل قزل أرسلان بن الدكز وكان قزل قد اعتقله حسبما تقدم ذكره في سنة سبع وثمانين وخمسمائة (وفيها) توفي راشد الدين سنان بن سليمان بن محمد وكنيته أبو الحسن صاحب دعوة الاسماعيلية بقلاع الشام وأصله من البصرة (ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة)

ذكر وفاة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف ابن أيوب بن شادي وشيء من أخباره

دخلت هذه السنة والسلطان بدمشق على أكمل مايكون من المسرة وخرج الى شرقي دمشق متصيدا وغاب خمسة عشر يوما وصحبته أخوه الملك العادل ثم عاد الى دمشق وودعه أخوه الملك العادل وداعا لالقاء بعده فمضى الى الكرك وأقام فيه حتى بلغه وفاة السلطان وأقام السلطان بدمشق وركب في يوم الجمعة خامس عشر صفر وتلقى الحجاج وكان عادته أن لا يركب الا وهو لابس كزاغند فركب ذلك اليوم وقد اجتمع بسبب ملتقى الحجاج وركوبه عالم عظيم ولم يلبس الكزاغند ثم ذكره وهو راكب فطلب الكزاغند فلم يجده وقد حملوه معه ولما التقى الحجاج استعبرت عيناه كيف فاته الحج ووصل اليه مع الحجاج ولد أخيه سيف الاسلام صاحب اليمن ثم عاد السلطان بين البساتين الى جهة المنيبع ودخل الى القلعة على الجسر اليها وكانت هذه آخر ركباته فلحقه ليلة السبت سادس عشر صفر كسل عظيم وغشيه نصف الليل حمى صفراوية وأخذ المرض في التزايد وقصده

الاطباء في الرابع فاشتد مرضه وحدث به في التاسع رعشة وغاب ذهنه وامتنع من تناول المشروب واشتد الارجاف في البلد وغشى الناس من الحزن والبكاء عليه مالايمكن حكايته وحقن في العاشر حقنتين فحصل له راحة وتناول من ماء الشعير مقدارا صالحا ثم لحقه عرق كثير حتى نفذ من الفراش واشتد المرض ليلة الثانى عشر من مرضه وهى ليلة السابع والعشرين من صفر وحضر عنده الشيخ أبو جعفر امام الكلاسة ليبيت عنده في القلعة بحيث ان احتضر بالليل ذكره الشهادة وتوفي السلطان في الليلة المذكورة أعنى في الليلة المستقرة عن نهار الاربعاء السابع والعشرين من صفر بعد صلاة الصبح من هذه السنة أعنى سنة تسع وثمانين وخمسمائة وبادر القاضى الفاضل بعد صلاة الصبح فحضر وفاته ووصل القاضى بهاء الدين بن شداد بعد موته وانتقاله الى رحمة الله وكرامته وغسله الفقيه الدولعى خطيب دمشق واخرج بعد صلاة الظهر من نهار الاربعاء المذكور في تابوت مسجى بثوب وجميع مااحتاجوا من الثياب في تكفينه أحضره القاضى الفاضل من جهة حل عرفه وصلى عليه الناس ودفن في قلعة دمشق في الدار التى كان مريضاً فيها وكان نزوله الى جدثه وقت صلاة العصر من النهار المذكور وكان الملك الافضل ابنه قد حلف الناس له قبل وفاة والده عند مااشتد مرضه وجلس للعزاء في القلعة وأرسل الملك الافضل على الكتب بوفاة والده الى أخيه العزيز عثمان بمصر والى أخيه الظاهر غازى بحلب والى عمه الملك العادل أبى بكر بالكرك ثم ان الملك الافضل عمل لوالده تربة قرب الجامع وكانت دارا لرجل صالح ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وخمسمائة ومشى الملك الافضل بين يدى تابوته واخرج من باب القلعة على دار الحديث الى باب البريد وادخل الجامع ووضع قدام الستر وصلى عليه القاضى محيي الدين ابن القاضى زكى الدين ثم دفن وجلس ابنه الملك الافضل في الجامع ثلاثة أيام للعزاء وانفقت ست الشام بنت أيوب أخت السلطان في هذه النوبة أموالا عظيمة وكان مولد السلطان صلاح الدين بتكريت في شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فكان عمره قريبا من سبع وخمسين سنة وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة وملكه الشام قريبا من تسع عشرة سنة وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا وبنتا واحدة وكان أكبر أولاده الملك الافضل نور الدين على بن يوسف ولد بمصر سنة خمس وستين وخمسمائة وكان العزيز عثمان أصغر منه بنحو سنتين وكان الظاهر صاحب حلب أصغر منهما وبقيت البنت حتى تزوجها ابن عمها الملك الكامل صاحب مصر ولم يخلف السلطان صلاح الدين في خزائنه غير سبعة وأربعين درهما وجرم واحد صورى وهذا من رجل له الديار المصرية والشام وبلاد الشرق واليمن دليل قاطع على فرط كرمه ولم يخلف دارا ولا عقارا قال العماد

الكاتب

الكاتب حسبت ماأطلقه السلطان في مدة مقامه بمرج عكا من خيل عراب وأكاديش فكان اثنى عشر ألف رأس وذلك غير ماأطلقه من أثمان الخيل المصابة في القتال ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب أو موعود به ولم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى الا في جماعة وكان اذا عزم على أمر توكل على الله ولا يفضل يوما على يوم وكان كثير سماع الحديث النبوى قرأ مختصرا في الفقه تصنيف سليم الدارى وكان حسن الخلق صبورا على مايكره كثير التغافل عن ذنوب أصحابه يسمع من أحدهم مايكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وكان يوما جالساً فرمى بعض المماليك بعضا بسرموزة فاخطأته ووصلت الى السلطان فاخطأته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى ليتغافل عنها وكان طاهر المجلس فلا يذكر أحد في مجلسه أحدا الا بالخير وطاهر اللسان فما يولع بشتم قط قال العماد الكاتب مات بموت السلطان الرجال وفات بوفاته الافضال وغاضت الايادى وفاضت الاعادى وانقطعت الارزاق وادلهمت الآفاق وفجع الزمان بواحده وسلطانه ورزئ الاسلام بمشيد أركانه

ذكر ماستقر عليه الحال بعد وفاة السلطان

لماتوفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين استقر في الملك (بدمشق) وبلادها المنسوبة اليها ولده الملك الافضل نورالدين على (وبالديار المصرية) الملك العزيز عماد الدين عثمان (وبحلب) الملك الظاهر غياث الدين غازى (وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية) الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب (وبحماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم) الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر (وببعلبك) الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب (وبحمص والرحبة وتدمر) شيركوه ابن محمد بن شيركوه بن شادى وبيد الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين بصرى وهو في خدمة أخيه الملك الافضل وبيد جماعة من أمراء الدولة بلاد وحصون منهم سابق الدين عثمان بن الداية بيده (شيزر) وأبوقبيس وناصرالدين بن كورس بن خماردكين بيده (صهيون وحصن برزية) وبدر الدين دلدرم ابن بهاء الدين ياروق بيده (تل باشر) وعز الدين اسامة بيده (كوكب وعجلون) وعزالدين ابراهيم بن شمس الدين ابن المقدم بيده (بعرين وكفر طاب وفامية) والملك الافضل هو الاكبر من أولاد السلطان والمعهود اليه بالسلطنة واستوزر الملك الافضل ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الاثير مصنف المثل السائر وهو أخو عز الدين ابن الاثير مؤلف التاريخ المسمى بالكامل فحسن للملك الافضل طرد أمراء أبيه ففارقوه الى أخويه العزيز والظاهر قال العماد الكاتب وتفرد الوزير في توزره ومد الجزرى في جزره ولما اجتمعت أكابر الامراء بمصر حسنوا

للملك العزيز الانفراد بالسلطنة ووقعوا في أخيه الافضل فمال الى ذلك وحصلت الوحشة بين الاخوين الافضل والعزيز (وفي هذه السنة) بعد موت السلطان قدم الملك العادل من الكرك الى دمشق وأقام فيها وظيفة العزاء على أخيه ثم توجه الى بلاده التي وراء الفرات

ذكر حركة عز الدين مسعود صاحب الموصل الى البلاد الشرقية التي بيد الملك العادل وعوده وموته

(في هذه السنة) لما مات السلطان صلاح الدين كاتب عز الدين مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل ملوك البلاد المجاورين للموصل يستنجدهم ولذلك اتفق مع أخيه عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار وسار الى جهة حران وغيرها فلحق عز الدين مسعود اسهال قوي وضعف فترك العسكر مع أخيه عماد الدين وعاد الى الموصل وصحبته مجاهد الدين قيماز فحلف العسكر عز الدين لابنه أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر وقوي بعز الدين مسعود المرض وتوفي في السابع والعشرين من شعبان في هذه السنة فكانت مدة مابين وفاته ووفاة السلطان صلاح الدين نصف سنة وكانت مدة ملك عز الدين مسعود للموصل ثلاث عشرة سنة وستة أشهر وكان دينا خيرا كثير الاحسان وكان أسمر مليح الوجه خفيف العارضين يشبه جده عماد الدين زنكي واستقر في ملك الموصل بعده ولده أرسلان شاه وكان القيم بأمره مجاهد الدين قيماز

(ذكر قتل بكتمر صاحب اخلاط)

(في هذه السنة) في أول جمادى الاولى قتل سيف الدين بكتمر صاحب اخلاط وكان بين قتله وبين موت السلطان صلاح الدين شهران ولما بلغ بكتمر موت السلطان صلاح الدين أسرف في اظهار الشماتة بموت السلطان وضرب البشائر ببلاده وفرح فرحا كثيرا وعمل تختا يجلس عليه ولقب نفسه السلطان المعظم صلاح الدين وكان اسمه بكتمر فسمى نفسه الملك العزيز فلم يمهله الله تعالى وكان هذا بكتمر من مماليك ظهير الدين شاهرمن وكان له خشداش اسمه هزار ديناري وكان قد قوي وتزوج ابنة بكتمر وطمع في الملك فوضع على بكتمر من قتله ولما قتل ملك بعده هزارديناري خلاط وأعمالها واسم هزارديناري المذكور اقسنقر ولقبه بدر الدين جلبه تاجر جرجاني اسمه علي الى خلاط فاشتراه منه شاهرمن سكمان بن ابراهيم واعجب به شاهرمن فجعله ساقيا له ولقبه هزارديناري وبقي على ذلك برهة من الزمان فلما تولى بكتمر على مملكة خلاط بقي المذكور من أكبر الامراء وتزوج ببنت بكتمر عينا خاتون فلما قتل بكتمر خلف ولدا فأخذ

هزاردينارى المذكور ولد بكتمر وأمه واعتقلهما بقلعة ارزاس بوش وكان عمر ابن بكتمر اذ ذاك نحوسبع سنين واستمر بدر الدين اقسنقر هزار دينارى في مملكة خلاط حتى توفي في سنة أربع وتسعين وخمسمائة حسبما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) شتى شهاب الدين الغورى في بر شاور وجهز مملوكه أيبك في عساكر كثيرة الى بلاد الهند ففتح وغنم وعاد منصورا مؤيدا (وفيها) توفي سلطان شاه بن أرسلان ابن اطسز بن محمد بن أنوشتكين وكان قد ملك مرو وخراسان ولما مات انفرد أخوه تكش بالمملكة وقد تقدم ذكرهما في سنة ثمان وستين وخمسمائة (وفيها)مات الامير داود ابن عيسى بن محمد بن أبي هاشم أمير مكة وما زالت امارة مكة له تارة ولاخيه مكثر تارة حتى مات (ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة)

(ذكر قتل طغريل وملك خوارزم شاه الري)

كان طغريل بن أرسلان بن طغريل بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقى قد حبسه قزل أرسلان بن الدكز وخرج طغريل من الحبس في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وملك همدان وغيرها وجرى حرب بينه و بين مظفر الدين أزبك ابن البهلوان محمد بن الدكز وقيل بل هو قطلغ اينانج أخو أزبك المذكور فانهزم ابن البهلوان ثم ان ابن البهلوان بعد هزيمته استنجد بخوارزم شاه علاء الدين تكش فخاف منه فلم يجتمع بخوارزمشاه فسار خوارزمشاه تكش وملك الرى وذلك في سنة ثمان وثمانين وبلغ تكش ان أخاه سلطان شاه قد قصد خوارزم فصالح طغريل السلجوقى وعاد تكش الى خوارزم وبقى الامر كذلك حتى مات سلطان شاه في سنة تسع وثمانين وخمسمائة فتسلم تكش مملكة أخيه سلطان شاه وخزانته وولى ابنه محمد بن تكش نيسابور وولى ابنه الاكبر ملكشاه ابن تكش مرو ولما دخلت سنة تسعين سار تكش الى حرب طغريل السلجوقى فسار طغريل الى لقائه قبل أن يجمع عساكره والتقى العسكران بالقرب من الرى وحمل طغريل بنفسه فقتل وكان قتله في الرابع والعشرين من ربيع الاول من هذه السنة وحمل رأس طغريل الى تكش فأرسله الى بغداد فنصب بها عدة أيام وسار تكش فملك همدان وتلك البلاد جميعها وسلم بعضها الى ابن البهلوان وأقطع بعضها لمماليكه ورجع الى خوارزم وهذا طغريل بن أرسلان شاه بن طغريل بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق هو آخر السلاطين السلجوقية الذين ملكوا بلاد العجم وقد تقدم ذكر ابتداء الدولة السلجوقية في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وأول من ملك منهم العراق وازال دولة بنى بوية طغريل بك بن ميكائيل

ابن سلجوق ثم ملك بعده ابن أخيه الب أرسلان بن داود بن ميكائيل ثم ابنه ملكشاه
ابن الب أرسلان ثم ابنه محمود بن ملكشاه وكان طفلا فقامت بتدبير المملكة أم محمود
تركان خاتون ومات محمود وهو ابن سبع سنين وملك أخوه بركيارق بن ملكشاه ثم
أخوه محمد بن ملكشاه ثم ابنه محمود بن محمد المذكور ثم ابنه داود بن محمود بن محمد
المذكور مدة يسيرة ثم عمه طغريل بن محمد ثم أخوه مسعود بن محمد ثم ان ابن أخيه
ملكشاه بن محمود بن محمد أياما يسيرة ثم أخوه محمد بن محمود ثم بعد محمد المذكور
اختلفت العساكر وقام من بنى سلجوق ثلاثة أحدهم ملكشاه بن محمود أخو محمد
المذكور والثانى سليمان شاه بن محمد ابن السلطان ملكشاه وهو عم محمد المذكور
والثالث أرسلان شاه بن طغريل بن محمد ابن السلطان ملكشاه وكان الدكز متزوجا
بأم أرسلان شاه المذكور فقوى عليها سليمان شاه واستقر في همدان في سنة خمس
وخمسين وخمسمائة ثم قبض سليمان شاه وقتل وكذلك سم ملكشاه بن محمود المذكور
ومات بأصفهان في السنة المذكورة أعنى سنة خمس وخمسين وخمسمائة وانفرد بالسلطنة
أرسلان شاه بن طغريل ربيب الدكز ثم ملك بعده ابنه طغريل ابن أرسلان شاه
ابن طغريل المذكور في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وجرى له ماذكرناه حتى
قتله تكش في هذه السنة أعنى سنة تسعين وخمسمائة وانقرضت به الدولة السلجوقية
من تلك البلاد

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

(في هذه السنة) أرسل الخليفة الامام الناصر عسكرا مع وزيره مؤيد الدين محمد بن
على المعروف بابن القصاب الى خورستان وهى بلاد شملة وأولاده من بعده وكان قد
مات صاحبها ابن شملة فاختلفت أولاده فوصل عسكر الخليفة الى خورستان وملكوا
مدينة تستر في المحرم سنة احدى وتسعين وغيرها من البلاد وكذلك ملكوا قلعة الناظر
وقلعة كاكرد وقلعة لاموج وغيرها من القلاع والحصون فانفذوا بنى شملة أصحاب بلاد
خورستان الى بغداد (وفي هذه السنة) أعنى سنة تسعين استحكمت الوحشة بين الاخوين
العزيز والافضل ابنى السلطان صلاح الدين فسار العزيز في عسكر مصر وحصر أخاه
الافضل بدمشق فأرسل الافضل الى عمه العادل وأخيه الظاهر وابن عمه الملك المنصور
صاحب حماة يستنجدهم فساروا الى دمشق واصلحوا بين الاخوين ورجع العزيز الى
مصر ورجع كل ملك الى بلده وأقبل الملك الافضل بدمشق على شرب الخمر وسماع
الاغانى والاوتار ليلا ونهارا وأشاع ندماؤه ان عمه الملك العادل حسن له ذلك وكان
يعمله بالخفية فأنشده العادل

* فلا خير في اللذات من دونها ستر * فقبل وصية عمه وتظاهر بذلك وفوض أمر المملكة الى وزيره ضياء الدين بن الاثير الجزرى يدبرها برأيه الفاسد ثم ان الملك الافضل أظهر التوبة عن ذلك وازال المنكرات وواظب على الصلوات وشرع في نسخ مصحف بيده (ثم دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة) وفيها سار ابن القصاب وزير الخليفة بعد ملك خورستان الى همدان فملكها وملك غيرها من بلاد العجم وأخذ يستولى على سائر البلاد للخليفة فتوفي مؤيد الدين بن القصاب المذكور في أوائل شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة (وفيها) غزا ملك الغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس وجرى بينهم مصاف عظيم انتصر فيه المسلمون وقتل من الفرنج مالايحصى وولوا منهزمين وغنم المسلمون منهم مالايحصى (وفيها) جهز الخليفة الامام الناصر عسكرا مع مملوك له يقال له سيف الدين طغريل فاستولوا على أصفهان (وفيها) قدم مماليك البهلوان عليهم مملوكا من البهلوانية يقال له كلجا فعظم أمر كلجا واستولى على الرى وهمدان (وفيها) عاود الملك العزيز عثمان صاحب مصر قصد الشام ومنازلة أخيه الملك الافضل فسار ونزل الغوار من أرض السواد من بلاد دمشق فاضطرب بعض عسكر العزيز عليه وهم طائفة من الامراء الاسدية وفارقوه فبادر العزيز العود الى مصر بمن بقي معه من العسكر وكان الملك الافضل قد استنجد بعمه الملك العادل لما قصده أخوه العزيز فلما رحل العزيز عائدا الى مصر رحل الملك الافضل وعمه العادل ومن انضم اليهما من الاسدية وساروا في أثر العزيز طالبين مصر فساروا حتى نزلوا على بلبيس وقد ترك فيها العزيز جماعة من الصلاحية وقصد الملك الافضل مناجزتهم بالقتال فمنعه العادل عن ذلك فقصد الافضل المسير الى مصر والاستيلاء عليها فمنعه عمه العادل أيضاً عن ذلك وقال مصر لك متى شئت وكاتب العادل العزيز في الباطن وأمره بارسال القاضى الفاضل ليصلح بين الاخوان وكان القاضى الفاضل قد اعتزل عن ملابستهم لما رأى من فساد أحوالهم فدخل عليه الملك العزيز وسأله فتوجه القاضى الفاضل من القاهرة الى عند الملك العادل واجتمع به واتفقا على أن يصلحا بين الاخوين فاصلحا بينهما وأقام الملك العادل بمصر عند العزيز ابن أخيه ليقرر أمور مملكته وعاد الافضل الى دمشق (وفيها) كان بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب وبين الفرنج بالاندلس شمالى قرطبة حروب عظيمة انتصر فيها يعقوب وانهزم الفرنج (ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة) فيها سار شهاب الدين الغورى صاحب غزنة الى بلاد الهند وفتح قلعة عظيمة تسمى بهنكر بالامان ثم سار الى قلعة كوكير وبينهما نحو خمسة أيام فصالحه أهلها على مال حملوه اليه ثم سار في بلاد الهند فغنم وأسر وعاد الى غزنة (وفيها) قتل صدر الدين محمد بن عبد اللطيف بن محمد

الخجندى رئيس الشافعية بأصفهان وهو الذى سلم أصفهان الى عسكر الخليفة قتله سنقر الطويل شحنة للخليفة بسبب منافرة جرت بينهما (وفيها) نقل الملك الافضل أباه السلطان صلاح الدين من قلعة دمشق الى التربة بالمدنية في صفر فكان مدة لبثه بالقلعة ثلاث سنين ولزم الملك الافضل الزهد والقناعة وأموره مفوضة الى وزيره ضياء الدين بن الاثير الجزرى وقد اختلفت الاحوال به وكثر شاكوه وقل شاكروه

(ذكر انتزاع دمشق من الملك الافضل)

لما بلغ الملك العادل في مصر والملك العزيز اضطراب الامور على الملك الافضل اتفق العادل مع العزيز على أن يأخذا دمشق وأن يسلمها العزيز الى العادل لتكون الخطبة والسكة للعزيز بسائر البلاد كما كانت لابيه فخرجا وسارا من مصر فأرسل الافضل اليهما فلك الدين وهو أحد أمرائه وكان فلك الدين أخا الملك العادل لامه واجتمع فلك الدين بالملك العادل فأكرمه واظهر الاجابة الى ماطلبه وأتم العادل والعزيز السير حتى نزلا على دمشق وقد حصنها الملك الافضل فكاتب بعض الامراء من داخل البلد الملك العادل وصاروا معه وانهم يسلمون المدينة اليه فزحف الملك العادل والملك العزيز ضحى يوم الاربعاء السادس والعشرين من رجب من هذه السنة فدخل الملك العزيز من باب الفرج والملك العادل من باب توما فأجاب الملك الافضل الى تسليم القلعة وانتقل منها بأهله وأصحابه واخرج وزيره ضياء الدين بن الاثير مختفيا في صندوق خوفا عليه من القتل وكان الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين صاحب بصرى مع أخيه الافضل ومعاضدا له فأخذت منه بصرى أيضاً فلحق بأخيه الملك الظاهر فأقام عنده بحلب وأعطى الافضل صرخد فسار اليها بأهله واستوطنها ودخل الملك العزيز الى دمشق يوم الاربعاء رابع شعبان ثم سلم دمشق الى عمه الملك العادل على حكم ما كان وقع عليه الاتفاق بينهما وتسلمها الملك العادل ورحل الملك العزيز من دمشق عشية يوم الاثنين تاسع شعبان وكانت مدة ملك الملك الافضل لدمشق ثلاث سنين وشهرا وأبقى الملك العادل السكة والخطبة بدمشق للملك العزيز ولما استقر الملك الافضل بصرخد كتب الى الخليفة الامام الناصر يشكو من عمه العادل أبى بكر وأخيه العزيز عثمان وأول الكتاب

مولاى ان أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حق على
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى ... من الاواخر مالاقى من الاول

فكتب الامام الناصر جوابه

وافى كتابك ياابن يوسف معلنا ... بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن ... بعد النبي له بيثرب ناصر

فاصبر

فاصبر فان غدا عليه حسابهم   وابشر فناصرك الامام الناصر

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة) في هذه السنة توفي ملكشاه بن تكش بنيسابور وكان أبوه خوارزم شاه تكش قد جعله فيها وجعل له الحكم على تلك البلاد وجعله ولي عهده وخلف ملكشاه ولدا اسمه هندوخان فلما مات ملكشاه جعل تكش فيها عوضه ولده الآخر قطب الدين محمد وهو الذي ملك بعد أبيه وغير لقبه عن قطب الدين وجعله علاء الدين وكان بين الاخوين ملكشاه وقطب الدين عداوة مستحكمة

ذكر وفاة سيف الاسلام

(في هذه السنة) في شوال توفي سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب صاحب اليمن ولما مات سيف الاسلام كان ولده الملك العزيز اسماعيل بالسمرين فبعث اليه جمال الدولة كافور جماعة من الجند فعرفوه بوفاة والده ومضوا به الى ممالك أبيه فسلموها اليه وكانت وفاة سيف الاسلام بزبيد وكان شديد السيرة مضيقا على رعيته يشترى أموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شاء وجمع من الاموال مالا يحصى حتى انه كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدخره (ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة) في هذه السنة في المحرم توفي عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب سنجار والخابور والرقة وكان حسن السيرة متواضعا يحب أهل العلم الا انه كان بخيلا شديد البخل وملك بعده ولده قطب الدين محمد بن زنكى وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برنقش مملوك أبيه (وفيها) في جمادى الاولى سار نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل الى نصيبين فاستولى عليها وأخذها من ابن عمه قطب الدين محمد ابن زنكى فأرسل قطب الدين محمد واستنجد بالملك العادل فسار الملك العادل الى البلاد الجزرية ففارق نور الدين أرسلان شاه نصيبين وعاد الى الموصل فعاد قطب الدين محمد بن زنكى وتسلم نصيبين (وفيها) سار خوارزمشاه تكش الى بخارى وهى للخطا وحاصرها وملكها وكان تكش أعور فأخذ أهل بخارى في مدة الحصار كلبا أعور والبسوه قباء وقالوا للخوارزمية هذا سلطانكم ورموه بالمنجنيق اليهم فلما ملكها خوارزمشاه تكش أحسن الى أهل بخارى وفرق فيهم أموالا ولم يؤاخذهم بما فعلوه في حقه (وفيها) وصل جمع عظيم من الفرنج الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت وسار الملك العادل ونزل تل العجول وأتته النجدة من مصر ووصل اليه سنقر الكبير صاحب القدس وميمون القصرى صاحب نابلس ثم سار الملك العادل الى يافا وهجمها بالسيف وملكها وقتل الرجال المقاتلة وكان هذا الفتح ثالث فتح لها ونازلت الفرنج تبنين فأرسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر فسار الملك العزيز بنفسه بمن بقى عنده من عساكر مصر

واجتمع بعمه الملك العادل على تبنين فرحل الفرنج على اعقابهم الى صور خائبين ثم عاد الملك العزيز الى مصروترك غالب العسكر مع عمه العادل وجعل اليه أمر الحرب والصلح ومات في هذه المدة سنقر الكبير فجعل الملك العزيز أمر القدس الى صارم الدين قطلق مملوك عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ولما عاد الملك العزيز الي مصر في هذه المدة مدحه القاضى بن سنا الملك بقصيدة منها

قدمت بالسعد وبالمغنم   كذا قدوم الملك المقدم

قميصك الموروث عن يوسف   ماجاء الا صادقا في الدم

أغثت تبنين وخلصتها   فريسة من ماضغى ضيغم

شنشنة تعرف من يوسف   في النصر لاتعرف من أخزم

مقدمه صار جمادى به   كمثل ذى الحجة ذا موسم

ثم طاول الملك العادل الفرنج فطلبوا الهدنة واستقرت بينهم ثلاث سنين ورجع الملك العادل الى دمشق ثم سار الملك العادل من دمشق الى ماردين وحصرها وصاحبها حينئذ يولق أرسلان بن ايلغازى بن البي بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق وليس ليولق أرسلان من الحكم شئ وانما الحكم الى مملوك والده البقش

(ذكر أخبار ملوك خلاط)

(وفيها) توفي صاحب خلاط بدر الدين (اقسنقر) هزار دينارى وقد تقدم ذكر ملكه لخلاط في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ولما توفي هزار دينارى استولي على خلاط بعده خشداشه (قتلغ) وكان مملوكا أرمنى الاصل من سنا سنة فملك خلاط نحو سبعة أيام ثم اجتمع عليه الناس وأنزلوه من القلعة ثم وثبوا عليه فقتلوه فلما قتل قتلغ اتفق كبراء الدولة فاحضروا (محمد بن بكتمر) من القلعة التى كان معتقلا فيها واسمها ارزاس وأقاموه في مملكة خلاط ولقبوه الملك المنصور وقام بتدبير أمره شجاع الدين قتلغ الدوادار وكان قتلغ المذكور قفجاقى الجنس دوادارالشاهرمن سكمان بن ابراهيم واستقر ابن بكتمر كذلك الى سنة أثنين وستمائة فقبض على اتابكه قتلغ المذكور وحبسه ثم قتله فخرج عليه مملوك لشاهرمن يقال له عز الدين بلبان واتفق العسكر مع بلبان المذكور وقبضوا على محمد بن بكتمر وحبسوه ثم خنقوه ورموه من سور القلعة الى أسفل وقالوا وقع واستمر (بلبان) في مملكة خلاط دون سنة وقتله بعض أصحاب طغريل بن قليج أرسلانشاه صاحب أرزن وقصد طغريل المذكور أن يتسلم خلاط فلم يجبه أهلها الى ذلك وعصوا عليه فعاد الى أرزن ثم وصل الملك الاوحد أيوب بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وتسلم خلاط وملكها قريب ثمان سنين حسبما نذكر

ذلك

ذلك في سنة أربع وستمائة ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة)

﴿ ذكر وفاة العزيز صاحب مصر ﴾

(في هذه السنة) في منتصف ليلة السابع والعشرين من المحرم توفي الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان قد طلع الى الصيد فركض خلف ذئب فتقنطر وحم سابع المحرم في جهة الفيوم فعاد الى الاهرام وقد اشتدت حماه ثم توجه الى القاهرة فدخلها يوم عاشوراء وحدث به يرقان وقرحة في المعى واحتبس طبعه فمات في التاريخ المذكور وكانت مدة مملكته ست سنين الا شهرا وكان عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرا وكان في غاية السماحة والكرم والعدل والرفق بالرعية والاحسان اليهم ففجعت الرعية بموته فجعة عظيمة وكان الغالب على دولة الملك العزيز فخر الدين جهاركس فأقام في الملك ولد الملك العزيز الملك المنصور محمد واتفقت الامراء على احضار أحد من بنى أيوب ليقوم بالملك وعملوا مشورة بحضور القاضى الفاضل فأشار بالملك الافضل وهو حينئذ بصرخد فأرسلوا اليه فسار مجدا ووصل الى مصر على انه اتابك الملك المنصور بن الملك العزيز وكان عمر الملك المنصور حينئذ تسع سنين وشهورا وكان مسير الملك الافضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر في تسعة عشر نفرا متنكرا خوفا من أصحاب عمه الملك العادل فان غالب تلك البلاد كانت له فوصل بلبيس خامس ربيع الاول ثم سار الملك الافضل الى القاهرة فخرج الملك المنصور بن العزيز للقائه فترجل له عمه الملك الافضل ودخل بين يديه الى دار الوزارة وهى كانت مقر السلطنة ولما وصل الملك الافضل الى بلبيس التقاه العسكر فتنكر منه فخر الدين جهاركس وفارقه وتبعه عدة من العسكر وساروا الى الشام وكاتبوا الملك العادل وهو محاصر ماردين وأرسل الملك الظاهر الى أخيه الملك الافضل يشير عليه بقصد دمشق وأخذها من عمه الملك العادل وان ينتهز الفرصة لاشتغال العادل بحصار ماردين فبرز الملك الافضل من مصر وسار الى دمشق وبلغ الملك العادل مسيره الى دمشق فترك على حصار ماردين ولده الملك الكامل وسار العادل وسبق الافضل ودخل دمشق قبل نزول الافضل عليها بيومين ونزل الملك الافضل على دمشق ثالث عشر شعبان من هذه السنة وزحف من الغد على البلد وجرى بينهم قتال وهجم بعض عسكره المدينة حتى وصل الى باب البريد ولم يمدهم العسكر فتكاثر أصحاب الملك العادل وأخرجوهم من البلد ثم تخاذل العسكر فتأخر الافضل الى ذيل عقبة الكسوة ثم وصل الى الملك الافضل أخوه الظاهر صاحب حلب فعاد الى مضايقة دمشق ودام الحصار عليها وقلت الاقوات عند الملك العادل وعلى أهل البلد وأشرف الافضل والظاهر على

ملك دمشق وعزم العادل على تسليم البلدلولا ماحصل بين الاخوين الافضل والظاهر من الخلف وخرجت السنة وهم على ذلك وكان منهم ماسنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر استيلاء الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين صاحب حماة على بارين

وفي شهر رمضان من هذه السنة قصد الملك المنصور صاحب حماة بارين وبها نواب عز الدين ابراهيم بن شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم وحاصرها وكان عز الدين ابراهيم مع الملك العادل محصورا معه بدمشق ونصب الملك المنصور عليها المجانيق وانجرح الملك المنصور حال الزحف ثم فتحها في التاسع والعشرين من ذي القعدة وأقام ببارين مدة حتى أصلح أمورها

ذكر وفاة يعقوب ملك الغرب

في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى توفي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بمدينة سلا وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية واعرض عن مذهب مالك وعمره ثمان وأربعون سنة وتلقب يعقوب المذكور بالمنصور ولما مات يعقوب ملك بعده ابنه محمد بن يعقوب وتلقب محمد بالناصر ومولد محمد المذكور سنة ست وسبعين وخمسمائة وعبد المؤمن وبنوه جميعهم كانوا يسمون بأمير المؤمنين (وفي هذه السنة) رحل عسكر الملك العادل مع ابنه الملك الكامل عن حصار ماردين

ذكر الفتنة بفيروزكوه

(في هذه السنة) كانت فتنة عظيمة في عسكر غياث الدين ملك الغورية وهو بفيروز كوه وسببها ان الامام فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازى الامام المشهور كان قد قدم الى غياث الدين فبالغ غياث الدين في اكرامه واحترامه وبنى له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فعظم ذلك على الكرامية وهم كثيرون بهراة ومذهبهم التجسيم والتشبيه وكان الغورية كلهم كرامية فكرهوا فخر الدين لانه شافعي وهو يناقض مذهبهم فاتفق ان فقهاء الكرامية والحنفية والشافعية حضروا بفيروزكوه عند غياث الدين للمناظرة وحضر فخر الدين الرازى والقاضي عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة وهو من الكرامية الهيصمية وله عندهم محل كبير لتزهده وعلمه فتكلم الرازى فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال فخر الدين الرازى على ابن القدوة وشتمه وبالغ في أذاه وابن القدوة لا يزيده على أن يقول لا يفعل مولانا الا وأخذك الله فصعب

على

على الملك ضياء الدين وهو ابن عم غياث الدين وزوج ابنته وشكى الى غياث الدين وذم فخر الدين الرازى ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ ليه غياث الدين فلما كان الغد وعظ الناس ابن عمر بن القدوة بالجامع وقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم * ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين * أيها الناس انا لا نقول الا ماصح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما علم أرسطو وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابى فلا نعلمها فلأى حال يشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام يذب عن دين الله وسنة نبيه وبكى وبكى الكرامية واستغاثوا وثار الناس من كل جانب وامتلأ البلد فتنة فبلغ ذلك السلطان فأرسل جماعة سكنوا الناس ووعدهم اخراج فخر الدين الرازى من عندهم وتقدم عليه بالعود الى هراة نعاد اليها (وفي هذه السنة) في ربيع الاول توفي مجاهد الدين قيماز بقلعة الموصل وهو الحاكم في دولة زور الدين أرسلان صاحب الموصل وقيماز المذكور هو الذى كان حاكما على مسعود والد أرسلان حتى قبض عليه مسعود ثم أخرجه بعد مدة وكان قيماز عاقلا أديبا فاضلا في الفقه على مذهب أبي حنيفة وبنى عدة جوامع وربط ومدارس (وفيها) فارق غياث الدين ملك الغورية مذهب الكرامية وصار شافعي المذهب (وفيها) توفي محمد بن عبد الملك بن زهر الاندلسى الاشبيلى وكان فاضلا في الادب وكان طبيبا وكان جده زهر وزيرا وفيلسوفا وتوفي زهر المذكور في سنة خمس وعشرين وخمسمائة بقرطبة وزهر بضم الزاى المعجمة وسكون الهاء وقد قيل في ابن زهر

قل للوبا أنت وابن زهر ... قد جزتما الحد في النكايه

ترفقا بالورى قليلا ... في واحد منكما كفايه

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة) والملكان الافضل والظاهر محاصران لمدينة دمشق واتفق وقوع الخلف بين الاخوين الافضل والظاهر وسببه انه كان للملك الظاهر مملوك يحبه اسمه أيبك ففقد ووجد عليه الملك الظاهر وجدا عظيما وتوهم انه دخل دمشق فأرسل من تكشف خبره واطلع الملك العادل وهو محصور على القضية فأرسل الى الظاهر يقول له ان محمود بن الشكرى أفسد مملوكك وحمله الى الافضل أخيك فقبض الظاهر على ابن الشكرى فظهر المملوك عنده فتغير الظاهر على أخيه الافضل وترك قتال العادل وظهر الفشل في العسكر فتأخر الافضل والظاهر عن دمشق وأقاما بمرج الصفر الى أواخر صفر ثم سارا الى رأس الماء ليقيما به الى ان ينسلخ الشتاء ثم انثنى عزمهما وسار الافضل الى مصر والظاهر الى حلب على القريتين ولما تفرقا خرج الملك العادل من دمشق وسار في أثر الافضل الى مصر ولما وصل الافضل الى مصر

تفرقت عساكره في بلادهم لاجل الربيع فأدركه عمه العادل فخرج الافضل بمن بقى عنده من العسكر وضرب معه مصافا بالسايح فانكسر الافضل وانهزم الى القاهرة ونازل العادل القاهرة ثمانية أيام فأجاب الافضل الى تسليمها على أن يعوض عنها ميا فارقين وحانى وسميساط فأجابه العادل الى ذلك ولم يف له به وكان دخول العادل الى القاهرة في الحادي والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة وقال ابن الاثير كان دخول العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر فيها وتوفي القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى في سابع عشر ربيع الآخر وقيل ان مولد القاضى الفاضل سنة ست وعشرين وخمسمائة فكان عمره نحو سبعين سنة ثم سافر الملك الافضل الى صرخد وأقام العادل بمصر على انه اتابك الملك المنصور محمد ابن العزيز عثمان مدة يسيرة ثم أزال الملك المنصور محمد المذكور واستقل العادل في السلطنة ولما استقرت المملكة للملك العادل أرسل اليه الملك المنصور صاحب حماة يعتذر اليه مما وقع منه بسبب أخذه بعرين من ابن المقدم فقبل الملك العادل عذره وأمره برد بعرين الى ابن المقدم فاعتذر الملك المنصور عنها بقربها من حماة ونزل على منبج وقلعة نجم لابن المقدم عوضا عن بعرين فرضى ابن المقدم بذلك لانهما خير من بعرين بكثير وتسلمهما عزالدين ابراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم وكان له أيضاً فامية وكفر طاب وخمس وعشرون ضيعة من المعرة وكذلك كاتب الملك الظاهر صاحب حلب عمه الملك العادل وصالحه وخطب له بحلب وبلادها وضرب السكة باسمه واشترط الملك العادل على صاحب حلب أن يكون خمسمائة فارس من خيار عسكر حلب في خدمة الملك العادل كلما خرج الى البيكار والتزم صاحب حلب بذلك وقصر النيل في هذه السنة تقصيرا عظيما حتى انه لم يبلغ أربعة عشر ذراعا

ذكر وفاة خوارزم شاه

(في هذه السنة) في العشرين من رمضان توفي خوارزم شاه تكش بن أرسلان بن اطسز بن محمد بن أنوش تكين صاحب خوارزم وبعض خراسان والرى وغيرها من البلاد الجبلية بشهرستانه وولى الملك بعده ابنه محمد بن تكش وكان لقب محمد قطب الدين فغيره الى علاء الدين وكان تكش عادلا حسن السيرة يعرف الفقه على مذهب أبى حنيفة والاصول ولما بلغ غياث الدين ملك الغورية موت خوارزم شاه ترك ضرب نوبته ثلاثة أيام وجلس للعزاء مع ما كان بينهما من العداوة المستحكمة وهذا خلاف مافعله بكتمر من الشماتة بالسلطان صلاح الدين ولما استقر محمد بن تكش في المملكة هرب ابن أخيه هندوخان بن ملكشاه بن تكش الى غياث الدين ملك الغورية يستنصره على

عمه فأكرمه غياث الدين ووعده النصر (ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائه) لما دخلت هذه السنة كان بالديار المصرية الملك العادل وعنده ابنه الملك الكامل محمد وهو نائبه بها وبحلب الملك الظاهر وهو مجد في تحصين حلب خوفا من عمه الملك العادل وبدمشق الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل نائب أبيه بها وبالشرق الملك ابراهيم ابن الملك العادل وبميا فارقين الملك الاوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل (وفي هذه السنة) توفي عز الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم وصارت البلاد بعده وهي منبج وقلعة نجم وفامية وكفر طاب لاخيه شمس الدين عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن المقدم ولما استقر شمس الدين عبد الملك بمنبج سار اليها الملك الظاهر صاحب حلب وحصرها وملك منبج وعصى عبد الملك بن المقدم بالقلعة فحصره ونزل عبد الملك بالأمان فاعتقله الملك الظاهر وملك قلعة منبج وبعد ان فرغ من منبج سار الى قلعة نجم وبها نائب ابن المقدم فحصرها وملكها في آخر رجب من هذه السنة وأرسل الملك الظاهر الى الملك المنصور صاحب حماة يبذل له منبج وقلعة نجم على أن يصير معه على الملك العادل فاعتذر صاحب حماة باليمين التى في عنقه للملك العادل فلما أيس الملك الظاهر منه سار الى المعرة وأقطع بلادها واستولى على كفر طاب وكانت لابن المقدم ثم سار الى فامية وبها قراقوش نائب ابن المقدم وأرسل الملك الظاهر أحضر عبد الملك بن المقدم من حلب وكان معتقلا بها وأحضر معه أصحابه الذين اعتقلهم وضربهم قدام قراقوش ليسلم فامية فامتنع قراقوش فأمر الملك الظاهر بضرب عبد الملك بن المقدم فضرب ضربا شديدا وبقي يستغيث فأمر قراقوش فضربت النقارات على قلعة فامية لئلا يسمع أهل البلد صراخه ولم يسلم القلعة فرحل عنها الملك الظاهر وتوجه الى حماة وحاصرها لثلاث بقين من شعبان من هذه السنة ونزل شمالى البلد وشعث التربة التقوية وبعض البساتين وزحف من جهة الباب الغربي وقاتل قتالا شديدا ثم زحف في آخر شعبان من الباب الغربي والباب القبلي وباب العميان وجرى فيه قتال شديد وخرج الملك الظاهر بسهم في ساقه واستمرت الحرب الى أيام من رمضان فلما لم يحصل على غرض صالح الملك المنصور على مال يحمله اليه قيل انه ثلاثون ألف دينار صورية ثم رحل الملك الظاهر الى دمشق وبها الملك المعظم ابن الملك العادل فنازلها الملك الظاهر هو وأخوه الملك الافضل وانضم اليهما فارس الدين ميمون القصرى صاحب نابلس ومن وافقه من الامراء الصلاحية واستقرت القاعدة بين الاخوين الافضل والظاهر انهما متى ملكا دمشق يتسلمها الملك الافضل ثم يسيران ويأخذان مصر من الملك العادل ويتسلمها الملك الافضل وتسلم دمشق حينئذ الى الملك الظاهر صاحب حلب بحيث تبقى مصر

للملك الافضل ويصير الشام جميعه للملك الظاهر وكان قد تخلف من أكابر الامراء الصلاحية عنهما فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجا فأرسل الملك الافضل وسلم صرخد الى زين الدين قراجا ونقل الملك الافضل والدته وأهله الى حمص عند شيركوه وبلغ الملك العادل حصار الاخوين دمشق فخرج بعساكر مصر وأقام بنابلس ولم يجسر على قتالهما واشتدت مضايقة الملكين الافضل والظاهر لدمشق وتعلق النقابون بسورها فلما شاهد الملك الظاهر صاحب حلب ذلك حسد أخاه الملك الافضل على دمشق وقال له أريد أن تسلم الى دمشق الآن فقال له الافضل ان حريمي حريمك وهم على الارض وليس لنا موضع نقيم فيه وهب هذه البلاد لك فاجعلها لى الى حين تملك مصر وتأخذه فامتنع الظاهر من قبول ذلك وكان قتال العسكر والامراء الصلاحية انما كان لاجل الافضل فقال لهم الافضل ان كان قتالكم لاجلى فاتركوا القتال وصالحوا الملك العادل وان كان قتالكم لاجل أخي الملك الظاهر فأنتم واياه فقالوا انما قتالنا لاجلك وتخلوا عن القتال وأرسلوا وصالحوا الملك العادل وخرجت السنة وهم محاصرون دمشق وقد تفرقت العساكر فرحل الملك الظاهر عن دمشق في أول المحرم سنة ثمان وتسعين وسار الافضل الى حمص (وفي هذه السنة) أعنى سنة سبع وتسعين توفي عماد الدين الكاتب محمد بن عبد الله بن حامد الاصفهاني وكان فاضلا في الفقه والادب والخلاف والتاريخ وله النظم البديع والنثر الفائق وكتب لنور الدين ولصلاح الدين وله التصانيف الحسنة منها البرق الشامي وخريدة القصر وكان مولده سنة تسع عشرة وخمسمائة وكان عمره نيفا وسبعين سنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) سار الملك غياث الدين ملك الغورية بعساكره وأرسل استدعى أخاه شهاب الدين من غزنة فلحقه بعساكره أيضاً وسار غياث الدين الى خراسان واستولى على ماكان لخوارزم شاه بخراسان ولما ملك غياث الدين مرو سلمها الى هندوخان بن ملكشاه بن خوارزمشاه تكش الذى كان هرب من عمه محمد الى غياث الدين ثم استولى غياث الدين على سرخس وطوس ونيسابور وغيرها ولما استقرت هذه البلاد لغياث الدين عاد الى بلاده وتوجه أخوه شهاب الدين الى بلاد الهند فغنم وفتح نهروالة وهى من أعظم بلاد الهند (وفي هذه السنة) في رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان مدينة ملطية وكانت لاخيه معز الدين قيصرشاه بن قليج أرسلان ثم سار ركن الدين الى أرزن الروم وكانت للملك محمد بن سليق وهو من بيت قديم ملكوا أرزن الروم من مدة طويلة فطلع صاحب أرزن الروم المذكور ليصالح ركن الدين فقبض عليه

وأخذ البلد منه وكان هذا محمد آخر الملوك من أهل بيته (وفيها) توفي سقمان بن محمد ابن قرا أرسلان بن داود بن سقمان ابن ارتق صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بحصن كيفا فمات وكان له أخ اسمه محمود بن محمد وكان سقمان يبغضه فابعده الى حصن منصور وكان قد جعل سقمان ولي عهده مملوكه اياس وكان يحبه حبا شديدا وأوصى له بالملك بعده فلما مات سقمان استولى اياس على البلاد فلم ينتظم له حال وكاتبوا أخاه محمودا فحضر وملك بلاد أخيه سقمان (وفيها) كان بمصر غلاء شديد بسبب نقص النيل (وفيها) كان بالجزيرة والشام والسواحل زلزلة عظيمة فهدمت مدنا كثيرة (وفيها) في رمضان توفي أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي الواعظ المشهور وتصانيفه مشهورة وكان كثير الوقيعة في العلماء وكان مولده سنة عشر وخمسمائة (ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة) في هذه السنة بعد رحيل الملك الافضل والظاهر عن دمشق كما ذكرنا قدم اليها الملك العادل وكان قد سار ميمون القصري مع الملك الظاهر فاقطعه اعزاز (وفيها) خرب الملك الظاهر قلعة منبج خوفا من انتزاعها منه وأقطع منبج بعد ذلك عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن أحمد المشطوب (وفيها) أرسل قراقوش نائب عبدالملك بن محمد بن عبدالملك بن المقدم بفامية الى الملك الظاهر يبذل له تسليم فامية بشرط أن يعطي شمس الدين عبدالملك بن المقدم اقطاعا يرضاه فاقطعه الملك الظاهر الراوندان وكفر طاب ومفردة المعرة وهو عشرون ضيعة معينة من بلاد المعرة وتسلم فامية ثم ان عبد الملك بن المقدم عصى بالراوندان فسار اليه الملك الظاهر واستنزله منها وابعده فلحق ابن المقدم بالملك العادل فأحسن اليه (وفيها) سار الملك العادل من دمشق ووصل الى حماة ونزل على تل صفرون وقام الملك المنصور صاحب حماة بجميع وظائفه وكلفه وبلغ الظاهر صاحب حلب وصول عمه العادل الى حماة بنية قصده ومحاصرته بحلب فاستعد للحصار بحلب وراسل عمه ولاطفه وأهدى اليه ووقعت بينهما مراسلات ووقع الصلح وانتزعت منه مفردة المعرة واستقرت للملك المنصور صاحب حماة وأخذت من الملك الظاهر أيضاً قلعة نجم وسلمت الى الملك الافضل وكان له سروج وسميساط وسلم الملك العادل حران ومامعها لولده الملك الاشرف مظفر الدين موسى وسيره الى الشرق وكان بميافارقين الملك الاوحد ابن الملك العادل وبقلعة جعبر الملك الحافظ نورالدين أرسلان شاه ابن الملك العادل ولما استقر الصلح بين الملك العادل والظاهر رجع الملك العادل الى دمشق وأقام بها وقد انتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها في سلك ملكه وخطب له على منابرها وضربت السكة فيها باسمه

ذكر غير ذلك

(في هذه السنة) عاد خوارزم شاه محمد بن تكش واسترجع البلاد التي أخذها الغورية من خراسان الى ملكه (وفيها) توفي هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت المنستيرى بضم الميم وفتح النون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ومنستير بليدة بأفريقية وكان هبة الله المذكور عالى الاسناد ولم يكن في عصره من هو في درجته سمع ابراهيم بن حاتم الاسدى وسمع جماعة من الاكابر وسمع الناس على هبة الله المذكور وسافروا اليه من البلاد لعلو اسناده وكان جده مسعود قد قدم من منستير الى بوصير فعرف هبة الله المذكور بالبوصيرى وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة (ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة) والملك العادل مقيم بدمشق (وفيها) في المحرم توفي فلك الدين سلطان أخو الملك العادل لامه وهو الذى تنسب اليه المدرسة الفلكية بدمشق

ذكر الحوادث باليمن

كان قد تملك اليمن الملك المعز اسمعيل بن سيف الاسلام بن طغتكين بن أيوب وكان فيه هوج وخبط فادعى انه قرشي وانه من بني أمية ولبس الخضرة وخطب بنفسه ولبس ثياب الخلافة في ذلك الزمان وكان طول الكم نحو عشرين شبرا وخرج عن طاعته جماعة من مماليك أبيه واقتتلوا معه وانتصر عليهم ثم اتفق معهم جماعة من الامراء الاكراد وقتلوا المعز اسمعيل وأقاموا في مملكة اليمن أخا له صغيرا وسموه الناصر وبقى مدة وأقام إتابكيته مملوك والده وهو سيف الدين سنقر ثم مات سنقر بعد أربع سنين وتزوج أم الناصر أمير من أمراء الدولة يقال له غازى بن جبريل وقام باتابكية الناصر ثم سم الناصر في كوز فقاع على ماقيل وبقى غازى متملكا للبلاد ثم قتله جماعة من العرب بسبب قتله للناصر ابن طغتكين وبقيت اليمن خالية بغير سلطان فتغلبت أم الناصر المذكور على زبيد وأحرزت عندها الاموال وكانت تنتظر وصول أحد من بني أيوب لتتزوج به وتملكه البلاد وكان للملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ولد اسمه سعد الدين شاهنشاه وكان له ابن اسمه سليمان فخرج سليمان بن شاهنشاه بن عمر فقيرا يحمل الركوة على كتفه وينتقل مع الفقراء من مكان الى مكان وكان قد أرسلت أم الناصر بعض غلمانها الى مكة حرسها الله تعالى في موسم الحاج ليأتيها بأخبار مصر والشام فوجد غلمانها سليمان المذكور فاحضروه الى اليمن فاستحضرته أم الناصر وخلعت عليه وملكته اليمن فملأ اليمن ظلما وجورا واطرح زوجته التي ملكته البلاد واعرض عنها وكتب الى السلطان الملك العادل وهو عم جده كتابا جعل في أوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم

فاستقل

فاستقل الملك العادل عقله ثم كان من سليمان المذكور ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفي هذه السنة) أرسل السلطان الملك العادل الى ولده الملك الاشرف وأمره بحصار ماردين فحصرها وضايقها ثم سعى الملك الظاهر الى الملك العادل في الصلح فأجاب الى أن يحمل اليه صاحب ماردين مائة ألف وخمسين ألف دينار ويخطب له ببلاده ويضرب السكة باسمه ويكون بخدمته متى طلبه فأجيب الى ذلك واستقر الصلح عليه (وفيها) أخرج الملك العادل الملك المنصور محمد بن العزيز من مصر الى الشام فسار بوالدته واخوته وأقام بحلب عند عمه الملك الظاهر (وفيها) سار الملك المنصور صاحب حماة الى بعرين مرابطا للفرنج وأقام بها وكتب الملك العادل الى صاحب بعلبك والى صاحب حمص بانجاده فانجداه واجتمعت الفرنج من حصن الاكراد وطرابلس وغيرها وقصدوا الملك المنصور ببعرين واتقعوا معه في ثالث شهر رمضان من هذه السنة واقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل وأسر من خيلهم جماعة وكان يوما مشهودا وفي ذلك يقول بهاء الدين أسعد بن يحيي السنجارى قصيدة من جملتها

مالذة العيش الاصوت مممعة ... ينال فيها المنى بالبيض والاسل
ياأيها الملك المنصور نصح فتى ... لم يلوه عن وفاء كثرة العذل
أعزم ولا تترك الدنيا بلا ملك ... وجد فالملك محتاج الى رجل
ياأوحد العصر ياخير الملوك ومن ... فاق البرية من حاف ومنتعل

ثم خرج من حصن الاكراد والمرقب الاسبتار وانضم اليهم جموع من السواحل واتقعوا مع الملك المنصور صاحب حماه وهو نازل ببعرين في الحادى والعشرين من شهر رمضان من هذه السنة بعد الوقعة الاولى بثمانية عشر يوما فانتصر ثانياً وانهزمت الفرنج هزيمة شنيعة وأسر الملك المنصور وقتل منهم عدة كثيرة ومدح الملك المنصور بسبب هذه الوقعة سالم بن سعادة الحمصى بقصيدة منها

أمر اللواحظ أن تفوق أسهما ... ريم برامة مارنا حتى رمى
فتانة بالسحر بل فتاكة ... ماجار قاضيهن حين تحكما

ومنها

أصبحت فيها مغرما كمحمد ... لما غدا بالاريحية مغرما

ومنها

وشننت منتقما بساحل بحرها ... جيشا حكى البحر الخضم عرمرما
أسدلت في الآفاق من هبواته ... ليلا واطلعت الاسنة أنجما

(وفي هذه السنة) ولد الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور محمد صاحب

حماة من ملكة خاتون بنت السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب وسمى عمر وانما سمي محمودا بعد ذلك وكانت ولادته بقلعة حماة ظهر يوم الثلاثاء رابع عشر رمضان من هذه السنة (وفي هذه السنة) أرسل الملك العادل وانتزع ما كان بيد الملك الافضل وهي رأس عين وسروج وقلعة نجم ولم يترك بيده غير سميساط فقط فأرسل الملك الافضل والدته فدخلت على الملك المنصور صاحب حماة ليرسل معها من يشفع في الملك الافضل عند الملك العادل في ابقاء ما كان بيده وتوجهت أم الملك الافضل وتوجه معها من حماة القاضي زين الدين ابن الهندى الى الملك العادل فلم يجبها الملك العادل ورجعت خائبة قال عز الدين بن الاثير مؤلف الكامل وقد عوقب البيت الصلاحي بمثل مافعله والدهم السلطان صلاح الدين لما خرجت اليه نساء بيت الاتابك ومن جملتهن بنت نور الدين الشهيد يشفعن في ابقاء الموصل على عز الدين مسعود فردهن ولم يجب الى سؤالهن ثم ندم رحمه الله تعالى على ردهن فجرى للملك الافضل ابن السلطان صلاح الدين مع عمه مثل ذلك ولما جرى ذلك أقام الملك الافضل بسميساط وقطع خطبة عمه الملك العادل وخطب للسلطان ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان بن مسعود السلجوقى صاحب بلاد الروم

(ذكر وفاة غياث الدين ملك الغورية)

(في هذه السنة) في جمادى الاولى توفي غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام بن الحسين الغورى صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها وكان أخوه شهاب الدين بطوس عازما على قصد خوارزم وخلف غياث الدين من الولد ابنا اسمه محمود ولقب غياث الدين بلقب والده ولم يحسن شهاب الدين الخلافة على ابن أخيه ولا على غيره من أهله وكان لغياث الدين زوجة يحبها وكانت مغنية فقبض عليها شهاب الدين بعد موت أخيه غياث الدين وضربها ضربا مبرحا وأخذ أموالها وكان غياث الدين مظفرا منصورا لم تنهزم له راية قط وكان له دهاء ومكر وكان حسن الاعتقاد كثير الصدقات وكان فيه فضل غزير وأدب مع حسن خط وبلاغة وكان ينسخ المصاحف بخطه ويوقفها في المدارس التى بناها وكان على مذهب الكرامية ثم تركه وصار شافعيا

(ذكر غير ذلك)

(وفي هذه السنة) استولى الكرج على مدينة دوين من أذربيجان ونهبوها وقتلوا أهلها وكانت هي وجميع أذربيجان للامير أبي بكر بن البهلوان وكان مشغولا ليلا ونهارا بشرب الخمر ولا يلتفت الى تدبير مملكته ووبخه أمراؤه ونوابه على ذلك فلم يلتفت (وفيها) توفيت زمرد أم الخليفة الامام الناصر وكانت كثيرة المعروف (ثم دخلت سنة ستمائة)

والملك العادل بدمشق (وفيها) كانت الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة وبين الفرنج (وفيها) نازل ابن لاوون ملك الارمن انطاكيـة فتحرك الملك الظاهر صاحب حلب ووصل الى حارم فرحل ابن لاوون عن انطاكية على عقبه (وفيها) خطب قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار للملك العادل ببلاده وانتمى اليـه فصعب على ابن عمه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود وقصد نصيبين وهي لقطب الدين واستولى على مدينتها فاستنجد قطب الدين بالملك الاشرف بن العادل فسار اليه واجتمع معه أخوه الملك الاوحد صاحب ميا فارقين والتقى الفريقان بقرية يقال لها بوشرة فانهزم نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل هزيمة قبيحة ودخل الى الموصل وليس معه غير أربعة أنفس وكانت هذه الواقعة أول ماعرفت من سعادة الملك الاشرف ابن العادل فانه لم ينهزم له راية بعد ذلك واستقرت بلاد قطب الدين محمد بن زنكي عليه ووقع الصلح بينهم في أول سنة احدى وستمائة (وفيها) اجتمع الفرنج لقصد بيت المقدس فخرج السلطان الملك العادل من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور في قبالة الفرنج ودام ذلك الى آخر السنة (وفيها) استولت الفرنج على قسطنطينية وكانت قسطنطينية بيـد الروم من قديم الزمان فلما كانت هذه السنة اجتمعت الفرنج وقصدتها في جموع عظيمة وحاصروها فملكوها وازالوا يد الروم عنها ولم تزل بأيدى الفرنج الى سنة ستين وستمائة فقصدتها الروم واستعادوها من الفرنج (وفيها) توفي السلطان ركن الدين سليمان ابن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان ابن سليمان بن قطلومش بن يبغو أرسلان ابن سلجوق سلطان بلاد الروم في سادس ذى القعدة حسبما قدمنا ذكره في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان مرضه بالقولنج وكان قبل مرضـه بخمسة أيام قد غدر بأخيه صاحب انكورية وهى أنقرة وكان ركن الدين المذكور يميل الى مذهب الفلاسفة ويحسن الى طائفتهم ويقدمهم ولما مات ركن الدين ملك ولده قليج أرسلان بن سليمان وكان صـغيرا فلم يستثبت أمره وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) كان بين خوارزم شاه محمـد بن تكش وبين شهاب الدين ملك الغورية قتال انتصر فيه ملك الغورية واستنجد خوارزم شاه بالخطا فساروا واتقعوا مع شـهاب الدين ملك الغورية فهزموه وشاع ببلاده ان شهاب الدين قتل فاختلفت مملكته وكثر المفسدون ثم انه ظهر ووصل الى غزنة واستقر في ملكه وتراجعت الامور الى ما كانت عليه (وفيها) قتل كلجا مملوك البهلوان وكان قد ملك الرى وهمدان وبلاد الجبل قتله خشداشـه أيدغمش مملوك البهلوان وتملك موضعه وأقام أيدغمش ابن أستاذه أزبك بن البهلوان في الملك وليس لازبك غير الاسم والحكم لايدغمش (وفيها) استولى انسان اسمه محمود بن محمد الحميرى

على طفار ومرباط وغيرهما من حضرموت (وفيها) خرج أسطول للفرنج فاستولوا على مدينة فوه من الديار المصرية فنهبوها خمسة أيام (وفيها) كانت زلزلة عظيمة عمت مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس والعراق وغيرها وخربت سور مدينة صور (ثم دخلت سنة احدى وستمائة) في هذه السنة كانت الهدنة بين الملك العادل والفرنج وسلم الى الفرنج يافا ونزل عن مناصفات لد والرملة ولما استقرت الهدنة أعطى العساكر دستورا وسار العادل الى مصر وأقام بدار الوزارة (وفيها) أغارت الفرنج على حماة ووصلوا الى قرب حماة الى قرية الرقيطا وامتلأت أيديهم من المكاسب وأسروا من أهل حماة شهاب الدين بن البلاعى وكان فقيها شجاعا تولى بر حماة مرة وسلمية أخرى وحمل الى طرابلس فهرب وتعلق بجبال بعلبك ووصل الى أهله بحماة سالما ثم وقعت الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة وبين الفرنج (وفيها) بعد الهدنة توجه الملك المنصور صاحب حماة الى مصر وكان عنده استشعار من السلطان الملك العادل فلما وصل اليه بالقاهرة أحسن اليه احسانا كثيرا وأقام في خدمته شهورا ثم خلع عليه وعلى أصحابه وعاد الى حماة (وفيها) ملك السلطان غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان بلاد الروم وكان لما تغلب أخوه ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان على البلاد قد هرب كيخسرو المذكور الى الملك الظاهر صاحب حلب ثم تركه وسار الى قسطنطينية فأحسن اليه صاحبها وأقام بالقسطنطينية الى ان مات أخوه ركن الدين سليمان وتولى ابنه قليج أرسلان فسار كيخسرو من قسطنطينية وازال أمر ابن أخيه وملك بلاد الروم واستقر أمره (وفيها) كانت الحرب بين الامير قتادة الحسينى أمير مكة وبين الامير سالم بن قاسم الحسينى أمير المدينة وكانت الحرب بينهما سجالا (ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة) والملك العادل بالديار المصرية والممالك بحالها

(ذكر قتل ملك الغورية شهاب الدين)

(في هذه السنة) أول ليلة من شعبان قتل شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام بن الحسين الغورى ملك غزنة وبعض خراسان بعد عوده من لهاوور بمنزل يقال له دمبل قبل صلاة العشاء وثب عليه جماعة وهو بخركاته وقد تفرق الناس عنه لاماكنهم فقتلوه بالسكاكين قيل انهم من الكوكبر وهم طائفة من أهل الجبال مفسدون كان شهاب الدين قد فتك فيهم وقيل انهم من الاسماعيلية فان شهاب الدين أيضاً كان كثير الفتك فيهم واجتمع حرس شهاب الدين فقتلوا أولئك الذين قتلوا شهاب الدين عن آخرهم وكان شهاب الدين شجاعا كثير الغزو عادلا في الرعية وكان الامام فخر الدين الرازى يعظه في داره فحضر يوما ووعظه وقال في آخر كلامه ياسلطان لاسلطانك يبقى ولا تلبيس الرازى

فبكى

فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس ولما قتل شهاب الدين كان صاحب باميان بهاء الدين سام بن شمس الدين محمد بن مسعود عم غياث الدين وشهاب الدين المذكور فسار بهاء الدين سام ليتملك غزنة ومعه ولداه علاء الدين محمد وجلال الدين ابنا سام بن محمد بن مسعود بن الحسيني فأدركت بهاء الدين سام الوفاة قبل أن يصل الى غزنة وعهد بالملك الى ابنه علاء الدين محمد فأتم علاء الدين وأخوه جلال الدين السير الى غزنة ودخلاها وتملكها علاء الدين وكان لغياث الدين ملك الغورية مملوك يقال له تاج الدين يلدز وكانت كرمان اقطاعه وهو كبير في الدولة ومرجع الاتراك اليه فسار يلدز الى غزنة وهزم عنها علاء الدين محمد بن بهاء الدين سام وأخاه جلال الدين واستولى يلدز على غزنة ثم ان علاء الدين وجلال الدين ولدى بهاء الدين سام سارا الى باميان وجمعا العساكر وعادا الى غزنة فقاتلهما يلدز فانتصرا عليه وانهزم يلدز الى كرمان واستقر علاء الدين محمد بن بهاء الدين سام ومعه بعض العسكر في ملك غزنة وعاد أخوه جلال الدين في باقي العسكر الى باميان ثم ان يلدز لما بلغه مسير جلال الدين في باقي العسكر الى باميان وتأخر علاء الدين بغزنة جمع العساكر من كرمان وغيرها وسار الى غزنة وبلغ علاء الدين محمد ابن بهاء الدين سام ذلك فأرسل الى أخيه جلال الدين وهو بباميان يستنجده وسار يلدز وحصر علاء الدين بغزنة وسار جلال الدين فلما قارب غزنة رحل يلدز الى طريقه واقتتلا فانهزم عسكر جلال الدين وأخذه يلدز أسيرا فأكرمه يلدز واحترمه وعاد الى غزنة فحصر علاء الدين بها وكان عنده بغزنة هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش فاستنزلهما يلدز بالامان ثم قبض على علاء الدين وعلى هندوخان وتسلم غزنة وأما غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية فانه لما قتل عمه شهاب الدين كان ببست فسار الى فيروزكوه وتملكها وجلس في دست أبيه غياث الدين وتلقب بالقابه وفرح به أهل فيروزكوه وسلك طريقة أبيه في الاحسان والعدل ولما استقل يلدز بغزنة وأسر جلال الدين وعلاء الدين ابني سام كتب الى غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ابن سام بن الحسين بالفتح وأرسل اليه الاعلام وبعض الاسرى

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

(في هذه السنة) توفي الامير مجير الدين طاشتكين أمير الحاج وكان قد ولاه الخليفة على جميع خورستان وكان خيرا صالحا وكان يتشيع (وفيها) تزوج أبو بكر بن البهلوان بابنة ملك الكرج وذلك لاشتغاله بالشرب عن تدبير المملكة فعدل الى المصاهرة والهدنة فكف الكرج عنه (ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة) في هذه السنة سار الملك العادل من مصر الى الشام ونازل في طريقه عكا فصالحه أهلها على اطلاق جمع من الاسرى ثم

وصل الى دمشق ثم سار منها ونزل بظاهر حمص على بحيرة قدس واستدعى بالعساكر فاتته من كل جهة وأقام على البحيرة حتى خرج رمضان ثم سار ونازل حصن الاكراد وفتح برج اعناز وأخذمنه سلاحا ومالا وخمسمائة رجل ثم سار ونازل طرابلس ونصب عليها المجانيق وعاث العسكر في بلادها وقطع قناتها ثم عاد في أواخر ذى الحجة الى بحيرة قدس بظاهر حمص

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) أرسل غياث الدين محمودبن غياث الدين محمد ملك الغورية يستميل يلدز مملوك أبيه المستولى على غزنة فلم يجبه يلدز الى ذلك وطلب يلدز من غياث الدين أن يعتقه فاحضر الشهود واعتقه وأرسل مع عتاقه هدية عظيمة وكذلك أعتق ايبك المستولى على بلاد الهند وأرسل نحو ذلك فقبل كل منهما ذلك وخطب له ايبك ببلاد الهند التى تحت يده وأما يلدز فلم يخطب له وخرج بعض العساكر عن طاعة يلدز لعدم طاعته لغياث الدين (وفيها) في ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم انطالية باللام وهى مدينة للروم على ساحل البحر (وفيها) قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وكان اتابك قتلغ مملوك شاهرمن فقبض عليه ابن بكتمر فثارت عليه أرباب الدولة وقبضوه وملكوا بلبان مملوك شاهرمن بن سقمان صاحب خلاط حسبما تقدم ذكره في سنة أربع وتسعين وخمسمائة (ثم دخلت سنة أربع وستمائة) والملك العادل نازل على بحيرة قدس ثم وقع الهدنة بينه وبين صاحب طرابلس وعاد الملك العادل الى دمشق وأقام بها

﴿ ذكر استيلاء الملك الاوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل على خلاط ﴾

(في هذه السنة) ملك الملك الاوحد أيوب ابن الملك العادل خلاط وكان صاحب خلاط بلبان حسبما قدمنا ذكره في سنة أربع وتسعين وخمسمائة فسار الملك الاوحد من ميافارقين وملك مدينة موش ثم اقتتل هو وبلبان صاحب خلاط فانهزم بلبان واستنجد بصاحب أرزن الروم وهو مغيث الدين طغريل شاه بن قليج أرسلان السلجوقى فسار طغريل شاه واجتمع به بلبان فهزما الملك الاوحد ثم غدر طغريل شاه ببلبان فقتله غدرا ليملك بلاده وقصد خلاط فلم يسلموها اليه وقصد منا ذكرد فلم تسلم اليه فرجع طغريل شاه الى بلاده فكاتب أهل خلاط الملك الاوحد فسار اليهم وتسلم خلاط وبلادها بعد اياسه منها واستقر ملكه بها (وفي هذه السنة) لما استقر الملك العادل بدمشق

وصل

وصل اليه التشريف من الخليفة الامام الناصر صحبة الشيخ شهاب الدين السهروردى فبالغ الملك العادل في اكرام الشيخ والتقاه الى القصير ووصل من صاحبي حلب وحماة ذهب لينثر على الملك العادل اذا لبس الخلعة فلبسها الملك العادل ونثر ذلك الذهب وكان يوما مشهودا والخلعة جبة أطلس اسود بطراز مذهب وعمامة سوداء بطراز مذهب وطوق ذهب مجوهر تطوق به الملك العادل وسيف جميع قرابه ملبس ذهبا تقلد به وحصان أشهب بمركب ذهب ونشر على رأسه علم اسود مكتوب فيه بالبياض اسم الخليفة ثم خلع رسول الخليفة على كل واحد من الملك الاشرف والملك المعظم ابنى الملك العادل عمامة سوداء وثوبا اسود واسع الكم وكذلك على الوزير صفى الدين بن شكر وركب الملك العادل وولداه ووزيره بالخلع ودخل القلعة وكذلك وصل الى الملك العادل مع الخلعة تقليد بالبلاد التى تحت حكمه وخوطب الملك العادل فيه شاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين ثم توجه الشيخ شهاب الدين الى مصر فخلع على الملك الكامل بها وجرى فيها نظير ماجرى في دمشق من الاحتفال ثم عاد السهروردى الى بغداد مكرما معظما (وفي هذه السنة) اهتم الملك العادل بعمارة قلعة دمشق والزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج من أبراجها

﴿ذكر قتل خوارزم شاه مع الخطا بما وراء النهر﴾

(في هذه السنة) كاتبت ملوك ماوراء النهر مثل ملك سمرقند وملك بخارى خوارزم شاه يشكون مايلقونه من الخطا ويبذلون له الطاعة والخطبة والسكة ببلادهم ان دفع الخطا عنهم فعبر علاء الدين محمد خوارزم شاه ابن تكش نهر جيحون واقتتل مع الخطا وكان بينهم عدة وقائع والحرب بينهم سجال واتفق في بعض الوقعات ان عسكر خوارزم شاه انهزم وأخذ خوارزم شاه محمد أسيرا وأسر معه شخص من أصحابه يقال له فلان ابن شهاب الدين مسعود ولم يعرفهما الخطاى الذى أسرهما فقال ابن مسعود لخوارزم شاه دع عنك المملكة وادع انك غلامي واخدمني لعلى احتال في خلاصك فشرع خوارزم شاه يخدم ابن مسعود ويقلعه قماشه وخفه ويلبسه ويخدمه فسأل الخطاى ابن مسعود من أنت قال أنا فلان فقال له الخطاى لولا أخاف من الخطا أطلقتك فقال له ابن مسعود انى أخشى أن ينقطع خبرى عن أهلى فلا يعلمون بحياتى واشتهى ان أعلمهم بحالى لئلا يظنوا موتى ويتقاسموا مالى فأجابه الخطاى الى ذلك فقال ابن مسعود أشتهى أن أبعث بغلامي هذا مع رسولك ليصدقوه فأجابه الى ذلك وراح خوارزم شاه مع ذلك الشخص حتى قرب من خوارزم فرجع الخطاى واستقر خوارزم شاه في ملكه وتراجع اليه عسكره وكان لخوارزم شاه أخ يقال له على شاه ابن تكش وكان نائب أخيه بخراسان فلما بلغه عدم

أخيه في الوقعة مع الخطا دعى الى نفسه بالسلطنة واختلفت الناس بخراسان وجرى فيها فتن كثيرة فلما عاد خوارزمشاه محمد الي ملكه خاف أخوه علي شاه فسار الى غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية فأكرمه غياث الدين محمود وأقام علي شاه عنده بفيروزكوه

﴿ ذكر قتل غياث الدين محمود وعلي شاه ﴾

ولما استقر خوارزم شاه في ملكه وبلغه مافعله أخوه علي شاه أرسل عسكرا الى قتال غياث الدين محمود الغورى فسار العسكر الى فيروزكوه مع مقدم يقال له أمير ملك فسار الى فيروزكوه وبلغ ذلك محمودا فأرسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فأعطاه أمير ملك الامان فخرج غياث الدين محمود من فيروزكوه ومعه علي شاه فقبض عليهما أمير ملك وأرسل يعلم خوارزمشاه بالحال فأمره بقتلهما فقتلهما في يوم واحد واستقامت خراسان كلها لخوارزمشاه محمد بن تكش وذلك في سنة خمس وستمائة وهذا غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد بن سام بن الحسين هو آخر الملوك الغورية وكانت دولتهم من أحسن الدول وكان هذا محمود كريما عادلا رحمة الله عليه ثم ان خوارزمشاه محمدا لما خلا سره من جهة خراسان عبر النهر وسار الى الخطا وكان وراء الخطا في حدود الصين التتر وكان ملكهم حينئذ يقال له كشلي خان وكان بينه وبين الخطا عداوة مستحكمة فأرسل كل من كشلي خان ومن الخطا يسأل خوارزم شاه أن يكون معه على خصمه فأجابهما خوارزم شاه بالمغلطة وانتظر مايكون منهما فاتقع كشلي خان والخطا فانهزمت الخطا فمال عليهم خوارزم شاه وفتك فيهم وكذلك فعل كشلي خان بهم فانقرضت الخطا ولم يبق منهم الا من اعتصم بالجبال أو استسلم وصار في عسكر خوارزم شاه ﴿ ثم دخلت سنة خمس وستمائة ﴾ والملك العادل بدمشق وعنده ولداه الملك الاشرف والمعظم

﴿ ذكر قدوم الاشرف الى حلب متوجها الى بلاده الشرقية ﴾

(وفي هذه السنة) توجه الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل من دمشق راجعا الى بلاده الشرقية ولما وصل الى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر وأنزله بالقلعة وبالغ في اكرامه وقام للاشرف ولجميع عسكره بجميع مايحتاجون اليه من الطعام والشراب والحلوى والملوفات وكان يحمل اليه في كل يوم خلعة كاملة وهي غلالة وقباء وسراويل وكمة وفروة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين ودلكش وخمس خلع لاصحابه وأقام على ذلك خمسة وعشرين يوما وقدم له تقدمة وهي مائة ألف درهم ومائة بقجة مع مائة مملوك فنها عشر بقج في كل واحدة منها ثلاثة أثواب أطلس وثوبان خطاى وعلى كل

بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة منها عشرة أثواب عتابى خوارزمى وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة خمسة أثواب عتابى بغدادى وموصلى وعليها عشرة جلود قندس صغار ومنها عشرون في كل واحدة خمس قطع مرسوسى وديبقى ومنها أربعون في كل واحدة منها خمسة أقبية وخمس كام وحمل اليه خمس حصن عربية بعدتها وعشرين اكديشا وأربعة قطر بغال وخمس بغلات فائقات بالسروج واللجم المكفنة وقطارين من الجمال وخلع على أصحابه مائة وخمسين حلعة وقاد الى أكثرهم بغلات وأكاديش ثم سار الملك الاشرف الى بلاده (وفي هذه السنة) أمر الملك الظاهر صاحب حلب باجراء القناة من حيلان الى حلب وغرم على ذلك أموالا كثيرة وبقى البلد يجرى الماء فيه (وفي هذه السنة) وصل غياث الدين كيخسرو ابن قليج أرسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم الى مرعش لقصد بلاد ابن لاوون الارمنى وأرسل اليه الملك الظاهر نجدة فدخل كيخسرو الى بلاد ابن لاوون وعاث فيها ونهب وفتح حصنا يعرف بفرقوس

(ذكر مقتل صاحب الجزيرة)

(في هذه السنة) قتل معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود بن عماد الدين بن زنكى بن اقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وقد تقدم ذكر ولايته في سنة ست وسبعين وخمسمائة قتله ابنه غازى وكان سنجر شاه ظالما قبيح السيرة جدا لا يمتنع عن قبيح يفعله من القتل وقطع الالسنة والانوف والآذان وحلق اللحى وتعدى ظلمه الى أولاده وحريمه فبعث ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فحبسهما فيها وحبس ابنه المذكور غازى في دار في المدينة وضيق عليه وكان بتلك الدار هوام كثيرة فاصطاد غازى المذكور منها حية وأرسلها الى أبيه في منديل لعله يرق عليه فلم يزده ذلك الا قسوة فأعمل غازى الحيلة حتى هرب وكان له واحد يخدمه فقرر معه أن يسافر ويظهر انه غازى بن معز الدين سنجر شاه ليأمنه أبوه فمضى ذلك الانسان الى الموصل فأعطى شيئا وسافر منها واتصل ذلك بسنجر شاه فاطمأن وتوصل ابنه غازى حتى دخل الى دار أبيه واختفى عند بعض سرارى أبيه وعلم به جماعة منهم وكتموا ذلك عن سنجر شاه لبغضهم فيه واتفق ان سنجر شاه شرب يوما بظاهر البلد وشرع يقترح على المغنين الاشعار الفراقية وهو يبكى ودخل داره سكران الى عند الحظية التى ابنه مخبأ عندها ثم قام معز الدين سنجر شاه ودخل الخلاء فهجم عليه ابنه غازى فضربه أربع عشرة ضربة بالسكين ثم ذبحه وتركه ملقى ودخل غازى الحمام وقعد يلعب مع الجوارى فلو أحضر الجند واستحلفهم في ذلك الوقت لتم له الامر وملك البلاد ولكنه تنكر واطمأن فخرج بعض الخدم واعلم أستاذ

الدار فجمع الناس وهجم على غازى وقتله وحلف العسكر لاخيه محمود بن سنجر شاه ولقب معز الدين بلقب أبيه ووصل معز الدين محمود بن سنجر شاه بن زنكى واستقر ملكه بالجزيرة وقبض على جوارى أبيه فغرقهن في دجلة ثم قبض محمود بعد ذلك أخاه مودودا (ثم دخلت سنة ست وستمائة) في هذه السنة سار الملك العادل من دمشق وقطع الفرات وجمع العساكر والملوك من أولاده ونزل حران ووصل اليه بها الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا أرسلان الارتقى صاحب آمد وحصن كيفا وسار الملك العادل من حران ونازل سنجار وبها صاحبها قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى بن مودود ابن عماد الدين زنكى فحاصرها وطال الامر في ذلك ثم خامرت العساكر التى صحبة الملك العادل ونقض الملك الظاهر صاحب حلب الصلح معه فرحل عن سنجار وعاد الى حران واستولى الملك العادل على نصيبين وكانت لقطب الدين محمد المذكور وكذلك استولى على الخابور (وفي هذه السنة) توفي الملك المؤيد نجم الدين مسعود ابن السلطان صلاح الدين (وفيها) توفي الامام فخر الدين محمد بن عمر خطيب الرى بن الحسين بن الحسن بن على التميمى البكرى الطبرستانى الاصل الرازى المولد الفقيه الشافعى صاحب التصانيف المشهورة قال ابن الاثير وبلغنى ان مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وكان فخر الدين المذكور مع فضائله يعظ وله فيه اليد الطولى وكان يعظ باللسانين العربى والعجمى ويلحقه في الوعظ الوجد والبكاء وكان أوحد زمانه في المعقولات والاصول واشتغل في أول زمانه على والده ثم قصد الكمال السمعانى واشتغل عليه ثم عاد الى الرى واشتغل على المجد الجيلى وسافر الى خوارزم وما وراء النهر وجرى له بكردكوه ما تقدم ذكره وأخرج منها بسبب الكرامية واتصل بشهاب الدين الغورى صاحب غزنة وحصل له منه مال طائل ثم عاد فخر الدين الى خراسان واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن تكش وحظى عنده ولفخر الدين نظم حسن فمنه

نهاية اقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا

وكانت العلماء يقصدونه من البلاد وتشد اليه الرحال وقصده ابن عنين الشاعر ومدحه بقصائد (وفيها) في سلخ الحجة توفي مجد الدين بن السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم ومولده سنة أربع وأربعين وخمسمائة المعروف بابن الاثير أخو عز الدين على المؤرخ مؤلف الكامل في التاريخ وكان مجد الدين المذكور عالماً بالفقه والاصولين

والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة وكان كاتبا مفلقا (وفيها) توفي المجد المطرز النحوى الخوارزمي وكان اماما في النحو وله فيه تصانيف حسنة (ثم دخلت سنة سبع وستمائة) فيها عاد السلطان الملك العادل من البلاد الشرقية الى دمشق وفيها قصدت الكرج خلاط وحصروا الملك الاوحد ابن الملك العادل بها واتفق ان ملك الكرج شرب وسكر فحسن له السكر انه تقدم الى خلاط في عشرين فارسا فخرجت اليه المسلمون فتقنطر وأخذ أسيرا وحمل الى الملك الاوحد فرد على الملك الاوحد عدة قلاع وبذل اطلاق خمسة آلاف أسير ومائة ألف دينار وعقد الهدنة مع المسلمين ثلاثين سنة وشرط أن يزوج ابنته بالملك الاوحد فتسلم ذلك منه وأقام وتحالفا وأطلق

﴿ ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل ﴾

(في هذه السنة) توفي نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل في آخر رجب وكان مرضه قد طال وملك الموصل سبع عشرة سنة واحد عشر شهرا ولما اشتد مرضه انحدر الى العين القيارة ليستحم بها وعاد الى الموصل في سيارة فتوفي في الطريق ليلا وكان أسمر حسن الوجه قد أسرع اليه الشيب وكان شديد الهيبة على أصحابه وكان عنده قلة صبر في أموره واستقر في ملكه بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود وكان عمر القاهر عشر سنين وقام بتدبير مملكته بدر الدين لولو وكان لولو مملوك والده أرسلان شاه وأستاذ داره وهذا لولو هو الذى ملك الموصل على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وكان لارسلان شاه ولد آخر أصغر من القاهر اسمه عماد الدين زنكي ملكه أبوه قلعتى العقر وشوش وهما بالقرب من الموصل

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

(وفي هذه السنة) وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله الى ملوك الاطراف أن يشربوا له كاس الفتوة ويلبسوا له سراويلها وان ينتسبوا اليه في رمى البندق ويجعلوه قدوتهم (وفيها) سار الملك العادل بعد وصوله الى دمشق ومقامه الى الديار المصرية وأقام بدار الوزارة (وفيها) توفي فخر الدين جهاركس مقدم الصلاحية وكبيرهم

(ذكر وفاة الملك الاوحد صاحب خلاط)

(في هذه السنة) توفي الملك الاوحد أيوب بن الملك العادل فسار أخوه الملك الاشرف وملك خلاط واستقل بملكها مضافا الى مابيده من البلاد الشرقية فعظم شأنه ولقب شاهرمن (وفي هذه السنة) قتل غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم قتله ملك الاشكرى

وملك بعده ابنه كيكاوس بن كيخسرو بن قليج أرسلان حسبما تقدم ذكره في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (ثم دخلت سنة ثمان وستمائة) في هذه السنة قبض الملك المعظم عيسى بن الملك العادل على عز الدين اسامة صاحب قلعتي كوكب وعجلون بأمر أبيه الملك العادل وحبسه في الكرك الى ان مات بها وحاصر القلعتين المذكورتين وتسلمهما من غلمان أسامة وأمر الملك العادل بتخريب كوكب وتعفية أثرها فخربت وبقيت خرابا وأبقى عجلون وانقرضت الصلاحية بهذا اسامة وملك الملك المعظم بلاد جهاركس وهي بانياس وما معها لاخيه شقيقه الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك العادل وأعطى صرخد مملوكه عز الدين أيبك المعظمى (وفي هذه السنة) عاد الملك العادل الى الشام وأعطى ولده الملك المظفر غازى الرها مع ميا فارقين (وفيها) أرسل الملك الظاهر القاضى بهاء الدين بن شداد الى الملك العادل فاستعطف خاطره وخطب ابنته ضيفة خاتون ابنة الملك العادل فزوجها من الملك الظاهر وزال ما كان بينهما من الاحن (وفيها) أظهر الكيا جلال الدين حسن صاحب الألموت وهو من ولد ابن الصباح شعائر الاسلام وكتب به الى جميع قلاع الاسماعيلية بالعجم والشام فأقيمت فيها شعائر الاسلام (وفيها) توفي أبو حامد محمد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعي بمدينة الموصل وكان اماما فاضلا وكان حسن الاخلاق (وفيها) توفي القاضى السعيد المعروف بابن سنا الملك وهو هبة الله بن جعفر بن سنا الملك السعدى الشاعر المشهور المصرى أحد الفضلاء الرؤساء صاحب النظم الفائق وكان كثير التنعم وافر السعادة محظوظا من الدنيا مدح توران شاه أخا السلطان صلاح الدين بقصيدة مطلعها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم ... وفارقت لكن كل عيش مذمم

فهجن بعض الفضلاء هذا المطلع وعابوه ومن شعره أيضاً

لا الغصن يحكيك ولا الجوذر ... حسنك مما كثروا أكثر

يا باسما أهدى لنا ثغره ... عقدا ولكن كله جوهر

قال لى اللاحى أما تستمع ... فقلت للاحى أما تبصر

(ثم دخلت سنة تسع وستمائة) في هذه السنة في المحرم عقد الملك الظاهر على ضيفة خاتون بنت الملك العادل وكان المهر خمسين ألف دينار وتوجهت من دمشق في المحرم الى حلب فاحتفل الملك الظاهر للتقاها وقدم لها أشياء كثيرة نفيسة *(وفيها)* عمر الملك العادل قلعة الطور وجمع لها الصناع من البلاد والعسكر حتى تمت *(وفي هذه السنة)* سار طغريل شاه بن قليج أرسلان صاحب أرزن الروم وحاصر ابن أخيه سلطان الروم كيكاوس بسيواس فاستنجد كيكاوس بالاشرف بن العادل فخاف عمه طغريل

ورحل

ورحل عنه وكان لكيكاوس أخ اسمه كيقباذ فلما جرى ماذ كرناه سار كيقباذ واستولى على أنكورية من بلاد أخيه كيكاوس فسار كيكاوس وحصره وفتح أنكورية وقبض على أمرائه وحلق لحاهم ورؤسهم واركب كل واحد منهم فرسا واركب قدامه وخلفه قحبتين وبيد كل منهما معلاق تصفعه به وبين يدى كل واحد منهم مناد ينادى هذا جزاء من خان سلطانهم (ثم دخلت سنة عشر وستمائة) في هذه السنة ظفر عزالدين كيكاوس بن كيخسرو صاحب بلاد الروم بعمه طغريل شاه فأخذ بلاده وقتله وذبح أ كثر أمرائه وقصد قتل أخيه علاء الدين كيقباذ فشفع فيه بعض أصحابه فعفا عنه (وفيها) في رمضان توفي بحلب فارس الدين ميمون القصرى وهو آخر من بقي من كبراء الامراء الصلاحية وهو منسوب الى قصر الخلفاء بمصر كان قد أخذه السلطان صلاح الدين من هناك (وفيها) ولد للملك الظاهر من ضيفة خاتون بنت الملك العادل ولده الملك العزيز غياث الدين محمد (وفي هذه السنة) قتل أيدغمش مملوك البهلوان وكان قد غلب على المملكة وهى همذان والجبال قتله خشداش له من البهلوانية اسمه منكلى وكان أيدغمش قد هرب منه والتجأ الى الخليفة في سنة ثمان وستمائة ورجع أيدغمش في هذه السنة الى جهة همذان فقتل واستقل منكلى بالملك ﴿وفي هذه السنة﴾ في شعبان توفي ملك المغرب محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وكانت مدة مملكته نحو ست عشرة سنة وكان أشقر أسيل الخد دائم الاطراق كثير الصمت للثغة كانت في لسانه وقد تقدم ذ كر ولايته في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ولما مات محمد الناصر المذكور ملك بعده ولده يوسف وتلقب بالمستنصر أمير المؤمنين ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وكنيته أبو يعقوب ﴿وفيها﴾ وقيل في السنة التى قبلها توفي على بن محمد بن على المعروف بابن خروف النحوى الاندلسى الاشبيلى شرح كتاب سيبويه شرحا جيدا وشرح الجمل للزجاجى ﴿وفيها﴾ توفي عيسى بن عبد العزيز الجزولى بمراكش وكان اماما في النحو صنف مقدمته الجزولية وسماها القانون أتى فيها بالعجائب واعتنى بها جماعة من الفضلاء وأكثر النحاة يعترفون بقصور أفهامهم عن ادراك مراده منها فانها كلها رموز واشارات قدم الجزولى المذكور الى ديار مصر على ابن برى النحوى ثم عاد الى الغرب والجزولى بضم الجيم منسوب الى جزولة وهى بطن من البربر ويقال لها كزولة أيضاً وشرح مقدمته في مجلد كبير أتى فيه بغرائب وفوائد ﴿ثم دخلت سنة احدى عشر وستمائة﴾ في هذه السنة توفي دلدرم بن ياروق صاحب تل باشر وولى تل باشر بعده ابنه فتح الدين ﴿وفيها﴾ توفي الشيخ على بن أبى بكر الهروى وله التربة المعروفة شمالى حلب وكان عارفا بأنواع الحيل والشعبذة والسيماوية تقدم عند الملك الظاهر غازى صاحب حلب

وله أشعار كثيرة وتغرب في البلاد ودار غالب المعمور ﴿وفيها﴾ أسرت التركمان ملك الاشكرى وهو قاتل غياث الدين كيخسرو فحمل الى ابنه كيكاوس بن كيخسرو فأراد قتله فبذل له في نفسه أموالا عظيمة وسلم الى كيكاوس قلاعا وبلادا لم يملكها المسلمون قط ﴿وفيها﴾ عاد الملك العادل من الشام الى مصر ﴿وفيها﴾ توفي الدكز عبد السلام ابن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي ببغداد ولي عدة ولايات وكان يتهم بمذهب الفلاسفة اعتقل قبل موته وأظهرت كتبه وفيها الكفريات مثل مخاطبة زحل وغيره بالالهية وأحرقت ثم شفع فيه أبوه فافرج عنه وعاد الى أعماله ﴿وفيها﴾ توفي في شوال عبد العزيز بن محمود بن الاخضر وله سبع وثمانون سنة وهو من فضلاء المحدثين ﴿ثم دخلت سنة اثنتي عشر وستمائة﴾

ذكر استيلاء الملك المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل على اليمن

قد تقدم ذكر استيلاء سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب في سنة تسع وتسعين وخمسمائة على اليمن وانه ملأها ظلما وجورا وانه أطرح زوجته التي ملكته فلما جاءت هذه السنة بعث الملك الكامل ابن الملك العادل ابنه الملك المسعود يوسف المعروف باقسيس الى اليمن ومعه جيش فاستولى الملك المسعود على اليمن وظفر بسليمان المذكور صاحب اليمن وبعث به معتقلا الى مصر فأجرى له الملك الكامل مايقوم به ولم يزل سليمان المذكور مقيما بالقاهرة الى سنة سبع وأربعين وستمائة فخرج الى المنصورة غازيا فقتل شهيدا ﴿وفي هذه السنة﴾ توفي الامير علي ابن الامام الناصر ووجد عليه الخليفة وجدا عظيما وأكثر الشعراء من المراثي فيه ﴿وفي هذه السنة﴾ تجمعت العساكر من بغداد وغيرها وقصدوا منكلي صاحب همذان وأصفهان والري وما بينهما من البلاد فانهزم وقتل في ساوة وتولى موضعه أغلمش أحد المماليك البهلوانية أيضاً ﴿وفيها﴾ في شعبان ملك خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش مدينة غزنة وأعمالها وأخذها من يلدز مملوك شهاب الدين الغوري فهرب يلدز الى لهاوور من الهند واستولى عليها ثم سار يلدز عن لهاوور واستولى على بعض بلاد الهند الداخلة تحت حكم قطب الدين أيبك خشداش يلدز المذكور فجرى بينه وبين عسكر قطب الدين أيبك مصاف فقتل فيه يلدز وكان يلدز حسن السيرة في الرعية كثير الاحسان اليهم ﴿وفيها﴾ توفي الوجيه المبارك ابن أبي الازهر سعيد بن الدهان النحوي الضرير وكان فاضلا قرأ على ابن الانباري وغيره وكان حنبليا فصار حنفيا ثم صار شافعيا فقال فيه أبو البركات زيد التكريتي

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة ... وان كان لاتجدي اليه الرسائل

تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل وفارقته اذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأى الشافعى تدينا ولكنما تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر الى مالك فافطن بما أنا قائل

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة)

ذكر وفاة الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب

ولما كانت صبيحة يوم السبت وهو الخامس والعشرون من جمادى الاولى من هذه السنة ابتدأ بالملك الظاهر المذكور حمى حادة ولما اشتد مرضه أحضر القضاة والاكابر وكتب نسخة يمين أن يكون الملك بعده لولده الصغير الملك العزيز ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن غازى وبعدهما لابن عمهما الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين وحلف الامراء والاكابر على ذلك وجعل الحكم في الاموال والقلاع الى شهاب الدين طغريل الخادم وأعذق به جميع أمور الدولة وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة أقطع الملك الظافر خضر المعروف بالمستمر كفرسودا وأخرج من حلب في ليلته بالتوكيل وأخرج علم الدين قيصر مملوك الملك الظاهر الى حارم نائباً وفي خامس عشر جمادى الآخرة اشتد مرض الملك الظاهر ومنع الناس الدخول اليه وتوفي في ليلة الثلاثاء لعشرين من جمادى الآخرة وكان مولده بمصر في نصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة فكان عمره أربعا وأربعين سنة وشهورا وكانت مدة ملكه لحلب من حين وهبها له أبوه احدى وثلاثين سنة وكان فيه بطش واقدام على سفك الدماء ثم أقصر عنه وهو الذى جمع شمل البيت الناصرى الصلاحى وكان ذكيا فطنا وترتب الملك العزيز في المملكة ورجع الامور كلها الى شهاب الدين طغريل الخادم فدبر الامور وأحسن السياسة وكان عمر الملك العزيز لما قرر في المملكة سنتين وأشهرا وعمر أخيه الملك الصالح نحو اثنتى عشرة سنة (وفي هذه السنة) توفي تاج الدين زيد بن الحسين بن زيد الكندى وكان اماما في النحو واللغة وله الاسناد العالى في الحديث وكان ذا فنون كثيرة في أنواع العلم وهو بغدادى المولد والمنشأ وانتقل وأقام بدمشق (ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة) والسلطان الملك العادل بالديار المصرية وقد اجتمعت الفرنج من داخل البحر ووصلوا الى عكا في جمع عظيم ولما بلغ الملك العادل ذلك خرج بعساكر مصر وسار حتى نزل على نابلس فسارت الفرنج اليه ولم يكن معه من العساكر مايقدر به على مقاتلتهم فاندفع قدامهم الى عقبة أفيق فأغاروا على بلاد المسلمين ووصلت غاراتهم الى نوى من بلد السواد ونهبوا مابين بيسان ونابلس وبثوا سراياهم فقتلوا وغنموا من

المسلمين مايفوت الحصر وعادوا الى مرج عكا وكان قوة هذا النهب مابين منتصف رمضان وعيد الفطر من هذه السنة وأقام الملك العادل بمرج الصفر وسارت الفرنج وحصروا حصن الطور وهو الذى بناه الملك العادل على ماتقدم ذكره ثم رحلوا عنه وانقضت السنة والفرنج بجموعهم في عكا

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) سار خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش الى بلاد الجبل وغيرها فملكها فمنها ساوة وقزوين وزنجان وابهر وهمذان وأصفهان وقم وقاشان ودخل أزبك ابن البهلوان صاحب أذربيجان وأران في طاعة خوارزم شاه وخطب له ببلاده ثم عزم خوارزم شاه على المسير الى بغداد للاستيلاء عليها وقدم بعض العسكر بين يديه وسار خوارزم شاه في أثرهم عن همذان يومين أو ثلاثة فسقط عليهم من الثلج مالم يسمع بمثله فهلكت دوابهم وخاف من حركة التتر على بلاده فولى على البلاد التى استولى عليها وعاد الى خراسان وقطع خطبة الخليفة الامام الناصر من بلاد خراسان في سنة خمس عشرة وستمائة وكذلك قطعت خطبة الخليفة من بلاد ماوراء النهر وبقيت خوارزم وسمرقند وهراة لم يقطع الخطبة منها فان أهل هذه البلاد كانوا لا يلتزمون بمثل هذا بل يخطبون لمن يختارون ويفعلون نحو ذلك (ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة) والملك العادل بمرج الصفر وجموع الفرنج بمرج عكا ثم ساروا منها الى الديار المصرية ونزلوا على دمياط وسار الملك الكامل ابن الملك العادل من مصر ونزل قبالتهم واستمر الحال كذلك أربعة أشهر وأرسل الملك العادل العساكر التى عنده الى عند ابنه الملك الكامل فوصلت اليه أولا فأولا ولما اجتمعت العساكر عند الملك الكامل أخذ في قتال الفرنج ودفعهم عن دمياط

(ذكر وفاة الملك القاهر صاحب الموصل)

(في هذه السنة) توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل وكانت وفاته لثلاث بقين من ربيع الاول وكانت مدة ملكه سبع سنين وتسعة أشهر وانقرض بموته ملك البيت الاتابكى وخلف ولدين أكبرهما اسمه أرسلان شاه وكان عمره حينئذ نحو عشر سنين فأوصى بالملك له وأن يقوم بتدبير مملكته بدر الدين لولو فنصبه بدر الدين لولو في المملكة وجعل الخطبة والسكة باسمه وقام لولو بتدبير المملكة أحسن قيام

ذكر

(ذكر وفاة كيكاوس بن كيخسرو صاحب بلاد الروم حلب)

ولما مات الملك الظاهر صاحب حلب وأجلس ابنه العزيز في المملكة وكان طفلا طمع صاحب بلاد الروم كيكاوس في الاستيلاء على حلب فاستدعى الملك الافضل صاحب سميساط واتفق معه كيكاوس أن يفتح حاب و بلادها ويسلمها الى الملك الافضل ثم يفتح البلاد الشرقية التي بيد الملك الاشرف ابن الملك العادل ويتسلمها كيكاوس وتحالفا على ذلك وسار كيكاوس الى جهة حلب ومعه الملك الافضل ووصلا الى رعبان واستولى عليها كيكاوس وسلمها الى الملك الافضل فمالت اليه قلوب أهل البلاد لذلك ثم سار الى تل باشر وبها ابن دلدرم ففتحها ولم يسلمها الى الملك الافضل وأخذها كيكاوس لنفسه فنفر خاطر الملك الافضل وخواطر أهل البلاد بسبب ذلك ووصل الملك الاشرف ابن الملك العادل الى حلب لدفع كيكاوس عن البلاد ووصل اليه بها الامير مانع ابن حديثه أمير العرب في جمع عظيم وكان قد سار كيكاوس الى منبج وتسلمها لنفسه أيضاً وسار الملك الاشرف بالجموع التي معه ونزل وادى بزاعا واتقع بعض عسكره مع مقدمة عسكر كيكاوس فانهزمت مقدمة عسكر كيكاوس وأخذ من عسكر كيكاوس عدة أسرى فأرسلوا الى حلب ودقت البشائر لها ولما بلغ ذلك كيكاوس وهو بمنبج ولى منهزما مرعوبا وتبعه الملك الاشرف يتخطف أطراف عسكره ثم حاصر الاشرف تل باشر واسترجعها وكذلك استرجع رعيان وغيرها وتوجه الملك الافضل الى سميساط ولم يتحرك بعدها في طاب ملك الى ان مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وعاد الملك الاشرف الى حلب وقد بلغه وفاة أبيه

(ذكر وفاة السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب)

كان الملك العادل نازلا بمرج الصفر وقد أرسل العساكر الى ولده الملك الكامل بالديار المصرية ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر الى عالقين وهى عند عقبة أفيق فنزل بها ومرض واشتد مرضه ثم توفي هناك الى رحمة الله تعالى سابع جمادى الآخرة من هذه السنة أعنى سنة خمس عشرة وستمائة وكان مولده سنة أربعين وخمسمائة وكان عمره خمسا وسبعين سنة وكانت مدة ملكه لدمشق ثلاث وعشرين سنة وكانت مدة ملكه لمصر نحو تسع عشرة سنة وكان الملك العادل رحمه الله تعالى حازما متيقظا غزير العقل سديد الآراء ذا مكر وخديعة صبورا حليما يسمع مايكره ويغضى عنه وأتته السعادة واتسع ملكه وكثرت أولاده ورأى فيهم مايحب ولم ير أحد من الملوك الذين اشتهرت أخبارهم في أولاده من الملك والظفر مارآه الملك العادل في أولاده ولقد اجاد شرف الدين بن عنين في قصيدته التي مدح بها الملك العادل التي مطلعها

ماذا على طيف الاحبة لوسرى وعليهم لو سامحونى بالكرى

ومنها

العادل الملك الذى أسماؤه في كل ناحية تشرف منبرا
مافي أبي بكر لمعتقد الهدى شك يريب بأنه خير الورى
بين الملوك الغابرين وبينه في الفضل مابين الثريا والثرى
نسجت خلائقه الحميدة ماأتى في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا

ومنها في وصف أولاده

لا تسمعن حديث ملك غيره يروى فكل الصيد في جوف الفرا
وله الملوك بكل أرض منهم ملك يجر الى الاعادى عسكرا
من كل وضاح الجبين تخاله بدرا فان شهد الوغى فغضنفرا

وخلف الملك العادل ستة عشر ولدا ذكرا غير البنات ولما توفي الملك العادل لم يكن عنده أحد من أولاده حاضرا فحضر اليه ابنه الملك المعظم عيسى وكان بنابلس بعد وفاته وكتم موته وأخذه ميتا في محفة وعاد به الى دمشق واحتوى الملك المعظم على جميع ما كان مع أبيه من الجواهر والسلاح والخيول وغير ذلك ولما وصل دمشق حلف جميع الناس له وأظهر موت أبيه وجلس للعزاء وكتب الى الملوك من اخوته وغيرهم يخبرهم بموته وكان في خزانة الملك العادل لما توفي سبعمائة ألف دينار عينا ولما بلغ الملك الكامل موت أبيه وهو في قتال الفرنج عظم عليه ذلك جدا واختلفت العساكر عليه فتأخر عن منزلته وطمعت الفرنج ونهبت بعض أثقال المسلمين وكان في العسكر عماد الدين أحمد ابن سيف الدين على بن أحمد المشطوب وكان مقدما عظيما في الاكراد الهكارية فعزم على خلع الملك الكامل من السلطنة وحصل في العسكر اختلاف كثير حتى عزم الملك الكامل على مفارقة البلاد واللحوق باليمن وبلغ الملك المعظم عيسى بن العادل ذلك فرحل من الشام ووصل الى أخيه الملك الكامل وأخرج عماد الدين ابن المشطوب ونفاه من العسكر الى الشام فانتظم أمر السلطان الملك الكامل وقوى مضايقة الفرنج لدمياط وضعف أهلها بسبب ماذكرناه من الفتنة التى حصلت في عسكر الملك الكامل من ابن المشطوب

(ذكر استيلاء عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى اقسنقر على بعض القلاع المضافة الى مملكة الموصل)

قد تقدم في سنة سبع وستمائة ان أرسلان شاه عند وفاته جعل مملكة الموصل لولده

القاهر مسعود وأعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكى المذكور قلعتى العقر وشوش فلما مات أخوه القاهر وأجلس ولده أرسلان شاه ابن القاهر في المملكة وكان به قروح وأمراض تحرك عمه عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه وقصد العمادية واستولى عليها ثم استولى على قلاع الهكارية والزوزان فاستنجد بدر الدين لولو المستولى على ملك الموصل وتدبير أرسلان شاه بالملك الاشرف ابن الملك العادل ودخل في طاعته فانجده الملك الاشرف بعسكر وساروا الى زنكى بن أرسلان شاه فهزموه وكان زنكى المذكور مزوجا ببنت مظفر الدين كوكبورى صاحب أربل وأم البنت ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان الملك العادل زوجة مظفر الدين فكان مظفر الدين لا يترك ممكنا في نجدة صهره زنكى المذكور ويبالغ في عداوة بدر الدين لولو لاجل صهره (وفي هذه السنة) توفي على بن نصر بن هرون النحوى الحلى الملقب بالحجة قرأ على ابن الخشاب وغيره (وفيها) توفي محمد وقيل أحمد بن محمد بن محمد العميدى الفقيه الحنفي السمرقندى الملقب ركن الدين كان اماما في فن الخلاف خصوصا الحسب وله فيه طريقة مشهورة وصنف الارشاد واعتنى بشرح طريقته جماعة منهم القاضى شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الشافعى الجوينى قاضى دمشق وبدر الدين المراغى المعروف بالطويل واشتغل على العميدى خلق كثير وانتفعوا به منهم نظام الدين أحمد بن محمود بن أحمد الحنفى المعروف بالحصيرى ونظام الدين الحصيرى المذكور قتله التتر بنيسابور عند أول خروجهم في سنة ست عشرة وستمائة ولم يقع لنا هذه النسبة أعنى العميدى الى ماذا (ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة) والملك الاشرف مقيم بظاهر حلب يدبر أمر جندها واقطاعاتها والملك الكامل بمصر في مقابلة الفرنج وهم محدقون محاصرون لثغر دمياط وكتب الملك الكامل متواصلة الى اخوته في طلب النجدة

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل)

(وفي هذه السنة) توفي نور الدين أرسلان شاه ابن الملك القاهر مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر وكان لا يزال مريضاً فأقام بدر الدين لولو في الملك بعده أخاه ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر وكان عمره يومئذ نحو ثلاث سنين وهو آخر من خطب له من بيت اتابك بالسلطنة وكان أبوه القاهر آخر من كان له استقلال بالملك منهم ثم ان هذا الصبى مات بعد مدة واستقل بدر الدين لولو بالملك وأتته السعادة وطالت مدة ملكه الى ان توفي بالموصل بعد أخذ التتر بغداد على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة صاحب سنجار)

وقد تقدم ذكر ولايته في سنة أربع وتسعين وخمسمائة (وفي هذه السنة) توفي قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار فملك سنجار بعده ولده عماد الدين شاهنشاه بن محمد وكان قطب الدين حسن السيرة في رعيته وبقي عماد الدين شاهنشاه في الملك شهورا ثم وثب عليه أخوه محمود بن محمد فذبحه وملك سنجار وهذا محمود هو آخر من ملك سنجار من البيت الاتابكي

(ذكر تخريب القدس)

(وفي هذه السنة) أرسل الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق الحجارين والنقابين الى القدس فخرب أسواره وكانت قد حصنت الى الغاية فانتقل منه عالم عظيم وكان سبب ذلك ان الملك المعظم لما رأى قوة الفرنج وتغلبهم على دمياط خشي أن يقصدوا القدس فلا يقدر على منعهم فخربه لذلك

(ذكر استيلاء الفرنج على دمياط)

ولم تزل الفرنج يضايقون دمياط حتى هجموها في هذه السنة عاشر رمضان وقتلوا وأسروا من بها وجعلوا الجامع كنيسة واشتد طمع الفرنج في الديار المصرية وحين أخذت دمياط ابتنى الملك الكامل مدينة وسماها المنصورة عند مفترق البحرين الآخذ أحدهما الى دمياط والآخر الى أشمون طناح ونزل فيها بعساكره

(ذكر ظهور التتر)

(وفي هذه السنة) كان ظهور التتر وقتلهم في المسلمين ولم تنكب المسلمون بأعظم مما نكبوا في هذه السنة فمن ذلك ما كان من تمكن الفرنج بملكهم دمياط وقتلهم أهلها وأسرهم ومنه المصيبة الكبرى وهو ظهور التتر وتملكهم في المدينة القريبة أكثر بلاد الاسلام وسفك دمائهم وسبي حريمهم وذراريهم ولم تفجع المسلمون مذ ظهر دين الاسلام بمثل هذه الفجيعة (وفي هذه السنة) خرجوا على علاء الدين محمد خوارزم شاه بن تكش وعبروا نهر سيحون ومعهم ملكهم جنكزخان لعنه الله تعالى فاستولوا على بخارى رابع ذي الحجة من هذه السنة بالامان وعصت عليهم القلعة فحاصروها وملكوها وقتلوا كل من بها ثم قتلوا أهل البلد عن آخرهم (من تاريخ ظهور التتر) تأليف محمد بن أحمد بن علي المنشي النسوي كاتب انشاء جلال الدين قال ان مملكة الصين مملكة متسعة دورها ستة أشهر وقد انقسمت من قديم الزمان ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر يتولى أمره

خان وهو الملك بلغتهم نيابة عن خانهم الاعظم وكان خانهم الكبيرالذيعاصر خوارزم شاه محمد بن تكش يقال له الطون خان وقد توارث الخانية كابرا عن كابر بل كافرا عن كافر ومن عادة خانهم الاعظم الاقامة بطوغاج وهي واسطة الصين وكان من زمرتهم في عصر المذكور شخص يسمى دوشي خان وهو أحد الخانات المتولى أحد الاجزاء الستة وكان مزوجاً بعمة جنكزخان اللعين وقبيلة جنكزخاناللعين هي المعروفةبقبيلةالتمرجي سكان البراري ومشتاهم موضع يسمى ارغون وهم المشهورون بين التتر بالشر والغدر ولم تر ملوك الصين ارخاء عنانهم لطغيانهم فاتفق ان دوشي خان زوج عمة جنكزخان مات فحضر جنكزخان الى عمته زائرا ومعزيا وكان الخانان المجاوران لعمل دوشي خان المذكور يقال لاحدهما كشلوخان وللآخر فلان خان فكانا يليانمايتاخم عمل دوشي خان المذكور المتوفي من الجهتين فارسلت امرأة دوشي خان الى كشلي خان والخان الآخر تنعي اليهما زوجها دوشي خان وانه لم يخلف ولدا وانه كان حسن الجوار لهما وان ابن أخيها جنكزخان ان أقيم مقامه يحذو حذو المتوفي في معاضدتهما فاجابها الخانان المذكوران الى ذلك وتولى جنكزخان ماكان لدوشي خان المتوفي من الامور بمعاضدة الخانين المذكورين * فلما انهى الامر الى الخان الاعظم الطون خان انكر تولية جنكزخان واستحقره وأنكر على الخانين اللذين فعلاذلك فلما جرى ذلك خلعواطاعة الطون خان وانضم اليهم كل من هو من عشائرهم ثم اقتتلوا مع الطون خان فولى منهزما وتمكنوا من بلاده ثم أرسل الطونخان وطلب منهم الصلح وان يبقوه على بعض البلاد فأجابوه الى ذلك وبقي جنكزخان والخانان الآخران مشتركين في الامر فاتفق موت الخان الواحد واستقل بالامر جنكزخان وكشلوخان ثم مات كشلوخان وقام ابنه ولقب بكشلوخان ايضا مقامه فاستضعف جنكزخان جانب كشلوخان بن كشلوخان لصغره وحداثة سنه وأخل بالقواعد التي كانت مقررة بينه وبين أبيه فانفرد كشلوخان عن جنكزخان وفارقه لذلك ووقع بينهما الحرب فجرد جنكزخان جيشا معولدهدوشي خان بن جنكزخان فسار دوشي خان واقتتل مع كشلوخان فانتصردوشيخان وانهزم كشلوخان وتبعه دوشي خان وقتله وعادالي جنكزخان برأسه فانفردجنكزخانبالمملكة ثم ان جنكزخان راسل خوارزم شاه محمد بن تكش في الصلح فلم ينتظم فجمع جنكزخان عساكره والتقى معخوارزمشاه محمدفانهزم خوارزمشاه فاستولى جنكزخان على بلاد ماوراء النهرثم تبع خوارزمشاه محمدا وهو هارب بين يديه حتى دخل بحر طبرستان ثم استولى جنكزخان على البلاد ثم كان من خوارزم شاه ومن جنكزخان ماسنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر توجه الملك المظفر محمود ابن صاحب حماة الى مصر وموت والدته

(في هذه السنة) حلف الملك المنصور صاحب حماة الناس لولده الملك المظفر محمود وجعله ولي عهده وجرد معه عسكرا والطواشي مرشد المنصوري نجدة الى الملك الكامل بديار مصر فسار اليه * ولما وصل الى الملك الكامل أكرمه وأنزله في ميمنة عسكره وهي منزلة أبيه وجده في الايام الناصرية الصلاحية وبعد توجه الملك المظفر ماتت والدته ملكة خاتون بنت الملك العادل قال القاضي جمال الدين مؤلف مفرج الكروب وحضرت العزاء وعمري أنئنا عشرة سنة ورأيت الملك المنصور وهو لابس الحداد على زوجته المذكورة وهو ثوب أزرق وعمامة زرقاء وأنشدته الشعراء المراثي فمن ذلك قصيدة قالها حسام الدين خشترين وهو جندي كردي مطلعها

الطرف في لجة والقلب في سعر　　له دخان زفير طار بالشرر

ومنها في لبس الملك المنصور الحداد عليها

ما كنت أعلم ان الشمس قد غربت　　حتى رأيت الدجى ملقى على القمر

لو كان من مات يفدى قبلها لفدى　　أم المظفر آلاف من البشر

ذكر وفاة كيكاوس وملك أخيه كيقباذ

(في هذه السنة) توفي الملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وقد تقدم ذكر ولايته في سنة سبع وستمائة وكان قد تعلق به مرض السل واشتد مرضه ومات فملك بعده أخوه كيقباذ بن كيخسرو وكان كيقباذ محبوسا قد حبسه أخوه كيكاوس فاخرجه الجند وملكوه

(ذكر غير ذلك)

(وفي هذه السنة) توفي أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبدالله العكبري الضرير النحوي الحاسب اللغوي وكان حنبليا صحب ابن الخشاب النحوي وغيره (وفيها) توفي أبو الحسن علي بن القاسم بن علي بن الحسن الدمشقي الحافظ ابن الحافظ ابن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان وسمع بها الحديث فأكثر وعاد الى بغداد وكان قد وقع على القفل الذي هو فيه في الطريق حرامية وجرحوا ابن عساكر المذكور ووصل على تلك الحال الى بغداد وبقي بها حتى توفي في هذه السنة في جمادى الاولى رحمه الله (ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة) والفرنج متملكون على دمياط

والسلطان الملك الكامل مستقر في المنصورة مرابط للجهاد والملك الاشرف في حران وكان الملك الاشرف قد أقطع عماد الدين احمد بن سيف الدين على بن أحمد المشطوب رأس عين فخرج على الملك الاشرف وجمع ابن المشطوب المذكور جمع وحسن لصاحب سنجار محمود بن قطب الدين الخروج عن طاعة الاشرف أيضاً فخرج بدر الدين لولو من الموصل وحصر ابن المشطوب بتل اعفر وأخذه بالامان ثم قبض عليه وأعلم الملك الاشرف بذلك فسر به غاية السرور واستمر عماد الدين احمد بن سيف الدين بن المشطوب في الحبس ثم سار الملك الاشرف من حران واستولى على دنيسر وقصد سنجار فاتته رسل صاحبها محمود بن قطب الدين يسأل ان يعطى الرقة عوض سنجار ليسلم سنجار الى الملك الاشرف فاجاب الملك الاشرف الى ذلك وتسلم سنجار في مستهل جمادى الاولى وسلم اليه الرقة وهذا كان من سعادة الملك الاشرف فان أباه الملك العادل نازل سنجار في جموع عظيمة وطال عليها مقامه فلم يملكها وملكها ابنه الملك الاشرف باهون سعي وبعد ان فرغ الملك الاشرف من سنجار سار الى الموصل ووصل اليها في تاسع عشر جمادى الاولى وكان يوم وصوله اليها يوما مشهودا وكتب الى مظفر الدين صاحب اربل يأمره ان يعيد صهره عماد الدين زنكى بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود ابن عماد الدين زنكى على بدر الدين لولو القلاع التى استولى عليها فأعادها جميعها وترك في يده منها العمادية واستقر الصلح بين الملك الاشرف وبين مظفر الدين كوكبورى صاحب اربل وعماد الدين زنكى بن أرسلان شاه صاحب العقر وشوش والعمادية وكذلك استقر الصلح بينهم وبين صاحب الموصل بدر الدين لولو ولما استقر ذلك رحل الملك الاشرف عن الموصل ثانى شهر رمضان من هذه السنة وعاد الى سنجار وسلم بدر الدين لولو قلعة تلعفر الى الملك الاشرف ونقل الملك الاشرف ابن المشطوب من حبس الموصل وحطه مقيدا في جب بمدينة حران حتى مات سنة تسع عشرة وستمائة واتى بغيه وخروجه مرة بعد أخرى

ذكر وفاة الملك المنصور صاحب حماة

(وفي هذه السنة) توفي الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب صاحب حماة بقلعة حماة في ذى القعدة وكانت مدة مرضه احدى وعشرين يوما بحمى حادة وورم دماغه وكان شجاعاً عالماً يحب العلماء ورد اليه منهم جماعة كثيرة مثل الشيخ سيف الدين على الآمدى وكان في خدمة الملك المنصور قريب مائتى متعمم من النحاة والفقهاء والمشتغلين بغير ذلك وصنف الملك المنصور عدة مصنفات مثل المضمار في التاريخ وطبقات الشعراء وكان معتنيا بعمارة بلده والنظر في مصالحه

وهو الذي بنى الجسر الذى هو بظاهر حماة خارج باب حمص واستقر له بعد وفاة والده من البلاد حماة والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم * ولما فتح بارين وكانت بيد ابراهيم ابن المقدم ألزمه عمه السلطان الملك العادل أن يردها عليه فأجاب الى تسليم منبج وقلعة نجم عوضا عنها وهما خير من بارين بكثير اختار ذلك لقرب بارين من بلده وجرت له حروب مع الفرنج وانتصر فيها وكان ينظم الشعر

ذكر استيلاء الملك الناصر ابن الملك المنصور على حماة

ولما توفي الملك المنصور كان ولده الملك المظفر المعهود اليه بالسلطنة عند خاله الملك الكامل بديار مصر في مقابلة الفرنج وكان ولده الآخر الملك الناصر صلاح الدين قليج ارسلان عند خاله الآخر الملك المعظم صاحب دمشق وهو في الساحل في الجهاد وقد فتح قيسارية وهدمها وسار الى عثليث ونازلها وكان الوزير بحماة زين الدين بن فريج فاتفق هو والكبراء على استدعاء الملك الناصر لعلمهم بلين عريكته وشدة بأس الملك المظفر فارسلوا الى الملك الناصر وهو مع الملك المعظم كما ذكرنا فمنعه الملك المعظم من التوجه الا بتقرير مال عليه يحمله الى الملك المعظم في كل سنة قيل ان مبلغه أربعمائة ألف درهم * فلما أجاب الملك الناصر الى ذلك وحلف عليه أطلقه الملك المعظم فقدم الملك الناصر الى حماة واجتمع بالوزير زين الدين بن فريج والجماعة الذين كاتبوه فاستحلفوه على ما أرادوا وأصعدوه الى القلعة ثم ركب من القلعة بالسناجق السلطانية وكان عمره اذذاك سبع عشرة سنة لان مولده سنة ستمائة * ولما استقر الملك الناصر في ملك حماة وبلغ أخاه الملك المظفر ذلك استأذن الملك الكامل في المضى الى حماة ظنا منه انه اذا وصل اليها يسلمونها اليه بحكم الايمان التى كانت له في أعناقهم فأعطاه الملك الكامل الدستور وسار الملك المظفر حتى وصل الى الغور فوجد خاله الملك المعظم صاحب دمشق هناك فاخبره ان أخاه الملك الناصر قد ملك حماة ويخشى عليه انه ان وصل اليه يعتقله فسار الملك المظفر الى دمشق وأقام بداره المعروفة بالزنجيلي وكتب الملك المعظم والملك المظفر الى أكابر حماة في تسليمها الى الملك المظفر فلم يحصل منهم اجابة فعاد الملك المظفر الى مصر وأقام في خدمة الملك الكامل وأقطعه اقطاعاً بمصر الى ان كان ماسنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر استيلاء الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل على خلاط وميا فارقين

كان قد استقر بيد الملك المظفر المذكور الرها وسروج وكانت ميا فارقين وخلاط بيد

الملك

الملك الاشرف ولم يكن للملك الاشرف ولد فجعل أخاه الملك المظفر غازى ولى عهده وأعطاه ميا فارقين وخلاط وبلادها وهى اقليم عظيم يضاهى ديار مصر وأخذ الملك الاشرف منه الرها وسروج (وفي هذه السنة) توفي بالموصل الشيخ صدر الدين محمد ابن عمر بن حمويه شيخ الشيوخ بمصر والشام وكان فقيها فاضلا من بيت كبير بخراسان وخلف أربعة بنين عرفوا باولاد الشيخ تقدموا عند السلطان الملك الكامل وسنذكر بعض أخبارهم في موضعها ان شاء الله تعالى وكان الشيخ صدر الدين المذكور قد توجه رسولا الى بدر الدين لولو صاحب الموصل فمات هناك

ذكر مسير التتر الى خوارزم شاه وانهزامه وموته

لما ملك التتر سمرقند أرسل جنكزخان لعنه الله عشرين ألف فارس في أثر خوارزم شاه محمد بن تكش * وهذه الطائفة يسميها التتر المغربة لانها سارت نحو غرب خراسان فوصلوا الى موضع يقال له بنج آو وعبروا هناك نهر جيحون وصاروا مع خوارزم شاه في بر واحد فلم يشعر خوارزم شاه وعسكره الا والتتر معه فتفرق عسكره وذهبوا ايدى سبا ورحل خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش لايلوى على شئ في نفر من خواصه ووصل الى نيسابور والتتر في أثره * فلما قربوا منه رحل خوارزم شاه الى مازندران والتتر في أثره لايلتفتون الى شئ من البلاد ولا الى غير ذلك بل قصدهم ادراك خوارزم شاه وسار من مازندران الى مرسى من بحر طبرستان يعرف بالسكون وله هناك قلعة في البحر فعبر هو وأصحابه اليها فوقف التتر على ساحل البحر وأيسوا من اللحاق بخوارزم شاه * ولما استقر خوارزم شاه بهذه القلعة توفي فيها وهو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش بن ارسلان بن اطسز بن محمد بن انوشتكين غرشه وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهورا واتسع ملكه وعظم محله ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس وكان فاضلا عالما بالفقه والاصول وغيرهما وكان صبورا على التعب وادمان السير وسنذكر شيئاً من أخباره عند ذكر مقتل ولده جلال الدين ولما آيس التتر من ادراك خوارزم شاه عادوا الى مازندران ففتحوها وقتلوا أهلها ثم ساروا الى الرى وهمذان ففعلوا كذلك من الفتك والسبى ثم ملكوا مراغة في صفر سنة ثمان عشرة وستمائة ثم ساروا الى حران واستولوا عليها ونازلوا خوارزم وقاتلهم أهلها مدة أشد قتال ثم فتحوها وكان لها سد في نهر جيحون ففتحوه وركب خوارزم الماء فغرقها وفعلوا في هذه البلاد جميعها من قتل أهلها وسبى ذراريهم وقتل العلماء والصلحاء والزهاد والعباد وتخريب الجوامع وتحريق

المصاحف مالم يسمع بمثله في تاريخ قبل الاسلام ولا بعده فان واقعة بختنصر مع بنى اسرائيل لاتنسب الى بعض بعض مافعله هؤلاء فان كل واحدة من المدن التى أخربوها أعظم من القدس بكثير وكل أمة قتلوهم من المسلمين أضعاف بنى اسرائيل الذين قتلهم بختنصر * ولما فرغ التتر من خراسان عادوا الى ملكهم فجهز جيشا كثيفا الى غزنة وبها جلال الدين منكبرنى بن علاء الدين محمد خوارزم شاه المذكور مالكا لها وقد اجتمع اليه جمع كثير من عسكر أبيه قيل كانوا ستين ألف مقاتل وكان الجيش الذى سار اليهم من التتر اثنى عشر ألفا فالتقوا مع جلال الدين واقتتلوا قتالا شديدا وأنزل الله نصره على المسلمين وانهزمت التتر وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤا ثم أرسل جنكزخان لعنه الله عسكرا أكثر من أول مع بعض أولاده ووصلوا الى كابل وتصافف معهم المسلمون فانهزم التتر ثانيا وقتل المسلمون فيهم وغنموا شيئاً كثيرا وكان في عسكر جلال الدين أمير كبير مقدام هو الذى كسر التتر على الحقيقة يقال له بغراق وقع بينه وبين أمير كبير يقال له ملك خان وهو صاحب هراة وله نسب الى خوارزم شاه فتنة بسبب المكسب قتل فيها أخو بغراق فغضب بغراق وفارق جلال الدين وسار الى الهند وتبعه ثلاثون ألف فارس ولحقه جلال الدين منكبرنى واستعطفه فلم يرجع فضعف عسكر جلال الدين بسبب ذلك ثم وصل جنكزخان اللعين بنفسه في جيوشه وقد ضعف جلال الدين بما نقص من جيوشه بسبب بغراق فلم يكن له بجنكزخان قدرة فترك جلال الدين البلاد وسار الى الهند وتبعه جنكزخان حتى أدركه على ماء عظيم وهو نهر السند ولم يلحق جلال الدين ومن معه أن يعبروا النهر فاضطروا الى القتال وجرى بينهم وبين جنكزخان قتال عظيم لم يسمع بمثله وصبر الفريقان ثم تأخر كل منهما عن صاحبه فعبر جلال الدين ذلك النهر الى جهة الهند وعاد جنكزخان فاستولى على غزنة وقتلوا أهلها ونهبوا أموالهم وكان قد سار من التتر فرقة عظيمة الى جهة القفجاق واقتتلوا معهم فهزمهم التتر واستولوا على مدينة القفجاق العظمى وتسمى سوادق وكذلك فعلوا بقوم يقال لهم اللكزى بلادهم قرب دربند شروان ثم سار التتر الى الروس وانضم الى الروس القفجاق وجرى بينهم وبين التتر قتال عظيم انتصر فيه التتر عليهم وشردوهم قتلا وهربا في البلاد (وفيها) في شوال توفي رضى الدين المؤيد ابن محمد بن على الطوسى الاصل النيسابورى الدار المحدث وكان أعلى المتأخرين اسنادا سمع كتاب مسلم من الفقيه أبى عبد الله محمد بن الفضل القراوى وكان القراوى فاضلا قرأ الاصول على امام الحرمين وسمع القراوى المذكور صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسى وكان عبد الغافر اماما في الحديث صنف شرح مسلم وغيره وتوفي محمد بن الفضل

القراوى

القراوى سنة ثلاثين وخمسمائة وتوفي عبد الغافر في سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكانت ولادة رضى الدين المؤيد المذكور في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ظنا (ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة)

ذكر عود دمياط الى المسلمين

﴿ وفي هذه السنة ﴾ قوى طمع الفرنج المتملكين دمياط في ملك الديار المصرية وتقدموا عن دمياط الى جهة مصر ووصلوا الى المنصورة واشتد القتال بين الفريقين برا وبحرا وكتب السلطان الملك الكامل متواترة الى اخوته وأهل بيته يستحثهم على انجاده فسار الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق الى أخيه الملك الاشرف وهو ببلاده الشرقية واستنجده وطلب منه المسير الى أخيهما الملك الكامل فجمع الملك الاشرف عساكره واستصحب عسكر حلب وكذلك استصحب معه الملك الناصر قليج أرسلان ابن الملك المنصور صاحب حماة وكان الملك الناصر خائفا من السلطان الملك الكامل ان ينتزع حماة منه ويسلمها الى أخيه الملك المظفر فحلف الملك الاشرف للملك الناصر صاحب حماة انه مايمكن أخاه السلطان الملك الكامل من التعرض اليه فسار معه بعسكر حماة وكذلك سار صحبة الملك الاشرف كل من صاحب بعلبك الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب وصاحب حمص الملك المجاهد شيركوه بن محمد ابن شيركوه بن شاذى وسار الملك المعظم عيسى بعسكر دمشق ووصلوا الى الملك الكامل وهو في قتال الفرنج على المنصورة فركب والتقى أخويه ومن في صحبتهما من الملوك وأكرمهم وقويت نفوس المسلمين وضعفت نفس الفرنج بما شاهدوه من كثرة عساكر الاسلام وتجملهم واشتد القتال بين الفريقين ورسل الملك الكامل وأخويه مترددة الى الفرنج في الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وجميع مافتحه السلطان صلاح الدين من الساحل ماعدا الكرك والشوبك على ان يجيبوا الى الصلح ويسلموا دمياط الى المسلمين فلم يرض الفرنج بذلك وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضا عن تخريب أسوار القدس فان الملك المعظم عيسى خربها كما تقدم ذكره وقالوا لابد من تسليم الكرك والشوبك وبينا الامر متردد في الصلح والفرنج ممتنعون من الصلح اذ عبر جماعة من عسكر المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها الفرنج من بر دمياط ففجروا فجرة عظيمة من النيل وكان ذلك في قوة زيادته والفرنج لاخبرة لهم بامر النيل فركب الماء تلك الارض وصار حائلا بين الفرنج وبين دمياط وانقطع عنهم الميرة والمدد فهلكوا جوعا وبعثوا يطلبون الامان على ان ينزلوا عن جميع ما بذله المسلمون لهم ويسلموا دمياط ويعقدوا مدة للصلح وكان فيهم

عدة ملوك كبار نحو عشرين ملكا فاختلفت الآراء بين يدى السلطان الملك الكامل في أمرهم فبعضهم قال لانعطيهم امانا ونأخذهم ونتسلم بهم مابقى بأيديهم من الساحل مثل عكا وغيرها ثم اتفق آراؤهم على اجابتهم الى الامان لطول مدة البيكار وتضجر العساكر لأنهم كان لهم ثلاث سنين وشهور في القتال معهم فأجابهم الملك الكامل الى ذلك وطلب الفرنج رهينة من الملك الكامل فبعث ابنه الملك الصالح أيوب وعمره يومئذ خمس عشرة سنة الى الفرنج رهينة وحضر من الفرنج رهينة على ذلك ملك عكا ونائب البابا صاحب رومية الكبرى وكندريس وغيرهم من الملوك وكان ذلك سابع رجب من هذه السنة واستحضر الملك الكامل ملوك الفرنج المذكورين وجلس لهم مجلسا عظيما ووقف بين يديه الملوك من اخوته وأهل بيته جميعهم وسلمت دمياط الى المسلمين تاسع عشر رجب من هذه السنة وقد حصنها الفرنج الى غاية مايكون وولاها السلطان الملك الكامل الامير شجاع الدين جلدك التقوى وهو من مماليك الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وهنأت الشعراء الملك الكامل بهذا الفتح العظيم ثم سار السلطان الملك الكامل ودخل دمياط ومعه اخوته وأهل بيته وكان يوما مشهودا ثم توجه الى القاهرة وأذن للملوك في الرجوع الى بلادهم فتوجه الملك الاشرف الى الشرق وانتزع الرقة من محمود وقيل اسمه عمر بن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى بن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر ولتى بغيه على أخيه فانا ذكرنا كيف وثب على أخيه وقتله وأخذ سنجار ثم أقام الملك الاشرف بالرقة وورد اليه الملك الناصر صاحب حماة فاقام عنده مدة ثم عاد الى بلده

ذكر وفاة صاحب آمد

﴿ وفي هذه السنة ﴾ توفي الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب آمد وحصن كيفا بالقولنج وقام في الملك بعده ولده الملك المسعود وهو الذى انتزع منه الملك الكامل آمد وكان الملك الصالح المذكور قبيح السيرة * وقد أورد ابن الاثير وفاته في سنة تسع عشرة

ذكر غير ذلك من الحوادث

﴿ في هذه السنة ﴾ في جمادى الآخرة خنق قتادة بن ادريس العلوى الحسنى أمير مكة وعمره نحو تسعين سنة وكانت ولايته قد اتسعت الى نواحى اليمن وكان حسن السيرة في مبتدأ أمره ثم أساء السيرة وجدد المظالم والمكوس وصورة ماجرى له ان قتادة كان مريضاً فارسل عسكرا مع أخيه ومع ابنه الحسن بن قتادة للاستيلاء على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذها من صاحبها فوثب الحسن بن قتادة في أثناء الطريق

على

على عمه فقتله وعاد الى أبيه قتادة بمكة فخنقه وكان له أخ نائباً بقلعة ينبع عن أبيه فارسل اليه الحسن فحضر الى مكة فقتله أيضا وارتكب الحسن أمرا عظيما قتل عمه وأباه وأخاه في أيام يسيرة واستقر في ملك مكة وقيل ان قتادة كان يقول الشعر وطولب أن يحضر الي أمير الحاج العراقي فامتنع وعوتب من بغداد فاجاب بابيات منها

ولى كف ضرغام أصول ببطشها   وأشرى بها بين الورى وأبيع

تظل ملوك الارض تلثم ظهرها   وفي بطنها للمجد بين ربيع

أأجعلها تحت الرحى ثم أبتغى   خلاصا لها انى اذن لرقيع

وما أنا الاالمسك فى كل بلدة   يضوع وأما عندكم فيضيع

﴿ وفيها ﴾ توفي جلال الدين الحسن صاحب الا لموت ومقدم الاسماعيلية وولى بعده ابنه علاء الدين محمد ﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة ﴾ في هذه السنة استقل بدر الدين لولو بملك الموصل وتوفي الطفل الذى كان قد نصبه في المملكة وهو ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن اقسنقر وسمى لولو نفسه الملك الرحيم وكان قد اعتضد بالملك الاشرف ابن الملك العادل فدافع عنه ونصره وقلع لولو البيت الاتابكى بالكلية واستمر مالكا للموصل نيفا وأربعين سنة سوى ماتقدم له من الاستيلاء والتحكم في أيام أستاذه نور الدين أرسلان شاه وابنه الملك القاهر مسعود ﴿ وفي هذه السنة ﴾ سار الملك الاشرف الى خدمة أخيه الملك الكامل وأقام عنده بمصر متنزها الى ان خرجت هذه السنة ﴿ وفي هذه السنة ﴾ فوض الاتابك طغريل الخادم مدبر مملكة حلب الى الملك الصالح أحمد بن الظاهر أمر الشغر وبكاس فسار الملك الصالح من حلب واستولى عليهما وأضاف اليه الروج ومعرة ومصرين ﴿ وفي هذه السنة ﴾ قصد الملك المعظم عيسى صاحب دمشق حماة لان الملك الناصر صاحب حماة كان قد التزم له بمال يحمله اليه اذا ملك حماة فلم يف له فقصد الملك المعظم حماة ونزل بقيرين وغلقت ابواب حماة فقصدها الملك المعظم وجرى بينهم قتال قليل ثم ارتحل الملك المعظم الى سلمية فاستولى على حواصلها وولى عليها ثم توجه الى المعرة فاستولى عليها وأقام فيها واليا من جهته وقرر أمورها ثم عاد الى سلمية فأقام بها حتى خرجت هذه السنة على قصد منازلة حماة ﴿ وفي هذه السنة ﴾ حج من اليمن الملك المسعود يوسف الملقب اطسز وهو اسم تركى والعامة تسميه اقسيس وكان قد استولى على اليمن سنة اثنتى عشرة وستمائة وقبض على سليمان شاه بن شاهنشاه بن عمر بن شاهنشاه ابن أيوب وحج في هذه السنة * فلما وقف الملك المسعود في هذه السنة بعرفة وتقدمت

اعلام الخليفة الامام الناصر لترفع على الجبل تقدم الملك المسعود بسائر كره ومنع من ذلك وأمر بتقديم اعلام أبيه السلطان الملك الكامل على اعلام الخليفة فلم يقدر أصحاب الخليفة على منعه من ذلك ثم عاد الملك المسعود الى اليمن وبلغ ذلك الخليفة فعظم عليه وأرسل يشكو الى الملك الكامل فاعتذر عن ذلك فقبل عذره وأقام الملك المسعود في اليمن مدة يسيرة ثم عاد الى مكة ليستولى عليها فقابله الحسن بن قتادة فانتصر الملك المسعود وانهزم الحسن بن قتادة واستقرت مكة في ملك الملك المسعود وولى عليها وذلك في ربيع الاول من سنة عشرين وستمائة ثم عاد الى اليمن (وفيها) توفي الشيخ يونس بن يوسف بن مساعد شيخ الفقراء المعروفة باليونسية وكان رجلا صالحا وله كرامات وكانت وفاته بقرية القنية من أعمال دارا وقد ناهز تسعين سنة وقبره مشهور هناك ﴿ثم دخلت سنة عشرين وستمائة﴾ والاشرف بديار مصر عند أخيه الملك الكامل وأخوهما الملك المعظم بسلمية مستول عليها وعلى المعرة عازم على حصار حماة وبلغ الملك الاشرف مافعله أخوه المعظم بصاحب حماة فعظم عليه ذلك واتفق مع أخيه الكامل على الانكار على الملك المعظم وترحيله فارسل اليه الملك الكامل ناصح الدين الفارسى فوصل الى الملك المعظم وهو بسلمية وقال له السلطان يأمرك بالرحيل فقال السمع والطاعة وكانت اطماعه قد قويت على الاستيلاء على حماة فرحل مغضبا على اخويه الكامل والاشرف ورجعت المعرة وسلمية للناصر وكان الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب مقيما عند الملك الكامل بالديار المصرية كما تقدم ذكره وكان الملك الكامل يؤثر تمليكه حماة لكن الملك الاشرف غير مجيب الى ذلك لانتماء الملك الناصر صاحب حماة اليه وجرى بين الكامل والاشرف في ذلك مراجعات كثيرة آخرها أنهما اتفقا على نزع سلمية من يد الناصر قليج ارسلان وتسليمها الى أخيه الملك المظفر فتسلمها الملك المظفر وأرسل اليها وهو بمصر نائبا من جهته حسام الدين أبا على بن محمد بن على الهذبانى واستقر بيد الملك الناصر حماة والمعرة وبعرين ثم سار الاشرف من مصر واستصحب معه خلعة وسناجق سلطانية من أخيه الملك الكامل للملك العزيز صاحب حلب وعمره يومئذ عشر سنين ووصل الاشرف بذلك الى حلب وأركب الملك العزيز في دست السلطنة ﴿وفي هذه السنة﴾ لما وصل الملك الاشرف بالخلعة المذكورة الى حلب اتفق مع الملك الاشرف كبراء الدولة الحلبية على تخريب قلعة اللاذقية فارسلوا عسكرا وهدموها الى الارض

ذكر أحوال غياث الدين اخى جلال الدين ابنى خوارزم شاه محمد

كان لجلال الدين منكبرنى أخ يقال له غياث الدين تيز شاه وكان قد ملك غياث الدين

المذكور

المذكور كرمان * فلما توجه جلال الدين منكبرنى الى الهند كما تقدم ذكره في سنة سبع عشرة تغلب غياث الدين على الرى واصفهان وهمذان وغير ذلك من عراق العجم وهى البلاد المعروفة ببلاد الجبل فخرج على غياث الدين خاله يميان طابسى وكان أكبر أمرائه وأقربهم اليه فاقتتل مع غياث الدين فانهزم يميان طابسى ومن معه وأقام غياث الدين في بلاده مؤيدا منصورا

﴿ ذكر حادثة غريبة ﴾

كان أهل مملكة الكرج قد مات ملكهم ولم يبق من بيت الملك غير امرأة فملكوها وطلبوا لها رجلا يتزوجها ويقوم بالملك ويكون من أهل بيت المملكة فلم يجدوا فيهم أحدا يصلح لذلك وكان صاحب ارزن الروم مغيث الدين طغريل شاه بن قليج ارسلان السلجوقى من بيت كبير مشهور فارسل يخطب الملكة لولده ليتزوجها فامتنعوا من اجابته الا ان يتنصر فامر ولده فتنصر وسار الى الكرج وتزوج ملكتهم وكانت هذه الملكة تهوى مملوكا لها ويعلم ابن طغريل شاه بذلك وتكامن فدخل يوما الى البيت فوجد المملوك نائماً معها في الفراش فلم يصبر المذكور على ذلك فانكر عليها فاخذته زوجته واعتقلته في بعض القلاع ثم أحضرت رجلين كانا قد وصفا لها بحسن الصورة فتزوجت أحدهما ثم فارقته وأحضرت انسانا من كنجة مسلما وهويته وسألته ان يتنصر لتتزوج به فلم يجب الى ذاك وترددت الرسل بينهما في ذلك مدة فلم يجبها الى التنصر

﴿ ذكر وفاة ملك الغرب ﴾

(في هذه السنة) توفي يوسف المستنصر ملك الغرب ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن * وقد تقدم ذكر ولايته في سنة عشر وستمائة وكان يوسف المذكور منهمكا في اللذات فدخل الوهن على الدولة بسبب ذلك ولم يخلف يوسف المذكور ولدا فاجتمع كبراء الدولة وأقاموا عم أبيه لكبر سنه وهو عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ولقبوه المستضيء وكان عبد الواحد المذكور قد صار فقيرا بمراكش وقاسى الدهر * فلما تولى اشتغل باللذات والتنعم في المآكل والملابس من غير ان يشرب خمرا ثم خلع عبد الواحد المذكور بعد تسعة أشهر من ولايته وقتل وملك بعده ابن أخيه عبد الله وتلقب بالعادل وهو عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن (ثم دخلت سنة احدى وعشرين وستمائة) في هذه السنة وصل التتر الى قرب تبريز وأرسلوا الى صاحبها أزبك بن البهلوان يقولون له ان كنت في طاعتنا فارسل من عندك من الخوارزمية الينا فاوقع أزبك بمن عنده من الخوارزمية وقتل بعضهم وأسر الباقين وأرسلهم الى التتر مع تقدمة عظيمة فكفوا عن

بلاد أزبك وعادوا الى بلاد خراسان ﴿وفيها﴾ أستولى غياث الدين تيز شاه أخو جلال الدين بن خوارزم شاه على غالب مملكة فارس وكان صاحب فارس يقال له الاتابك سعد بن دكلا وأقام غياث الدين بشيراز وهى كرسى مملكة فارس ولم يبق مع الاتابك سعد من فارس غير الحصون المنيعة ثم اصطلح غياث الدين مع الاتابك سعد على أن يكون لسعد بعض بلاد فارس ولغياث الدين الباقى

(ذكر عصيان المظفر غازي بن العادل على اخيه الملك الاشرف)

كان الملك الاشرف قد أنعم على أخيه الملك المظفر غازى بخلاط وهى مملكة عظيمة وهى اقليم أرمينية وكان قد حصل بين الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبين أخويه الكامل والاشرف وحشة بسبب ترحيله عن حماة كما قدمنا ذكره فارسل المعظم وحسن لاخيه المظفر غازى صاحب خلاط العصيان على أخيه الملك الاشرف فاجاب الملك المظفر الى ذلك وخالف أخاه الملك الاشرف وكان قد اتفق مع المعظم والمظفر غازى صاحب اربل مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كجك وكان بدر الدين لولو منتميا الى الملك الاشرف فسار مظفر الدين صاحب أربل وحصر الموصل عشرة أيام وكان نزوله على الموصل ثالث عشر جمادى الآخرة من هذه السنة ليشغل الملك الاشرف عن قصد أخيه بخلاط ثم رحل مظفر الدين عن الموصل لحصانتها فلم يلتفت الملك الاشرف الى محاصرة الموصل وسار الى خلاط وحصر أخاه شهاب الدين غازى فسلمت اليه مدينة خلاط وانحصر أخوه غازى بقلعتها الى الليل فنزل من القلعة الى أخيه الملك الاشرف واعتذر اليه فقبل عذره وعفى عنه وأقره على ميافارقين وارتجع باقي البلاد منه وكان استيلاء الملك الاشرف على خلاط وأخذها من أخيه في جمادى الآخرة من هذه السنة (ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة)

(ذكر وصول جلال الدين من الهند الى البلاد)

قد تقدم في سنة سبع عشرة وستمائة ذكر هروب جلال الدين من غزنة لما قصده جنكزخان وانه دخل بلاد الهند فلما كانت هذه السنة قدم من الهند الى كرمان ثم الى أصفهان واستولى عليها وعلى باقى عراق العجم ثم سار الى فارس وانتزعها من أخيه غياث الدين تيزشاه بن محمد وأعادها الى صاحبها اتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس وصار اتابك سعد المذكور وغياث الدين تيزشاه أخو جلال الدين تحت حكم جلال الدين وفي طاعته ثم استولى جلال الدين على خورستان وكاتب الخليفة الامام الناصر ثم سار جلال الدين حتى قارب بغداد ووصل الى يعقوبا وخاف أهل بغداد منه واستعدوا للحصار ونهبت الخوارزمية البلاد وامتلأت أيديهم من الغنائم وقوى أمر جلال الدين وجميع عسكره

الخوارزمية ثم سار الى قريب أربل فصالحه صاحبها مظفر الدين ودخل في طاعته ثم سار جلال الدين الى أذربيجان وكرسى مملكتها تبريز فاستولي على تبريز وهرب صاحب أذربيجان وهو مظفر الدين أزبك بن البهلوان ابن الدكز وكان أزبك المذكور قدقوى أمره لما قتل طغريل آخر الملوك السلجوقية ببلاد العجم فاستقل أزبك المذكور في المملكة وكان أزبك المذكور لايزال مشغولا بشرب الخمر وليس له التفات الى تدبير المملكة فلما استولى جلال الدن على تبريز هرب أزبك الى كنجة وهى من بلاد أران قرب بردعه ومتاخمة لبلاد الكرج واستقل السلطان جلال الدين بملك أذربيجان وكثرت عساكره واستفحل أمره ثم جرى بين جلال الدين وبين الكرج قتال شديد انهزم فيه الكرج وتبعهم الخوارزمية يقتلونهم كيف شاؤا واتفق انه ثبت على قاضى تبريز وقوع الطلاق من أزبك بن البهلوان ن الدكز على زوجته بنت السلطان طغريل آخر الملوك السلجوقية المقدم ذكره فتزوج جلال الدين ببنت طغريل المذكور وأرسل جيشا الى مدينة كنجة ففتحوها فهرب مظفر الدين أزبك بن محمد البهلوان من كنجة الى قلعة هناك ثم هلك وتلاشى أمره

ذكر وفاة الملك الافضل نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف

(في هذه السنة) توفي الملك الافضل المذكور وليس بيده غير سميساط فقط وكان موته فجأة وعمره سبع وخمسون سنة وكان الملك الافضل فاضلا حسن السيرة وتجمعت فيه الفضائل والاخلاق الحسنة وكان مع ذلك قليل الحظ وله الاشعار الحسنة فمنها يعرض الى سوء حظه قوله

يامن يسود شعره بخضابه لعساه من أهل الشبيبة يحصل
هافاختضب بسواد حظى مرة ولك الامان بانه لا ينصل

ولما أخذت منه دمشق كتب الى بعض أصحابه كتابا منه أما أصحابنا بدمشق فلا علم لى بأحد منهم وسبب ذلك

أى صديق سألت عنه ففى الذل وتحت الخمول في الوطن
وأى ضد سألت حالته سمعت مالا تحبه أذنى

(ذكر وفاة الامام الناصر)

وفي أول شوال من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدة خلافته نحو سبع وأربعين سنة وعمى في آخر عمره وكان موته بالدوسنطاريا وهو الامام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضئ حسن ابن المستنجد يوسف ابن المقتفى محمد ابن

المستظهر أحمد ابن المقتدى عبد الله ابن الامير ذخيرة الدين محمد ابن القائم عبد الله ابن القادر أحمد ابن الامير اسحق ابن المقتدر جعفر ابن المكتفي على ابن المعتضد أحمد ابن الامير الموفق قيل اسمه طلحة وقيل محمد ابن المتوكل جعفر ابن المعتصم محمد ابن الرشيد هرون ابن المهدى محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب بن هاشم وكان عمر الامام الناصر نحو سبعين سنة وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً لهم خرب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد وكان يتشيع وكان منصرف الهمة الى رمي البندق والطيور المناسيب ويلبس سراويلات الفتوة ومنع رمى البندق الامن ينسب اليه فأجابه الناس الى ذلك الا انسانا واحدا يقال له ابن السفت وهرب من بغداد الى الشام وقد نسب الامام الناصر انه هو الذى كاتب التتر وأطمعهم في البلاد بسبب ما كان بينه وبين خوارزم شاه محمد بن تكش من العداوة ليشغل خوارزم شاه بهم عن قصد العراق

(ذكر خلافة ابنه الظاهر)

وهو خامس ثلاثينهم ولما توفي الامام الناصر بويع ولده الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد فاظهر العدل وازال الكوس وأخرج المحبوسين وظهر للناس وكان الناصر ومن قبله لا يظهرون الا نادرا ولم تطل مدته في الخلافة غير تسعة أشهر (ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة) فيها سار الملك المعظم عيسى بن العادل صاحب دمشق ونازل حمص وكان قد اتفق مع جلال الدين بن خوارزم شاه ومع مظفر الدين صاحب أربل على أن يكونوا يدا واحدة وكان الملك الاشرف ببلاده الشرقية ثم رحل المعظم عن حمص الى دمشق بسبب كثرة مامات من خيله وخيل عسكره وورد عليه أخوه الملك الاشرف طلبا للصلح وقطعا للفتن فبقي مكرما ظاهرا وهو في الباطن كالاسير معه وأقام الملك الاشرف عند أخيه المعظم الى ان انقضت هذه السنة وأما الملك الكامل فانه كان بمصر وقد تخيل من بعض عسكره فما أمكنه الخروج عنها (وفي هذه السنة) فتح السلطان جلال الدين تفليس من الكرج وهي من المدن العظام (وفي هذه السنة) سار جلال الدين ونازل خلاط وهي منازلته الاولى فطال القتال بينهم وكان نائب الاشرف بخلاط الحاجب حسام الدين على الموصلي وكان نزوله عليها ثالث عشر ذى القعدة ورحل عنها لسبع بقين من ذى الحجة من هذه السنة بسبب كثرة الثلوج

(ذكر وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله)

وفي رابع عشر رجب من هذه السنة توفي الخليفة الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله وكان متواضعا محسنا الى الرعية جدا وأبطل عدة مظالم منها انه كان بخزانة

الخليفة صنجة زائدة يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التي يتعامل بها الناس وكان زيادة الصنجة في كل دينار حبة فخرج توقيع الظاهر بابطال ذلك وأوله (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وعمل صنجة المخزن مثل صنجة المسلمين وكان مضادا لابيه الناصر في كثير من أحواله منها ان مدة خلافة أبيه كانت طويلة ومدة خلافته كانت قصيرة وكان أبوه متشيعا وكان الظاهر سنيا وكان أبوه ظالماً جماعا للمال وكان الظاهر في غاية العدل وبذل الاموال للمحبوسين على الديون وللعلماء

(ذكر خلافة المستنصر)

وهو سادس ثلاثينهم ولما توفي الظاهر ولي الخلافة بعده ولده الاكبر المستنصر بالله أبو جعفر المنصور وكان للظاهر ولد آخر يقال له الخفاجى في غاية الشجاعة وبقي حيا حتى أخذت التتر بغداد وقتل مع من قتل ولما تولى المستنصر الخلافة سلك في العدل والاحسان مسلك أبيه الظاهر

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) سار علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم الى بلاد الملك المسعود الارتكى صاحب آمد فنزل كيقباذ بملطية وهى من بلاد كيقباذ وأرسل عسكرا ففتحوا حصن منصور وحصن الكختا وكانا لصاحب آمد المذكور (وفيها) في خامس عشر الحجة نازل جلال الدين مدينة خلاط وهى للملك الاشرف وبها نائبه حسام الدين على الحاجب وهي منازلته الثانية وجرى بينهم قتال شديد وأدركه البرد فرحل عنها في السنة المذكورة (ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة) والملك الكامل بديار مصر وجلال الدين خوارزم شاه مالك أذربيجان واران وبعض بلاد الكرج وعراق العجم وغيرها وهو موافق الملك المعظم على حرب أخويه الكامل والاشرف والرسل لا تنقطع بين المعظم وجلال الدين والملك الاشرف مقيم كالاسير عند أخيه الملك المعظم ولما رأى الملك الاشرف حاله مع أخيه المعظم وانه لا خلاص له منه الا باجابته الى ما يريد اجابه كالمكره الى ما طلبه منه وحلف له أن يعاضده ويكون معه على أخيهما الملك الكامل وأن يكون معه على صاحبي حماة وحمص فلما حلف له على ذلك أطلقه الملك المعظم فرحل الملك الاشرف في جمادى الآخرة من هذه السنة فكانت مدة مقامه مع المعظم نحو عشرة أشهر ولما استقر الملك الاشرف ببلاده رجع عن جميع ماتقرر بينه وبين أخيه الملك المعظم وتأول في أيمانه التي حلفها انه مكره ولما تحقق الملك الكامل اعتضاد أخيه الملك المعظم بجلال الدين

خاف من ذلك وكاتب الانبرطور ملك الفرنج في أن يقدم الى عكا ليشغل سر أخيه المعظم عما هو فيه ووعد الانبرطور بأن يعطيه القدس فسار الانبرطور الى عكا فبلغ المعظم ذلك فكاتب أخاه الاشرف واستعطفه (وفي هذه السنة) انتزع الاتابك طغريل الشغر وبكاس من الملك الصالح أحمد ابن الملك الظاهر وعوضه عنها بعينتاب والراوندان (وفيها) سار الحاجب حسام الدين على نائب الملك الاشرف بخلاط بعساكر الملك الاشرف الى بلاد جلال الدين واستولى على خوى وسلماس ونقحوان

(ذكر وفاة الملك المعظم صاحب دمشق)

(في هذه السنة) في ذى القعدة توفي الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب بقلعة دمشق بالدوسنطاريا وعمره تسع وأربعون سنة وكانت مدة ملكه دمشق تسع سنين وشهورا وكان شجاعا وكان عسكره في غاية التجمل وكان يجامل أخاه الملك الكامل ويخطب له ببلاده ولا يذكر اسمه معه وكان الملك المعظم قليل التكلف جدا في غالب الاوقات لا يركب بالسناجق السلطانية وكان يركب وعلى رأسه كلوته صفر أبلاشاش ويتخرق الاسواق من غير أن يطرق بين يديه كما جرت عادة الملوك ولما كثر مثل هذا منه صار الانسان اذا فعل أمرا لا يتكلف له يقال قد فعله بالمعظمى وكان عالماً فاضلا في الفقه والنحو وكان شيخه في النحو تاج الدين زيد بن الحسن الكندى وفي الفقه جمال الدين الحصيرى وكان حنفيا متعصبا لمذهبه وخالف جميع أهل بيته فانهم كانوا شافعية ولما توفي الملك المعظم ترتب في مملكته وأعمالها بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود وقام بتدبير مملكته مملوك والده وأستاذ داره الامير عز الدين أيبك المعظمى وكان لايبك المذكور صرخد

(ذكر وفاة ملك المغرب وأخبار الذين تملكوا بعده)

(وفي هذه السنة) خلع العادل عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وقد تقدم ذكر ولايته في سنة عشرين وستمائة بعد خلع عبد الواحد وقتله وفي أيام العادل عبد الله المذكور كانت الوقعة بين المسلمين والفرنج بالاندلس على طليطله انهزمت فيها المسلمون هزيمة قبيحة وهذه الوقعة هي التى هدت دعائم الاسلام بالاندلس ولما خلع عبد الله العادل المذكور حبس ثم خنق ونهب المصموديون قصره بمراكش واستباحوا حرمه ثم ملك بعده يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ويحيى يومئذ ماخط عذاره ولما تمت بيعة يحيى وصل الخبر انه قد قام بأشبيلية ادريس ابن يعقوب المنصور وهو أخو العادل عبد الله وتلقب ادريس بالمأمون وجميعهم كانوا يتلقبون بأمير المؤمنين وتعقد البيعة لهم بالخلافة ولما استقر أمر ادريس المأمون المذكور في أشبيلية

ثارت جماعة من أهل مراكش وانضم اليهم العرب ووثبوا على يحيي بن محمد الناصر بمراكش فهرب يحيي الى الجبل ثم اتصل بعرب المعقلى فغدروا به وقتلوه وخطب المأمون ادريس في مراكش واستقر أمره في الخلافة بالبرين برالاندلس وبر العدوة ثم خرج على المأمون ادريس المذكور بشرق الاندلس المتوكل بن هود واستولى على الاندلس ففارق ادريس الاندلس وسار من أشبيلية وعبرالبحر ووصل الى مراكش وخرجت الاندلس حينئذ عن ملك بنى عبد المؤمن ولما استقر المأمون ادريس في ملك مراكش تتبع الخارجين على من تقدمه من الخلفاء فقتلهم عن آخرهم وسفك دماء كثيرة حتى سموه لذلك حجاج المغرب وكان المأمون ادريس المذكور فصيحا عالماً بالاصول والفروع ناظما ناثرا أمر باسقاط اسم مهديهم ابن تومرت من الخطبة على المنابر وعمل في ذلك رسالة طويلة أفصح فيها بتكذيب مهديهم المذكور وضلاله ثم ثار على ادريس المذكور أخوه بسبته فسار ادريس من مراكش اليه وحصره بسبته ثم بلغ ادريس وهو محاصر سبته ان بعض أولاد محمد الناصر بن يعقوب المنصور قد دخل الى مراكش فرحل ادريس عن سبته وسار الى مراكش فمات في الطريق بين سبته ومراكش ولما مات المأمون ادريس ملك بعده ابنه عبد الواحد ابن المأمون ادريس وتلقب المذكور بالرشيد ثم توفي الرشيد عبدالواحد ابن المأمون ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن غريقا في صهريج بستان له بحضرة مراكش في سنة أربعين وستمائة وكان الرشيد عبد الواحد المذكور حسن السياسة وكان أبوه ادريس قد أبطل اسم مهديهم من الخطبة فأعاده عبد الواحد المذكور وقمع العرب الا انه تخلى للذاته لما استقر أمره ولم يخطب للرشيد عبد الواحد المذكور بأفريقية ولا بالمغرب الاوسط ولما مات الرشيد عبد الواحد المذكور ملك بعده أخوه على ابن ادريس وتلقب بالمعتضد أمير المؤمنين وكان أسود اللون وكان مدحوضا في حياة والده وسجنه في بعض الاوقات وقدم عليه أخاه الصغير عبد الواحد المذكور واستمر المعتضد على بن ادريس المذكور حتى قتل وهو محاصر قلعة بالقرب من تلمسان في صفر من سنة ست وأربعين وستمائة ثم ملك بعد المعتضد الاسود المذكور أبو حفص عمر بن أبى ابراهيم بن يوسف في شهر ربيع الآخر من سنة ست وأربعين وستمائة وتلقب بالمرتضى * وفي الحادى والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستمائة دخل الواثق أبو العلاء ادريس المعروف بابى دبوس مراكش وهرب المرتضى الى ازمور من نواحي مراكش فقبض عليه عامله بها وبعث الى الواثق بذلك فأمره الواثق بقتله فقتله في العشر الاخير من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وستين وستمائة بموضع يقال له كتامة بعده عن مراكش ثلاثة أيام وأقام الواثق أبو دبوس ثلاث سنين وقتل في

الحروب التي كانت بينه وبين بني مرين ملوك تلمسان وانقرضت دولة بني عبد المؤمن وكان قتل الواثق أبي دبوس المذكور في المحرم سنة ثمان وستين وستمائة بموضع بينه وبين مراكش مسيرة ثلاثة أيام في جهتها الشمالية واستولى بنو مرين على ملكهم وقد حصل الاختلاف في نسب أبي دبوس فاني وجدت في بعض الكتب المؤلفة في هذا الفن ان أبا دبوس هو ابن ادريس المأمون ثم وجدت نسبه في وفيات الاعيان انه هو نفسه اسمه ادريس بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن على ماسنذكره ان شاء الله تعالى * ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة * في هذه السنة أرسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن أخيه الملك الناصر داود ابن الملك المعظم صاحب دمشق حصن الشوبك فلم يعطه الملك الناصر ذلك ولا أجابه اليه فسار الملك الكامل من مصر في هذه السنة في رمضان الى الشام ونزل على تل العجول بظاهر غزة وولى على نابلس والقدس وغيرهما من بلاد ابن أخيه الملك الناصر داود المذكور صاحب دمشق حينئذ وكان صحبة الملك الكامل الملك المظفر محمود بن السلطان الملك المنصور صاحب حماة وهو موعود من الملك الكامل انه ينتزع حماة من أخيه الناصر قليج أرسلان ابن الملك المنصور ويسلمها اليه * ولما قصد الملك الكامل انتزاع بلاد الملك الناصر ابن المعظم صاحب دمشق استنجد الناصر داود بعمه الملك الاشرف وأرسل اليه وهو ببلاده الشرقية فقدم الملك الاشرف الى دمشق ودخل هو والناصر داود الى قلعة دمشق راكبين * قال القاضي جمال الدين بن واصل كنت اذذاك حاضرا بدمشق ورأيت الملك الاشرف راكبا مع ابن أخيه وعلى رأس الملك الاشرف شاش علم كبير ووسطه مشدود بمنديل وكان وصول الاشرف الى دمشق في العشر الاخير من رمضان من هذه السنة ووصل الى خدمته بدمشق الملك المجاهد شيركوه فانه كان من المنتمين الى الملك الاشرف ثم وقع الاتفاق ان يسير الناصر داود وشيركوه مع الملك الاشرف الى نابلس فيقيم الناصر داود بنابلس ويتوجه الملك الاشرف الى أخيه الكامل الى غزته شافعا في ابن أخيهما الناصر داود ففعلوا ذلك ولما وصل الملك الاشرف الى أخيه الكامل وقع اتفاقهما في الباطن على أخذ دمشق من ابن أخيهما الناصر داود وتعويضه عنها بحران والرها والرقة من بلاد الملك الاشرف وان تستقر دمشق للملك الاشرف ويكون له الى عقبة أفيق وما عدا ذلك من بلاد دمشق يكون للملك الكامل وان ينتزع حماة من الملك الناصر قليج أرسلان ويعطي الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور وان ينتزع سلمية من المظفر محمود وكانت اقطاعه لما كان مقيما بمصر عند الملك الكامل ويعطي لشيركوه صاحب حمص وخرجت السنة والاشرف عند

أخيه الكامل بظاهر غزة وقد اتفقا على ذلك

ذكر غير ذلك

﴿ وفي هذه السنة ﴾ عاود التتر الى قصد البلاد التى بيد جلال الدين بن خوارزم شاه وجرت بينه وبينهم حروب كثيرة كان في أكثرها الظفر للتتر (وفيها) قدم الايمبراطور الى عكا بجموعه وكان الملك الكامل قد أرسل اليه فخر الدين ابن الشيخ يستدعيه الى قصد الشام بسبب أخيه المعظم فوصل الايمبراطور وقد مات المعظم فنشب به الملك الكامل ولما وصل الايمبراطور استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب فعمر الفرنج سورها واستولوا عليها والايمبراطور معناه ملك الامراء بالفرنجية وانما اسم الايمبراطور المذكور فرديك وكان صاحب جزيرة صقلية ومن البر الطويل بلاد انبولية والانبردية * قال القاضى جمال الدين بن واصل لقد رأيت تلك البلاد لما توجهت رسولا من الملك الظاهر بيبرس الصالحى الى الايمبراطور ملك تلك البلاد قال وكان الايمبراطور من بين ملوك الفرنج فاضلا محبا للحكمة والمنطق والطب مائلا الى المسلمين لان منشأه بجزيرة صقلية وغالب أهلها مسلمون وترددت الرسل بين الملك الكامل وبين الايمبراطور الى ان خرجت هذه السنة (وفي هذه السنة) بعد فراغ جلال الدين من التتر قصد جلال الدين المذكور بلاد خلاط ونهب القرى وقتل وخرب البلاد وفعل الافعال القبيحة (وفيها) خاف غياث الدين تيزشاه من أخيه جلال الدين ففارقه واستجار بالاسماعيلية (ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة) ولما جرى بين السلطان الملك الكامل وبين أخيه الملك الاشرف الاتفاق على نزع دمشق من الناصر داود وبلغ الناصر داود ذلك وهو بنابلس فرحل الى دمشق وكان قد لحقه بالغور عمه الملك الاشرف وعرفه ماأمر به عمه الملك الكامل وانه لايمكنه الخروج عن مرسومه فلم يلتفت الناصر داود الى ذلك وسار الى دمشق وسار الاشرف في أثره وحصره بدمشق والملك الكامل مشتغل بمراسلة الايمبراطور * ولما طال الامر ولم يجد الملك الكامل بدا من المهادنة أجاب الايمبراطور الى تسليم القدس اليه على ان تستمر أسواره خرابا ولا يعمرها الفرنج ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع الاقصى ويكون الحكم في الرساتيق الى والى المسلمين ويكون لهم من القرايا ماهو على الطريق من عكا الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك وتحالفا عليه وتسلم الايمبراطور القدس في هذه السنة في ربيع الآخر على هذه القاعدة التى ذكرناها وكان ذلك والملك الناصر محصور بدمشق وعمه الاشرف محاصره بامر الملك الكامل فأخذ الناصر داود في التشنيع على عمه بذلك وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف سبط

أبي الفرج ابن الجوزى وكان واعظا وله قبول عند الناس فأمره الناصر داود بعمل مجلس وعظ يذكر فيه فضائل بيت المقدس وما حل بالمسلمين من تسليمه الى الفرنج ففعل ذلك وكان مجلسا عظيما * ومن جملة ما أنشد قصيدة تائية ضمنها بيت دعبل الخزاعى وهو

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

فارتفع بكاء الناس وضجيجهم

ذكر انتزاع دمشق

ولما عقد الملك الكامل الهدنة مع الايمبراطور وخلا سره من جهة الفرنج سار الى دمشق ووصل اليها في جمادى الاولي من هذه السنة واشتد الحصار على دمشق ووصل الى الملك الكامل رسول الملك العزيز صاحب حلب وخطب بنت الملك الكامل فزوجه بنته فاطمة خاتون التى هى من الست السوداء أم ولده أبى بكر العادل بن الكامل ثم استولى الملك الكامل على دمشق وعوض الناصر داود عنها بالكرك والبلقاء والصلت والاغوار والشوبك وأخذ الملك الكامل لنفسه البلاد الشرقية التى كانت عينت للناصر وهى حران والرها وغيرهما التى كانت بيد الملك الاشرف ثم نزل الناصر داود عن الشوبك وسأل عمه الكامل في قبولها فقبلها وتسلم دمشق الملك الاشرف وتسلم الكامل من الاشرف البلاد الشرقية المذكورة

ذكر وفاة الملك المسعود صاحب اليمن ابن الملك الكامل ابن الملك العادل بن ايوب

* في هذه السنة * توفي الملك المسعود يوسف الملقب اطسز المعروف باقسيس وكان قد مرض باليمن فكره المقام بها وعزم على مفارقة اليمن وسار الى مكة وهى له كما تقدم ذكره فتوفي بمكة ودفن بالمعلى وعمره ست وعشرون سنة وكانت مدة ملكه اليمن أربع عشرة سنة وكان الملك المسعود لما سار من اليمن قد استخلف على اليمن على بن رسول وسنذكر بقية أخباره ان شاء الله تعالى ووصل الخبر بوفاة الملك المسعود الى أبيه الملك الكامل وهو على حصار دمشق فجلس للعزاء وخلف الملك المسعود ولدا صغيرا اسمه أيضا يوسف وبقى يوسف المذكور حتى مات في سلطنة عمه الملك الصالح أيوب صاحب مصر وخلف يوسف ولدا صغيرا اسمه موسى ولقب الملك الاشرف وهو الذى أقامه الترك في مملكة مصر بعد قتل الملك المعظم ابن الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر

(ذكر القبض على الحاجب على نائب الملك الاشرف بخلاط وقتله)

(وفي هذه السنة) أرسل الملك الاشرف مملوكه عز الدين أيبك الاشرفي وهو أكبر أمير عنده الى خلاط فقبض على الحاجب على الموصلي وحبسه ثم قتله وكان حسام الدين على الحاجب المذكور من أهل الموصل وخدم الملك الاشرف فجعله نائبه بخلاط فاحسن الى الرعية وحفظ البلد واستولى على عدة بلاد من أذربيجان مثل نقجوان وغيرها على ماتقدم ذكره فقبض عليه الملك الاشرف وقتله قيل ان ذلك لذنب منه لم يطلع عليه الناس واطلع عليه الملك الكامل والملك الاشرف وهذا الحاجب حسام الدين المذكور كان كثير الخير والمعروف بنى الخان الذى بين حران ونصيبين وبنى الخان الذى بين حمص ودمشق وهو الخان المعروف بخان بريح العطش وهرب مملوك لحسام الدين الحاجب المذكور لما قتل استاذه ولحق بجلال الدين * فلما ملك جلال الدين خلاط على ماسنذكره قبض على ايبك المذكور وسلمه الى المذكور فقتله وأخذ بثاراستاذه

ذكر استيلاء الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد على حماة

ولما سلم الملك الكامل دمشق الى أخيه الملك الاشرف سار من دمشق ونزل على مجمع المروج ثم نزل سلمية وأرسل عسكرا نازلوا حماة وبها صاحبها الملك الناصر قليج أرسلان وكان فيه جبن ولو عصى بحماة وطلب عنها عوضاً كثيراً لاجابه الملك الكامل اليه ولكنه خاف وكان في العسكر الذين نازلوه شيركوه صاحب حمص فارسل الناصر صاحب حماة يقول لشيركوه انى أ يد أن أخرج اليك بالليل لتحضرنى عند السلطان الملك الكامل وخرج الملك الناصر قليج أرسلان ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب المذكور الى شيركوه في العشر الاخير من رمضان هذه السنة وأخذه شيركوه ومضى به الى الملك الكامل وهو نازل على سلمية فحين رأى الملك الكامل قليج أرسلان المذكور شتمه وأمر باعتقاله وان يتقدم الى نوابه بحماة بتسليمها الى الملك الكامل فارسل الناصر قليج أرسلان علامته الى نوابه بحماة أن يسلموها الى عسكر السلطان الملك الكامل فامتنع من ذلك الطواشيان بشر ومرشد المنصوريان وكان بقلعة حماة أخ للملك الناصر يلقب الملك المعز ابن الملك المنصور صاحب حماة فملكوه حماة وقالوا للملك الكامل لا نسلم حماة لغير أحد من أولاد تقى الدين فارسل الملك الكامل يقول للملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب حماة اتفق مع غلمان أبيك وتسلم حماة وكان الملك المظفر نازلا على حماة من جملة العسكر الكاملى فراسل الملك المظفر الحكام بحماة فحلفوا له وواعدوا الملك المظفر أن يحضر بجماعته خاصة وقت السحر الى باب النصر ليفتحوه له فحضر الملك المظفر سحر الليلة التى عينوها ففتحوا له باب النصر

ودخل الملك المظفر ومضى الى دار الوزير المعروفة بدار الاكرام داخل باب المغار وهى الآن مدرسة تعرف بالخاتونية وقفتها عمة مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر المذكور وحضر أهل حماة وهنؤا الملك المظفر بملك حماة وكان ذلك في العشر الاخير من رمضان من هذه السنة وكان مدة ملك الملك الناصر قليج أرسلان حماة تسع سنين الا نحو شهرين وأقام الملك المظفر في دار الاكرام يومين وصعد في اليوم الثالث الى القلعة وتسلمها وجاء عيد الفطر من هذه السنة والملك المظفر مالك حماة وعمره يومئذ نحو سبع وعشرين سنة لان مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان أخوه الملك الناصر قليج أرسلان أصغر منه بسنة * ولما ملك الملك المظفر حماة فوض تدبير أمورها صغيرها وكبيرها الى الامير سيف الدين على الهدباني وكان سيف الدين على ابن أبي على المذكور قد خدم الملك المظفر بعد ابن عمه حسام الدين ابن أبى على الذى كان نائب الملك المظفر بسلمية لما سلمت اليه وهو بمصر عند الملك الكامل ثم حصل بين الملك المظفر وبين حسام الدين ابن أبى على وحشة ففارقه حسام الدين المذكور واتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل وحظى عنده وصار استاذ داره وخدم ابن عمه سيف الدين على المذكور الملك المظفر وكان يقول له اشتهى أراك صاحب حماة وا كون بعين واحدة فاصيب عين سيف الدين على على حصار حماة لما نازلها عسكر الملك الكامل وبقى بفرد عين فحظى عند الملك المظفر لذلك ولكفاية سيف الدين المذكور وحسن تدبيره * ولما استقر الملك المظفر في ملك حماة انتزع الملك الكامل سلمية منه وسلمها الى شيركوه صاحب حمص على ماكان وقع عليه الاتفاق من قبل ذلك ثم ان الملك الكامل رسم للملك المظفر أن يعطى أخاه الملك الناصر قليج أرسلان بارين بكمالها فامتثل ذلك وسلم قلعة بارين الى أخيه الملك الناصر ولم يبق بيد الملك المظفر غير حماة والمعرة وكان بحماة تقدير أربعمائة ألف درهم للملك الناصر وكان قد رسم الملك الكامل للملك المظفر أن يعطى المال المذكور أخاه الملك الناصر فماطل المظفر في ذلك ولم يحصل للملك الناصر من ذلك شئ ولما استقر الملك المظفر بحماة مدحه الشيخ شرف الدين عبد العزيز محمد بن عبد المحسن الانصارى الدمشقى بقصيدة من جملتها

تناهى اليك الملك واشتد كاهله ... وحل بك الراجى فحطت رواحله
ترحلت عن مصر فاحل ربعها ... ولما حللت الشام روض ماحله
وعزت حماة في حمى أنت غاية ... بصولته تحمى كليب ووائله
وقد طال ما ظلت بتدبير اهوج ... يخيب مرجيه ويحرم سائله

ولما

ولما استقر الملك المظفر في ملك حماة رحل الملك الكامل عن سلمية الى البلاد الشرقية التى أخذها من أخيه الملك الاشرف عوضا عن دمشق فنظر في مصالحها ثم سافر الملك المظفر من حماة ولحق الملك الكامل وهو بالشرق وعقد له الملك الكامل العقد هناك على ابنته غازية خاتون بنت الملك الكامل وهى شقيقة الملك المسعود صاحب اليمن وهى والدة الملك المنصور صاحب حماة وأخيه الملك الافضل نور الدين على ابنى الملك المظفر محمود ثم عاد الملك المظفر الى حماة وقد قضيت أمانيه بملك حماة ووصلته بخاله الملك الكامل وكان يتمنى ذلك لما كان بالديار المصرية وكان يصحبه وهو بمصر رجل من أهلها يقال له الزكي القوصى فاتفق وهما بمصر وقد جرى ذكر ملك الملك المظفر حماة وزواجه بنت خاله الملك الكامل فانشده الزكي القوصى

متى أراك كما أهوى وأنت ومن تهوى كانكما روحان في بدن

هناك أنشد والاقدار مصغية هنيت بالملك والاحباب والوطن

فقال له الملك المظفر ان صار ذلك يازكي أعطيتك الف دينار مصرية * فلما ملك الملك المظفر حماة أعطى الزكي ماوعده به * ولما فرغ الملك الكامل من تقرير أمر البلاد الشرقية وهى حران وما معها من البلاد مثل رأس عين والرها وغير ذلك عاد الى الديار المصرية (وفي هذه السنة) أرسل الملك الاشرف أخاه صاحب بصرى الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل بعسكر فنازل بعلبك وبها صاحبها الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب واستمر الحصار عليه (وفيها) سار جلال الدين ملك الخوارزمية وحاصر خلاط وبها أيبك نائب الملك الاشرف الى ان خرجت هذه السنة (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة)

ذكر عمارة شميميش

(في هذه السنة) شرع صاحب حمص شيركوه في عمارة قلعة شميميش وكان لما سلم اليه الملك الكامل سلمية قد استأذنه في عمارة تل شميميش قلعة فاذن له بذلك ولما أراد شيركوه عمارته أراد الملك المظفر صاحب حماة منعه من ذلك ثم لم يمكنه ذلك لكونه بامر الملك الكامل

ذكر استيلاء الملك الاشرف على بعلبك

(وفي هذه السنة) سلم الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب بعلبك الى الملك الاشرف لطول الحصار عليه وعوضه الملك الاشرف عنها الزبدانى وقصير دمشق الذى هو شماليها ومواضع أخر وتوجه الملك الامجد وأقام بداره التى داخل باب النصر بدمشق المعروفة بدار السعادة وهى التى ينزلها النواب

ذكر مقتل الملك الامجد

لما أخذت منه بعلبك ونزل بداره المذكورة كان قد حبس بعض مماليكه في مرقد عنده بالدار وجلس الملك الامجد قدام باب المرقد يلعب بالنرد ففتح المملوك المذكور الباب ومعه سيف وضرب به استاذه الملك الامجد فقتله ثم طلع المملوك الى سطح الدار وألقى نفسه الى وسطها فمات ودفن الملك الامجد بمدرسة والده التى على الشرف وكانت مدة ملكه بعلبك تسعا وأربعين سنة لان عم أبيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ملكه بعلبك سنة ثمان وسبعين وخمسمائة لما مات أبوه فرخشاه وانتزعت منه هذه السنة فذلك خمسون سنة الا سنة وكان الملك الامجد أشعر بنى أيوب وشعره مشهور

ذكر ملك جلال الدين خلاط

﴿ في هذه السنة ﴾ لما طال حصار جلال الدين على خلاط واشتد مضايقتها هجما بالسيف وفعل في أهلها مايفعلونه التتر من القتل والاسترقاق والنهب ثم قبض على نائب الملك الاشرف بها وهو مملوكه أيبك وسلمه الى مملوك حسام الدين الحاجب على الموصل فقتله وأخذ بثار أستاذه

ذكر كسرة جلال الدين بن الملك الاشرف

ولما جرى من جلال الدين ماجرى من أخذ خلاط اتفق صاحب الروم كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان والملك الاشرف ابن الملك العادل فجمع الملك الاشرف عساكر الشام وسار الى سيواس واجتمع فيها بملك بلاد الروم علاء الدين كيقباذ المذكور وسار الى جهة خلاط والتقى الفريقان في التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة فولى الخوارزميون وجلال الدين منهزمين وهلك غالب عسكره قتلا وترديا من رؤس جبال كانت في طريقهم وضعف جلال الدين بعدها وقويت عليه التتر وارتجع الملك الاشرف خلاط وهي خراب يباب ثم وقعت المراسلة بين الملك الاشرف وكيقباذ وجلال الدين وتصالحوا وتحالفوا على مابأيديهم وان لايتعرض أحد منهم الى مابيد الآخر (وفي هذه السنة) استولى الملك المظفر غازى ابن الملك العادل على ارزن من ديار بكر وهي غير ارزن الروم وكان صاحب ارزن ديار بكر يقال له حسام الدين من بيت قديم في الملك فاخذها منه الملك المظفر غازى المذكور وعوضه عن ارزن بمدينة حانى وهذا حسام الدين من بيت كبير يقال لهم بيت الاحدب وارزن لم تزل بايديهم من أيام السلطان ملك شاه السلجوقى الى الآن فسبحان من لايزول ملكه (وفيها) جمعت الفرنج من حصن الاكراد وقصدوا حماة فخرج اليهم الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب

حماة

حماة والتقاهم عند قرية بين حماة وبارين يقال لها افيون وكسرهم كسرة عظيمة ودخل الملك المظفر محمود حماة مؤيدا منصورا (وفيها) ولد الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب (ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة) والسلطان الملك الكامل بديار مصر وأخوه الملك الاشرف بدمشق في ملاذه وقد تخلى عن البلاد الشرقية فان حران وما معها صارت لاخيه الملك الكامل وخلاط صارت خرابا يبابا ولم يكن للملك الاشرف ابن ذكر فاقتنع بدمشق واشتغل باللهو والملاذ (وفيها) سار الملك الاشرف من دمشق الى عند أخيه الملك الكامل وأقام عنده بالديار المصرية متنزها

ذكر قصة التتر فى بلاد الاسلام

(وفي هذه السنة) عاودت التتر قصد بلاد الاسلام وسفكوا وخربوا مثل ما تقدم ذكره وكان قد ضعف جلال الدين لقبح سيرته وسوء تدبيره ولم يترك له صديقا من ملوك الاطراف وعادى الجميع وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلف عليه لما حصل لجلال الدين من فساد عقله وسببه انه كان له مملوك يحبه محبة شديدة واتفق موت ذلك المملوك فحزن عليه حزناً شديداً لم يسمع بمثله وأمر أهل توريز بالخروج والنواح واللطم عليه ثم انه لم يدفنه وبقي يستصحب ذلك المملوك الميت معه حيث سار وهو يلطم ويبكي وكان اذا قدم اليه الطعام يرسل منه الى المملوك الميت ولا يتجاسر أحد أن يتفوه انه ميت فكانوا يحملون اليه الطعام ويقولون انه يقبل الارض وهو يقول انى الآن أصلح مما كنت فانف أمراؤه من ذلك وخرج بعضهم عن طاعته فضعف أمر جلال الدين لذلك ولكسرته من الملك الاشرف فتمكنت التتر من البلاد واستولوا على مراغة وهو استيلاؤهم الثانى

ذكر قتل جلال الدين

ولما تمكن التتر من بلاد اذربيجان سار جلال الدين يريد ديار بكر ليسير الى الخليفة ويلتجيء اليه ويعتضد بملوك الاطراف على التتر ويخوفهم عاقبة أمرهم فنزل بالقرب من آمد فلم يشعر الا والتتر قد كبسوه ليلا وخالطوا مخيمه فهرب جلال الدين وقتل على مانشرحه ان شاء الله تعالي * ولما قتل تمكنت التتر من البلاد وساقوا حتى وصلوا في هذه السنة الى الفرات واضطرب الشام بسبب وصولهم الي الفرات ثم شنوا الغارات في ديار بكر والجزيرة وفعلوا من القتل والتخريب مثل ماتقدم (ومن تاريخ ظهور التتر) تصنيف كاتب انشاء جلال الدين النسوى المنشى المقدم الذكر في سنة ست عشرة وستمائة مااخترناه وأثبتناه من أخبار خوارزم شاه محمد وابنه جلال الدين لملازمة النسوى المذكور جلال الدين في جميع سفراته وغزواته الى ان كبس التتر جلال الدين

والمنشى المذكور كان معه فلذلك كان أخبر بأحوال جلال الدين ووالده من غيره
قال محمد المنشى المذكور ان خوارزم شاه محمد بن تكش عظم شأنه واتسع ملكه
وكان له أربعة أولاد قسم البلاد بينهم أكبرهم جلال الدين منكبرنى وفوض
اليه ملك غزنة وباميان والغور وبست وتكاباد وزميز داور وما يليها من الهند وفوض
خوارزم وخراسان ومازندران الى ولده قطب الدين ازلاغ شاه وجعله ولى
عهده ثم في آخر وقت عزله عن ولاية العهد وفوضها الى جلال الدين منكبرنى
وفوض كرمان وكيش ومكران الى ولده غياث الدين تيز شاه * وقد تقدمت أخباره
وفوض العراق الى ولده ركن الدين غورشاه يحيى وكان أحسن أولاده خلقاً
وخلقاً وقتل المذكور التتر بعد موت أبيه وضرب لكل واحد منهم النوب الخمس في أوقات
الصلوات على عادة الملوك السلجوقية وانفرد أبوهم خوارزم شاه محمد بنوبة ذى القرنين
وانها تضرب وقتى طلوع الشمس وغروبها وكانت دبادبه سبعا وعشرين دبدبة من الذهب
قد رصعت بأنواع الجوهر وكذا باقى الآلات النوبتية وجعل سبعة وعشرين ملكا يضربونها
في أول يوم قرعت وكانوا من أكابر الملوك أولاد السلاطين منهم طغريل بن أرسلان
السلجوقى وأولاد غياث الدين صاحب الغور والملك علاء الدين صاحب باميان والملك تاج
الدين صاحب بلخ وولده الملك الاعظم صاحب ترمذ والملك سنجر صاحب بخارى وأشباههم
وكانت أم خوارزم شاه محمد تركان خاتون من قبيلة بياووت وهى فرع من فروع يمسك
وكانت بنت ملك من ملوكهم تزوجها تكش بن أرسلان بن اطسز بن محمد بن أنوشتكين
غرشه فلما صار الملك الى ولده محمد بن تكش قدم الى والدته تركان خاتون قبائل يمسك
من الترك فعظم شأن ابنها السلطان محمد بهم وتحكمت أيضا بسببهم تركان خاتون في الملك
فلم يملك ابنها اقليما الاوأفرد لخاصها منه ناحية جليلة وكانت ذات مهابة ورأى وكانت تنتصف
للمظلوم من الظالم وكانت جسورة على القتل وعظم شأنها بحيث اذا ورد توقيعان عنها وعن
السلطان ابنها تنظر الى تاريخهما فيعمل بالاخير منهما وكان طغر توقيعها عصمة الدنيا والدين
آلغ تركان ملكة نساء العالمين وعلامتها اعتصمت بالله وحده وكانت تكتبها بقلم غليظ.
وتجود الكتابة قال المؤلف المذكور ثم ان خوارزم شاه محمد لما هرب من التتر بما وراء النهر
وعبر جيحون ثم سار الى خراسان والتتر تتبعه ثم هرب من خراسان ووصل الى عراق
العجم ونزل عند بسطام أحضر عشرة صناديق ثم قال انها كلها جواهر لا تعلم قيمتها ثم
أشار الى صندوقين منها وقال ان فيهما من الجواهر مايساوى خراج الارض بجملتها ثم أمر
بحملها الى قلعة أزدهن وهى من أحصن قلاع الارض وأخذ خط النائب بها بوصول
الصناديق المذكورة مختومة فلما استولى جنكزخان على تلك البلاد حملت اليه الصناديق

المذكورة بختومها ثم ان التتر أدركوا السلطان محمد المذكور فهرب وركب في المركب ولحقه التتر ورموه بالنشاب ونجا السلطان منهم وقد حصل له مرض ذات الجنب قال ووصل الى جزيرة في البحر وأقام بها فريدا طريدا لا يملك طارفا ولا تليدا والمرض يزداد وكان في أهل مازندران اناس يتقربون اليه بالمأكول وما يشتهيه فقال في بعض الايام اني اشتهى يكون عندي فرس يرعى حول خيمتي وقد ضربت له خيمة صغيرة فاهدى اليه فرس أصفر وكان للسلطان محمد المذكور ثلاثون ألف جشار من الخيل وكان اذا أهدى اليه أحد شيئا وهو على تلك الحالة في الجزيرة من مأكول وغيره يطلق لذلك الشخص شيئا ولم يكن عنده من يكتب التواقيع فيتولى ذلك الرجل كتابة توقيعه بنفسه وكان يعطى مثل السكين والمنديل علامة باطلاق البلاد والاموال فلما تولى ابنه جلال الدين أمضى جميع ما أطلقه والده بالتواقيع والعلائم ثم أدركت السلطان محمد المنية وهو بالجزيرة على تلك الحالة فغسله شمس الدين محمود بن بلاغ الجاويش ومقرب الدين مقدم الفراشين ولم يكن عنده ما يكفن به فكفن بقميصه ودفن بالجزيرة في سنة سبع عشرة وستمائة بعد ان كان بابه مزدحم ملوك الارض وعظمائها يتشدرون بجنابه ويتفاخرون بلثم ترابه ورقى الى درجة الملوكية جماعة من مماليكه وحاشيته فصار طشتداره وركبداره وسلحداره وجنداره وغيرهم من أرباب الوظائف كلهم ملوكا وكان في أعلامهم علامات سود يعرفون بها فعلامة الدوادار الدواه والسلحدار القوس وعلامة الطشتدار المسينة والجمدار النفجه وعلامة أميراخور النعل وعلامة الجاويشية قبة ذهب وكان يمد السماط بين يديه ويأكل الناس ويرفع من الطعام الذي في صدر السماط الى بين يدى الاكابر اذا قعدوا على السماط للاكل وكانت الزبادى كلها ذهبية وفضية وكان السلطان محمد المذكور يختص بأمور لا يشاركه فيها أحد منها المجتر منشورا على رأسه اذا ركب ومنها اللكح وهي أنبوبة تتخذ من الذهب الاحمر بين أذني مركوب السلطان يخرج منها المعرفة وتشد الى طرف اللجام ومنها الاعلام السود والسروج السود والنفج السود محمولة على اكتاف الجمدارية ولا تحمل لغيره على الكتف ومنها ان جنائبه كانت تجر قدامه وجنائب غيره من الملوك كانت تجر وراءهم ومنها ان اذناب خيله تلف من أوساطها مقدار شبرين ومنها الجلوس بين يديه على الركبتين لمن يريد مخاطبته قال المؤلف المذكور ثم سار جلال الدين بعد موت أبيه السلطان محمد من الجزيرة الى خوارزم ثم هرب من التتر ولحق بغزنة وجرى بينه وبين التتر من القتال فهرب جلال الدين من غزنة الى الهند فلحقه جنكزخان على ماء السند وتصافقا صبيحة يوم الاربعاء لثمان خلون من شوال سنة ثمان عشرة وستمائة وكانت الكرة أولا على جنكزخان ثم عادت على جلال الدين وحال بينهما الليل وولى جلال الدين منهزما وأسر ولد جلال

الدين وهو ابن سبع أو ثمان سنين وقتل بين يدى جنكزخان صبرا ولما عاد جلال الدين الى حافة ماء السند كسيرا رأى والدته وأم ولده وجماعة من حرمه يصحن بالله عليك اقتلنا أو خلصنا من الاسر فأمر بهن فغرقن وهذه من عجائب البلايا ونوادر المصائب والرزايا ثم اقتحم جلال الدين وعسكره ذلك النهر العظيم فنجا منهم الى ذلك البر تقدير أربعة آلاف رجل حفاة عراة ورمى الموج جلال الدين مع ثلاثة من خواصه الى موضع بعيد وفقده أصحابه ثلاثة أيام وبقى أصحابه لفقده حائرين وفي تيه الفكر سائرين الى أن اتصل بهم جلال الدين فاعتدوا بمقدمه عيدا وظنوا انهم أنشوا خلقا جديدا ثم جرى بين جلال الدين وبين أهل تلك البلاد وقائع انتصر فيها جلال الدين ووصل الى لهاوور من الهند ولما عزم جلال الدين على العود الى جهة العراق استناب بهلوان أزبك على ما كان يملكه من بلاد الهند واستناب معه حسن قراق ولقبه وفا ملك وفي سنة سبع وعشرين وستمائة طرد وفا ملك بهلوان أزبك واستولى وفاملك على ما كان بيليه البهلوان من بلاد الهند ثم ان جلال الدين عادمن الهند ووصل الى كرمان في سنة احدى وعشرين وستمائة وقاسى هو وعسكره في البرارى القاطعة بين كرمان والهند شدائد ووصل معه أربعة آلاف رجل بعضهم ركاب ابقار وبعضهم ركاب حمير ثم سار جلال الدين الى خورستان واستولى عليها ثم استولى على أذربيجان ثم استولى على كنجة وسائر بلاد أران ثم ان جلال الدين نقل أباه من الجزيرة الى قلعة أزدهن ودفنه بها ولما استولى التتر على القلعة المذكورة نبشوه وأحرقوه وهذا كان فعلهم في كل ملك عرفوا قبره فانهم نبشوا محمود بن سبكتكين من غزنة وأحرقوا عظامه ثم ذكر ماتقدمت الاشارة اليه من استيلاء جلال الدين على خلاط وغير ذلك ثم ذكر نزوله على جسر قريب آمد وارساله يستنجد الملك الاشرف ابن الملك العادل فلم ينجده وعزم جلال الدين على المسير الى أصفهان ثم انثنى عزمه عنه وبات بمنزله وشرب تلك الليلة فسكر سكرا خماره دوار الرأس وتقطع الانفاس وأحاط التتر به وبعسكره مصبحين

فساهم وبسطهم حرير ... وصبحهم وبسطهم تراب

ومن في كفه منهم قناة ... كمن في كفه منهم خضاب

وأحاطت اطلاب التتر بخركاة جلال الدين وهو نائم سكران فحمل بعض عسكره وهو ارخان وكشف التتر عن الخركاة ودخل بعض الخواص وأخذ بيد جلال الدين وأخرجه وعليه طاقية بيضاء فاركبه الفرس وساق ارخان مع جلال الدين وتبعه التتر فقال جلال الدين لارخان انفرد عنى بحيث تشتغل التتر بتبع سوادك وكان ذلك خطأ منه فان ارخان تبعه جماعة من العسكر وصاروا تقدير أربعة آلاف فارس وقصد أصفهان واستولى عليها مدة ولما

انفرد جلال الدين عن ارخان ساق الى باسورة آمد فلم يمكن من الدخول الى آمد فسار الى قرية من قرى ميا فارقين طالبا شهاب الدين غازى ابن الملك العادل صاحب ميافارقين ثم لحقه التتر في تلك القرية فهرب جلال الدين الى جبل هناك وبه اكراد يتخطفون الناس فأخذوه وشلحوه وأرادوا قتله فقال جلال الدين لاحدهم انى أنا السلطان فاستبقنى أجعلك ملكا فأخذه الكردى وأتى به الى امرأته وجعله عندها ومضى الكردى الى الجبل لاحضار ماله هناك فحضر شخص كردى ومعه حربة وقال للمرأة لم لا تقتلون هذا الخوارزمى فقالت المرأة لا سبيل الى ذلك فقد أمنه زوجى فقال الكردى انه السلطان وقد قتل لى أخا بخلاط خيرا منه وضربه بالحربة فقتله وكان جلال الدين أسمر قصيرا تركى السارة والعبارة وكان يتكلم بالفارسية أيضاً ويكاتب الخليفة على مبدأ الامر على ما كان يكاتبه به أبوه خوارزم شاه محمد فكان يكتب خادمه المطواع منكبرنى ثم بعد أخذ خلاط كاتبه بعبده وكان يكتب الى ملك الروم وملوك مصر والشام اسمه واسم أبيه ولم يرض أن يكتب لاحد منهم خادمه أو أخوه أو غير ذلك وكانت علامته على تواقيعه النصرة من الله وحده وكان اذا كاتب صاحب الموصل أو اشباهه يكتب له هذه العلامة تعظيما عن ذكر اسمه وكان يكتب العلامة بقلم غليظ وكان جلال الدين يخاطب بخزاوند عالم أى صاحب العالم وكان مقتله في منتصف شوال من هذه السنة أعنى سنة ثمان وعشرين وستمائة وهذا ما نقلناه من تاريخ محمد المنشى وهو ممن كان في خدمة جلال الدين الى ان قتل وكان كاتب الانشاء الذى له وكان محظيا متقدما عنده

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) انتهى التاريخ الكامل تأليف الشيخ عز الدين على المعروف بابن الاثير الجزرى المنقول غالب هذا المختصر منه فانه ألفه من هبوط آدم الى سنة ثمان وعشرين وستمائة وتوفي عز الدين ابن الاثير المذكور في سنة ثلاثين وستمائة على ما سنذكره ان شاء الله تعالى بعد آخر تاريخه بسنتين (وفيها) في ذى القعدة توفي بالقاهرة أبو الحسن يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور الزواوى النحوى الحنفى كان أحد أئمة عصره في النحو واللغة وسكن دمشق زمانا طويلا وصنف تصانيف مفيدة منها منظومته الالفية المشهورة وكان مولده سنة أربع وستين وخمسمائة والزواوى منسوب الى زواوة وهى قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال أفريقية (ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة) والسلطانان الكامل والاشرف بالديار المصرية والملك المظفر بحماة مالكها ومعها المعرة وأخوه الملك الناصر قليج أرسلان ببارين مالكها والعزيز محمد بن الظاهر غازى قد استقل بملك حلب والتتر قد استولوا على بلاد العجم كلها والخليفة المستنصر بالعراق ثم ارتحل في هذه السنة

الملك الكامل وأخوه الملك الاشرف من ديار مصر وسارا الى البلاد الشرقية فسار الملك الكامل الى الشوبك واحتفل له الملك الناصر داود ابن المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن أيوب احتفالا عظيما بالضيافات والاقامات والتقادم وحصل بينهما الاتحاد التام وكان نزول الملك الكامل باللجون قرب الكرك وهي منزلة الحجاج في العشر الاخير من شعبان هذه السنة ووصل اليه باللجون صاحب حماة الملك المظفر محمود ملتقيا وسافر الناصر داود مع الملك الكامل بعسكره الى دمشق واستصحب الملك الكامل معه ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب وجعل نائبه بمصر ولده وولي عهده الملك العادل سيف الدين أبا بكر ابن الملك الكامل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ثم سار الملك الكامل ونزل سلمية واجتمع معه ملوك أهل بيته في جمع عظيم ثم سار بهم الى آمد وحصرها وتسلمها من صاحبها الملك المسعود ابن الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق ومحمد بن قرا ارسلان المذكور هو الذى ملكه السلطان صلاح الدين آمد بعد انتزاعها من ابن نيسان وكان سبب انتزاع الملك الكامل آمد من الملك المسعود المذكور لسوء سيرة الملك المسعود وتعرضه لحريم الناس وكان له عجوز قوادة يقال لها الازاء كانت تؤلف بينه وبين نساء الناس الاكابر ونساء الملوك ولما نزل الملك المسعود الى خدمة الملك الكامل وسلم آمد وبلادها اليه ومن جملة معاقلها حصن كيفا وهو في غاية الحصانة أحسن الملك الكامل الى الملك المسعود وأعطاه اقطاعا جليلة بديار مصر ثم بدت منه أمور اعتقله الملك الكامل بسببها ولم يزل الملك المسعود معتقلا الى ان مات الملك الكامل فخرج من الاعتقال واتصل بحماة فاحسن اليه الملك المظفر محمود صاحب حماة ثم سافر الملك المسعود المذكور الى الشرق واتصل بالتتر فقتلوه ولما تسلم الملك الكامل آمد وبلادها رتب فيها النواب من جهته وجعل فيها ولده الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وجعل معه شمس الدين صواب العادلي وخرجت هذه السنة والملك الكامل بالشرق ولما خرج الملك الكامل من مصر في هذه السنة خرج صحبته بنتاه فاطمة خاتون زوجة الملك العزيز صاحب حلب وغازية خاتون زوجة الملك المظفر صاحب حماة بنتا الملك الكامل وحملت كل منهما الى بعلها واحتفل لدخولهما بحماة وحلب (وفي هذه السنة) ظنا توفي علي ابن رسول النائب على اليمن واستقر مكانه ولده عمر بن علي (ثم دخلت سنة ثلاثين وستمائة) في هذه السنة رجع السلطان الملك الكامل من البلاد الشرقية بعد ترتيب أمورها وسار الى ديار مصر ورجع كل ملك الى بلده

ذكر استيلاء الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب حلب على شيزر

وكانت شيزر بيد شهاب الدين يوسف بن مسعود بن سابق الدين عثمان بن الداية وكان

سابق

سابق الدين عثمان بن الداية المذكور واخوته من أكابر أمراء نور الدين محمود بن زنكى ثم اعتقل الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين الشهيد سابق الدين عثمان ابن الداية وشمس الدين أخاه فانكر السلطان صلاح الدين عليه ذلك وجعله حجة لقصد الشام وانتزاعه من الملك الصالح اسمعيل فاتصل أولاد الداية بخدمة السلطان صلاح الدين وصاروا من أكبر أمرائه وكانت شيزر اقطاع سابق الدين المذكور فاقره السلطان صلاح الدين عليها وزاده أبا قبيس لما قتل صاحبها حاردكن ثم ملك شيزر بعده ولده مسعود بن عثمان حتى مات وصارت لولده شهاب الدين يوسف المذكور الى هذه السنة فسار الملك العزيز صاحب حلب بامر الملك الكامل وحاصر شيزر وقدم اليه وهو على حصارها الملك المظفر محمود صاحب حماة مساعدا له فسلم شهاب الدين يوسف شيزر الى الملك العزيز ونزل الى خدمته فتسلمها في هذه السنة وهنى الملك العزيز يحيى بن خالد بن قيسرانى بقوله

يامالكا عم اهل الارض نائله   وخص احسانه الدانى مع القاصى
لما رأت شيزر آيات نصرك في   ارجائها القت العاصى الى العاصى

ثم ولى الملك العزيز على شيزر وأحسن الى الملك المظفر محمود صاحب حماة ورحل كل منهما الى بلده (وفي هذه السنة) استأذن الملك المظفر محمود صاحب حماة الملك الكامل في انتزاع بارين من أخيه قليج ارسلان لانه خشى ان يسلمها الى الفرنج لضعف قليج ارسلان عن مقاومتهم فاذن الملك الكامل له في ذلك فسار الملك المظفر من حماة وحاصر بارين وانتزعها من أخيه قليج ارسلان ابن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولما نزل قليج ارسلان الى أخيه الملك المظفر أحسن اليه وسأله في الاقامة عنده بحماة فامتنع وسار الى مصر فبذل له الملك الكامل اقطاعا جليلا وأطلق له أملاك جده بدمشق ثم بدا منه مالا يليق من الكلام فاعتقله الملك الكامل الى ان مات قليج ارسلان المذكور في الحبس سنة خمس وثلاثين وستمائة قبل موت الملك الكامل بايام

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة توفي مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كجك وقد تقدم ذكر ملكه اربل بعد موت أخيه نور الدين يوسف بن زين الدين على في سنة ست وثمانين وخمسمائة لما كانا في خدمة السلطان صلاح الدين في الجهاد بالساحل فبقى مالكها من تلك السنة الى هذه السنة ولما مات مظفر الدين المذكور لم يكن له ولد فوصى باربل وبلادها للخليفة المستنصر فتسلمها الخليفة بعد موت مظفر الدين المذكور وكان مظفر الدين ملكا شجاعا وفيه عسف في استخراج الاموال من الرعية وكان يحتفل بمولد النبي

صلى الله عليه وسلم وينفق فيه الاموال الجليلة (وفيها) في شعبان توفي الشيخ عز الدين
على بن محمد بن محمدبن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى
ولد بجزيرة ابن عمر في رابع جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ونشأ بها ثم
سار الى الموصل مع والده واخوته وسمع بها من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب
الطوسى ومن في طبقته وقدم بغداد مرارا حاجا ورسولا من صاحب الموصل وسمع
من الشيخين يعيش بن صدقة وعبد الوهاب بن على الصوفي وغيرهما ثم رحل الى الشام
والقدس وسمع هناك من جماعة ثم عاد الى الموصل وانقطع في بيته للتوفيز على العلم وكان
اماما في علم الحديث وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيرا بانساب العرب وأخبارهم
صنف في التاريخ كتابا كبيرا سماه الكامل وهو المنقول منه غالب هذا المختصر ابتدأ فيه
من أول الزمان الى سنة ثمان وعشرين وستمائة وله كتاب أخبار الصحابة في ست مجلدات
واختصر كتاب الانساب للسمعانى وهو الموجود في أيدى الناس دون كتاب السمعانى
وورد الى حلب في سنة ست وعشرين وستمائة ونزل عند الطواشى طغريل الاتابك بحلب
فاكرمه اكراما زائدا ثم سافر الى دمشق سنة سبع وعشرين ثم عاد الى حلب في سنة
ثمان وعشرين ثم توجه الى الموصل فتوفي بها في التاريخ المذكور ونسبة الجزيرة الى ابن
عمر وهو رجل من أهل برقعيد من أعمال الموصل اسمه عبد العزيز بن عمر بنى هذه
المدينة فاضيفت اليه ﴿ ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وستمائة ﴾ في هذه السنة في المحرم
توفي شهاب الدين طغريل الاتابك بحلب

ذكر مسير السلطان الملك الكامل من مصر الى قتال كيقباذ ملك بلاد الروم

في هذه السنة وقع من كيقباذ بن كيخسرو ملك بلاد الروم التعرض الى بلاد خلاط
فرحل الملك الكامل بعساكره من مصر واجتمعت عليه الملوك من أهل بيته ونزل شمالى
سلمية في شهر رمضان من هذه السنة ثم سار بجموعه ونزل على النهر الازرق في حدود
بلد الروم وقد ضرب في عسكره سنة عشر دهليزا لستة عشر ملكا في خدمته منهم اخوته
الملك الاشرف موسى صاحب دمشق والملك المظفر غازى صاحب ميافارقين والملك الحافظ
ارسلان شاه صاحب قلعة جعبر والصالح اسمعيل أولاد الملك العادل والملك المعظم تورانشاه
ابن السلطان صلاح الدين كان قد أرسله ابن أخيه الملك العزيز صاحب حلب مقدما على
عسكر حلب الى خدمة السلطان الملك الكامل والملك الزاهر صاحب البيرة داود بن
السلطان صلاح الدين وأخوه الملك الافضل موسى صاحب صميصات ابن السلطان صلاح
الدين وكان قد ملكها بعد أخيه الملك الافضل على والملك المظفر محمود صاحب حماة ابن

الملك

الملك المنصور محمد والملك الصالح أحمد صاحب عينتاب ابني الملك الظاهر صاحب حلب والملك الناصر داود صاحب الكرك بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل والملك المجاهد شيركوه صاحب حمص بن محمد بن شيركوه وكان قد حفظ كيقباذ ملك بلاد الروم الدربندات بالرجال والمقاتلة فلم يتمكن السلطان من الدخول الى بلاد الروم من جهة النهر الازرق وأرسل بعض العسكر الى حصن منصور وهو من بلاد كيقباذ فهدموه ورحل السلطان وقطع الفرات وسار الى السويدا وقدم جاسته تقدير ألفين وخمسمائة فارس مع الملك المظفر صاحب حماة فسار الملك المظفر بهم الى خرتبرت وسار كيقباذ ملك الروم اليهم واقتتلوا فانهزم العسكر الكاملي وانحصر الملك المظفر صاحب حماة في خرتبرت مع جملة من العسكر وجد كيقباذ في حصارهم والملك الكامل بالسويدا وقد أحس من الملوك الذين في خدمته بالمخامرة والتقاعد فان شيركوه صاحب حمص سعى اليهم وقال ان السلطان ذكر انه متى ملك بلاد الروم فرقه على الملوك من أهل بيته عوض مابايديهم من الشام ويأخذ الشام جميعه لينفرد بملك الشام ومصر فتقاعدوا عن القتال وفسدت نياتهم وعلم الملك الكامل بذلك فما أمكنه التحرك الى قتال كيقباذ لذلك ودام الحصار على الملك المظفر صاحب حماة فطلب الامان فامنه كيقباذ ونزل اليه الملك المظفر فاكرمه كيقباذ وخلع عليه ونادمه وتسلم كيقباذ خرتبرت وأخذها من صاحبها وكان من الارتقية قرايب أصحاب ماردين وكان قد دخل في طاعة الملك الكامل وصارت خرتبرت من بلاد كيقباذ وكان نزول المظفر صاحب حماة من خرتبرت يوم الاحد لسبع بقين من ذى القعدة وأقام عند كيقباذ يومين ثم أطلقه وسار من عنده لخمس بقين من ذى القعدة من هذه السنة أعني سنة احدى وثلاثين وستمائة ووصل بمن معه الى الملك الكامل وهو بالسويدا من بلاد آمد ففرح به وقوى نفرة السلطان الملك الكامل يومئذ من الناصر داود صاحب الكرك فالزمه بطلاق بنته فطلقها الناصر داود وأثبت الملك الكامل طلاقها منه (وفي هذه السنة) استتم بناء قلعة المعرة وكان قد أشار سيف الدين على بن أبي على الهذباني على الملك المظفر صاحب حماة ببنائها فبناها وتمت الآن وشحنها بالرجال والسلاح ولم يكن ذلك مصلحة لان الحلبيين حاصروها فيما بعد وأخذوها وخربت المعرة بسببها (وفي هذه السنة) توفي سيف الدين الآمدى وكان فاضلا في العلوم العقلية والاصولين وغيرها واسمه على بن أبي على بن محمد بن سالم الثعلبي وكان في مبتدأ أمره حنبليا ثم انتقل وصار فقيها شافعيا واشتغل بالاصول وصنف في أصول الفقه وأصول الدين والمعقولات عدة مصنفات وأقام بمصر مدة وتصدر في الجامع وفي المدرسة الملاصقة لتربة الشافعي وتحامل عليه الفقهاء الفضلاء وعملوا محضرا ونسبوه فيه الى انحلال العقيدة

ومذهب الفلاسفة وحملوا المحضر الى بعض الفقهاء الفضلاء ليكتب خطه حسبما وضعوا خطوطهم به فكتب

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

ولما جرى ذلك استتر الآمدى المذكور وسار الى حماة وأقام فيها مدة ثم عاد الى دمشق حتى توفي بها في هذه السنة وكانت ولادته في سنة احدى وخمسين وخمسمائة (وفيها) توفي الصلاح الاربلى وكان فاضلا شاعرا أميرا محظيا عند الملكين الكامل والاشرف ابنى الملك العادل (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة) والملك الكامل بالبلاد الشرقية وقد انثنى عزمه عن قصد بلاد الروم للتخاذل الذى حصل في عسكره ثم رحل وعاد الى مصر وعاد كل واحد من الملوك الى بلده (وفيها) توفي الملك الزاهر داود صاحب البيرة ابن السلطان صلاح الدين وكان قد مرض في العسكر الكاملى فحمل الى البيرة مريضا وتوفي بها وملك البيرة بعده ابن أخيه الملك العزيز محمد صاحب حلب وكان الزاهر المذكور شقيق الظاهر صاحب حلب (وفيها) توفي القاضى بهاء الدين بن شداد في صفر وكان عمره نحو ثلاث وتسعين سنة وصحب السلطان صلاح الدين وكان قاضى عسكره ولما توفي صلاح الدين كان عمر القاضى المذكور نحو خمسين سنة ونال القاضى بهاء الدين المذكور من المنزلة عند أولاد صلاح الدين وعند الاتابك طغريل مالم ينلها أحد ولم يكن في أيامه من اسمه شداد بل لعل ذلك في نسب أمه فاشتهر به وغلب عليه وأصله من الموصل وكان فاضلا دينا وكان اقطاعه على الملك العزيز مايزيد على مائة ألف درهم في السنة (وفيها) لما سارت الملوك الى بلادهم من خدمة الملك الكامل وصل الملك المظفر صاحب حماة ودخلها لخمس بقين من ربيع الاول من هذه السنة واتفق مولد ولده الملك المنصور محمد بعد مقدمه بيومين في الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الاول من هذه السنة أعنى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة فتضاعف السرور بقدوم الوالد والولد قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد قصيدة طويلة في ذلك فمنها

غدا الملك محروس الذرى والقواعد ... باشرف مولود لاشرف والد

حبينا به يوم الخميس كأنه ... خميس بدا للناس في شخص واحد

وسميته باسم النبى محمد ... وجديه فاستوفى جميع المحامد

أى باسم جديه الملك الكامل محمد والد والدته والملك المنصور محمد صاحب حماة والد والده ومنها

كأنى به في سدة الملك جالسا ... وقد ساد في أوصافه كل سائد

ووافاك من أبنائه وبنيهم ... بانجم سعد نورها غير خامد

ألا أيها الملك المظفر دعوتى ستورى بهازندى ويشتد ساعدى
هنيئا لك الملك الذى بقدومه ترحل عنا كل هم مماود

﴿ وفيها ﴾ لما تفرقت العساكر الكاملية قصد كيقباذ بن كيخسرو صاحب بلاد الروم حران والرها وحاصرهما واستولي عليهما وكانا للسلطان الملك الكامل (وفيها) توفي بالقاهرة القاسم بن عمر بن علي الحموى المصرى الدار المعروف بابن الفارض وله أشعار جيدة منها قصيدته التي عملها على طريقة الفقراء وهي مقدار سمائة بيت (ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة) في هذه السنة سار الناصر داود من الكرك الى بغداد ملتجئا الي الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف من عمه الملك الكامل وقدم الى الخليفة تحفا عظيمة وجواهر نفيسة فاكرمه الخليفة المستنصر وخلع عليه وعلى أصحابه وكان الناصر داود يظن ان الخليفة يستحضره في ملا من الناس كما استحضر مظفر الدين صاحب أربل فلم يحصل له ذلك وألح في طلب ذلك من الخليفة فلم يجبه فعمل الناصر المذكور قصيدة يمدح المستنصر فيها ويعرض بصاحب أربل واستحضاره ويطلب الاسوة به وهي قصيدة طويلة منها

فأنت الامام العدل والمفرق الذى به شرفت أسبابه ومناسبه
جمعت شتيت المجد بعد افتراقه وفرقت جمع المال فانهال كاتبه
ألا ياأمير المؤمنين ومن غدت على كاهل الجوزاء تعلو مراتبه
أيحسن في شرع المعالى ودينها وأنت الذى تعزى اليك مذاهبه
بأنى أخوض الدو والدو مقفر سآريبه مغبرة وسباسبه
وقد رصد الاعداء لى كل مرصد فكلهم نحوى تدب عقاربه

ومنها

وتسمح لى بالمال والجاه بغيتى وما الجاه الا بعض ماأنت واهبه
ويأتيك غيرى من بلاد قريبة له الأمن فيها صاحب لايجانبه
فيلقى دنوا منك لم ألق مثله ويحظى وما أحظى بما أنا طالبه
وينظر من لالآء قدسك نظرة فيرجع والنور الامامى صاحبه
ولو كان يعلونى بنفس ورتبة وصدق ولاء لست فيه أصاقبه
لكنت أسلى النفس عما أرومه وكنت أذود العين عما يراقبه
ولكنه مثلى ولو قلت اننى أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه
وما أنا ممن يملأ المال عينه ولابسوى التقريب تقضى ماربه

وكان الخليفة متوقفا على استحضار الناصر داود رعاية لخاطر الملك الكامل فجمع بين

المصلحتين واستحضره ليلا ثم عاد الملك الناصر الى الكرك (وفي هذه السنة) سار السلطان الملك الكامل من مصر الى البلاد الشرقية واسترجع حران والرها من يد كيقباذ صاحب بلاد الروم وأمسك أجناد كيقباذ ونوابه الذين كانوا بهما وقيدهم وأرسلهم الى مصر فلم يستحسن ذلك منه ثم عاد الملك الكامل الى دمشق وأقام عند أخيه الملك الاشرف حتى خرجت هذه السنة (وفي هذه السنة) توفي شرف الدين محمد بن نصر بن عنين الزرعي الشاعر المشهور وكان شاعرا مفلقا وكان يكثر هجو الناس عمل قصيدة خمسمائة بيت سماها مقراض الاعراض لم يسلم منها أحد من أهل دمشق ونفاه السلطان صلاح الدين الى اليمن فمدح صاحبها طغتكين بن أيوب وحصل له منه أموال كثيرة عمل بها ابن عنين متجرا وقدم به الى مصر وصاحبها حينئذ العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين فلما أخذت من ابن عنين زكاه مامعه على عادة التجار قال في العزيز

ما كل من يتسمى بالعزيز لها ... أهل ولا كل برق سحبه غدقه

بين العزيز بن بون في فعالهما ... هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقه

ثم سار ابن عنين المذكور الى دمشق ولازم الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبقي عنده وتوفي بدمشق في هذه السنة وديوانه مشهور (ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة) فيها عاد السلطان الملك الكامل الى الديار المصرية

ذكر وفاة الملك العزيز صاحب حلب

(وفي هذه السنة) كان قد خرج الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى حارم للصيد ورمى البندق واغتسل بماء بارد فحم ودخل الى حلب وقد قويت به الحمى واشتد مرضه وتوفي في ربيع الاول من هذه السنة وكان عمره ثلاث وعشرين سنة وشهورا وكان حسن السيرة في رعيته ولما توفي تقرر في الملك بعده ولده الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد وعمره نحو سبع سنين وقام بتدبير الدولة شمس الدين لولو الارمني وعز الدين عمر بن مجلي وجمال الدولة اقبال الخاتوني والمرجع في الامور الى والدة الملك العزيز ضيفة خاتون بنت الملك العادل (وفي هذه السنة) توفي علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو صاحب بلاد الروم وملك بعده ابنه غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلمش بن ارسلان بن سلجوق (وفي هذه السنة) قويت الوحشة بين الملك الكامل وبين أخيه الملك الاشرف وكان ابتداؤها مافعله شيركوه صاحب حمص لما قصد الملك الكامل بلاد الروم فاتفق الملك الاشرف مع صاحبة حلب ضيفة خاتون

اخت

أخت الملك الكامل ومع باقي الملوك على خلاف الملك الكامل خلا الملك المظفر صاحب حماة فلما امتنع تهدده الملك الاشرف بقصـد بلاده وانتزاعها منه فقدم خوفا من ذلك الى دمشق وحلف للملك الاشرف ووافقه على قتال الملك الكامل وكاتب الملك الاشرف كيخسرو صاحب بلادالروم واتفق معه على قتال أخيه الملك الكامل ان خرج من مصر وأرسل الملك الاشرف يقول للناصر داود صاحب الكرك انك ان وافقتني جعلتك ولي عهدي وأوصيتلك بدمشق وزوجتك بابنتي فلم يوافقه الناصر على ذلك لسوء حظه ورحل الى الديار المصرية الى خدمة الملك الكامل وصار معه على ملوك الشام فسر به الملك الكامل وجدد عقده على ابنته عاشورا التي طلقها منه واركب الناصر داود بسناجق السلطنة ووعده انه ينتزع دمشق من الملك الاشرف أخيه ويعطيه اياها وأمر الملك الكامل أمراء مصر وولده الملك العادل أبا بكر ابن الملك الكامل فحملوا الغاشية بين يدي الملك الناصر داود وبالغ في اكرامه (وفي هذه السنة) توجه عسكر حلب مع الملك المعظم توران شاه عم الملك العزيز فحاصروا بغراس وكان قد عمرها الداويه بعد مافتحها السلطان صلاح الدين وخربها وأشرف عسكر حلب على أخذها ثم رحلوا عنها بسبب الهدنة مع صاحب انطاكية ثم ان الفرنج أغاروا على ربض دربساك وهي حينئذ لصاحب حلب فوقع بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والاسر وعاد عسكر حلب بالاسرى ورؤس الفرنج وكانت هذه الوقعة من أجل الوقائع (وفي هذه السنة) استخدم الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وهو بالبلاد الشرقية وهي آمد وحصن كيفا وحران وغيرها نائبا عن أبيه الخوارزمية عسكر جلال الدين منكبرني فانهـم بعد قتله ساروا الى كيقباذ ملك بلاد الروم وخدموا عنده وكان فيهم عدة مقدمين مثل بركب خان وكشلوخان وصاروخان وفرخان ورديخان * فلما مات كيقباذ وتولى ابنه كيخسرو قبض على بركب خان وهو أكبر مقدميهم ففارقت الخوارزمية حينئذ خدمته وساروا عن الروم ونهبوا ما كان على طريقهم فاستمالهم الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل واستأذن أباه في استخدامهم فاذن له واستخدمهم *ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة* وقد استحكمت الوحشة بين الاخوين الكامل والاشرف وقد لحق الملك الاشرف الذرب وضعف بسببه وعهد بالملك الى أخيه الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل صاحب بصرى

ذكر وفاة الملك الاشرف

(وفي هذه السنة) توفي الملك الاشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب وكان قد مرض بالذرب واشتد به حتى توفي في المحرم من هذه السنة وتملك دمشق أخوه الصالح اسماعيل بعهد منه وكان مدة ملك الاشرف دمشق ثمـان سنين

وشهورا وعمره نحو ستين سنة وكان مفرط السخاء يطلق الاموال الجليلة النفيسة وكان ميمون النقيبة لم تنهزم له راية وكان سعيدا ويتفق له أشياء خارقة للعقل وكان حسن العقيدة وبنى بدمشق قصورا ومتنزهات حسنة وكان منهمكا في اللذات وسماع الاغاني فلما مرض أقلع عن ذلك وأقبل على الاستغفار الى ان توفي ودفن في تربته بجانب الجامع ولم يخلف من الاولاد الا بنتا واحدة تزوجها الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل وكان سبب الوحشة بينه وبين أخيه الملك الكامل بعد ماكان بينهما من المصافاة ان الملك الاشرف لم يبق بيده غير دمشق وبلادها وكانت لاتفي بما يحتاجه وما يبذله وقت قدوم أخيه الملك الكامل الى دمشق وأيضا لما فتح الملك الكامل آمد وبلادها لم يزده منها شيئاً وأيضا بلغه ان الملك الكامل يريد ان ينفرد بمصر والشام وينتزع دمشق منه فتغير بسبب ذلك ولما استقر الملك الصالح اسماعيل في ملك دمشق كتب الى الملوك من أهله والى كيخسرو صاحب بلاد الروم في اتفاقهم معه على أخيه الملك الكامل فوافقوه على ذلك الا الملك المظفر صاحب حماة وأرسل الملك المظفر رسولا الى الملك الكامل يعرفه امتناعه اليه وانه انما وافق الملك الاشرف خوفا منه فقبل الملك الكامل عذره وتحقق صدق ولائه ووعده بانتزاع سلمية من صاحب حمص وتسليمها اليه

﴿ ذكر مسير السلطان الملك الكامل الى دمشق واستيلائه عليها ووفاته ﴾

وما يتعلق بذلك * لما بلغ الملك الكامل وفاة أخيه الملك الاشرف سار الى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك وهو لايشك ان الملك الكامل يسلم اليه دمشق لما كان قد تقرر بينهما * وأما الملك الصالح اسمعيل فانه استعد للحصار ووصل اليه نجدة الحلبيين وصاحب حمص ونازل الملك الكامل دمشق وأخرج الملك الصالح اسمعيل النفاطين فاحرق العقيبة جميعها وما بها من خانات وأسواق وفي مدة الحصار وصل من عند صاحب حمص رجالة يزيدون على خمسين راجلا نجدة للصالح اسمعيل وظفر بهم الملك الكامل فشنقهم بين البساتين عن آخرهم وحال نزول الملك الكامل على دمشق أرسل توقيعا للملك المظفر صاحب حماة بسلمية فتسلمها الملك المظفر واستقرت نوابه بها وكان نزول الملك الكامل على دمشق في جمادى الاولى من هذه السنة في قوة الشتاء ثم سلم الملك الصالح اسمعيل دمشق الى أخيه الملك الكامل وتعوض عنها ببعلبك والبقاع مضافاً الى بصرى وكان قد ورد من الخليفة المستنصر محيي الدين يوسف ابن الشيخ جمال الدين ابن الجوزى رسولا للتوفيق بين الملوك فتسلم الملك الكامل دمشق لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى وكان الملك الكامل شديد الحنق على شيركوه صاحب حمص

فأمر العسكر فبرزوا لقصد حمص وأرسل الى صاحب حماة وأمره بالمسير اليها فبرز الملك المظفر من حماة ونزل على الرستن واشتد خوف شيركوه صاحب حمص وتخضع الملك الكامل وأرسل اليه نساءه ودخلن على الملك الكامل فلم يلتفت الى ذلك ثم بعد استقرار الملك الكامل في دمشق لم يلبث غير أيام حتى مرض واشتد مرضه وكان سببه انه لما دخل قلعة دمشق أصابه زكام فدخل الحمام وسكب عليه ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة الى معدته وتورمت منها وحصل له حمى ونهاه الاطباء عن القيء وخوفوه منه فلم يقبل وتقيأ فمات لوقته وعمره نحو ستين سنة وكانت وفاته لتسع بقين من رجب من هذه السنة أعني سنة خمس وثلاثين وستمائة وكان بين موته وموت أخيه الملك الاشرف نحو ستة أشهر وكانت مدة ملكه لمصر من حين مات أبوه عشرين سنة وكان بها نائبا قبل ذلك قريباً من عشرين سنة فحكم في مصر نائباً وملكا نحو أربعين سنة وأشبه حاله حال معاوية بن أبي سفيان فانه حكم في الشام نائبا نحو عشرين وملكا نحو عشرين وكان الملك الكامل ملكا جليلا مهيبا حازما حسن التدبير أمنت الطرق فى أيامه وكان يباشر تدبير المملكة بنفسه واستوزر في أول ملكه وزير أبيه صفي الدين بن شكر فلما مات ابن شكر لم يستوزر أحدا بعده وكان يخرج الملك الكامل بنفسه فينظر في أمور الجسور عند زيادة النيل واصلاحها فعمرت في أيامه ديار مصر أتم العمارة وكان محبا للعلماء ومجالستهم وكانت عنده مسائل غريبة في الفقه والنحو يمتحن بهاالفضلاء اذا حضروا في خدمته وكان كثير السماع للاحاديث النبوية تقدم عنده بسببها الشيخ عمر بن دحية وبنى له دار الحديث بين القصرين في الجانب الغربى وكانت سوق الآداب والعلوم عنده نافقة رحمه الله تعالى وكان أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه من أكابر دولته وهم الامير فخر الدين ابن الشيخ واخوته عماد الدين وكمال الدين ومعين الدين أولاد الشيخ المذكور وكل من أولاد الشيخ المذكور حاز فضيلتى السيف والقلم فكان يباشر التدريس ويتقدم على الجيش * ولما مات السلطان الملك الكامل بدمشق كان معه بها الملك الناصر داود صاحب الكرك فاتفق آراء الامراء على تحليف العسكر للملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل وهو حينئذ نائب أبيه بمصر فحلف له جميع العسكر وأقاموا في دمشق الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائبا عن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل وتقدمت الامراء الى الملك الناصر داود بالرحيل عن دمشق وهددوه ان أقام فرحل الملك الناصر داود الى الكرك وتفرقت العساكر فسار أكثرهم الى مصر وتأخر مع الجواد يونس بعض العسكر ومقدمهم عماد الدين ابن الشيخ وبقى يباشر الامور مع الملك الجواد * ولما بلغ شيركوه صاحب

حمص وفاة الملك الكامل فرح فرحاً عظيما وأتاه فرج ما كان يطمع نفســه به وأظهر سرورا عظيماً ولعب بالكرة على خلاف العادة وهو في عشر السبعين * وأما الملك المظفر صاحب حمــاة فانه حزن لذلك حزنا عظيما ورحل من الرستن وعاد الى حماة وأقام فيها للعزاء وأرسل صاحب حمص ارتجع سلميـة من نواب الملك المظفر وقطع القناة الواصلة من سلمية الى حمــاة فيبست بساتينها ثم عزم على قطع النهر العاصى عن حمــاة فسد مخرجه من بحيرة قدس التى بظاهر حمص فبطلت نواعير حمــاة والطواحين وذهب ماء العاصى في أودية بجوانب البحيرة ثم لما لم يجد له المــاء مسلكا عادفهدم ماعمله صاحب حمص وجرى كما كان أولا وكذلك كان قد حصل لصاحب حلب ولعسكرها الخوف من الملك الكامل فلما بلغهم موته أمنوا من ذلك

ذكر استيلاء الحلبيين على المعرة وحصارهم حماة

ولمــا بلغ الحلبيين موت الكامل اتفقت آراؤهم على أخــذ المعرة ثم أخذ حمــاة من الملك المظفر صاحب حمــاة لموافقته الملك الكامل على قصدهم ووصــل عسكر حلب الى المعرة وانتزعوها من يد الملك المظفر صاحب حماة وحاصروا قلعتهاوخرجت المعرة حينئذ عن ملك الملك المظفر صاحب حماة ثم سار عسكر حلب ومقدمهم المعظم توران شاه بن صلاح الدين الى حمــاة بعد استيلائهم على المعرة ونازلوا حماة وبها صاحبها الملك المظفر ونهب العسكر الحلبى بلاد حماة واستمر الحصار على حماة حتى خرجت هذه السنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) عقد لسلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو العقد على غازية خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب وهى صغيرة حينئذ وتولى القبول عن ملك بلاد الروم قاضى دوقات ثم عقد الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب العقد على أخت كيخسرو وهى ملكة خاتون بنت كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان وأم ملكة خاتون المذكورة بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب وكان قد زوجها الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بكيقباذ المذكور وخطب لغياث الدين كيخسرو بحلب (وفيها) خرجت الخوارزمية عن طاعة الملك الصالح أيوب بعد موت أبيه الملك الكامل ونهبوا البلاد (وفيها) سار لولو صاحب الموصل وحاصر الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل بسنجار فارسل الملك الصالح واسترضى الخوارزمية وبذل لهم حران والرها فعادوا الى طاعته واتقع مع بدر الدين لولو صاحب الموصل فانهزم لولو وعسكره هزيمة قبيحة وغنم عسكر الملك الصالح منهم شيئاً كثيرا * وفي هذه السنة * جرى بــين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين الملك الجواد يونس المتولى على

دمشق مصاف بين جينين ونابلس انتصر فيـه الملك الجواد يونس وانهزم الملك الناصر داود هزيمة قبيحة وقوى الملك الجواد بسبب هذه الوقعـة وتمكن من دمشق ونهب عسكر الملك الناصر وأثقاله (وفي أواخر) هذه السنة ولد والدى الملك الافضل نور الدين على ابن الملك المظفر صاحب حماة *(ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة)* في هذه السنة رحل عسكر حلب المحاصرة لحماة بعد مولد الملك الافضـل وكان قد طالت مدة حصارهم لحمـاة وضجروا فتقدمت اليهم ضيفة خاتون صاحبة حلب بنت الملك العادل بالرحيل عنها فرحـلوا وضاق الامر على الملك المظفر في هـذا الحصار وانفق فيه أموالا كثيرة واستمرت بالمعرة في يد الحلبيين وسلمية في يد صاحب حمص ولم يبق بيـد الملك المظفر غير حمـاة وبعرين * ولمـا جرى ذلك خاف الملك المظفر ان تخرج بعرين بسبب قلعتها فتقدم بهدمها فهدمت الى الارض في هذه السنة

ذكر استيلاء الملك الصالح ايوب على دمشق

(وفي هذه السنة) في جمـادى الآخرة استولى الملك الصالح أيوب ابن السلطان الملك الكامل على دمشق وأعمالهـا بتسليم الملك الجواد يونس وأخـذ العوض عنها سنجار والرقة وعانة وكان سبب ذلك ان الملك العادل ابن الملك الكامل صاحب مصر لمـا علم باستيلاء الملك الجواد على دمشق أرسل اليه عمـاد الدين ابن الشيخ لينتزع دمشق منه وان يعوض عنها اقطاعاً بمصر فمـال الجواد يونس الي تسليمها الى الملك الصالح حسبما ذكرناه وجهز على عمـاد الدين ابن الشيخ من وقف له بقصة فلما أخذها عماد الدين منه ضربه ذلك الرجل بسكين فقتله * ولما وصـل الملك الصالح أيوب الى دمشق وصل معه الملك المظفر صاحب حماة معاضدا له وكان قد لاقاه الى اثناء الطريق واستقر الملك الصالح أيوب المذكور في ملك دمشق وسار الجواد يونس الى البـلاد الشرقية المذكورة فتسلمها * ولما استقر ملك الملك الصالح بدمشق وردت عليه كتب المصريين يستدعونه الى مصر ليملكها وسأله الملك المظفر صاحب حمـاة في منازلة حمص وأخذها من شيركوه فبرز الى الثنية وكان قد نازلت الخوارزمية وصاحب حماة حمص فارسل شيركوه مالا كثيرا وفرقه في الخوارزمية فرحلوا عنه الى البلاد الشرقية ورحل صاحب حماة الى حمـاة ثم كر الملك الصالح عائدا الى دمشق طالبا مصر وسار من دمشق الى خربة اللصوص وعيد بها عيد رمضان ووصـل اليه بعض عساكر مصر مقفزين * ولمـا خرج الملك الصالح من دمشق جعل نائبه فيها ولده الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح وشرع الملك الصالح يكاتب عمه الصالح اسماعيل صاحب بعلبك ويستدعيه اليه وعمه اسماعيل المذكور يتحجج ويعتذر عن الحضور

ويظهر له انه معه وهو يعمل في الباطن على ملك دمشق وأخذها من الصالح أيوب وكان قد سافر الملك الناصر صاحب الكرك الى مصر واتفق مع الملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل على قتال الملك الصالح أيوب ووصل أيضا في هذه السنة محي الدين ابن الجوزى رسولا من الخليفة ليصلح بين الاخوين العادل صاحب مصر والصالح أيوب المستولى على دمشق وهذا محيى الدين هو الذى حضر ليصلح بين الكامل والاشرف فاتفق انه مات في حضوره في سنة أربع وثلاثين وخمس وثلاثين أربعة من السلاطين العظماء وهم الملك الكامل صاحب مصر وأخوه الاشرف صاحب دمشق والعزيز صاحب حلب وكيقباذ صاحب بلاد الروم فقال في ذلك ابن المسجف أحد شعراء دمشق

يا امام الهدى أبا جعفر المنـ ... صور يامن له الفخار الأثيل
ماجرى من رسولك الآن محيي الـ ... دين في هذه البلاد قليل
جاء والارض بالسلاطين تزهى ... وغدا والديار منهم طلول
اقفر الروم والشآم ومصر ... أفهذا مغسل أم رسول

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة) في هذه السنة في صفر سار الملك الصالح اسماعيل صاحب بعلبك ومعه شيركوه صاحب حمص بجموعهما وهجموا دمشق وحصروا القلعة وتسلمها الصالح اسماعيل وقبض على المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح أيوب وكان الملك الصالح أيوب بنابلس لقصد الاستيلاء على ديار مصر وكان قد بلغه سعى عمه اسماعيل في الباطن وكان للصالح أيوب طبيب يثق به يقال له الحكيم سعد الدين الدمشقي فارسله الصالح أيوب الى بعلبك ومعه قفص من حمام نابلس ليطالعه باخبار الصالح صاحب بعلبك وحال وصول الحكيم المذكور علم به صاحب بعلبك فاستحضره وأكرمه وسرق الحمام التى لنابلس وجعل موضعها حمام بعلبك ولم يشعر الطبيب المذكور بذلك فصار الطبيب المذكور يكتب ان عمك اسماعيل قد جمع وهو في نية قصد دمشق ويطلق فيقصد الطير ببعلبك فيأخذ الصالح اسماعيل البطاقة ويزور على الحكيم ان عمك اسماعيل قد جمع ليعاضدك وهو واصل اليك ويسرحه على حمام نابلس فيعتمد الصالح أيوب على بطاقة الحكيم ويترك مايرد اليه من غيره من الاخبار واتفق أيضا ان الملك المظفر صاحب حماة علم بسعى الصالح اسماعيل صاحب بعلبك في أخذ دمشق مع خلوها ممن يحفظها فجهز نائبه سيف الدين على بن أبى على ومعه جماعة من عسكر حماة وغيرهم وجهز معه من السلاح والمال شيئاً كثيرا ليصل الى دمشق ويحفظها لصاحبها وأظهر الملك المظفر وابن أبى على انهما قد اختصما وان ابن أبى

على

على قد غضب واجتمع معه هذه الجماعة وقد قصدوا فراق صاحب حماة لانه يريد ان
يسلم حماة للفرنج كل ذلك خوفا من صاحب حمص شيركوه لئلا يقصد ابن أبى على
ويمنعه فلم تخف عن شيركوه هذه الحيلة ولما وصل ابن أبى على الى بحيرة حمص قصده
شيركوه وأظهر انه مصدقه فيما ذكر وسأله الدخول الى حمص ليضيفه وأخذ ابن أبى
على معه وأرسل من استدعى باقى أصحاب ابن أبى على الى الضيافة فنهم من سمع ودخل
الى حمص ومنهم من هرب فسلم فلما حصلوا عنده بحمص قبض على ابن أبى على وعلى
جميع من دخل حمص من الحمويين واستولى على جميع ماكان معهم من السلاح والخزانة
وبقى يعذبهم ويطلب منهم أموالهم حتى استصفاها ومات ابن أبى على وغيره في حبسه
بحمص والذى سلم وبقى الى بعد موت شيركوه خاص ولما جرى ذلك ضعف الملك
المظفر صاحب حماة ضعفا كثيرا * وأما الملك الصالح أيوب فلما بلغه قصد عمه اسمعيل
دمشق رحل من نابلس الى الغور فبلغه استيلاء عمه على قلعة دمشق واعتقال ولده
المغيث عمر ففسدت نيات عساكره عليه وشرعت الامراء ومن معه من الملوك يحركون
نقاراتهم ويرحلون مفارقين الصالح أيوب الى الصالح اسمعيل بدمشق فلم يبق عندالصالح
أيوب بالغور غير مماليكه واستاذ داره حسام الدين ابن أبى على وأصبح الملك الصالح
أيوب لايدرى مايفعل ولاله موضع يقصده فقصد نابلس ونزل بها بمن بقي معه وسمع
الناصر داود بذلك وكان قد وصل من مصر الى الكرك فنزل بعسكره وأمسك الملك
الصالح أيوب وأرسله الى الكرك واعتقله بها وأمر بالقيام في خدمته بكل مايختاره ولما
اعتقل الصالح أيوب بالكرك تفرق عنه باقى أصحابه ومماليكه ولم يبق منهم معه غير
عدة يسيرة ولما جرى ذلك أرسل أخو الصالح الملك العادل أبو بكر صاحب مصر
يطلبه من الملك الناصر داود فلم يسامه الناصر داود فارسل الملك العادل وتهدد
الملك الناصر باخذه بلاده فلم يلتفت الى ذلك

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) بعد اعتقال الملك الصالح بالكرك قصد الناصر داود القدس وكان
الفرنج قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل فحاصرها وفتحها وخرب القلعة
وخرب برج داود أيضاً فانه لما خربت القدس أولا لم يخرب برج داود فخربه في هذه
المرة (وفي هذه السنة) توفي الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص بن ناصر الدين محمد
ابن شيركوه بن شاذى وكانت مدة ملكه بحمص نحو ست وخمسين سنة لان صلاح
الدين ملكه حمص سنة احدى وثمانين وخمسمائة بعد موت أبيه محمد بن شيركوه وكان
عمره يومئذ نحو اثنتى عشرة سنة وكان شيركوه المذكور عسوفا لرعيته وملك حمص

ويظهر له انه معه وهو يعمل في الباطن على ملك دمشق وأخذها من الصالح أيوب وكان قد سافر الملك الناصر صاحب الكرك الى مصر واتفق مع الملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل على قتال الملك الصالح أيوب ووصل أيضا في هذه السنة محي الدين ابن الجوزى رسولا من الخليفة ليصلح بين الاخوين العادل صاحب مصر والصالح أيوب المستولى على دمشق وهذا محيى الدين هو الذى حضر ليصلح بين الكامل والاشرف فاتفق انه مات في حضوره في سنة أربع وثلاثين وخمس وثلاثين أربعة من السلاطين العظماء وهم الملك الكامل صاحب مصر وأخوه الاشرف صاحب دمشق والعزيز صاحب حلب وكيقباذ صاحب بلاد الروم فقال في ذلك ابن المسجف أحد شعراء دمشق

يا امام الهدى أبا جعفر المنـ	ـصور يامن له الفخار الأثيل
ماجرى من رسولك الآن محيي الـ	ـدين في هذه البلاد قليل
جاء والارض بالسلاطين تزهى	وغدا والديار منهم طلول
اقفر الروم والشآم ومصر	أفهذا مغسل أم رسول

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة) في هذه السنة في صفر سار الملك الصالح اسماعيل صاحب بعلبك ومعه شيركوه صاحب حمص بجموعهما وهجموا دمشق وحصروا القلعة وتسلمها الصالح اسماعيل وقبض على المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح أيوب وكان الملك الصالح أيوب بنابلس لقصد الاستيلاء على ديار مصر وكان قد بلغه سعى عمه اسماعيل في الباطن وكان للصالح أيوب طبيب يثق به يقال له الحكيم سعد الدين الدمشقي فارسله الصالح أيوب الى بعلبك ومعه قفص من حمام نابلس ليطالعه باخبار الصالح صاحب بعلبك وحال وصول الحكيم المذكور علم به صاحب بعلبك فاستحضره وأكرمه وسرق الحمام التى لنابلس وجعل موضعها حمام بعلبك ولم يشعر الطبيب المذكور بذلك فصار الطبيب المذكور يكتب ان عمك اسماعيل قد جمع وهو في نية قصد دمشق ويطبق فيقعد الطير ببعلبك فيأخذ الصالح اسماعيل البطاقة ويزور على الحكيم ان عمك اسماعيل قد جمع ليعاضدك وهو واصل اليك ويسرحه على حمام نابلس فيعتمد الصالح أيوب على بطاقة الحكيم ويترك مايرد اليه من غيره من الاخبار واتفق أيضا ان الملك المظفر صاحب حماة علم بسعى الصالح اسماعيل صاحب بعلبك في أخذ دمشق مع خلوها ممن يحفظها فجهز نائبه سيف الدين على بن أبى على ومعه جماعة من عسكر حماة وغيرهم وجهز معه من السلاح والمال شيئاً كثيرا ليصل الى دمشق ويحفظها لصاحبها وأظهر الملك المظفر وابن أبى على انهما قد اختصما وان ابن أبى

على قد غضب واجتمع معه هذه الجماعة وقد قصدوا فراق صاحب حماة لانه يريد ان يسلم حماة للفرنج كل ذلك خوفا من صاحب حمص شيركوه لئلا يقصد ابن أبى على ويمنعه فلم تخف عن شيركوه هذه الحيلة ولما وصل ابن أبى على الى بحيرة حمص قصده شيركوه وأظهر انه مصدقه فيما ذكر وسأله الدخول الى حمص ليضيفه وأخذ ابن أبى على معه وأرسل من استدعى باقى أصحاب ابن أبى على الى الضيافة فنهم من سمع ودخل الى حمص ومنهم من هرب فسلم فلما حصلوا عنده بحمص قبض على ابن أبى على وعلى جميع من دخل حمص من الحمويين واستولى على جميع ماكان معهم من السلاح والخزانة وبقى يعذبهم ويطلب منهم أموالهم حتى استصفاها ومات ابن أبى على وغيره في حبسه بحمص والذى سلم وبقى الى بعد موت شيركوه خاص ولما جرى ذلك ضعف الملك المظفر صاحب حماة ضعفا كثيرا * وأما الملك الصالح أيوب فلما بلغه قصد عمه اسمعيل دمشق رحل من نابلس الى الغور فبلغه استيلاء عمه على قلعة دمشق واعتقال ولده المغيث عمر ففسدت نيات عساكره عليه وشرعت الامراء ومن معه من الملوك يحركون نقاراتهم ويرحلون مفارقين الصالح أيوب الى الصالح اسمعيل بدمشق فلم يبق عندالصالح أيوب بالغور غير مماليكه واستاذ داره حسام الدين ابن أبى على وأصبح الملك الصالح أيوب لايدرى مايفعل ولاله موضع يقصده فقصد نابلس ونزل بها بمن بقي معه وسمع الناصر داود بذلك وكان قد وصل من مصر الى الكرك فنزل بعسكره وأمسك الملك الصالح أيوب وأرسله الى الكرك واعتقله بها وأمر بالقيام في خدمته بكل مايختاره ولما اعتقل الصالح أيوب بالكرك تفرق عنه باقى أصحابه ومماليكه ولم يبق منهم معه غير عدة يسيرة ولما جرى ذلك أرسل أخو الصالح الملك العادل أبو بكر صاحب مصر يطلبه من الملك الناصر داود فلم يسلمه الناصر داود فارسل الملك العادل وتهدد الملك الناصر باخذه بلاده فلم يلتفت الى ذلك

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) بعد اعتقال الملك الصالح بالكرك قصد الناصر داود القدس وكان الفرنج قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل فحاصرها وفتحها وخرب القلعة وخرب برج داود أيضاً فانه لما خربت القدس أولا لم يخرب برج داود فخربه في هذه المرة (وفي هذه السنة) توفي الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص بن ناصر الدين محمد ابن شيركوه بن شاذى وكانت مدة ملكه بحمص نحو ست وخمسين سنة لان صلاح الدين ملكه حمص سنة احدى وثمانين وخمسمائة بعد موت أبيه محمد بن شيركوه وكان عمره يومئذ نحو اثنتى عشرة سنة وكان شيركوه المذكور عسوفا لرعيته وملك حمص

بعده ولده الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه (وفي هذه السنة) استولى بدر الدين لولو صاحب الموصل على سنجار وأخذها من الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل

ذكر خروج الملك الصالح أيوب من الاعتقال والقبض على أخيه الملك العادل صاحب مصر وملك الملك الصالح ايوب ديار مصر

(وفي هذه السنة) في أواخر رمضان أفرج الملك الناصر داود صاحب الكرك عن ابن عمه الملك الصالح أيوب واجتمعت عليه مماليكه وكاتبه البها زهير وسار الناصر داود وصحبته الصالح أيوب الى قبة الصخرة وتحالفا بها على ان تكون ديار مصر للصالح ودمشق والبلاد الشرقية للناصر داود * ولما تملك الصالح أيوب لم يف للناصر بذلك وكان يتأول في يمينه انه كان مكرها ثم سارا الى غزة * فلما بلغ العادل صاحب مصر ظهور أمر أخيه الصالح عظم عليه وعلى والدته ذلك وبرز بعسكر مصر ونزل على بلبيس لقصد الناصر داود والصالح أخيه وأرسل الى عمه الصالح اسمعيل المستولى على دمشق ان يبرز ويقصدهما من جهة الشام وان يستأصلهما فسار الصالح اسمعيل بعساكر دمشق ونزل الفوار فبينا الناصر داود والصالح أيوب في هذه الشدة وهما بين عسكرين قد أحاطا بهما اذ ركبت جماعة من المماليك الاشرفية ومقدمهم أيبك الاسمر وأحاطوا بدهليز الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل وقبضوا عليه وجعلوه في خيمة صغيرة وعليه من يحفظه وأرسلوا الى الملك الصالح أيوب يستدعونه فاتاه فرج لم يسمع بمثله وسار الملك الصالح أيوب والملك الناصر داود الى مصر وبقي في كل يوم يلتقي الملك الصالح فوج بعد فوج من الامراء والعسكر وكان القبض على الملك العادل ليلة الجمعة ثامن ذى القعدة من هذه السنة فكانت مدة ملكه نحو سنتين ودخل الملك الصالح أيوب الى قلعة الجبل بكرة الاحد لست بقين من الشهر المذكور وزينت له البلاد وفرح الناس بقدمه وحصل للملك المظفر صاحب حماة من السرور والفرح بملك الملك الصالح مصر مالا يمكن شرحه فانه مازال على ولائه حتى انه لما أمسك بالكرك كان يخطب له بحماة وبلادها * ولما استقر الملك الصالح أيوب في ملك مصر وصحبته الناصر داود حصل عند كل واحد منهما استشعار من صاحبه وخاف الناصر داود ان يقبض عليه فطلب دستورا وتوجه الى بلاده الكرك وغيرها

(ذكر وفاة صاحب ماردين)

(في هذه السنة) وقيل في سنة ست وثلاثين توفي ناصر الدين ارتق أرسلان ابن ايلغازى

ابن البي بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين وكان يلقب الملك المنصور وملك المذكور ماردين بعد أخيه حسام الدين بولق أرسلان حسبما تقدم ذكره في سنة ثمانين وخمسمائة وبقي ارتق أرسلان متغلبا عليه مملوك والده البقش حتى قتله ارتق أرسلان في سنة احدى وستمائة واستقل ارتق ارسلان بملك ماردين حتى توفي في هذه السنة ولما مات الملك المنصور ارتق أرسلان ملك بعده ابنه الملك السعيد نجم الدين غازى بن ارتق أرسلان المذكور حتى توفي في سنة ثلاث وخمسين وستمائة ظنا ثم ملك بعده في السنة المذكورة ابنه الملك المظفر قرا أرسلان بن غازى بن ارتق أرسلان وكانت وفاة المظفر قرا أرسلان المذكور سنة احدى وتسعين وستمائة ظنا ثم ملك بعده ولده الاكبر شمس الدين داود ابن قرا أرسلان سنة وتسعة أشهر ثم توفي وملك بعده أخوه الملك المنصور نجم الدين غازى بن قرا أرسلان في سنة ثلاث وتسعين وستمائة ظنا ونقلت وفيات المذكورين حسبما هو مشروح من تقويم حل ماردين ذكر فيه تواريخ بني ارتق ولم أتحقق صحة ذلك وسنذكر في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وفاة الملك المنصور غازى المذكور في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة) في هذه السنة قبض الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل بعد استقراره في ملك مصر على أيبك الاسمر مقدم المماليك الاشرفية وعلى غيره من الامراء والمماليك الذين قبضوا على أخيه وأودعهم الحبوس وأخذ في انشاء مماليكه وشرع الملك الصالح أيوب المذكور من هذه السنة في بناء قلعة الجزيرة واتخذها مسكنا لنفسه (وفيها) نزل الملك الحافظ أرسلان شاه ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب عن قلعة جعبر وبالس وسلمهما الى أخته ضيفة خاتون صاحبة حلب وتسلم عوض ذلك اعزاز وبلادا معها تساوى مانزل عنه وكان سبب ذلك ان الملك الحافظ المذكور أصابه فالج وخشي من أولاده وتغلبهم عليه ففعل ذلك لانه كان ببلاد قريبة الى حلب لايمكنهم التعرض اليه (وفي هذه السنة) كثر عبث الخوارزمية وفسادهم بعد مفارقة الملك الصالح أيوب البلاد الشرقية وساروا الى قرب حلب فخرج اليهم عسكر حلب مع الملك المعظم تورانشاه ابن صلاح الدين ووقع بينهم القتال فانهزم الحلبيون هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير منهم الملك الصالح ابن الملك الافضل ابن السلطان صلاح الدين وأسر مقدم الجيش الملك المعظم المذكور واستولى الخوارزميون على ثقال الحلبيين وأسروا منهم عدة كثيرة ثم كانوا يقتلون بعضهم ليشترى غيره نفسه منهم بماله فأخذوا بذلك شيئاً كثيرا ثم نزل الخوارزمية بعد ذلك على جبلان وكثر عبثهم وفسادهم ونهبهم في بلاد حلب وجفل أهل الحواضر والبلاد ودخلوا مدينة حلب واستعد أهلها للحصار وارتكب الخوارزمية من الزنا والفواحش والقتل ماارتكبوه التتر ثم سارت الخوارزمية الى منبج

وهجموها بالسيف يوم الخميس لتسع بقين من ربيع الاول من هذه السنة وفعلوا من القتل والنهب مثلما تقدم ذكره ثم رجعوا الى بلادهم وهى حران وما معها بعد ان أخربوا بلد حلب

(ذكر عود الخوارزمية الى بلد حلب وغيرها)

ثم ان الخوارزمية رحلوا من حران وقطعوا الفرات من الرقة ووصلوا الى الجبول ثم الى تل اعزاز ثم الى سرمين ثم الى المعرة وهم ينهبون مايجدونه فان الناس جفلوا من بين أيديهم وكان قد وصل الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص ومعه عسكر من عسكر الصالح اسمعيل المستولى على دمشق نجدة للحلبيين فاجتمع الحلبيون مع صاحب حمص المذكور وقصدوا الخوارزمية واستمرت الخوارزمية على ماهم عليه من النهب حتى نزلوا على شيزر ونزل عسكر حلب على تل السلطان ثم رحلت الخوارزمية الي جهة حماة ولم يتعرضوا الى نهب لانتماء صاحبها الملك المظفر الى الملك الصالح أيوب ثم سارت الخوارزمية الى سلمية ثم الى الرصافة طالبين الرقة وسار عسكر حلب من تل السلطان اليهم ولحقتهم العرب فارمت الخوارزمية ما كان معهم من المكاسب وسيبوا الاسرى ووصلت الخوارزمية الي الفرات في أواخر شعبان في هذه السنة ولحقهم عسكر حلب وصاحب حمص ابراهيم قاطع صفين فعمل لهم الخوارزمية ستائر ووقع القتال بينهم الى الليل فقطع الخوارزمية الفرات وساروا الى حران فسار عسكر حلب الى البيرة وقطعوا الفرات منها وقصدوا الخوارزمية واتقعوا قريب الرها لتسع بقين من رمضان هذه السنة فولى الخوارزمية منهزمين وركب صاحب حمص وعسكر حلب أقفيتهم يقتلون ويأسرون الى ان حال الليل بينهم ثم سار عسكر حلب الى حران فاستولوا عليها وهربت الخوارزمية الى بلد عانة وبادر بدر الدين لولو صاحب الموصل الى نصيبين ودارا وكانتا للخوارزمية فاستولى عليهما وخلص من كان بهما من الاسرى وكان منهم الملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين أسيرا في بلدة دارا من حين أسروه في كسرة الحلبيين فحمله بدر الدين لولو الى الموصل وقدم له ثيابا وتحفا وبعث به الى عسكر حلب واستولى عسكر حلب على الرقة والرها وسروج ورأس عين وما مع ذلك واستولى صاحب حمص المنصور ابراهيم على بلد الخابور ثم سار عسكر حلب ووصل اليهم نجدة من الروم وحاصروا الملك المعظم ابن الملك الصالح أيوب بآمد وتسلموها منه وتركوا له حصن كيفا وقلعة الهيثم ولم يزل ذلك بيده حتى توفي أبوه الملك الصالح أيوب بمصر وسار اليها المعظم المذكور على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وبقى ولد المعظم وهو الملك الموحد عبد الله ابن المعظم تورانشاه ابن الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب

مالكا

مالكا لحصن كيفا الى أيام التتر وطالت مدته بها

(ذكر ما كان من الملك الجواد يونس)

(في هذه السنة) كان هلاك الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل وصورة ماجرى له انه كان قد استولى بعد ملك دمشق على سنجار وعانة فباع عانة من الخليفة المستنصر بمال تسلمه منه وسار لولو صاحب الموصل وحاصر سنجار ويونس المذكور غائب عنها واستولى عليها ولم يبق بيد يونس من البلاد شئ فسار على البرية الى غزة وأرسل الى الملك الصالح أيوب صاحب مصر يسأله في المصير اليه فلم يجبه الى ذلك فسار يونس حينئذ ودخل الى عكا وأقام مع الفرنج فأرسل الصالح اسمعيل صاحب دمشق حينئذ وبذل مالا للفرنج وتسلم الملك الجواد يونس المذكور من الفرنج واعتقله ثم خنقه (وفي هذه السنة) ولى الملك الصالح أيوب الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام القضاء بمصر والوجه القبلي وكان عز الدين المذكور بدمشق فلما قوى خوف الصالح اسماعيل صاحب دمشق من ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر سلم الصالح اسماعيل صفد والشقيف الى الفرنج ليعضدوه ويكونوا معه على ابن أخيه الصالح أيوب فعظم ذلك على المسلمين وأكثر الشيخ عز الدين بن عبد السلام التشنيع على الصالح اسمعيل بسبب ذلك وكذلك جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب ثم خافا من الصالح اسمعيل فسار عز الدين ابن عبد السلام الى مصر وتولى بها القضاء كرها وسار جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب الى الكرك وأقام عند الملك الناصر داود صاحب الكرك ونظم له مقدمته الكافية في النحو ثم بعد ذلك سافر ابن الحاجب الى الديار المصرية (ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة) والصالح اسمعيل صاحب دمشق والمنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وصاحبة حلب متفقون على عداوة الملك الصالح أيوب صاحب مصر ولم يوافقهم صاحب حماة على ذلك واخلص في الانتماء الى صاحب مصر (وفي هذه السنة) اتفقت الخوارزمية مع الملك المظفر غازى صاحب ميا فارقين ابن الملك العادل (وفيها) في شعبان أصاب جد الملك المظفر صاحب حماة الفالج وهو جالس بين أصحابه في قلعة حماة وبقي أياما لا يتكلم ولا يتحرك وكان ذلك في أواخر فصل الشتاء وأرجف الناس بموته وقام بتدبير المملكة مملوكه وأستاذ داره سيف الدين طغريل ثم خف مرض الملك المظفر وفتح عينيه وصار يتكلم باللفظة واللفظتين لايكاد يفهم وكان العاطب الجانب الايمن منه وبعث اليه الصالح صاحب مصر طبيبا حاذقا نصرانيا يقال له النفيس ابن طايب فلم تنجع فيه المداواة واستمر على ذلك الى ان توفي بعد سنتين وكسر على ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفي هذه السنة) في ذي الحجة توفي الملك الحافظ نورالدين أرسلانشاه ابن الملك العادل بن أيوب باعزاز

وهي التي تعوضها عن قلعة جعبر ونقل الى حلب فدفن في الفردوس وتسلم نواب الملك الناصر يوسف صاحب حلب قلعةاعزاز وأعمالها (وفيها) في شعبان توفي الشيخ العلامة كمال الدين موسى بن يونس بن محمد بن منعه بن مالك الفقيه الشافعي كان امام وقته في مذهب الشافعي وغيره وكان يشتغل الحنفيون عليه في مذهب أبي حنيفة ويحل الجامع الكبير في مذهب أبي حنيفة وكان متقنا علم المنطق والطبيعي والالهي وكان اماما مبرزا في العلم الرياضي واتقن المجسطي وأقليدس والموسيقي والحساب بأنواعه وكان أهل الذمة يقرؤن عليه التوراة والانجيل وشرح لهم هذين الكتابين شرحا يعترفون انهم لا يجدون من يوضح لهم مثله وكان اماما في العربية والتصريف وكان يقرى كتاب سيبويه والمفصل وغيرهما وكذلك كان اماما في التفسير والحديث وقدم الشيخ أثير الدين الابهرى واسمه المفضل بن عمر بن المفضل الى الموصل واشتغل على الشيخ كمال الدين المذكور وكان الشيخ أثير الدين الابهرى المذكور حينئذ اماما مبرزا في العلوم ومع ذلك يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه ويقرأ عليه قال القاضي شمس الدين ابن خلكان ولقد شاهدت بعيني أثير الدين الابهرى وهو يقرأ المجسطي على الشيخ كمال الدين بن يونس المذكور واستمر سنين عديدة يشتغل عليه وكان الاثير اذ ذاك صاحب تصانيف يشتغل فيها الناس وقصد تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الفقيه الشافعي الشيخ كمال الدين المذكور وسأله في أن يقرئه المنطق سرا وتردد ابن الصلاح الى الشيخ كمال الدين مدة يقرأ عليه المنطق ولا يفهمه فقال له ابن يونس المذكور يافقيه المصلحة عندى ان تترك الاشتغال بهذا الفن فقال له ابن الصلاح ولم ذلك فقال لان الناس يعتقدون فيك الخير وهم ينسبون كل من اشتغل بهذا الفن الى فساد الاعتقاد فكانك تفسد عقائدهم فيك ولا يصح لك من هذا الفن شئ فقبل ابن الصلاح اشارته وترك قراءته وكان الشيخ كمال الدين بن يونس المذكور يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه وكانت تعتريه غفلة لاستيلاء الفكرة عليه فعمل فيه بعضهم

أجدك ان قد جاد بعد التعبس ... غزال بوصل لى وأصبح مونسى
وعاطيته صهباء من فيه مزجها ... كرقة شعرى أو كدين ابن يونس

وكانت ولادته في صفر سنة احدى وخمسين وخمسمائة بالموصل وبها توفي في التاريخ المذكور رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة أربعين وستمائة) وفي هذه السنة كان بين الخوارزمية ومعهم الملك المظفر غازى صاحب ميافارقين وبين عسكر حلب ومعهم المنصور ابراهيم صاحب حمص مصاف قريب الخابور عند المجدل في يوم الخميس لثلاث بقين من صفر هذه السنة فولى المظفر غازى والخوارزمية منهزمين أقبح هزيمة ونهب منهم عسكر حلب

شيأ كثيرا ونهبت وطاقات الخوارزميـة ونساؤهم أيضا ونزل الملك المنصور ابراهيم في خيمة الملك المظفر غازى واحتوى على خزائنه ووطاقه ووصـل عسكر حلب وصاحب حمص الى حلب في مستهل جمادى الاولى مؤيدين منصورين

﴿ ذكر وفاة الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب وهي والدة الملك العزيز ﴾

وفي هذه السنة في ليلة الجمعة لاحـدى عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى توفيت ضيفة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان مرضها قرحـة في مراق البطن وحمى ودفنت بقلعة حلب وكان مولدها سنة احدى أو اثنتين وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب حين كانت حلب لابيها الملك العادل قبل أن ينتزعها منه أخوه السلطان صلاح الدين ويعطيها ابنه الظاهر غازى فاتفق مولدها ووفاتها بقلعة حلب ولما ولدت كان عند أبيها الملك العادل ضيف فسماها ضيفة فكانت مدة عمرها نحو تسع وخمسين سنة وكان الملك الظاهر صاحب حلب قد تزوج قبل ضـيفة خاتون باختها غازية وتوفيت فلما توفيت غازية تزوج باختها ضيفة خاتون المذكورة وكانت ضيفة خاتون قد ملكت حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز وتصرفت في الملك تصرف السـلاطين وقامت بالملك أحسن قيام وكانت مدة ملكها نحو ست سنين ولما توفيت كان عمر ابن ابنها الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز نحو ثلاث عشرة سنة فاشهد عليه انه بلغ وحكم واستقل بمملكة حلب وما هو مضاف اليها والمرجع في الامور الى جمال الدين اقبال الاسود الخصي الخاتوني

ذكر وفاة المستنصر بالله

وفي هذه السنة توفي المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الظاهر محمد بن الامام الناصر أحمد بكرة الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة الا شهرا وكان حسن السـيرة عادلا في الرعية وهو الذي بنى المدرسـة ببغداد المسماة بالمستنصرية على شط دجـلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة وجعل لهـا أوقافا جليلة على أنواع البر ولما مات المستنصر اتفق آراء أرباب الدولة مثل الدوادار والشرابي على تقليد الخلافة ولده عبد الله ولقبوه المستعصم بالله وهو سابع ثلاثينهم وآخرهم وكنيته أبو أحمد بن المستنصر بالله منصور وكان عبد الله المستعصم ضعيف الرأى فاستبد كبراء دولته بالامر وحسنوا له قطع الاجناد وجمع المال ومداراة التتر ففعل ذلك وقطع أكثر العساكر ﴿ ثم دخلت سنة احدى وأربعين وستمائة ﴾ في هذه السنة قصدت التتر بلاد غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقي صاحب بلاد الروم فارسل واستنجد بالحلبيين فارسلوا اليه نجدة مع ناصح الدين الفارسي وجمع العساكر من كل جهة والتقى مع التتر فانهزمت عساكر الروم هزيمة قبيحة وقتل التتر وأسروا منهم

خلقا كثيرا وتحكمت التتر في البلاد واستولوا أيضا على خلاط وآمد وبلادهما وهرب غياث الدين كيخسرو الى بعض المعاقل ثم أرسل الى التتر وطلب الامان ودخل في طاعتهم ثم توفي غياث الدين كيخسرو المذكور بعد ذلك في سنة أربع وخمسين وستمائة حسبما نذكره ان شاء الله تعالى وخلف صغيرين وهما ركن الدين وعز الدين ثم هرب عز الدين الى قسطنطينية وبقى ركن الدين في الملك تحت حكم التتر والحاكم البرواناه معين الدين سليمان والبرواناه لقبه وهو اسم الحاجب بالعجمى ثم ان البرواناه قتل ركن الدين وأقام في الملك ولدا له صغيرا (وفيها) كانت المراسلة بين الصالح أيوب صاحب مصر والصالح اسمعيل صاحب دمشق في الصلح وأن يطلق الصالح اسمعيل المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح أيوب وحسام الدين بن أبي على الهذبانى وكانا معتقلين عند الملك الصالح اسمعيل فاطلق حسام الدين بن أبي على وجهزه الى مصر واستمر الملك المغيث ابن الصالح أيوب في الاعتقال واتفق الصالح اسمعيل مع الناصر داود صاحب الكرك واعتضد بالفرنج وسلما أيضا الى الفرنج عسقلان وطبرية فعمر الفرنج قلعتيهما وسلما أيضا اليهم القدس بما فيه من المزارات قال القاضى جمال الدين بن واصل ومررت اذ ذاك بالقدس متوجها الى مصر ورأيت القسوس وقد جعلوا على الصخرة قنانى الخمر للقربان (ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة)

ذكر المصاف الذي كان بين عسكر مصر ومعهم الخوارزمية وبين عسكر دمشق ومعهم الفرنج وصاحب حمص

في هذه السنة وصلت الخوارزمية الى غزة باستدعاء الملك الصالح أيوب لنصرته على عمه الصالح اسمعيل وكان مسيرهم على حارم والروج الى أطراف بلاد دمشق حتى وصلوا الى غزة ووصل اليهم عدة كثيرة من العساكر المصرية مع ركن الدين بيبرس مملوك الملك الصالح أيوب وكان من أكبر مماليكه وهو الذى دخل معه الحبس لما حبس في الكرك وأرسل الملك الصالح اسمعيل عسكر دمشق مع الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وسار صاحب حمص جريدة ودخل عكا فاستدعى الفرنج على ماكان قد وقع عليه اتفاقهم ووعدهم بجزء من بلاد مصر فخرجت الفرنج بالفارس والراجل واجتمعوا أيضا بصاحب حمص وعسكر دمشق والكرك ولم يحضر الناصر داود ذلك والتقى الفريقان بظاهر غزة فولى عسكر دمشق وصاحب حمص ابراهيم والفرنج منهزمين وتبعهم عسكر مصر والخوارزمية فقتلوا منهم خلقا عظيما واستولى الملك الصالح أيوب صاحب مصر على غزة والسواحل والقدس ووصلت الاسرى والرؤس الى مصر ودقت بها البشائر عدة أيام ثم أرسل الملك الصالح صاحب مصر باقي عسكر مصر مع معين

الدين

الدين ابن الشيخ واجتمع اليــه من بالشام من عسكر مصر والخوارزميــة وساروا الى دمشق وحاصروها وبهاصاحبها الملك الصالح اسمعيل وابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وخرجت هذه السنة وهم محاصروها

ذكر وفاة صاحب حماة

في هذه السنة توفي جد الملك المظفر صاحب حمــاة تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب يوم السبت ثامن جمادى الاولى من هذه السنةأعنى سنة اثنتين وأربعين وستمائة وكانت مدة مملكته لحماة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام كان منها مريضا بالفالج سنتين وتسعة أشهر وأياما وكانت وفاته وهو مفلوج بحمى حادة عرضت له وكان عمره ثلاثا وأربعين سنة لان مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان شهما شجاعا فطنا ذكيا وكان يحب أهل الفضائل والعلوم استخدم الشيخ علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف وكان مهندسا فاضلا في العلوم الرياضية فبنى للملك المظفر المذكور ابراجا بحماة وطاحونا على النهر العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة قال القاضي جمال الدين بن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسألنا عن مواضع دقيقــة فيها ولما مات الملك المظفر صاحب حمــاة ملك بعده ولده الملك المنصور محمد بن الملك المظفر محمود المذكور وعمره حينئذ عشر سنين وشهر واحد وثلاثة عشر يوما والقائم بتدبير المملكة سيف الدين طغريل مملوك الملك المظفر ومشاركه الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد المعروف بشيخ الشيوخ والطواشي مرشد والوزير بهاء الدين بن التاج ومرجع الجميع الى والدة الملك المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامل (وفيها) بلغ الملك الصالح نجم الدين أيوب وفاة ابنسه الملك المغيث فتح الدين عمر في حبس الصالح اسمعيل صاحب دمشق فاشتد حزن الصالح أيوب عليه وحنقه على الصالح اسمعيل (وفي هذه السنة) توفي الملك المظفر شــهاب الدين غازى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب ميافارقين واستقر بعده في ملكه ولده الملك الكامل ناصر الدين محمد بن غازى (وفيها) سير من حماة الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن نصر الله المعروف ببيتــه ببنى المغيرك رسولا الى الخليفة ببغداد وصحبته تقدمة من السلطان الملك المنصور صاحب حماة (وفيها) توفي القاضي شهاب الدين ابراهيم بن عبــد الله بن عبد المنعم بن على بن محمد الشافعي عرف بابن أبي الدم قاضي حماة وكان قد توجه في الرسلية الى بغداد فمرض في المعرة وعاد الى حماة مريضا فتوفي بها وهو الذى ألف التاريخ الكبير المظفرى وغيره (ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

وستمائة) فيها سير الصالح اسمعيل وزيره أمين الدولة الذى كان سامريا وأسلم الى العراق مستشفعا بالخليفة ليصلح بينه وبين ابن أخيه فلم يجب الخليفة الى ذلك وكان أمين الدولة غالبا على الملك الصالح اسمعيل المذكور بحيث لايخرج عن رأيه

ذكر استيلاء الملك الصالح أيوب على دمشق

وفيها تسلم عسكر الملك الصالح أيوب ومقدمهم معين الدين ابن الشيخ دمشق من الصالح اسمعيل بن الملك العادل وكان محصورا معه بدمشق ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص فتسلم دمشق على أن يستقر بيد الملك الصالح اسمعيل بعلبك وبصرى والسواد ويستقر بيد صاحب حمص حمص وماهو مضاف اليها فاجابهما معين الدين ابن الشيخ الى ذلك ووصل الى دمشق حسام الدين ابن أبى على بمن كان معه من العسكر المصرى واتفق بعد تسليم دمشق ان معين الدين ابن الشيخ مرض وتوفي بها وبقى حسام الدين بن أبى على نائبا بدمشق للملك الصالح أيوب ثم ان الخوارزمية خرجوا عن طاعة الملك الصالح أيوب فانهم كانوا يعتقدون انهم اذا كسروا الصالح اسمعيل وفتحوا دمشق يحصل لهم من البلاد والاقطاعات مايرضى خاطرهم فلما لم يحصل لهم ذلك خرجوا عن طاعة الملك الصالح أيوب وصاروا مع الملك الصالح اسمعيل وانضم اليهم الناصر داود صاحب الكرك وساروا الى دمشق وحصروها وغلت بها الاقوات وقاسى أهلها شدة عظيمة لم يسمع بمثلها وقام حسام الدين ابن أبى على الهذبانى في حفظ دمشق أتم قيام وخرجت السنة والامر على ذلك

ذكر غير ذلك من الحوادث

وفي هذه السنة قصدت التتر بغداد وخرجت عساكر بغداد للقائهم ولم يكن للتتر بهم طاقة فولى التتر منهزمين على أعقابهم تحت الليل * (وفي هذه السنة) * توفيت ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين بدمشق بدار العقيقى وكانت قد جاوزت ثمانين سنة وبنت مدرسة للحنابلة بجبل الصالحية (وفيها) توفي الشيخ تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن الصلاح الفقيه المحدث (وفيها) توفي علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد السخاوى شرح قصيدة الشاطبى في القرا آت وشرح المفصل للزمخشرى وسمى شرحه المفضل في شرح المفصل وله مجموع سماه كتاب سفر السعاده وسفير الافاده ذكر فيه مسائل مشكلة في النحو وعدة من أبيات المعانى ولغة غريبة (وفى هذه السنة) لما تسلم دمشق الملك الصالح أيوب تسلمت نواب الملك المنصور صاحب حماة سلمية وانتزعوها من صاحب حمص واستقرت سلمية في هذه السنة في ملك الملك المنصور صاحب حماة (وفيها) توفي الشيخ موفق الدين أبو البقاء يعيش بن محمد بن على الموصلى الاصل الحلبى المولد والمنشأ النحوى ويعرف بابن الصائغ وكان ظريفا حسن المحاضرة

شرح المفصل شرحا مستوفي ليس في الشروح مثله وله غير ذلك وولد في رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بحلب وتوفي بها في التاريخ المذكور ودفن بالمقام (ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة)

ذكر كسرة الخوارزمية على القصب واستيلاء الصالح أيوب على بعلبك

كنا قد ذكرنا اتفاق الخوارزمية مع الصالح اسمعيل والناصر داود ومحاصرتهم دمشق وبها حسام الدين بن أبي على ولما وقع ذلك اتفق الحلبيون والملك المنصور ابراهيم صاحب حمص وصاروا مع الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وقصدوا الخوارزمية فرحلت الخوارزمية عن دمشق وساروا الى نحو الحلبيين وصاحب حمص والتقوا على القصب في هذه السنة فانهزمت الخوارزمية هزيمة قبيحة تشتت شملهم بعدها وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان وحمل رأسه الى حلب ومضت طائفة من الخوارزميين مع مقدمهم كشلوخان الخوارزمي فلحقوا بالتتر وصاروا معهم وانقطع منهم جماعة وتفرقوا في الشام وخدموا به وكفى الله الناس شرهم ولما وصل خبر كسرتهم الى الملك الصالح أيوب بديار مصر فرح فرحا عظيما ودقت البشائر بمصر وزال ماكان عنده من الغيظ على ابراهيم صاحب حمص وحصل بينهما التصافي بسبب ذلك وأما الصالح اسمعيل فانه سار الى الملك الناصر يوسف صاحب حلب واستجار به وأرسل الصالح أيوب يطلبه فلم يسلمه الملك الناصر اليه ولما جرى ذلك رحل حسام الدين بن أبي على الهذباني بمن عنده من العسكر بدمشق ونازل بعلبك وبها أولاد الصالح اسمعيل وحاصرها وتسلمها بالامان وحمل أولاد الصالح اسمعيل الى الملك الصالح أيوب بديار مصر فاعتقلوا هناك وكذلك بعث بامين الدولة وزير الملك الصالح اسمعيل وأستاذ داره ناصر الدين يغمور فاعتقلا بمصر أيضا وزينت القاهرة ومصر ودقت البشائر بهما لفتح بعلبك واتفق في هذه الايام وفاة صاحب عجلون وهو سيف الدين بن قليج فتسلم الملك الصالح أيوب عجلون أيضا ولما جرى ماذكرناه أرسل الملك الصالح أيوب عسكرا مع الامير فخر الدين يوسف ابن الشيخ وكان فخر الدين ابن الشيخ قد اعتقله الملك العادل أبو بكر ابن الملك الكامل ثم لما ملك الملك الصالح أيوب مصر أفرج عنه وأمره بملازمة بيته فلازمه مدة ثم قدمه في هذه السنة على العسكر وجهزه الى حرب الملك الناصر داود صاحب الكرك فسار فخر الدين المذكور واستولى على جميع بلاد الملك الناصر وولى عليها وسار الى الكرك وحاصرها وخرب ضياعها وضعف الملك الناصر ضعفا بالغا ولم يبق بيده غير الكرك وحدها

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة حبس الصالح أيوب مملوكه بيبرس وهو الذى كان معه لما اعتقل في الكرك وسببه ان بيبرس المذكور مال الى الخوارزمية والى الناصر داود وصار معهم على أستاذه لما جرده الى غزة كما تقدم ذكره فارسل أستاذه الصالح أيوب واستماله فوصل اليه فاعتقله في هذه السنة وكان آخر العهد به (وفيها) أرسل الملك المنصور ابراهيم صاحب حمص ابن شيركوه وطلب دستورا من الملك الصالح أيوب ليصل الى بابه وينتظم في سلك خدمته وكان قد حصل بابراهيم المذكور السل وسار على تلك الحالة من حمص متوجها الى الديار المصرية ووصل الى دمشق فقوى به المرض وتوفي في دمشق فنقل الى حمص ودفن بها وملك بعده ولده الملك الاشرف مظفر الدين موسى ابن الملك المنصور ابراهيم المذكور (وفي هذه السنة) بعد فتوح دمشق وبعلبك استدعى الملك الصالح أيوب خدمة حسام الدين بن أبى على الى مصر وأرسل موضعه نائبا بدمشق الامير جمال الدين بن مطروح ولما وصل حسام الدين بن أبى على الى مصر استنابه الملك الصالح بها وسار الملك الصالح أيوب الى دمشق ثم سار منها الى بعلبك ثم عاد الى دمشق ووصل الى خدمة الملك الصالح أيوب بدمشق الملك المنصور محمد صاحب حماة والملك الاشرف موسى صاحب حمص فاكرمهما وقربهما ثم أعطاهما الدستور فعادا الى بلادهما واستمر الملك الصالح بالشام حتى خرجت هذه السنة (وفي هذه السنة) توفي عماد الدين داود بن موشك بالكرك وكان جامعا لمكارم الاخلاق *(ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة)* وفيها عاد الملك الصالح نجم الدين أيوب من الشام الى الديار المصرية (وفيها) فتح فخر الدين ابن الشيخ قلعتى عسقلان وطبرية والملك الصالح بالشام بعد محاصرتهما مدة وكنا قد ذكرنا تسليمهما الى الفرنج في سنة احدى وأربعين وستمائة فعمروهما واستمرتا بايدى الفرنج حتى فتحتا في هذه السنة (وفيها) سلم الاشرف صاحب حمص شميميس للملك الصالح أيوب فعظم ذلك على الحلبيين لئلا يحصل الطمع للملك الصالح في ملك باقى الشام (وفيها) توفي الملك العادل أبو بكر ابن السلطان الملك الكامل بالحبس وأمه الست السوداء تعرف ببنت الفقيه نصر وكان مسجونا من حين قبض عليه ببلبيس الى هذه الغاية فكان مدة مقامه بالسجن نحو ثمان سنين وكان عمره نحو ثلاثين سنة وخلف ولدا صغيرا وهو الملك المغيث فتح الدين عمر وهو الذى ملك الكرك فيما بعد ثم قتله الملك الظاهر بيبرس على ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفي هذه السنة) توجه الطواشى مرشد المنصورى ومجاهد الدين أمير جندار من حماة الى حلب وأحضرا بنت الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر صاحب حلب وهى عائشة خاتون زوج الملك المنصور

صاحب

صاحب حماة وحضرت معها أمها فاطمة خاتون بنت السلطان الملك الكامل ابن الملك العادل ووصلت الى حماة في العشر الاوسط من رمضان من هذه السنة أعنى سنة خمس وأربعين وستمائة ووصلت في تجمل عظيم واحتفل للقائها بحماة احتفالا عظيما (وفي هذه السنة) توفي علاء الدين قرا سنقر الساقي العادلي أحد مماليك الملك العادل بن أيوب وصارت مماليكه بالولاء للملك الصالح أيوب ومنهم سيف الدين قلاوون الصالحى الذى صار له ملك مصر والشام على ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) توفي عمر بن محمد بن عبد الله المعروف بالشلوبينى باشبيلية كان فاضلا اماما في النحو شرح الجزولية وصنف في النحو غير ذلك وكان فيه مع هذه الفضيلة التامة بله وغفلة وكنيته أبو على والشلوبينى نسبة الى شلوبين وهو حصن منيع من حصون الاندلس من معاملة سواحل غرناطة على بحر الروم منه عمر الشلوبينى المذكور هذا مانص عليه ابن سعيد المغربي في كتابه الكبير المسمى بالمغرب في أخبار أهل المغرب في المجلدة الخامسة عشرة بعد ذكر غرناطة قال وقد وصف حصن شلوبين المذكور ومنه الشيخ أبو على عمر الشلوبينى قال وقرأت عليه النحو وكان امام نحاة أهل المغرب وكان في طبقة أبي على الفارسى ومن هنا يتحقق ان الذى نقله القاضى شمس الدين ابن خلكان ومن تابعه ان الشلوبين هو الابيض الاشقر بلغة أهل الاندلس وهم محض لعدم وقوفهم على كتاب المغرب في حلى أهل المغرب المذكور (ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة) فيها أرسل الملك الناصر صاحب حلب عسكرا مع شمس الدين لولو الارمنى فحاصروا الملك الاشرف موسى بحمص مدة شهرين فسلم اليهم حمص وتعوض عنها بتل باشر مضافا الى مابيده من تدمر والرحبة ولما بلغ الملك الصالح نجم الدين أيوب ذلك شق عليه وسار الى الشام لارتجاع حمص من الحلبيين وكان قد حصل له مرض وورم في مأبطه ثم فتح وحصل منه ناصور ووصل الملك الصالح الى دمشق وأرسل عسكرا الى حمص مع حسام الدين ابن أبي على فخر الدين ابن الشيخ فنازلوا حمص وحصروها ونصبوا عليها منجنيقا مغربيا يرمى بحجر زنتها مائة وأربعون رطلا بالشامى مع عـدة منجنيقات أخر وكان الشتاء والبرد قويا واستمر عليها الحصار واتفق حينئذ وصول الخبر الى الملك الصالح وهو بدمشق بوصول الفرنج الى جهة دمياط وكان أيضا قد قوى مرضه ووصل أيضا نجم الدين الباذراى رسول الخليفة وسعى في الصلح بين الملك الصالح والحلبيين وان تستقر حمص بيد الحلبيين فاجاب الملك الصالح الى ذلك وأمر العسكر فرحلوا عن حمص بعـد ان أشرفوا على أخذها ثم رحل الملك الصالح عن دمشق في محفة لقوة مرضه واستناب بدمشق جمال الدين بن يغمور وعزل ابن مطروح وأرسل حسام الدين ابن أبي على قدامه ليسبقه الى مصر وينوب عنه بها

(وفيها) في يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة أعنى سنة ست وأربعين وستمائة توفي أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس المعروف بابن الحاجب الملقب جمال الدين وكان والده عمر حاجبا للامير عز الدين بن موسك الصلاحى وكان كرديا واشتغل ولده أبو عمرو المذكور بالقاهرة في صغره بالقرآن والفقه على مذهب مالك بن أنس وبالعربية وبرع في علومه وأتقنها ثم انتقل الى دمشق ودرس بجامعها واكب الخلق على الاشتغال عليه ثم عاد الى القاهرة ثم انتقل الى الاسكندرية فتوفي بها وكان مولد الشيخ أبى عمرو المذكور في أواخر سنة سبعين وخمسمائة باسنا بليدة بالصعيد وكان الشيخ أبو عمرو المذكور متفننا في علوم شتى وكان الاغلب عليه علم العربية وأصول الفقه صنف في العربية مقدمته الكافية واختصر كتاب الاحكام للآمدى في أصول الفقه فطبق ذكر هذين الكتابين أعنى الكافية ومختصره في أصول الفقه جميع البلاد خصوصا بلاد العجم وأكب الناس على الاشتغال بهما الى زماننا هذا وله غيرهما عدة مصنفات (وفيها) أعنى في سنة ست وأربعين وستمائة توفي عز الدين أيبك المُعظمى في محبسه بالقاهرة وكان المذكور قد ملك صرخد في سنة ثمان وستمائة حسبما تقدم ذكره في السنة المذكورة وقال ابن خلكان انه ملك صرخد في سنة احدى عشرة وستمائة قال لان أستاذه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب حج في السنة المذكورة وأخذ صرخد من صاحبها ابن قراجا وأعطاها مملوكه أيبك المذكور والظاهر ان الاول أصح واستمرت في يد أيبك الى سنة أربع وأربعين وستمائة فاخذها الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل من أيبك المذكور وامسك ايبك في السنة المذكورة وحمله الى القاهرة وحبسه في دار الطواشى صواب واستمر معتقلا بها حتى توفي معتقلا في هذه السنة في أوائل جمادى الاولى ودفن خارج باب النصر في تربة شمس الدولة ثم نقل الى الشام ودفن في تربة كان قد انشاها بظاهر دمشق على الشرف الاعلى مطلة على الميدان الاخضر الكبير رحمه الله تعالى هكذا نقلت ذلك من وفيات الاعيان (ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة)

(ذكر ملك الفرنج دمياط ونزول الملك الصالح اشمون طناخ)

وفي هذه السنة سار ريد افرنس وهو من أعظم ملوك الفرنج وريد بلغتهم هو الملك أى ملك افرنس وافرنس امة عظيمة من امم الفرنج وكان جمع ريد افرنس نحو خمسين الف مقاتل وشتى في جزيرة قبرس ثم سار ووصل في هذه السنة الى دمياط وكان قد شحنها الملك الصالح بآلات عظيمة وذخائر وافرة وجعل فيها بنى كنانة وهم مشهورون بالشجاعة وكان قد أرسل الملك الصالح فخر الدين ابن الشيخ بجماعة كثيرة من العسكر

ليكونوا قبالة الفرنج بظاهر دمياط ولما وصلت الفرنج عبر فخر الدين ابن الشيخ من البر الغربي الى البر الشرقي ووصل الفرنج الى البر الغربي لتسع بقين من صفر هذه السنة ولما جرى ذلك هربت بنو كنانة وأهل دمياط منها واخلوا دمياط وتركوا أبوابها مفتحة فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا على مابها من الذخائر والسلاحات وكان هذا من أعظم المصائب وعظم ذلك على الملك الصالح وأمر بشنق بني كنانة فشنقوا عن آخرهم ووصل الملك الصالح الى المنصورة ونزل بها يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر هذه السنة وقد اشتد مرضه وهو السل والقرحة التي كانت به وقد ايس منه

(ذكر استيلاء الملك الصالح ايوب على الكرك)

وفي هذه السنة سار الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابى بكر ابن أيوب من الكرك الى حلب لما ضاقت عليه الامور مستجيرا بالملك الناصر صاحب حلب وكان قد بقي عند الناصر داود من الجوهر مقدار كثير قال كان يساوى مائة الف دينار اذا بيع بالهوان فلما وصل الى حلب سير الجوهر المذكور الى بغداد وأودعه عند الخليفة المستعصم ووصل اليه خط الخليفة بتسليمه فلم تقع عينه عليه بعد ذلك ولما سار الناصر داود عن الكرك استناب عليها ابنه عيسى ولقبه الملك المعظم وكان له ولدان آخران أكبر من عيسى المذكور هما الامجد حسن والظاهر شاذى فغضب الاخوان المذكوران من تقديم اخيهما عيسى عليهما وبعد سفر ابيهما قبضا على أخيهما عيسى وتوجه الامجد حسن الى الملك الصالح أيوب وهو مريض على المنصورة وبذل له تسليم الكرك على اقطاع له ولاخيه بديار مصر فاحسن اليه الصالح أيوب واعطاهما اقطاعا أرضاهما وأرسل الى الكرك وتسلمها يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة وفرح الملك الصالح بالكرك فرحا عظيما مع ماهو فيه من المرض لما كان في خاطره من صاحبها

(ذكر وفاة الملك الصالح ايوب)

وفي هذه السنة توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في ليلة الاحد لاربع عشرة ليلة مضت من شعبان هذه السنة أعنى سنة سبع وأربعين وستمائة وكانت مدة مملكته للديار المصرية تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوما وكان عمره نحو أربع وأربعين سنة وكان مهيبا عالي الهمة عفيفا طاهر اللسان والذيل شديد الوقار كثير الصمت وجمع من المماليك الترك مالم يجتمع لغيره من أهل بيته حتى كان أكثر أمراء عسكره مماليكه ورتب جماعة من المماليك الترك حول دهليزه وسماهم البحرية وكان لا يجسر أن يخاطبه أحد الاجوابا ولا يتكلم أحد بحضرته ابتداء

وكانت القصص توضع بين يديه مع الخدام فيكتب بيده عليها وتخرج للموقعين وكان لا يستقل أحد من أهل دولته بأمر من الامور الا بعد مشاورته بالقصص وكان غاويا بالعمارة بنى قلعة الجزيرة وبنى الصالحية وهي بلدة بالسايح وبنى له بها قصورا للتصيد وبنى قصرا عظيما بين مصر والقاهرة يسمى بالكبش وكانت أم الملك الصالح أيوب المذكور جارية سوداء تسمى ورد المنى غشيها السلطان الملك الكامل فحملت بالملك الصالح وكان للملك الصالح ثلاثة أولاد أحدهم فتح الدين عمر توفي في حبس الصالح اسماعيل وكان قد توفي ولده الآخر قبله ولم يكن قد بقي له غير المعظم تورانشاه بحصن كيفا ومات الملك الصالح ولم يوص بالملك الى أحد فلما توفي أحضرت شجر الدر وهي جارية الملك الصالح فخر الدين ابن الشيخ والطواشي جمال الدين محسنا وعرفتهما بموت السلطان فكتموا ذلك خوفا من الفرنج وجمعت شجر الدر الامراء وقالت لهم السلطان يأمركم أن تحلفوا له ثم من بعده لولده الملك المعظم تورانشاه المقيم بحصن كيفا وللامير فخر الدين ابن الشيخ بأتابكية العسكر وكتبت الى حسام الدين بن أبي على وهو النائب بمصر بمثل ذلك فحلفت الامراء والاجناد والكبراء بالعسكر وبمصر وبالقاهرة على ذلك في العشر الاوسط من شعبان هذه السنة وكان بعد ذلك تخرج الكتب والمراسم وعليها علامة الملك الصالح وكان يكتبها خادم يقال له السهيلي فلا يشك أحد في انه خط السلطان فأرسل فخر الدين ابن الشيخ قاصدا لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا ولما جرى ذلك شاع بين الناس موت السلطان ولكن أرباب الدولة لا يجسرون أن يتفوهوا بذلك وتقدم الفرنج عن دمياط الى المنصورة وجرى بينهم وبين المسلمين في مستهل رمضان من هذه السنة وقعة عظيمة استشهد فيها جماعة من كبار المسلمين ونزلت الفرنج بحر مساح ثم قربوا من المسلمين ثم ان الفرنج كبسوا المسلمين على المنصورة بكرة الثلاث لخمس مضين من ذى القعدة وكان فخر الدين يوسف ابن الشيخ صدر الدين ابن حمويه في الحمام بالمنصورة فركب مسرعا وصادفه جماعة من الفرنج فقتلوه وكان سعيدا في الدنيا ومات شهيدا ثم حملت المسلمون والترك البحرية على الفرنج فردوهم على أعقابهم واستمرت بهم الهزيمة وأما الملك المعظم تورانشاه فانه سار من حصن كيفا ووصل الى دمشق في رمضان من هذه السنة وعيد بها عيد الفطر ووصل الى المنصورة يوم الخميس لتسع بقين من ذى القعدة من هذه السنة أعنى سنة سبع وأربعين وستمائة ثم اشتد القتال بين المسلمين والفرنج براوبحرا ووقعت مراكب المسلمين على الفرنج وأخذوا منهم اثنين وثلاثين مركبا منها تسع شوانى فضعفت الفرنج لذلك وأرسلوا يطلبون القدس وبعض الساحل وأن يسلموا دمياط الى المسلمين فلم تقع الاجابة الى ذلك

ذكر

(ذكر غير ذلك)

(وفي هذه السنة) وقع الحرب بين صاحب الموصل بدر الدين لولو وبين الملك الناصر صاحب حلب فأرسل اليه الملك الناصر عسكرا والتقوا مع المواصلة بظاهر نصيبين فانهزمت المواصلة هزيمة قبيحة واستولي الحلبيون على اثقال لولو صاحب الموصل وخيمه وتسلم الحلبيون نصيبين وأخذوها من صاحب الموصل ثم ساروا الى دارا فنازلوها وتسلموها وخربوها بعد حصار ثلاثة أشهر ثم تسلموا قرقيسيا وعادوا الى حلب (ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة)

﴿ ذكر هزيمة الفرنج وأسر ملكهم ﴾

لما أقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة فنيت أزوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فان المسلمين قطعوا الطريق الواصل من دمياط اليهم فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا ليلة الاربعاء لثلاث مضين من المحرم متوجهين الى دمياط وركب المسلمون أكتافهم ولما استقر صباح الاربعاء خالطهم المسلمون وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت عدة القتلى من الفرنج ثلاثين ألفا على ماقيل وانحاز ريد افرنس ومن معه من الملوك الى بلد هناك وطلبوا الامان فأمنهم الطواشى محسن الصالحى ثم احتيط عليهم وأحضروا الي المنصورة وقيد ريد افرنس وجعل في الدار التى كان ينزلها كاتب الانشاء فخر الدين بن لقمان ووكل به الطواشى صبيح المعظمى ولما جرى ذلك رحل الملك المعظم بالعساكر من المنصورة ونزل بفارسكور ونصب بها برج خشب للملك المعظم

(ذكر مقتل الملك المعظم)

(وفي هذه السنة) يوم الاثنين لليلة بقيت من المحرم قتل الملك المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب وسبب ذلك ان المذكور أطرح جانب أمراء أبيه ومماليكه وكل منهم بلغه عنه من التهديد والوعيد مانفر قلبه منه واعتمد على بطانته الذين وصلوا معه من حصن كيفا وكانوا اطرافا أراذل فاجتمعت البحرية على قتله بعد نزوله بفارسكور وهجموا عليه بالسيوف وكان أول من ضربه ركن الدين بيبرس الذى صار سلطانا فيما بعد على ماسنذكره ان شاء الله تعالى فهرب الملك المعظم منهم الى البرج الخشب الذى نصب له بفارسكور على ماتقدم ذكره فأطلقوا في البرج النار فخرج الملك المعظم من البرج هاربا طالبا البحر ليركب في حراقته فحالوا بينه وبينها بالنشاب فطرح نفسه في البحر فأدركوه وأتموا قتله في نهار الاثنين المذكور وكانت مدة اقامته في المملكة من حين وصوله الى الديار المصرية شهرين

وأياما ولما جرى ذلك اجتمعت الامراء واتفقوا على أن يقيموا شجر الدر زوجة الملك الصالح في المملكة وأن يكون عزالدين أيبك الجاشنكير الصالحي المعروف بالتركماني اتابك العسكر وحلفوا على ذلك وخطب لشجر الدرعلى المنابر وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدةالملك المنصور خليل وكانت شجر الدر قدولدت من الملك الصالح ولدا ومات صغيراوكان اسمه خليل فسميت والدة خليل وكانت صورة علامتها على المناشير والتواقيع والدة خليل ولما استقر ذلك وقع الحديث مع ريد افرنس في تسليم دمياط بالافراج عنه فتقدم ريد افرنس الى من بها من نوابه في تسليمها فسلموها وصعد اليها العلم السلطانى يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر من هذه السنة أعنى سنة ثمان وأربعين وستمائة واطلق ريد افرنس فركب في البحر بمن سلم معه نهار السبت غد الجمعة المذكورة واقلعوا الى عكا ووردت البشرى بهذا الفتح العظيم الى سائر الاقطار وفي واقعة ريد افرنس المذكورة يقول جمال الدين يحيى بن مطروح أبياتا منها

قل للفرنسيس اذا جئته	مقال صدق عن قؤول نصيح
أتيت مصرا تبتغى ملكها	تحسب ان الزمر ياطبل ريح
وكل أصحابك أوردتهم	بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهم	غير قتيل أو أسير جريح
وقل لهم ان أضمروا عودة	لاخذ ثار أولقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها	والقيد باق والطواشي صبيح

ثم عادت العساكر ودخلت القاهرة يوم الخميس تاسع صفر من السنة المذكورة وأرسل المصريون رسولا الى الامراء الذين بدمشق في موافقتهم على ذلك فلم يجيبوا اليه وكان الملك السعيد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل صاحب الصبيبة قد سلمها الى الملك الصالح أيوب فلما جرى ذلك قصد قلعة الصبيبة فسلمت اليه وكان من الملك السعيد ماسنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الملك المغيث الكرك)

كان الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب قد أرسله الملك المعظم تورانشاه لما وصل الى الديار المصرية الى الشوبك واعتقله بها وكان النائب على الكرك والشوبك بدر الدين الصوابى الصالحى فلما جرى ماذكرناه من قتل الملك المعظم ولما استقر عليه الحال بادر بدر الدين الصوابى المذكور فافرج عن المغيث وملكه القلعتين الكرك والشوبك وقام

في خدمته أتم قيام

(ذكر استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على دمشق)

ولما جرى ماذكرناه ولم يجب أمراء دمشق الى ذلك كاتب الامراء القيمرية الذين بها الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين فسار اليهم وملك دمشق ودخلها في يوم السبت لثمان مضين من ربيع الآخر من هذه السنة ولما استقر الناصر المذكور في ملك دمشق خلع على جمال الدين ابن يغمور وعلى الامراء القيمرية به وأحسن اليهم واعتقل جماعة من الامراء مماليك الملك الصالح وعصت عليه بعلبك وعجلون وشميميس مدة مديدة ثم سلمت جميعها اليه ولما ورد الخبر بذلك الى مصر قبضوا على من عندهم من القيمرية وعلى كل من اتهم بالميل الى الحلبيين

(ذكر سلطنة أيبك التركمانى)

ثم ان كبراء الدولة اتفقوا على اقامة عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى في السلطنة لانه اذا استقر أمر المملكة في امرأة على ماهو عليه الحال تفسد الامور فأقاموا أيبك المذكور وركب بالسناجق السلطانية وحملت الغاشية بين يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر من هذه السنة ولقب الملك المعز وأبطلت السكة والخطبة التى كانت باسم شجر الدر

(ذكر عقد السلطنة للملك الاشرف موسى ابن يوسف صاحب اليمن المعروف باقسيس)

ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب * ثم اجتمعت الامراء واتفقوا على انه لا بد من اقامة شخص من بنى أيوب في السلطنة واجتمعوا على اقامة موسى المذكور ولقبوه الملك الاشرف وأن يكون أيبك التركمانى اتابكه وأجلس الاشرف موسى المذكور في دست السلطنة وحضرت الامراء في خدمته يوم السبت لخمس مضين من جمادى الاولى من هذه السنة وكان بغزة حينئذ جماعة من عسكر مصر مقدمهم خاص ترك فسار اليهم عسكر دمشق فاندفعوا من غزة الى الصالحية بالسايح واتفقوا على طاعة المغيث صاحب الكرك وخطبوا له بالصالحية يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الآخرة من هذه السنة ولما جرى ذلك اتفق كبراء الدولة بمصر ونادوا بالقاهرة ومصر أن البلاد للخليفة المستعصم ثم جددت الايمان للملك الاشرف موسى بالسلطنة ولايبك التركمانى بالاتابكية وفي يوم الاحد لخمس مضين من رجب رحل فارس الدين اقطاى الصالحى الجمدار متوجها الى جهة غزة ومعه تقدير ألفي فارس وكان اقطاى المذكور مقدم البحرية

فلما وصل الى غزة اندفع من كان بها من جهة الملك الناصر بين يديه

﴿ ذكر تخريب دمياط ﴾

(وفي هذه السنة) اتفق آراء أكابر الدولة وهدموا سور دمياط في العشر الاخير من شعبان هذه السنة لما حصل لله لمين عليها من الشدة مرة بعد أخرى وبنوا مدينة بالقرب منها في البر وسموها المنشية واسوار دمياط التي هدمت من عمارة المتوكل الخليفة العباسي

(ذكر القبض على الناصر داود)

(وفي هذه السنة) مستهل شعبان قبض الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب على الناصر داود الذي كان صاحب الكرك وبعث به الى حمص فاعتقل بها وذلك لاشياء بلغت الناصر يوسف عن المذكور خاف منها

(ذكر مسير السلطان الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الديار المصرية وكسرته)

(وفي هذه السنة) سار الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز بعسا كره من دمشق وصحبته من ملوك أهل بيته الصالح اسماعيل بن العادل بن أيوب والاشرف موسى صاحب حمص وهو حينئذ صاحب تل باشر والرحبة وتدمر والمعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين وأخو المعظم المذكور نصرة الدين والامجد حسن والظاهر شاذى ابنا الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى بن العادل بن أيوب وتقى الدين عباس ابن الملك العادل بن أيوب ومقدم الجيش شمس الدين لولو الارمنى واليه تدبير المملكة فرحلوا من دمشق يوم الاحد منتصف رمضان من هذه السنة ولما بلغ المصريين ذلك اهتموا لقتاله ودفعه وبرزوا الى السايح وتركوا الاشرف المسمى بالسلطان بقلعة الجبل وافرج أيبك التركمانى حينئذ عن ولدى الصالح اسماعيل وهما المنصور ابراهيم والملك السعيد عبدالملك ابنا الصالح اسماعيل وكانا معتقلين من حين استيلاء الملك الصالح أيوب على بعلبك وخلع عليهما ليتوهم الناصر يوسف صاحب دمشق من أبيهما الصالح اسمعيل والتقى العسكران المصرى والشامى بالقرب من العباسية في يوم الخميس عاشر ذى القعدة من هذه السنة فكانت الكسرة أولا على عسكر مصر فخامر جماعة من المماليك الترك العزيزية على الملك الناصر صاحب دمشق وثبت المعز أيبك التركمانى في جماعة قليلة من البحرية فانضاف جماعة من العزيزية مماليك والد الملك الناصر الى ايبك التركمانى ولما انكسرت المصريون وتبعتهم العسا كر الشامية ولم يشكوا في النصر بقي الملك الناصر تحت السناجق السلطانية مع جماعة يسيرة من المتعممين لا يتحرك من موضعه فحمل المعز التركمانى بمن معه عليه فولى الملك الناصر

منهزما

منهزما طالبا جهة الشام ثم حمل أيبك التركمانى المذكور على طاب شمس الدين لولو فهزمهم وأخذ شمس الدين لولو أسيرا فضربت عنقه بين يديه وكذلك أسر الامير ضياء الدين القيمرى فضربت عنقه وأسر يومئذ الملك الصالح اسماعيل والاشرف صاحب حمص والمعظم تورانشاه بن صلاح الدين بن أيوب وأخوه نصرة الدين ووصل عسكر الملك الناصر في أثر المنهزمين الى العباسية وضربوا بها دهليز الملك الناصر وهم لايشكون ان الهزيمة تمت على المصريين فلما بلغهم هروب الملك الناصر اختلفت آراؤهم فمنهم من أشار بالدخول الى القاهرة وتملكها ولو فعلوه لما كان بقى مع أيبك التركمانى من يقاتلهم به وكان هرب فان غالب المصريين المنهزمين وصلوا الى الصعيد ومنهم من أشار بالرجوع الى الشام وكان معهم تاج الملوك بن المعظم وهو مجروح وكانت الوقعة يوم الخميس ووصل المنهزمون من المصريين الى القاهرة في غد الوقعة نهار الجمعة فلم يشك أهل مصر في ملك الملك الناصر ديار مصر وخطب له في الجمعة المذكورة بقلعة الجبل ومصر * وأما القاهرة فلم يقم فيها في ذلك النهار خطبة لاحد ثم وردت اليهم البشرى بانتصار البحرية ودخل أيبك التركمانى والبحرية الى القاهرة يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة ومعه الصالح اسمعيل تحت الاحتياط وغيره من المعتقلين فحبسوا بقلعة الجبل وعقيب ذلك اخرج أيبك التركمانى أمين الدولة وزير الصالح اسماعيل واستاذ داره يغمور وكانا معتقلين من حين استيلاء الصالح أيوب على بعلبك فشنقهما على باب قلعة الجبل رابع عشر ذى القعدة وفي ليلة الاحد السابع والعشرين من ذى القعدة هجم جماعة على الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك العادل بن أيوب وهو يمص قصب سكر وأخرجوه الى ظاهر قلعة الجبل من جهة القرافة فقتلوه ودفن هناك وعمره قريب من خمسين سنة وكانت أمه رومية من حظايا الملك العادل (وفي هذه السنة) بعد هزيمة الملك الناصر صاحب الشام سار فارس الدين اقطاى بثلاثة آلاف فارس الى غزة فاستولى عليها ثم عاد الى الديار المصرية

ذكر قتل صاحب اليمن

(وفي هذه السنة) وثب على الملك المنصور عمر صاحب اليمن جماعة من مماليكه فقتلوه وهو عمر بن على بن رسول وكان والده على بن رسول استاذ دار الملك المسعود ابن السلطان الملك الكامل * فلما سار الملك المسعود قاصدا الشام ومات بمكة على ماتقدم ذكره استناب استاذ داره على بن رسول المذكور باليمن فاستقر نائبا بها لبنى أيوب وكان لعلى المذكور اخوة فاحضروا الى مصر وأخذوا رهائن خوفا من تغلب على بن رسول على اليمن واستمر المذكور نائبا باليمن حتى مات قبل سنة ثلاثين

وستمائة واستولى على اليمن بعده ولده عمر بن على المذكور على ماكان عليه ابوه من النيابة فارسل من مصر اعمامه ليعزلوه ويكونوا نوابا موضعه فلما وصلوا الى اليمن قبض عمر المذكور عليهم واعتقلهم واستقل عمر المذكور بملك اليمن يومئذ وتلقب بالملك المنصور واستكثر من المماليك الترك فقتلوه في هذه السنة أعنى سنة ثمان وأربعين وستمائة واستقر بعده في ملك اليمن ابنه يوسف بن عمر وتلقب بالملك المظفر وصفا له ملك اليمن وطالت أيام مملكته على ماستعلمه ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة) فيها توفي الصاحب محيى الدين بن مطروح وكان متقدما عند الملك الصالح أيوب كان يتولى له لما كان الصالح بالشرق نظر الجيش ثم استعمله على دمشق ثم عزله وولى ابن يغمور وكان ابن مطروح المذكور فاضلا في النثر والنظم فمن شعره

عانقته فسكرت من طيب الشذا	غصن رطيب بالنسيم قد اغتذا
نشوان ما شرب المدام وانما	أمسى بخمر رضا به متنبذا
جاء العذول يلومنى من بعد ما	أخذ الغرام على فيه مأخذا
لاأرعوى لاانثنى لا انتهى	عن حبه فليهذ فيه من هذى
ان عشت عشت على الغرام وان امت	وجدا به وصبابة ياحبذا

(وفيها) جهز الملك الناصر يوسف صاحب الشام عسكرا الى غزة وخرج المصريون الى السائح وأقاموا كذلك حتى خرجت هذه السنة (وفيها) توفى علم الدين قيصر ابن أبى القاسم بن عبد الغنى بن مسافر الفقيه الحنفى المقرى المعروف بتعاسيف وكان اماما في العلوم الرياضية اشتغل بالديار المصرية والشام ثم سار الى الموصل وقرأ على الشيخ كمال الدين موسى بن يونس علم الموسيقى ثم عاد الى الشام وتوفي بدمشق في شهر رجب من السنة المذكورة ومولده سنة أربع وسبعين وخمسمائة باصفون من شرقى صعيد مصر (ثم دخلت سنة خمسين وستمائة) ولم يقع لنا فيها مايصلح ان يؤرخ (ثم دخلت سنة احدى وخمسين وستمائة) فيها استقر الصلح بين الملك الناصر يوسف صاحب الشام وبين البحرية بمصر على ان يكون للمصريين الى نهر الاردن وللملك الناصر ماوراء ذلك وكان نجم الدين البادراى رسول الخليفة هو الذى حضر من جهة الخليفة وأصلح بينهم على ذلك ورجع كل منهم الى مقره (وفيها) قطع أيبك التركمانى خبز حسام الدين ابن أبى على الهذبانى فطلب دستورا فاعطيه وسار الى الشام فاستخدمه الملك الناصر يوسف بدمشق

ذكر احوال الناصر صاحب الكرك

(وفيها) أفرج الملك الناصر يوسف عن الملك الناصر داود بن المعظم الذى كان صاحب

الكرك

الكرك وكان قد اعتقله بقلعة حمص وذلك بشفاعة الخليفة المستعصم فيه فافرج عنه وأمره أن لايسكن في بلاده فرحل الناصر داود المذكور الى جهة بغداد فلم يمكنوه من الوصول اليها وطلب وديعته الجوهر فمنعوه اياها وكتب الملك الناصر يوسف الى ملوك الاطراف انهم لايأووه ولا يميروه فبقى الناصر داود في جهات عانة والحديثة وضاقت به الاحوال وبمن معه وانضم اليه جماعة من غزيه فبقوا يرحلون وينزلون جميعا ثم لما قوى عليهم الحر ولم يبق بالبرية عشب قصدوا ازوار الفرات يقاسون بق الليل وهواجر النهار وكان معه أولاده وكان لولده الظاهر شاذى فهد فكان يتصيد في النهار مايزيد على عشرة غزلان وكان يمضى للملك الناصر داود وأصحابه أياما لايطعمون غير لحوم الغزلان واتفق ان الاشرف صاحب تل باشر وتدمر والرحبة يومئذ أرسل الى الناصر داود مركبين موسقين دقيقا وشعيرا فارسل صاحب دمشق وتهدده على ذلك ثم ان الناصر داود قصد مكانا للشرابى واستجار به فرتب له الشرابى شيئاً دون كفايته وأذن له في النزول بالانبار وبينها وبين بغداد ثلاثة أيام والناصر داود مع ذلك يتضرع الى الخليفة المستعصم فلا يجيب ضراعته ويطالب وديعته فلا يرد لهفته ولا يجيبه الا بالمماطلة والمطاولة وكانت مدة مقامه متنقلا في الصحارى مع غزيه قريب ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك أرسل الخليفة وشفع فيه عند الملك الناصر فاذن له في العود الى دمشق ورتب له مائة ألف درهم على بحيرة فامية وغيرها فلم يتحصل له من ذلك الا دون ثلاثين ألف درهم (وفي هذه السنة) وصلت الاخبار من مكة بأن نارا ظهرت من عدن وبعض جبالها بحيث كانت تظهر في الليل ويرتفع منها في النهار دخان عظيم (ثم دخلت سنة أثنتين وخمسين وستمائة)

ذكر دولة الحفصيين ملوك تونس

وانما ذكرناها في هذه السنة لانها كالمتوسطة لمدة ملكهم وهو مانقلناه من الشيخ الفاضل ركن الدين بن قويع التونسى قال والحفصيون أولهم أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى وهنتاتة بتاءين مثناتين من فوقهما قبيلة من المصامدة ويزعمون انهم قرشيون من بنى عدى بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان أبو حفص المذكور من أكبر أصحاب ابن تومرت بعد عبد المؤمن وتولى عبد الواحد بن أبى حفص افريقية نيابة عن بنى عبد المؤمن في سنة ثلاث وستمائة ومات سلخ الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة فتولى أبو العلاء من بنى عبد المؤمن ثم توفي فعادت افريقية الى ولاية الحفصيين وتولى منهم عبد الله بن عبد الواحد بن أبى حفص في سنة ثلاث وعشرين وستمائة * ولما تولى ولى أخاه أبا زكريا يحيى قابس وأخاه أبا ابراهيم اسحق بلاد

الجريد ثم خرج على عبد الله وهو على قابس أصحابه ورجوه وطردوه وولوا موضعه أخاه أبا زكريا بن عبد الواحد سنة اثنتين وستين فنقم بنو عبد المؤمن على أبي زكريا ذلك فاسقط أبو زكريا اسم عبد المؤمن من الخطبة وبقي اسم المهدي وخلع طاعة بني عبد المؤمن وتملك افريقية وخطب لنفسه بالامير المرتضى واتسعت مملكته وفتح تلمسان والغرب الاوسط وبلاد الجريد والزاب وبقي كذلك حتى توفي على بونة سنة سبع وأربعين وستمائة وأنشأ في تونس بنايات عظيمة شامخة وكان عالما بالادب وخلف أربعة بنين وهم أبو عبد الله محمد وأبو اسحق ابراهيم وأبو حفص عمر وأبو بكر وكنيته أبو يحيى وخلف أخوين وهما أبو ابراهيم اسحق ومحمد اللحياني ابنى عبد الواحد بن أبي حفص وكان محمد اللحياني المذكور صالحا منقطعاً يتبرك به ثم تولى بعده ابنه أبو عبد الله محمد بن ابى زكريا ثم سمى عمه أبو ابراهيم في خلعه فخلع وبايع لاخيه محمد اللحياني الزاهد على كره منه لذلك فجمع أبو عبد الله محمد المخلوع أصحابه في يوم خلعه وشد على عميه فقهرهما وقتلهما واستقر في ملكه وتلقب وخطب لنفسه بالمستنصر بالله أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد ابن الامراء الراشدين وفي أيامه في سنة ثمان وستين وستمائة وصل الفرنسيس الى افريقية بجموع الفرنج وأشرفت افريقية على الذهاب فقصمه الله ومات الفرنسيس وتمزقت تلك الجموع وفي أيامه خافه أخوه أبو اسحق ابراهيم بن أبى زكريا فهرب ثم أقام بتلمسان وبقي المستنصر المذكور كذلك حتى توفي ليلة حادى عشر ذى الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة فملك ابنه يحيى بن محمد بن أبي زكريا وتلقب بالواثق بالله أمير المؤمنين وكان ضعيف الرأى فتحرك عليه عمه أبو اسحق ابراهيم الذى هرب وأقام بتلمسان وغلب على الواثق فخلع نفسه واستقر أبو اسحق ابراهيم في المملكة في ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وستمائة وخطب لنفسه بالامير المجاهد وترك زى الحفصيين وأقام على زى زناتة وعكف على الشرب وفرق المملكة على أولاده فوثبت أولاده على الواثق المخلوع وذبحوه وذبحوا معه ولديه الفضل والطيب ابنى يحيى الواثق المذكور وسلم للواثق ابن صغير تلقب أبا عصيدة لانهم يصنعون للنفساء عصيدة فيها أدوية ويهدى منها للجيران وعملت أم الصبي ذلك فلقب ولدها بأبي عصيدة ثم ظهر انسان ادعى أنه لفضل بن الواثق الذى ذبح مع ابنه واجتمعت عليه الناس وقصد أبا اسحق ابراهيم وقهره فهرب أبو اسحق الى بجاية وبها ابنه أبو فارس عبد العزيز بن ابراهيم فترك أبو فارس أباه ببجاية وسار بأخويه وجمعه الى الداعى بتونس والتقى الجمعان فانهزم عسكر بجاية وقتل أبو فارس وثلاثة من اخوته ونجا له أخ اسمه يحيى بن ابراهيم وعمه أبو حفص عمر بن أبي زكريا ولما هزم الداعى عسكر

بجاية

بجاية وقتل المذكورين أرسل الى بجاية من قتل أبا اسحق ابراهيم وجاء برأسه ثم تحدث الناس بدعوة الداعي واجتمعت العرب على عمر ابن أبي زكريا بعد هروبه من المعركة وقوى أمره وقصد الداعي ثانيا بتونس وقهره واستتر الداعي في دور بعض التجار بتونس ثم أحضر واعترف بنسبه وضربت عنقه فكان الداعي المذكور من أهل بجاية واسمه أحمد بن مرزوق بن أبي عمار وكان أبوه يتجر الى بلادالسودان وكان الداعي المذكور محارفاً قصيفا وسار الي ديار مصر ونزل بدار الحديث الكاملية ثم عاد الى المغرب فلما مر على طرابلس كان هناك شخص أسود يسمى نصيرا كان خصيصا بالواثق المخلوع قد هرب لما جرى للواثق ماجرى وكان في أحمد الداعي بعض الشبه من الفضل ابن الواثق فدبر مع نصير المذكور الامر فشهد له انه الفضل بن الواثق فاجتمعت عليه العرب وكان منه ماذكرناه حتى قتل وكان الداعي يخطب له بالخليفة الامام المنصور بالله القائم بحق الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أبي العباس الفضل ولما استقر أبو حفص عمر في المملكة وقتل الداعي تلقب بالمستنصر بالله أمير المؤمنين وهو المستنصر الثاني * ولما استقر في المملكة سار ابن أخيه يحيى بن ابراهيم بن أبي زكريا الذي سلم من المعركة الى بجاية وملكها وتلقب بالمنتخب لاحياء دين الله أمير المؤمنين واستمر المستنصر الثاني أبو حفص عمر بن أبي زكريا في مملكته حتى توفي في اوائل المحرم سنة خمس وتسعين وستمائة ولما اشتد مرضه بايع لابن له صغير فاجتمعت الفقهاء وقالوا له أنت صائر الى الله وتولية مثل هذا لايحل فابطل بيعته وأخرج ولد الواثق المخلوع الذي كان صغيرا وسلم من الذبح الملقب بأبي عصيدة وبويع صبيحة موت أبي حفص عمر الملقب بالمستنصر وكان اسم أبي عصيدة المذكور أبا عبد الله محمد وتلقب أبو عصيدة بالمستنصر أيضاً وهو المستنصر الثالث وتوفي في أيامه صاحب بجاية المنتخب يحيى بن ابراهيم بن أبي زكريا وملك بعده بجاية ابنه خالد بن يحيى وبقي أبو عصيدة لذلك حتى توفي سنة تسع وسبعمائة فملك بعده شخص من الحفصيين يقال له أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب ابن تومرت وأقام في الملك ثمانية عشر يوماً ثم وصل خالد بن المنتخب صاحب بجاية ودخل تونس وقتل أبا بكر المذكور في سنة تسع وسبعمائة ولما جرت ذلك كان زكريا اللحياني بمصر فسار مع عسكر السلطان الملك الناصر خلدالله ملكه الى طرابلس الغرب وبايعه العرب وسار الى تونس فخلع خالد بن المنتخب وحبس ثم قتل قصاصا بأبي بكر بن عبد الرحمن المقدم الذكر واستقر اللحياني في ملك افريقية وهو ابن يحيى زكريا بن أحمد بن محمد الزاهد اللحياني بن عبد الواحد بن أبي

حفص صاحب ابن تومرت ثم تحرك علي اللحياني أخو خالد وهو أبو بكر بن يحيى المنتخب فهرب اللحياني الى ديار مصر وأقام بالاسكندرية وملك أبو بكر المذكور تونس وما معها خلا طرابلس والمهدية فانه بعد هروب اللحياني بايع ابنه محمد بن اللحياني لنفسه واقتتل مع أبي بكر فهزمه أبو بكر واستقر محمد بن اللحياني بالمهدية وله معها طرابلس وكان استيلاء أبي بكر وهروب اللحياني الى ديار مصر في سنة تسع عشرة وسبعمائة وأقام اللحياني في اسكندرية ثم وردت عليه مكاتبات من تونس في ذي القعدة سنة احدى وعشرين وسبعمائة الى الاسكندرية يذكرون فيها ان أبا بكر متملك تونس المذكور قد هرب وترك البلاد وان الناس قد اجتمعوا على طاعة اللحياني وبايعوا نائبه وهو محمد بن أبي بكر من الحفصيين وهو صهر زكريا اللحياني المذكور وهم في انتظار وصول اللحياني الى مملكته أقول وقد بقيت مملكة أفريقية فهرب منها لضعفها بسبب استيلاء العرب عليها

﴿ ذكر مقتل اقطاي ﴾

(في هذه السنة) اغتال الملك المعز أيبك التركماني المستولي على مصر خوشداشه اقطاي الجمدار وأوقف له في بعض دهاليز الدور التى بقلعة الجبل ثلاثة مماليك هم قطز وبهادر وسنجر الغتمي فلما مر بهم فارس الدين اقطاي ضربوه بسيوفهم فقتلوه ولما علمت البحرية بذلك هربوا من ديار مصر الى الشام وكان الفارس اقطاي يمنع أيبك من الاستقلال بالسلطنة وكان الاسم للملك الاشرف موسى بن يوسف بن يوسف ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب فلما قتل اقطاي استقل المعز التركماني بالسلطنة وأبطل الاشرف موسى المذكور منها بالكلية وبعث به الى عماته القطبيات وموسى المذكور آخر من خطب له من بيت أيوب بالسلطنة في مصر وكان انقضاء دولتهم من الديار المصرية في هذه السنة على ما شرحناه ووصلت البحرية الى الملك الناصر يوسف صاحب الشام وأطمعوه في ملك مصر فرحل من دمشق بعسكر ونزل عمتا من الغور وأرسل الى غزة عسكرا فنزلوا بها وبرز المعز أيبك صاحب مصر الى العباسية وخرجت السنة وهم على ذلك (وفيها) قدمت ملكة خاتون بنت كيقباذ ملك بلاد الروم الى زوجها الملك الناصر يوسف صاحب الشام (وفيها) ولي الملك المنصور صاحب حماة قضاء حماة للقاضي شمس الدين ابراهيم بن هبة الله بن البارزي بعد عزل القاضي المحيي حمزة بن محمد (ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائة) فيها عزمت العزيزية المقيمون مع المعز أيبك على القبض عليه وعلم بذلك واستعد لهم فهربوا من مخيمهم على العباسية على حمية واحتيط على وطاقاتهم جميعها (وفي هذه السنة) مشى نجم الدين البادراى في الصلح بين المصريين والشاميين واتفق الحال أن

يكون للملك الناصر الشام جميعه الى العريش ويكون الحد بير القاضى وهو بين الورادة والعريش وبيد المعز أيبك الديار المصرية وانفصل الحال على ذلك ورجع كل الى بلده (وفي هذه السنة) أو التى قبلها تزوج المعز أيبك شجر الدر أم خليل التى خطب لها بالسلطنة في ديار مصر (وفيها) طلب الملك الناصر داود من الملك الناصر يوسف دستورا الى العراق بسبب طلب وديعته من الخليفة وهى الجوهر الذى تقدم ذكره وأن يمضى الى الحج فأذن له الناصر يوسف في ذلك فسار الناصر داود الى كربلا ثم مضى منها الى الحج ولما رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم تعلق في استار الحجرة الشريفة بحضور الناس وقال اشهدوا ان هذا مقامي من رسول الله صلى الله عليه وسلم داخلا عليه مستشفعا به الى ابن عمه المستعصم في أن يرد على وديعتى فاعظم الناس ذلك وجرت عبراتهم وارتفع بكاؤهم وكتب بصورة ماجرى مشروح ورفع الى أمير الحاج كيخسرو وذلك يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة وتوجه الناصر داود مع الحاج العراقى وأقام ببغداد (ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة) فيها مات كيخسرو ملك بلاد الروم وأقيم في السلطنة ولداه الصغيران عز الدين كيكاوس وركن الدين قليج أرسلان (وفيها) توجه كمال الدين المعروف بابن العديم رسولا من الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الخليفة المستعصم وصحبته تقدمة جليلة وطلب خلعة من الخليفة لمخدومه ووصل من جهة المعز أيبك صاحب مصر شمس الدين سنقر الاقرع وهو من مماليك المظفر غازى صاحب ميافارقين الى بغداد بتقدمة جليلة وسعى في تعطيل خلعة الناصر يوسف صاحب دمشق فبقى الخليفة متحيرا ثم انه أحضر سكينا من اليشم كبيرة وقال الخليفة لوزيره أعط هذه السكين رسول صاحب الشام علامة منى في ان له خلعة عندى في وقت آخر وأما في هذا الوقت فلا يمكنى فأخذ كمال الدين بن العديم السكين وعاد الى الناصر يوسف بغير خلعة

﴿ذكر غير ذلك﴾

(فيها) جرى للناصر داود مع الخليفة ماصورته انه لما أقام ببغداد بعد وصوله مع الحجاج واستشفاعه بالنبي صلى الله عليه وسلم في رده وديعته أرسل الخليفة المستعصم من حاسب الناصر داود المذكور على ماوصله في ترداده الى بغداد من المضيف مثل اللحم والخبز والحطب والعليف والتبن وغير ذلك وثمن عليه ذلك باغلى الاثمان وأرسل اليه شيئاً نزرا وألزمه أن يكتب خطه بقبض وديعته وانه مابقى يستحق عند الخليفة شيئاً فكتب خطه بذلك كرها وسار عن بغداد وأقام مع العرب ثم أرسل اليه الناصر يوسف بن العزيز ابن غازى بن يوسف صاحب الشام فطيب قلبه وحلف له فقدم الناصر داود الى دمشق

ونزل بالصالحية (وفي هذه السنة) يوم الاحد ثالث شوال توفي سيف الدين طغريل مملوك الملك المظفر محمود صاحب حماة وكان قد زوجه المظفر المذكور بأخته وقام بتدبير مملكة حماة بعد وفاة الملك المظفر حتى توفي في التاريخ المذكور (ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة)

(ذكر قتل المعز أيبك التركمانى)

(وفي هذه السنة) في يوم الثلاث الثالث والعشرين من ربيع الاول قتل الملك المعز أيبك التركمانى الجاشنكير الصالحى قتلته امرأته شجر الدر التى كانت امرأة أستاذه الملك الصالح أيوب وهى التى خطب لها بالسلطنة في ديار مصر وكان سبب ذلك انه بلغها ان المعز أيبك المذكور قد خطب بنت بدر الدين لولو صاحب الموصل ويريد أن يتزوجها فقتلته في الحمام بعد عوده من لعب الكرة في النهار المذكور وكان الذى قتله سنجر الجوجرى مملوك الطواشى محسن والخدام حسبما اتفقت معهم عليه شجر الدر وأرسلت في تلك الليلة أصبع المعز أيبك وخاتمه الى الامير عز الدين الحلبى الكبير وطلبت منه أن يقوم بالامر فلم يجسر على ذلك ولما ظهر الخبر أراد مماليك المعز أيبك قتل شجر الدر فحماها المماليك الصالحية فاتفقت الكلمة على اقامة نور الدين على ابن الملك المعز أيبك ولقبوه الملك المنصور وعمره يومئذ خمس عشرة سنة ونقلت شجر الدر من دار السلطنة الى البرج الاحمر وصلبوا الخدام الذين اتفقوا معها على قتل المعز أيبك وهرب سنجر الجوجرى ثم ظفروا به وصلبوه واحتيط على الصاحب بهاء الدين على بن حنا لكونه وزير شجر الدر وأخذ خطه بستين ألف دينار وفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر من هذه السنة اتفقت مماليك المعز أيبك مثل سيف الدين قطز وسنجر الغتمى وبهادر وقبضوا على علم الدين سنجر الحلبى وكان قد صار اتابكا للملك المنصور نور الدين ابن الملك على المعز أيبك ورتبوا في اتابكية المذكور اقطاى المستعرب الصالحى (وفي سادس عشر) ربيع الآخر من السنة المذكورة قتلت شجر الدر والقيت خارج البرج فحملت الى تربة كانت قد عملتها فدفنت فيها وكانت تركية الجنس وقيل كانت أرمنية وكانت مع الملك الصالح في الاعتقال بالكرك وولدت منه ولدا اسمه خليل مات صغيرا وبعد أيام من ذلك خنق شرف الدين الفائزى

ذكر مفارقة البحرية الملك الناصر يوسف صاحب الشام ابن الملك العزيز

(وفي هذه السنة) نقل الى الناصر يوسف ان البحرية يريدون أن يفتكوا به فاستوحش

خاطره منهم وتقدم اليهم بالانتزاح عن دمشق فساروا الى غزة واتموا الى الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل وانزعج أهل مصر لقدوم البحرية الى غزة وبرزوا الى العباسية ووصل من البحرية جماعة مقفزين الى القاهرة منهم عز الدين الاثرم فاكرموهم وأفرجوا عن أملاك الاثرم ولما فارق البحرية الناصر صاحب الشام أرسل عسكرا في أثرهم فكبس البحرية ذلك العسكر ونالوا منه ثم ان عسكر الناصر بعد الكبسة كسروا البحرية فانهزموا الى البلقاء والى زعز ملتجئين الى الملك المغيث صاحب الكرك فانفق فيهم المغيث أموالا جليلة وأطمعوه في ملك مصر فجهزهم بما احتاجوه وسارت البحريه الى جهة مصر وخرجت عساكر مصر لقتالهم والتقى المصريون مع البحرية وعسكر المغيث بكرة السبت منتصف القعدة من هذه السنة فانهزم عسكر المغيث والبحرية وفيهم بيبرس البندقدارى المسمى بعد ذلك بالملك الظاهر الى جهة الكرك

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) وصل من الخليفة المستعصم الخلعة والطوق والتقليد الى الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز (وفيها) استجار الناصر داود بنجم الدين الباذراى في أن يتوجه صحبته الى بغداد فأخذه صحبته وتوصل الناصر يوسف صاحب دمشق الى منعه عن ذلك فلم يتهيأ له وسار الناصر داود مع الباذراى الى قرقيسيا فاخره الباذراى ليشاور عليه فأقام الناصر داود في قرقيسيا ينتظر الاذن بالقدوم الى بغداد فلم يؤذن له وطال مقامه فسافر الى البرية وقصد تيه بنى اسرائيل وأقام مع عرب تلك البلاد (وفي هذه السنة) أو التى قبلها ظهرت نار بالحرة عند مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان لها بالليل ضوء عظيم يظهر من مسافة بعيدة جدا ولعلها النار التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة فقال نار تظهر بالحجاز تضيء منها أعناق الابل ببصرى ثم اتفق ان الخدام بحرم النبي صلى الله عليه وسلم وقع منهم في بعض الليالى تفريط فاشتعلت النار في المسجد الشريف واحترقت سقوفه ومنبر النبي صلى الله عليه وسلم وتألم الناس لذلك (ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة)

﴿ ذكر استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية ﴾

في أول هذه السنة ... هولاكو ملك التتر بغداد وملكها في العشرين من المحرم وقتل الخليفة المستعصم بالله وسبب ذلك ان وزير الخليفة مؤيد الدين ابن العلقمى كان رافضيا وكان أهل الكرخ أيضاً روافض فجرت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد على جارى عادتهم فأمر أبو بكر ابن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمى وكاتب التتر وأطمعهم في ملك بغداد

وكان عسكر بغداد يبلغ مائة ألف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل الى التتر متحصل اقطاعاتهم وصار عسكر بغداد دون عشرين ألف فارس وأرسل ابن العلقمى الى التتر أخاه يستدعيهم فساروا قاصدين بغداد في جحفل عظيم وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمهم ركن الدين الدوادار والتقوا على مرحلتين من بغداد واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر الخليفة ودخل بعضهم بغداد وسار بعضهم الى جهة الشام ونزل هولاكو على بغداد من الجانب الشرقى ونزل باجو وهو مقدم كبير في الجانب الغربى على قرية قبالة دار الخلافة وخرج مؤيد الدين الوزير ابن العلقمى الى هولاكو فتوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال ان هولاكو يبقيك في الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد ان يزوج ابنته من ابنك أبى بكر وحسن له الخروج الى هولاكو فخرج اليه المستعصم في جمع من أكابر أصحابه فانزل في خيمة ثم استدعى الوزير الفقهاء والاماثل فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون وكان منهم محيى الدين بن الجوزى وأولاده وكذلك بقى يخرج الى التتر طائفة بعد طائفة * فلما تكاملوا اقتلهم التتر عن آخرهم ثم مدوا الجسر وعدى باجو ومن معه وبذلوا السيف في بغداد وهجموا دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها من الاشراف ولم يسلم الا من كان صغيرا فأخذ أسيرا ودام القتل والنهب في بغداد نحو أربعين يوماً ثم نودى بالامان * وأما الخليفة فانهم قتلوه ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله فقيل خنق وقيل وضع في عدل ورفسوه حتى مات وقيل غرق في دجلة والله أعلم بحقيقة ذلك وكان هذا المستعصم وهو عبد الله أبو أحمد بن المستنصر أبى جعفر منصور ابن محمد الظاهر ابن الامام الناصر أحمد وقد تقدم ذكر باقى نسبه عند ذكر وفاة الامام الناصر ضعيف الرأى قد غلب عليه أمراء دولته لسوء تدبيره تولى الخلافة بعد موت أبيه المستنصر في سنة أربعين وستمائة وكانت مدة خلافته نحو ست عشرة سنة تقريباً وهو آخر الخلفاء العباسيين وكان ابتداء دولتهم في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهى السنة التى بويع فيها السفاح بالخلافة وقتل فيها مروان الحمار آخر خلفاء بنى أمية وكانت مدة ملكهم خمسمائة سنة وأربعا وعشرين سنة تقريباً وعدة خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة حكى القاضى جمال الدين بن واصل قال لقد أخبرنى من أثق به انه وقف على كتاب عتيق فيه ماصورته ان على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بلغ بعض خلفاء بنى أمية عنه انه يقول ان الخلافة تصير الى ولده فامر الاموى بعلى بن عبد الله فحمل على جمل وطيف به وضرب وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفترى ويقول ان الخلافة تكون في ولده فكان على بن عبد الله المذكور رحمه الله يقول أى والله لتكونن الخلافة في ولدى لاتزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم فوقع

مصداق

مصداق ذلك وهو ورود هولا كو وازالته ملك بني العباس

ذكر الوقعة بين المغيث صاحب الكرك وعسكر مصر

كان قد انضمت البحرية الى المغيث بن العادل بن الكامل ونزل من الكرك وخيم بغزة وجمع الجموع وسار الى مصر في دست السلطنة وخرجت عساكر مصر مع مماليك الملك المعز أيبك وأكبرهم سيف الدين قطز الذى صار صاحب مصر والغتمي وبهادر والتقى الفريقان فكانت الكسرة على المغيث ومن معه فولى منهزما الى الكرك في أسوإ حال ونهبت أثقاله ودهليزه

ذكر وفاة الناصر داود

﴿ وفي هذه السنة ﴾ أعني سنة ست وخمسين وستمائة في ليلة السبت السادس والعشرين من جمادى الاولى توفي الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بظاهر دمشق في قرية يقال لها البويضا ومولده سنة ثلاث وستمائة فكان عمره نحو ثلاث وخمسين سنة وكنا قد ذكرنا أخباره في سنة خمس وخمسين وانه توجه الى تيه بني اسرائيل وصار مع عرب تلك البلاد وبلغ المغيث صاحب الكرك وصوله الى تلك الجهة فخشي منه وأرسل اليه فقبض عليه وحمله الى بلد الشوبك وأمر بحفر مطمورة ليحبسه فيها وبقي الملك الناصر المذكور ممسوكا والمطمورة تحفر قدامه ليحبس فيها فبينما هو على تلك الحال اذ ورد رسول الخليفة المستعصم يطلبه من بغداد لما قصده التتر ليقدمه على بعض العساكر لملتقى التتر * فلما ورد رسول الخليفة الى دمشق جهزوه الى المغيث صاحب الكرك ووصل الرسول الى موضع الملك الناصر قبل أن يتم المطمورة فاخذه وسار به الى جهة دمشق فبلغ الرسول استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة فتركه الرسول ومضى لشأنه فسار الناصر داود الى البويضا وهي قرية شرقي دمشق وأقام بها ولحق الناس في الشام في تلك المدة طاعون مات منه الناصر داود المذكور في التاريخ المذكور وخرج الملك الناصر يوسف صاحب دمشق الى البويضا وأظهر عليه الحزن والتأسف ونقله ودفنه بالصالحية في تربة والده المعظم وكان الناصر داود فاضلا ناظما ناثرا وقرأ العلوم العقلية على الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخسرو شاهي تلميذ الامام فخر الدين الرازي وللناصر داود المذكور أشعار جيدة قد تقدم ذكر بعضها ومن شعره أيضاً

عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك القلوب سكون

تصول ببيض وهي سود فرندها ... ذبول فتور والجفون جفون

اذا مارأت قلباً خلياً من الهوى ... تقول له كن مغرما فيكون

(وله أيضاً)

طرفي وقلبي قاتل وشـهيد ... ودمي على خديك منه شهود
اما وحبك لست أضمر سلوة ... عن صبوتى ودع الفؤاد يبيد
منى بطيفك بعد مامنع الكرى ... عن ناظرى البعد والتسهيد
ومن العجائب ان قلبك لم يلن ... لى والحـديد ألانه داود

ومما كتب به في أثناء مكاتبته الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام وكان قد أغارت الفرنج على نابلس في أيام الملك الصالح أيوب صاحب مصر

أيا ليت أمى أيم طول عمـرها ... فلم يقضها ربى لمولى ولا بعل
ويا ليتها لما قضاها لسـيد ... لبيب أريب طيب الفرع والاصل
قضاها من اللاتى خلقن عواقرا ... فما بشرت يوما بأنثى ولا فحل
ويا ليتها لما غدت بى حامـلا ... أصيبت بما احتفت عليه من الحمل
ويا ليتنى لما ولدت وأصبحت ... تشد الى الشدقيات بالرحل
لحقت باسلافي فكنت ضجيعهم ... ولم أر في الاسلام مافيه من خلل

ذكر وفاة الصاحبة غازية خاتون والدة الملك المنصور صاحب حماة

(وفي هذه السنة) في ذى القعدة توفيت الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بقلعة حماة رحمها الله تعالى وكان قدومها الى حماة في سنة تسع وعشرين وستمائة وولد لها من الملك المظفر محمود صاحب حماة ثلاث بنين مات أحدهم صغيرا وكان اسمه عمر وبقى الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه والد الملك الافضل على وولد لها منه ثلاث بنات أيضا فتوفيت الكبرى منهن وكان اسمها ملكة خاتون قبل وفاة والدتها بقليل وتوفيت الصغرى وهى دنيا خاتون بعد وفاة أخيها الملك المنصور وسنذكر وفاة الباقين في مواضعها ان شاء الله تعالى وكانت الصاحبة غازية المذكورة من أحسن النساء سيرة وزهدا وعبادة وحفظت الملك لولدها الملك المنصور حتى كبر وسلمته اليه قبل وفاتها رحمها الله تعالى

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(وفي هذه السنة) قصدت التتر ميا فارقين بعد استيلائهم على بغداد وكان صاحب ميا فارقين حينئذ الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وكان قد ملكها بعد وفاة أبيه في سنة اثنتين وأربعين وستمائة

فحاصره التتر وضايقوا ميا فارقين مضايقـة شديدة وصبر أهـل ميا فارقين مع الكامل محمد المذكور على الجوع الشديد ودام ذلك حتى كان منـه ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) اشـتدالوباء بالشام خصوصاً بدمشق حتى لم يوجد مغسـل للموتى (وفيها) أرسل الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ولده الملك العزيز محمد وصحبته زين الدين محمد المعروف بالحافظي وهو من أهل قرية عقربا من بلد دمشق بتحف وتقادم الى هولاكو ملك التتر وصانعه لعلمه بعجزه عن ملتقى التـتر (وفيها) توفي الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن على بن يحيى المهلبي كاتب انشاء الملك الصالح أيوب ومولد البها زهير بوادى نخلة من مكة سـنة احدى وثمـانين وخمسمائة وفي آخر عمره انكشف حاله وباع موجوده وكتبه وأقام في بيتـه في القاهرة حتى أدركته وفاته بسبب الوباء العام في يوم الاحد رابع ذى القعدة من هذه السنة أعنى سنة ست وخمسين وستمائة ودفن بالقرافة الصغرى وكان كريم الطباع غزير المروءة فاضلا حسن النظم وشعره مشهور كثير فمن شعره وهو وزن مخترع ليس بخرجة العروض أبيات منها

يامن لعبت به شمول ... ماألطف هذه الشمائل
مولاى يحق لى بأنى ... عن حبك في الهوى أقاتل
هاعبدك واقفاذليـلا ... بالباب يمد كف سائل
من وصلك بالقليل يرضى ... والطل من الحبيب وابل

(وفي هذه السنة) توفي بمصر الشيخ ركن الدين عبد العظيم شيخ دار الحديث وكان من أئمة الحديث المشـهورين (وفيها) توفي الشيخ شمس الدين يوسف سبط جمـال الدين بن الجوزى وكان من الوعاظ الفضلاء الف تاريخاً جامعاً سماه مرآة الزمان (وفيها) توفي سيف الدين على بن سابق الدين قزل المعروف بابن المشد وكان أمـيرا مقدماً في دولة الملك الناصر يوسف صاحب الشام وله شعر حسن فنه

باكر كؤس المدام واشرب ... واستجل وجه الحبيب واطرب
ولا تخف للهـموم داء ... فهى دواء له مجـرب
من يد ساق له رضاب ... كالشـهد لكن جناه أعـذب

(وفيها) كان بين البحرية بعد هزيمتهم من المصريين وبين عسكر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ومقدمهم الامير مجـير الدين بن أبى زكرى مصاف بظاهر غزة انهزم فيه عسكر الناصر يوسف وأسر مجـير الدين المذكور وقوى أمر البحرية بعد هـذه الكسرة وأكثروا العبث والفساد (ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة) فيها سار عز الدين كيكاووس وركن الدين قليج أرسلان ابنا كيخسرو بن كيقباذ الى خدمة

هولاكو وأقاما معه مدة ثم عادا الى بلادهما

ذكر وفاة بدر الدين صاحب الموصل

(في هذه السنة) توفي بدر الدين لولو صاحب الموصل وكان يلقب الملك الرحيم وكان عمره قد جاوز ثمانين سنة * ولما مات ملك بعده الموصل ولده الملك الصالح بن لولو وملك سنجار ولده الآخر علاء الدين بن لولو وكان بدر الدين قد صانع هولاكو ودخل في طاعته وحمل اليه الاموال ووصل الى خدمة هولاكو بعد أخذ بغداد ببلاد اذربيجان وكان صحبة لولو الشريف العلوى ابن صلايا فقيل ان لولو سعى به الى هولاكو فقتل الشريف المذكور * ولما عاد لولو الى الموصل لم يطل مقامه بها حتى مات وطالت أيام بدر الدين لولو في ملك الموصل فانه كان القائم بأمور استاذه أرسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن زنكي بن اقسنقر وقام بتدبير ولده الملك القاهر بن أرسلان شاه ولما توفي الملك القاهر بن أرسلان شاه في سنة خمس عشرة وستمائة انفرد لولو بتدبير المملكة وأقام ولدى القاهر الصغيرين واحدا بعد واحد واستبد بملك الموصل وبلادها ثلاث وأربعين سنة تقريباً ولم يزل في ملكه سعيدا لم تطرقه آفة ولم يختل لملكه نظام

ذكر منازلة الملك الناصر يوسف صاحب الشام الكرك

(وفي هذه السنة) لما جرى من البحرية ماذكرناه من كسر عسكر الناصر يوسف سار الناصر المذكور من دمشق بنفسه وعساكره وسار في صحبته الملك المنصور صاحب حماة بعسكره الى جهة الكرك وأقام على بركة زيزا محاصرا الملك المغيث صاحب الكرك بسبب حمايته للبحرية ووصل الى الملك الناصر رسل الملك المغيث صاحب الكرك والقطبية بنت الملك المفضل قطب الدين ابن الملك العادل يتضرعون الى الملك الناصر ويطلبون رضاه عن الملك المغيث فلم يجب الى ذلك الا بشرط أن يقبض المغيث على من عنده من البحرية فاجاب المغيث الى ذلك وعلم بالحال ركن الدين بيبرس البندقدارى فهرب في جماعة من البحرية ووصل بهم الى الملك الناصر يوسف فاحسن اليهم وقبض المغيث على من بقي عنده من البحرية ومن جملتهم سنقر الاشقر وسكز وبرامق وأرسلهم على الجمال الى الملك الناصر فبعث بهم الى حلب فاعتقلوا بها واستقر الصلح بين الملك الناصر وبين الملك المغيث صاحب الكرك وكان مدة مقام الملك الناصر بالعساكر على بركة زيزا مايزيد على شهرين بقليل ثم عاد الى دمشق وأعطى للملك المنصور صاحب حماة دستورا فعاد الى بلده

ذكر

ذكر سلطنة قطز

(وفي أواخر هذه السنة) أعنى سنة سبع وخمسين وستمائة في أوائل ذى الحجة قبض سيف الدين قطز على ولد استاذه الملك المنصور نور الدين على بن المعز أيبك وخلعه من السلطنة وكان علم الدين الغتمى وسيف الدين بهادر وهما من كبار المعزية غائبين في رمى البندق فانتهز قطز الفرصة في غيبتهما وفعل ذلك ولما قدم الغتمى وبهادر المذكوران قبض عليهما قطز أيضاً واستقر قطز في ملك الديار المصرية وتلقب بالملك المظفر وكان رسول الملك الناصر يوسف صاحب الشام وهو كمال الدين المعروف بابن العديم قد قدم الى مصر في أيام الملك المنصور على بن أيبك مستنجدا على التتر واتفق خلع على المذكور وولاية قطز بحضرة كمال الدين بن العديم * ولما استقر قطز في السلطنة أعاد جواب الملك الناصر يوسف انه ينجده ولا يقعد عن نصرته وعاد ابن العديم بذلك

ذكر مولد الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب حماة

(وفي هذه السنة) أعنى سنة سبع وخمسين وستمائة في الساعة العاشرة من ليلة الاحد خامس عشر المحرم وثانى عشر كانون الثانى ولد محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولقبوه الملك المظفر بلقب جده وأم الملك المظفر محمود المذكور عائشة خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وهنأ الشيخ شرف الدين عبد العزيز المعروف بشيخ الشيوخ الملك المنصور صاحب حماة بقصيدة طويلة منها

ابشر على رغم العدى والحسد   بأجل مولود وأكرم مولد
بالنعمة الغراء بل بالدولة الزهراء بل بالمفخر المتجدد
وافاك بدرا كاملا في ليلة   طلعت عليك نجومها بالاسعد
مابين محمود المظفر اسفرت   عنه وما بين العزيز محمد

ذكر قصد هولاكو الشام

(وفي هذه السنة) قدم هولاكو الى البلاد التى شرقى الفرات ونازل حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية وأرسل ولده سموط بن هولاكو الى الشام فوصل الى ظاهر حلب في العشر الاخير من ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة سبع وخمسين وستمائة وكان الحاكم في حلب الملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين نائباعن

ابن أخيه الملك الناصر يوسف فخرج عسكر حلب لقتالهم وخرج الملك المعظم ولم يكن من رأيه الخروج اليهم وأكمن لهم التتر في باب الى المعروف بباب الله وتقاتلوا عندبانقوسا فاندفع التتر قدامهم حتى خرجوا عن البلد ثم عادوا عليهم وهرب المسلمون طالبين المدينة والتتر يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد واختنق في أبواب البلد جماعة من المنهزمين ثم رحل التتر الى اعزاز فتسلموها بالامان (ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة)

ذكر ماكان من الملك الناصر عند قصد التتر حلب

ولما بلغ الملك الناصر يوسف صاحب الشام قصد التتر حلب برز من دمشق الى برزه في أواخر السنة الماضية وجفل الناس من بين يدى التتر وسار من حماة الى دمشق الملك المنصور صاحب حماة ونزل معه ببرزه وكان هناك مع الناصر يوسف بيبرس البندقدارى من حين هرب من الكرك والتجأ الى الناصر فاجتمع عند الملك الناصر عند برزه أمم عظيمة من العساكر والجفال ولما دخلت هذه السنة والملك الناصر ببرزه بلغه ان جماعة من مماليكه قد عزموا على اغتياله والفتك به فهرب الملك الناصر من الدهليز الى قلعة دمشق وبلغ مماليكه الذين قصدوا ذلك علمه بهم فهربوا على حمية الى جهة غزة وكذلك سار بيبرس البندقدارى الى جهة غزة وأشاع المماليك الناصرية انهم لم يقصدوا قتل الملك الناصر وانما كان قصدهم أن يقبضوا عليه ويسلطنوا أخاه الملك الظاهر غازى ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين لشهامته * ولما جرى ذلك هرب الملك الظاهر المذكور خوفا من أخيه الملك الناصر وكان الظاهر المذكور شقيق الناصر أمهما أم ولد تركية ووصل الملك الظاهر غازى الى غزة واجتمع عليه من بها من العسكر وأقاموه سلطانا * ولما جرى ذلك كاتب بيبرس البندقدارى الملك المظفر قطز صاحب مصر فبذل له الامان ووعده الوعود الجميلة ففارق بيبرس البندقدارى الشاميين وسار الى مصر في جماعة من أصحابه فأقبل عليه الملك المظفر قطز وأنزله في دار الوزارة وأقطعه قليوب وأعمالها

* ذكر استيلاء التتر على حلب وعلى الشام جميعه ومسير الملك الناصر عن دمشق ووصول عساكره الى مصر وانفراد الملك الناصر عنهم *

(في هذه السنة) أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة في يوم الاحد تاسع صفر كان استيلاء التتر على حلب وسببه ان هولاكو عبر الفرات بجموعه ونازل حلب وأرسل هولاكو الى الملك المعظم تورانشاه بن صلاح الدين نائب السلطنة بحلب يقول له انكم تضعفون عن لقاء المغل ونحن قصدنا الملك الناصر والعساكر فاجعلوا لنا عندكم بحلب

شحنة وبالقلعة شحنة ونتوجه نحن الى العسكر فان كانت الكسرة على عسكر الاسلام كانت البلاد لنا وتكونون قد حقنتم دماء المسلمين وان كانت الكسرة علينا كنتم مخيرين في الشحنتين ان شئتم طردتموهما وان شئتم قتلتموهما فلم يجب الملك المعظم الى ذلك وقال ليس لكم عندنا الا السيف وكان رسول هولاكو اليهم في ذلك صاحب ارزن الروم فتعجب من هذا الجواب وتألم لما علم من هلاك أهل حلب بسبب ذلك وأحاط التتر بحلب ثاني صفر وهجموا النواتر في غد ذلك اليوم وقتل من المسلمين جماعة كثيرة وممن قتل أسد الدين ابن الملك الزاهر بن صلاح الدين واشتدت مضايقة التتر للبلد وهجموه من عند حمام حمدان في ذيل قلعة الشريف في يوم الاحد تاسع صفر وبذلوا السيف في المسلمين وصعد الى القلعة خلق عظيم ودام القتل والنهب من نهار الاحد المذكور الى الجمعة رابع عشر صفر المذكور فأمر هولاكو برفع السيف ونودي بالامان ولم يسلم من أهل حلب الامن التجأ الى دار شهاب الدين ابن عمرون ودار نجم الدين أخي مردكين ودار البازياد ودار علم الدين قيصر الموصلي والخانكاه التي فيها زين الدين الصوفي وكنيسة اليهود وذلك لفرمانات كانت بأيديهم وقيل انه سلم بهذه الاماكن مايزيد على خمسين ألف نفس ونازل التتر القلعة وحاصروها وبها الملك المعظم ومن التجأ اليها من العسكر واستمر الحصار عليها وكان من ذلك ماسنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك من أحوال حماة وأحوال الملك الناصر بعد أخذ حلب)

كان قد تأخر بحماة الطواشي مرشد لما سار صاحب حماة الى دمشق فلما بلغ أهل حماة فتح حلب توجه الطواشي مرشد من حماة الى عند الملك المنصور صاحب حماة بدمشق ووصل كبراء حماة الى حلب ومعهم مفاتيح حماة وحملوها الى هولاكو وطلبوا منه الامان لاهل حماة وشحنة يكون عندهم فأمنهم هولاكو وأرسل الى حماة شحنة رجلا أعجميا كان يدعى انه من ذرية خالد بن الوليد يقال له خسروشاه فقدم خسروشاه الى حماة وتولاها وأمن الرعية وكان بقلعة حماة مجاهد الدين قيماز أمير جندار فسلم القلعة اليه ودخل في طاعة التتر ولما بلغ الملك الناصر بدمشق أخذ حلب رحل من دمشق بمن بقي معه من العسكر الى جهة الديار المصرية وفي صحبته الملك المنصور صاحب حماة وأقام بنابلس أياما ورحل عنها وترك فيها الامير مجير الدين بن أبي زكرى والامير علي بن شجاع ومعهما جماعة من العسكر ثم سار الملك الناصر الى غزة فانضم اليه مماليكه الذين كانوا أرادوا قتله وكذلك اصطلح معه أخوه الملك الظاهر غازي وانضم اليه وبعد مسير الملك الناصر عن نابلس وصل التتر اليها وكبسوا العسكر الذين بها وقتلوا مجير الدين والامير

على بن شجاع وكانا أميرين جليلين فاضلين وكان البحرية قد قبضوا عليهما واعتقلوهما
بالكرك وافرج عنهما المغيث لما وقع الصلح بينه وبين الناصر ولما بلغ الملك الناصر وهو بغزة
ماجرى من كبسة التتر لنابلس رحل من غزة الى العريش وسير القاضى برهان الدين
ابن الخضر رسولا الى الملك المظفر قطز صاحب مصر يطلب منه المعاضدة ثم سار الملك
الناصر والملك المنصور صاحب حماة والعسكر ووصلوا الى قطية فجرى بها فتنة بين التركمانى
والا كراد الشهرزورية ووقع نهب فى الجفال وخاف الملك الناصر أن يدخل مصر فيقبض
عليه فتأخر في قطية ورحلت العساكر والملك المنصور صاحب حماة الى مصر وتأخر مع
الملك الناصر جماعة يسيرة منهم أخوه الظاهر غازى والملك الصالح بن شيركوه صاحب
حمص وشهاب الدين القيمرى ثم سار الملك الناصر بمن تأخر معه من قطية الى جهة تيه
بني اسرائيل ولما وصلت العساكر الى مصر التقاهم الملك المظفر قطز بالصالحية وطيب قلوبهم
وأرسل الى الملك المنصور صاحب حماة سنجقا والتقاه ملتقى حسنا وطيب قلبه ودخل
القاهرة وأما التتر فانهم استولوا على دمشق وعلى سائر الشام الى غزة واستقرت
شحائنهم بهذه البلاد

(ذكر استيلاء التتر على قلعة حلب والمنجددات بالشام)

أما قلعة حلب فوثب جماعة من أهلها في مدة الحصار على صفى الدين بن طرزه رئيس حلب
وعلى نجم الدين أحمد بن عبد العزيز بن أحمد ابن القاضى نجم الدين بن أبى عصرون فقتلوهما
لانهم اتهموهما بمواطاة التتر واستمر الحصار على القلعة واشتدت مضايقة التتر لها نحو شهر
ثم سلمت بالامان في يوم الاثنين الحادى عشر من ربيع الاول من هذه السنة ولما نزل
أهلها بالامان وكان فيها جماعة من البحرية الذين حبسهم الملك الناصر فمنهم سكز وبرامق
وسنقر الاشقر فسلمهم هولاكو هم وباقى الترك الى رجل من التتر يقال له سلطان
حق وهو رجل من أكابر القبجاق هرب من التتر لما غلبت على القبجاق وقدم الى حلب
فأحسن اليه الملك الناصر فلم تطب له تلك البلاد فعاد الى التتر وأما العوام والغرباء فنزلوا
الى أماكن الحمى التى قدمنا ذكرها وأمر هولاكو أن يمضى كل من سلم الى داره وملكه
وأن لا يعارض وجعل النائب بحلب عماد الدين القزوينى ووصل الى هولاكو على حلب
الملك الاشرف صاحب حمص موسى بن ابراهيم بن شيركوه وكان قد انفرد الاشرف
المذكور عن المسلمين لما توجه الملك الناصر الى جهة مصر ووصل الى هولاكو بحلب
فاكرمه هولاكو وأعاد عليه حمص وكان قد أخذها منه الملك الناصر صاحب حلب في
سنة ست وأربعين وستمائة وعوضه عنها تل باشر على ماتقدم ذكره فعادت اليه في هذه
السنة واستقر ملكه بها وقدم أيضا هولاكو وهو نازل على حلب محيي الدين بن الزكى

من دمشق فاقبل عليه هولاكو وخلع عليه وولاه قضاء الشام ولما عاد ابن الزكى المذكور الى دمشق لبس خلعة هولاكو وكانت مذهبة وجمع الفقهاء وغيرهم من أكابر دمشق وقرأ عليهم تقليد هولاكو واستقر في القضاء ثم رحل هولاكو الى حارم وطلب تسليمها فامتنعوا أن يسلموها لغير فخر الدين والى قلعة حلب فاحضره هولاكو وسلموها اليه فغضب هولاكو من ذلك وأمر بهم فقتل أهل حارم عن آخرهم وسبى النساء ثم رحل هولاكو بعد ذلك وعاد الى الشرق وأمر عماد الدين القزوينى بالرحيل الى بغداد فسار اليها وجعل مكانه بحلب رجلا أعجميا وأمر هولاكو بخراب أسوار قلعة حلب وأسوار المدينة فخربت عن آخرها وأعطى هولاكو الاشرف موسى صاحب حمص الدستور ففارقه ووصل الى حماة ونزل في الدار المبارز وأخذ في خراب سور قلعة حماة بتقدم هولاكو اليه بذلك فخربت أسوارها وأحرقت زردخانتها وبيعت الكتب التى كانت بدار السلطنة بقلعة حماة بابخس الاثمان وأما أسوار مدينة حماة فلم تخرب لانه كان بحماة رجل يقال له ابراهيم بن الافرنجية ضامن الجهة المفردة بذل لخسروشاه جملة كثيرة من المال وقال الفرنج قريب منا بحصن الاكراد ومتى خربت أسوار المدينة لايقدر أهلها على المقام فيها فأخذ منه المال ولم يتعرض لخراب أسوار المدينة وكان قد أمر هولاكو الاشرف موسى صاحب حمص بخراب قلعة حمص أيضا فلم يخرب منها الا شيئا قليلا لانها مدينته وأما دمشق فانهم لما ملكوا المدينة بالامان لم يتعرضوا الى قتل ولا نهب وعصت قلعة دمشق عليهم فحاصرها التتر وجرى على أهل دمشق بسبب عصيان القلعة شدة عظيمة وضايقوا القلعة وأقاموا عليها المجانيق ثم تسلموها بالامان في منتصف جمادى الاولى من هذه السنة ونهبوا جميع مافيها وجدوا في خراب أسوار القلعة واعدام مابها من الزردخانات والآلات ثم توجوا الى بعلبك ونازلوا قلعتها

(ذكر استيلاء التتر على ميا فارقين وقتل الملك الكامل صاحبها)

(وفي هذه السنة) أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة استولى التتر على ميا فارقين وقد تقدم ذكر نزولهم عليها ومحاصرتها في سنة ست وخمسين واستمر الحصار عليهم مدة سنتين حتى فنيت أزوادهم وفنى أهلها بالوباء وبالقتل وصاحبها الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب مصابرا ثابتا وضعف من عنده عن القتال فاستولى التتر عليها وقتلوا صاحبها الملك الكامل المذكور وحملوا رأسه على رمح وطيف به في البلاد ومروا به على حلب وحماة ووصلوا به الى دمشق في سابع عشرين جمادى الاولى من هذه السنة أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة وطافوا به في دمشق بالمغانى والطبول وعلق رأس المذكور في شبكة بسور باب الفراديس الى ان عادت دمشق الى المسلمين فدفن بمشهد الحسين داخل باب الفراديس وفيه يقول الشيخ شهاب الدين

ابن أبي شامة أبياتا منها

ابن غازى غزى وجاهد قوما　　أثخنوا في العراق والمشرقين
طاهرا عاليا ومات شهيدا　　بعد صبر عليهم عامين
لم يشنه اذ طيف بالرأس منه　　وله اسوة برأس الحسين
ثم واروا في مشهد الرأس ذاك الرأس واستعجبوا من الحالين

﴿ ذكر اتصال الملك الناصر بالتتر واستيلائهم على عجلون وغيرها من قلاع الشام ﴾

أما الملك الناصر يوسف فانه لما انفرد عن العسكر من قطية وسار الى تيه بنى اسرائيل بقى متحيرا الى أين يتوجه وعزم على التوجه الى الحجاز وكان له طبردار كردى اسمه حسين فحسن له المضى الى التتر وقصد هولاكو فاغتر بقوله ونزل بركة زيرا وسار حسين الكردى الى كتبغا نائب هولاكو وعرفه بموضع الملك الناصر فأرسل كتبغا اليه وقبض عليه وأحضره الى عجلون وكانت بعد عاصية فأمرهم الملك الناصر بتسليمها فسلمت اليهم فهدموها وكنا قد ذكرنا حصار التتر لبعلبك فتسلموها قبيل تسليم عجلون وخربوا قلعتها أيضاً وكان بالصبيبة صاحبها الملك السعيد ابن الملك العزيز ابن الملك العادل فسلم الصبيبة اليهم وصار الملك السعيد المذكور معهم وأعلن بالفسق والفجور وسفك دماء المسلمين وأما الملك الناصر يوسف فان كتبغا بعث به الى هولاكو فوصل الى دمشق ثم الى حماة وبها الاشرف صاحب حمص فخرج الى لقائه هو وخسروشاه النائب بحماة ثم سار الى حلب فلما عاينها الملك الناصر وما قدحل بها وبأهلها تضاعف تألمه وأنشد

يعز علينا ان نرى ربعكم يبلى　　وكانت به آيات حسنكم تتلى

ثم سار الى الاردو فاقبل عليه هولاكو ووعده برده الى مملكته وكان منه ماسنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر غير ذلك

وفي خامس عشر شعبان من هذه السنة أخرج التتر من الاعتقال نقيب قلعة دمشق وواليها وضربوا أعناقهما بداريا واشتهر عند أهل دمشق خروج العساكر من مصر لقتال التتر فأوقعوا بالنصارى وكانوا قد استطالوا على المسلمين بدق النواقيس وادخال الخمر الى الجامع فنهبهم المسلمون في سابع عشرين رمضان من هذه السنة وأخربوا كنيسة مريم وكانت كنيسة عظيمة وكانت كنيسة مريم في جانب دمشق الذى فتحه خالد بن الوليد بالسيف فبقيت بيد المسلمين وكان ملاصق الجامع كنيسة وهى من الجانب الذى فتحه أبو

عبيدة بالامان فبقيت بأيدى النصارى فلما ولى الوليد بن عبد الملك الخلافة خرب الكنيسة الملاصقة للجامع واضافها اليه ولم يعوض النصارى عنها فلما ولى عمر بن عبد العزيز عوضهم بكنيسة مريم عن تلك الكنيسة فعمروها عمارة عظيمة وبقيت كذلك حتى خربها المسلمون في التاريخ المذكور

(ذكر هزيمة التتر وقتل كتبغا)

(وفي هذه السنة) أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة كانت هزيمة التتر في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت وكان من حديثها انه لما اجتمعت العساكر الاسلامية بمصر عزم الملك المظفر قطز مملوك المعز أيبك على الخروج الى الشام لقتال التتر وسار من مصر بالعساكر الاسلامية وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الافضل على وكان مسيره من الديار المصرية في أوائل رمضان من هذه السنة ولما بلغ كتبغا وهو نائب هولاكو على الشام ومقدم التتر مسير العساكر الاسلامية اليه صحبة الملك المظفر قطز جمع من في الشام من التتر وسار الى لقاء المسلمين وكان الملك السعيد صاحب الصبيبة ابن الملك العزيز ابن الملك العادل بن أيوب صحبة كتبغا وتقارب الجمعان في الغور والتقوا يوم الجمعة المذكور فانهزمت التتر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واستؤسر ابنه وتعلق من سلم من التتر برؤس الجبال وتبعتهم المسلمون فافنوهم وهرب من سلم منهم الى الشرق وجرد قطز ركن الدين بيبرس البندقدارى في أثرهم فتبعتهم المسلمون الى أطراف البلاد الشرقية وكان أيضا في صحبة التتر الملك الاشرف موسى صاحب حمص ففارقهم وطلب الامان من المظفر قطز فأمنه ووصل اليه فاكرمه وأقره على مابيده وهو حمص ومضافاتها وأما الملك السعيد صاحب الصبيبة فانه أمسك أسيرا وأحضر بين يدى الملك المظفر قطز فأمر به فضربت عنقه بسبب ما كان المذكور قد اعتمده من السفك والفسق ولما انقضى أمر المصاف أحسن المظفر قطز الى الملك المنصور صاحب حماة وأقره على حماة وبارين وأعاد اليه المعرة وكانت في أيدى الحلبيين من حين استولوا عليها في سنة خمس وثلاثين وستمائة وأخذ سلمية منه وأعطاها أمير العرب وأتم الملك المظفر السير بالعساكر وصحبته الملك المنصور صاحب حماة حتى دخل دمشق وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم فان القلوب كانت قد يئست من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولأنهم ماقصدوا أقليما الا فتحوه ولا عسكرا الى هزموه فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم وبقدوم الملك المظفر قطز الى الشام وفي يوم دخوله دمشق أمر بشنق جماعة من المنتسبين الى التتر فشنقوا وكان من جملتهم حسين الكردى طبردار الملك الناصر يوسف وهو الذى أوقع الملك الناصر في أيدى التتر

وفي هذه النصرة وقدوم قطز الى الشام يقول بعض الشعراء

هلك الكفر في الشآم جميعا   واستجد الاسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر الملك الار   وع سيف الاسلام عندنهوضه
ملك جاءنا بعـزم وحزم   فاعتززنا بسـمره وبيضه
أوجب الله شـكر ذاك علينا   دائما مثل واجبات فروضـه

ثم أعطى الملك المظفر قطز صاحب حماة الملك المنصور الدستور فقدم الملك المنصور قدامه مملوكه ونائبه مبارز الدين أقوش المنصور الى حماة ثم سار الملك المنصور وأخوه الملك الافضل ووصلا الى حماة ولما استقر الملك المنصور بحماة قبض على جماعة كانوا مع التتر واعتقلهم وهنأ الشيخ شرف الدين شـيخ الشيوخ المنصور بهذا النصر العظيم وبعود المعرة بقصيدة منها

رعت العدى فضمنت ثل عروشها   ولقيتها فأخذت ثل جيوشها
نازلت أمـلاك التتار فأنزلت   عن فحلها قسرا وعن أكديشها
فغـدا لسيفك في رقاب كماتها   حصد المناجل في يبيس حشيشها
فقت الملوك ببـذل ماتحويه اذ   حتمت خزائنها على منقوشها

ومنها

وطويت عن مصر فسيح مراحل   مابين بركتها وبين عريشهـا
حتى حفظت على العباد بلادهـا   من رومها الاقصى الى أحبوشها
فرشت حماة لوطىء نعلك خدها   فوطئت عين الشمس من مفروشها
وضربت سـكتها التى أخلصتها   عما يشوب النقد من مغشوشها
وكذا المعرة اذ ملكت قيادهـا   دهشت سرورا سار في مدهوشها
طربت برجعتـها اليك كأنما   سكرت بخمرة حاسها أو حيشها
لازلت تنعش بالنوال فقـيرها   وتنال أقصى الاجر من منعوشها

وكان خسروشاه قد سافر من حماة الى جهة الشرق لما بلغـه كسرة التتر ثم جهز الملك المظفر قطز عسكرا الى حلب لحفظها ورتب أيضا شمس الدين أقوش البرلى العزيزى أميرا بالسواحل وغزة ورتب معه جماعة من العزيزية وكان البرلى المذكور من مماليك الملك العزيز محمد صاحب حلب وسار في جملة العزيزية مع ولده الملك الناصر يوسف الى قتال المصريين وخامر البرلى وجماعة من العزيزية على ابن أستاذهم الملك الناصر وصاروا مع أيبك التركمانى صاحب مصر ثم انهم قصدوا اغتيال المعز أيبك التركمانى المذكور وعلم بهم فقبض على بعضهم وهرب بعضهم وكان البرلى المذكور من جملة من سلم وهرب الى الشام

فلما

فلماوصل الى الملك الناصر اعتقله بقلعة عجلون فلما توجه الملك الناصر بالعسكر الى الغور مندفعا من بين يدى التتر أخرج البرلى من حبس عجلون وطيب خاطره فلما هرب الملك الناصر من قطية دخل شمس الدين أقوش البرلى المذكور مع العساكر الى مصر فأحسن اليه الملك المظفر قطز وولاه الآن السواحل وغزة فلما استقر بدمشق على ماذكرناه وكان مقر البرلى لما تولى هذه الاعمال بنابلس تارة وبيت جبرين أخرى ثم ان الملك المظفر قطز فوض نيابة السلطنة بدمشق الى الامير علم الدين سنجر الحلبي وهو الذى كان اتابكا لعلى بن المعز أيبك وفوض نيابة السلطنة بحلب الى الملك السعيد بن بدر الدين لولو صاحب الموصل وكان المذكور قد وصل الى الملك الناصر يوسف صاحب الشام ودخل مع العساكر الى مصر وصار مع المظفر قطز ففوض اليه نيابة السلطنة بحلب وكان سببه ان أخاه الملك الصالح بن لولو قد صار صاحب الموصل بعد أبيه فولاه حلب ليكاتبه أخوه بأخبار التتر ولما استقر السعيد المذكور في نيابة حلب سار سيرة رديئة وكان دأبه التحيل على أخذ مال الرعية

(ذكر عود الملك المظفر قطز الى جهة الديار المصرية ومقتله)

ولما قرر الملك المظفر قطز المعزى المذكور أمر الشام على ماشرحناه سار من دمشق الى جهة البلاد المصرية وكان قد اتفق بيبرس البندقدارى الصالحى مع انص مملوك نجم الدين الرومى الصالحى والهارونى وعلم الدين صغن أغلى على قتل المظفر قطز وساروا معه يتوقعون الفرصة فلما وصل قطز الى القصير بطرف الرمل وبينه وبين الصالحية مرحلة وقد سبق الدهليز والعسكر الى الصالحية فبينا قطز يسير اذ قامت أرنب بين يديه فساق عليها وساق هؤلاء المذكورون معه فلما بعدوا تقدم اليه انص وشفع عند الملك المظفر قطز في انسان فأجابه الى ذلك فاهوى لتقبيل يده وقبض عليها فحمل عليه بيبرس البندقدارى الصالحى حينئذ وضربه بالسيف واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه بالنشاب وذلك في سابع عشر ذى القعدة من هذه السنة فكانت مدة ملكه أحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وساق بيبرس وأولئك المذكورون بعد مقتله حتى وصلوا الى الدهليز بالصالحية

(ذكر سلطنة بيبرس البندقدارى المذكور)

ولما وصل ركن الدين بيبرس المذكور هو والجماعة الذين قتلوا الملك المظفر قطز الي الدهليز كما ذكرناه وكان عند الدهليز نائب السلطنة فارس الدين اقطاى المستعرب وهو الذى صار اتابكا لعلى بن المعز أيبك بعد الحلبى فلما تسلطن قطز أقره على نيابة السلطنة فلما وصل بيبرس البندقدارى مع الجماعة الذين قتلوا قطز الى الدهليز سألهم اقطاى المستعرب المذكور وقال من قتله منكم فقال له بيبرس انا قال له اقطاى ياخوند اجلس في

مرتبة السلطنة فجلس واستدعيت العساكر للتحليف فحلفوا له في اليوم الذى قتل فيه قطز وهو سابع عشر ذى القعدة من هذه السنة أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة واستقر بيبرس في السلطنة وتلقب بالملك القاهر ركن الدين بيبرس الصالحى ثم بعد ذلك غير لقبه عن الملك القاهر وتلقب بالملك الظاهر لانه بلغه ان القاهر لقب غير مبارك ماتلقب به أحد فطالت مدته وكان الملك الظاهر المذكور قد سأل من قطز النيابة بحلب فلم يجبه اليها ليكون ماقدره الله تعالى ولما حلف الناس للملك الظاهر المذكور بالصالحية ساق في جماعة من أصحابه وسبق العسكر الى قلعة الجبل ففتحت له ودخلها واستقرت قدمه في المملكة وكان قد زينت مصر والقاهرة لمقدم قطز فاستمرت الزينة لسلطنة بيبرس المذكور وكان مقتل قطز وسلطنة بيبرس في سابع عشر ذى القعدة من هذه السنة

﴿ ذكر اعادة عمارة قلعة دمشق ﴾

(وفي هذه السنة) في العشر الاخير من ذى القعدة شرع الامير علم الدين سنجر الحلبي نائب السلطنة بدمشق في عمارة قلعة دمشق وجمع لها الصناع وكبراء الدولة والناس وعملوا فيها حتى النساء أيضاً وكان عند الناس بذلك سرور عظيم

(ذكر سلطنة الحلبي بدمشق)

كان علم الدين سنجر الحلبي قد استنابه الملك المظفر قطز بدمشق على ماتقدم ذكره فلما جرى ماذكرناه من قتل قطز وسلطنة الملك الظاهر جمع الحلبي الناس وحلفهم لنفسه بالسلطنة وذلك في العشر الاول من ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة فأجابه الناس الى ذلك وحلفوا له ولم يتأخر عنه احد ولقب نفسه الملك المجاهد وخطب له بالسلطنة وضربت السكة باسمه وكاتب الملك المنصور صاحب حماة في ذلك فلم يجبه وقال صاحب حماة أنا مع من يملك الديار المصرية كائنا من كان

(ذكر قبض عسكر حلب على الملك السعيد ابن صاحب الموصل وعود التتر الى الشام)

وكان الملك السعيد قد قرره قطز بحلب وجرد معه جماعة من العزيزية والناصرية وكان ردىء السيرة وقد أبغضه العسكر وبلغ الملك السعيد المذكور مسير التتر الى البيرة فجرد الى جهتهم جماعة قليلة من العسكر وقدم عليهم سابق الدين أمير مجلس الناصرى فأشار عليه كبراء العزيزية والناصرية بان هذا ماهو مصلحة وان هؤلاء قليلون فيحصل الطمع بسببهم في البلاد فلم يلتفت الى ذلك وأصر على مسيرهم فسار سابق الدين أمير مجلس الناصرى بمن معه حتى قاربوا البيرة فوقع عليهم التتر فهرب منهم ودخل البيرة بعد ان قتل غالب من كان

معه فازداد غيظ الامراء على الملك السعيد بسبب ذلك فاجتمعوا وقبضوا عليه ونهبوا وطاقه وكان قد برز الى باب الى المعروف بباب الله ولما استولوا على خزانته لم يجدوا فيها مالا طائلا فهددوه بالعذاب ان لم يقر لهم بماله فنبش من تحت اشجار حائط دار بابلى جملة من المال قيل كانت خمسين ألف دينار مصرية ففرقت في الامراء وحمل الملك السعيد المذكور الى الشغر وبكاس معتقلا ثم لما اندفع العسكر من بين يدى التتر على ماسنذكره افرجوا عنه ولماجرى ذلك اتفقت العزيزية والناصرية وقدموا عليهم الامير حسام الدين الجوكندار العزيزى ثم سارت التتر الى حلب فاندفع حسام الدين الجوكندار والعسكر الذين معه بين أيديهم الى جهة حماة ووصل التتر الى حلب في أواخر هذه السنة أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة وملكوها وأخرجوا أهلها الى قرنبيا واسمهامقر الانبياء فسماها العامة قرنبيا ولما اجتمع المسلمون بقرنبيا بذل التتر فيهم السيف فافنوا غالبهم وسلم القليل منهم ووصل حسام الدين الجوكندار ومن معه الى حماة فضيفهم الملك المنصور محمد صاحب حماة وهو مستشعر خائف من غدرهم ثم رحلوا من حماة الى حمص فلما قارب التتر حماة خرج منها الملك المنصور صاحبها وصحبته أخوه الملك الافضل على والامير مبارز الدين وباقى العسكر واجتمعوا بحمص مع باقى العساكر الى ان خرجت هذه السنة (ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة)

(ذكر كسرة التتر على حمص)

وفي يوم الجمعة خامس المحرم من هذه السنة كانت كسرة التتر على حمص وكان من حديثها ان التتر لما قدموا في آخر السنة الماضية الى الشام اندفعت العزيزية والناصرية من بين أيديهم وكذلك الملك المنصور صاحب حماة ووصلوا الى حمص واجتمع بهم الملك الاشرف صاحب حمص ووقع اتفاقهم على ملتقى التتر وسارت التتر اليهم والتقوا بظاهر حمص في نهار الجمعة المذكور وكان التتر أكثر من المسلمين بكثير ففتح الله تعالى على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون منهم كيف شاؤا ووصل الملك المنصور الى حماة بعد هذه الوقعة وانضم من سلم من التتر الى باقى جماعتهم وكانوا نازلين قرب سلمية واجتمعوا ونزلوا على حماة وبها صاحبها الملك المنصور وأخوه الملك الافضل والعسكر وأقام التتر على حماة يوما واحدا ثم رحلوا عن حماة وأراد الملك المنصور بعد رحيل التتر المسير الى دمشق فمنعه العامة من ذلك حتى استوثقوا منه انه يعود اليهم عن قريب فسافر هو وأخوه الملك الافضل في جماعة قليلة وبقى الطواشى مرشد في باقى العسكر بحماة ووصل المنصور بمن معه الى دمشق وكذلك توجه الملك الاشرف صاحب حمص الى دمشق وأما حسام الدين الجوكندار العزيزى فتوجه أيضاً بمن في صحبته ولم

يدخل دمشق ونزل بالمرج ثم سار الى مصر وأقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق في دورهما والحاكم بها يومئذ سنجر الحلبي الملقب بالسلطان الملك المجاهد وقد اضطرب أمره ولذلك أقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق ولم يدخلا في طاعته لضعفه وتلاشى أمره وأما التتر فساروا عن حماة الى فامية وكان قد وصل الى فامية سيف الدين الدنبلي الاشرفي ومعه جماعة فأقام بقلعة فامية وبقي يغير على التتر فرحلوا عن فامية وتوجهوا الى الشرق

(ذكر القبض على سنجر الحلبي الملقب بالملك المجاهد)

(وفي هذه السنة) جهز الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر عسكرا مع علاء الدين البندقدار وهو أستاذ الملك الظاهر لقتال علم الدين سنجر الحلبي المستولى على دمشق فوصلوا الى دمشق في ثالث عشر صفر من هذه السنة ولما وصل عسكر مصر الى دمشق خرج اليهم الحلبي لقتالهم وكان صاحب حماة وصاحب حمص مقيمين بدمشق لم يخرجا مع الحلبي لقتالهم ولا أطاعاه لاضطراب أمر الحلبي واقتتل معهم بظاهر دمشق في ثالث عشر صفر من هذه السنة أعني سنة تسع وخمسين وستمائة فولى الحلبي وأصحابه منهزمين ودخل الى قلعة دمشق الى ان جنه الليل فهرب من قلعة دمشق الى جهة بعلبك فتبعه العسكر وقبضوا عليه وحمل الى الديار المصرية فاعتقل ثم أطلق واستقرت دمشق في ملك الملك الظاهر بيبرس وأقيمت له الخطبة بها وبغيرها من الشام مثل حماة وحلب وحمص وغيرها واستقر ايدكين البندقدار الصالحي في دمشق لتدبير أمورها ولما استقر الحال على ذلك رحل الملك المنصور صاحب حماة والاشرف صاحب حمص وعادا الى بلادهما واستقرا بها

(ذكر خروج البرلي عن طاعة الملك الظاهر بيبرس واستيلائه على حلب)

(وفي هذه السنة) بعد استقرار علاء الدين ايدكين البندقدار في دمشق ورد عليه مرسوم الملك الظاهر بيبرس بالقبض على بهاء الدين بغدى الاشرفي وعلى شمس الدين أقوش البرلي وغيرهما من العزيزية والناصرية وبقي علاء الدين ايدكين متوقفا ذلك فتوجه بغدى الى علاء الدين ايدكين فحال دخوله عليه قبض على بغدى المذكور فاجتمعت العزيزية والناصرية الى أقوش البرلي وخرجوا من دمشق ليلا على حمية ونزلوا بالمرج وكان أقوش البرلي قد ولاه المظفر قطز غزة والسواحل على ماقدمنا ذكره فلما جهز الملك الظاهر أستاذه البندقدار الى قتال الحلبي أرسل الى البرلي وأمره أن ينضم اليه فسار البرلي مع البندقدار وأقام بدمشق فلما قبض على بغدى خرج البرلي الى المرج وأرسل علاء الدين

ايدكين البندقدارى الى البرلى يطيب قلبه ويحلف له فلم يلتفت الى ذلك وسار البرلى الى حمص وطلب من صاحبها الاشرف موسى أن يوافقه على العصيان فلم يجبه الى ذلك ثم توجه الى حماة وأرسل يقول للملك المنصور صاحب حماة انه لم يبق من البيت الايوبى غيرك وقم لنصير معك ونملكك البلاد فلم يلتفت الملك المنصور الى ذلك ورده ردا قبيحا فاغتاظ البرلى ونزل على حماة واحرق زرع بيدر العشر وسار الي شيزر ثم الى جهة حلب وكان علاءالدين ايدكين البندقدار لما استقر بدمشق قد جهز عسكرا صحبة فخر الدين الحمصى للكشف عن البيرة فان التتر كانوا قد نازلوها فلما قدم البرلى الى حلب كان بها فخر الدين الحمصى المذكور فقال له البرلى نحن في طاعة الملك الظاهر فتمضى الى السلطان وتسأله أن يتركنى ومن في صحبتى مقيمين بهذا الطرف ونكون تحت طاعته من غير أن يكلفنى وطئ بساطه فسار الحمصى الى جهة مصر ليؤدى هذه الرسالة فلما سار عن حلب تمكن البرلى واحتاط على مافي حلب من الحواصل واستبد بالامر وجمع العرب والتركمان واستعد لقتال عسكر مصر ولما توجه فخر الدين الحمصى لذلك التقى في الرمل جمال الدين المحمدى الصالحى متوجها بمن معه من عسكر مصر لقتال البرلى وامساكه فأرسل الحمصى عرف الملك الظاهر بما طلبه البرلى فأرسل الملك الظاهر ينكر على فخر الدين الحمصى المذكور ويأمره بالانضمام الى المحمدى والمسير الى قتال البرلى فعاد من وقته ثم رضى الملك الظاهر عن علم الدين سنجر الحلبي وجهزه وراء المحمدى في جمع من العسكر ثم أردفه بعز الدين الدمياطى في جمع آخر وسار الجميع الى جهة البرلي وساروا الى حلب وطردوه عنها وانقضت السنة والامر على ذلك

(ذكر مقتل الملك الناصر يوسف)

(وفي هذه السنة) ورد الخبر بمقتل الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وعقد عزاه بجامع دمشق في سابع جمادى الاولى من هذه السنة أعنى سنة تسع وخمسين وستمائة وصورة الحال في قتله انه لما وصل الى هولاكو على ماقدمنا ذكره وعده برده الى ملكه وأقام عند هولاكو مدة * فلما بلغ هولاكو كسرة عسكره بعين جالوت وقتل كتبغا ثم كسرة عسكره على حمص ثانيا غضب من ذلك وأحضر الملك الناصر المذكور وأخاه الملك الظاهر غازى وقال له أنت قلت ان عسكر الشام في طاعتك فغدرت بى وقتلت المغل فقال الملك الناصر لو كنت بالشام ماضرب أحد في وجه عسكرك بالسيف ومن يكون ببلاد توريز كيف يحكم على بلاد الشام فاستوفي هولاكو لعنه الله ناصجا وضربه به فقال الملك الناصر ياخوند الصنيعة فنهاه أخوه الظاهر وقال قد حضرت ثم رماه

بفردة ثانية فقتله ثم أمر بضرب رقاب الباقين فقتلوا الظاهر أخا الملك الناصر والملك الصالح ابن صاحب حمص والجماعة الذين كانوا معهم واستبقوا الملك العزيز ابن الملك الناصر لانه كان صغيرا فبقي عندهم مدة طويلة وأحسنوا اليه ثم مات وكان قد تولى الملك الناصر المذكور مملكة حلب بعد موت أبيه العزيز وعمره سبع سنين وأقامت جدته ضيفة خاتون بنت الملك العادل بتدبير مملكته واستقل بالملك بعد وفاتها في سنة أربعين وستمائة وعمره ثلاث عشرة سنة وزاد ملكه على ملك أبيه وجده فانه ملك مثل حران والرها والرقة ورأس عين وما مع ذلك من البلاد وملك حمص ثم ملك دمشق وبعلبك والاغوار والسواحل الى غزة وعظم شأنه وكسر عساكر مصر وخطب له بمصر وبقلعة الجبل على الوجه الذى تقدم ذكره وكان قد غلب على الديار المصرية لولا هزيمته وقتل مدبر دولته شمس الدين لولو الارمني ومخامرة مماليك أبيه العزيزية وكان يذبح في مطبخه كل يوم أربعمائة رأس غنم وكانت سماطاته وتجمله في الغاية القصوى وكان حليما وتجاوز به الحلم الى حد أضر بالمملكة فانه لما أمنت قطاع الطريق في أيام مملكته من القتل والقطع تجاوزوا الحد في الفساد بالمملكة وانقطعت الطرق في أيامه وبقي لايقدر المسافر على السفر من دمشق الى حماة وغيرها الا برفقة من العسكر وكثر طمع العرب والتركمان في أيامه وكثرت الحرامية وكانوا يكبسون الدور ومع ذلك اذا حضر القاتل الى بين يدى الملك الناصر المذكور يقول الحي خير من الميت ويطلقه فأدى ذلك الى انقطاع الطرقات وانتشار الحرامية والمفسدين وكان على ذهن الناصر المذكور شيء كثير من الادب والشعر ويروى له أشعار كثيرة منها

فوالله لو قطعت قلبي تأسفا وجرعتني كاسات دمعي دما صرفا

لما زادني الاهوى ومحبة ولا اتخذت روحي سواك لها الفا

وبنى بدمشق مدرسة قريب الجامع تعرف بالناصرية ووقف عليها وقفا جليلا وبنى بالصالحية تربة غرم عليها جملا مستكثرة فدفن فيها كرمون وهو بعض أمراء التتر وكانت منية الملك الناصر ببلاد العجم وكان مولد الناصر المذكور في سنة سبع وعشرين وستمائة فيكون عمره اثنتين وثلاثين سنة تقريبا

ذكر مبايعة شخص بالخلافة واثبات نسبه

(وفي هذه السنة) في رجب قدم الى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص أسود اللون اسمه أحمد زعموا انه ابن الامام الظاهر بالله محمد ابن الامام الناصر وانه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلسا حضر فيه جماعة من الاكابر منهم الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام والقاضي تاج الدين

عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الاعز فشهد أولئك العرب ان هذا الشخص المذكور هو ابن الظاهر محمد ابن الامام الناصر فيكون عم المستعصم وأقام القاضى جماعة من الشهود اجتمعوا بأولئك العرب وسمعوا شهاداتهم ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة فاثبت القاضى تاج الدين نسب أحمد المذكور ولقب المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الظاهر بالله محمد وبايعه الملك الظاهر والناس بالخلافة واهتم الملك الظاهر بأمره وعمل له الدهاليز والجمدارية وآلات الخلافة واستخدم له عسكرا وغرم على تجهيزه جملا طائلة قيل ان قدر ماغرمه عليه ألف ألف دينار وكانت العامة تلقب الخليفة المذكور بالزرابيني وبرز الملك الظاهر والخليفة الاسود المذكور في رمضان من هذه السنة وتوجها الى دمشق وكان في كل منزلة يمضى الملك الظاهر الى دهليزه الخاص به ولما وصلا الي دمشق نزل الملك الظاهر بالقلعة ونزل الخليفة في جبل الصالحية ونزل حول الخليفة أمراؤه وأجناده ثم جهز الخليفة بعسكره الي جهة بغداد طمعا في انه يستولي على بغداد ويجتمع عليه الناس فسار الخليفة الاسود بعسكره من دمشق وركب الملك الظاهر وودعه ووصاه بالتأني في الامور ثم عاد الملك الظاهر الى دمشق من توديع الخليفة ثم سار الى الديار المصرية ودخلها في سابع عشر ذى الحجة من هذه السنة ووصلت اليه كتب الخليفة بالديار المصرية انه قد استولى على عانة والحديثة وولى عليهما وان كتب أهل العراق وصلت اليه يستحثونه على الوصول اليهم ثم قبل أن يصل الى بغداد وصلت اليه التتر وقتلوا الخليفة المذكور وقتلوا غالب أصحابه ونهبوا ماكان معه وجاءت الاخبار بذلك

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) لما سار الملك الظاهر الى الشام أمر القاضى شمس الدين بن خلكان فسافر في صحبته من مصر الى الشام فعزل عن قضاء دمشق نجم الدين بن صدر الدين ابن سنا الدولة وكان قطز قد عزل المحى بن الزكى الذى ولاه هولاكو القضاء وولى ابن سنا الدولة فعزله الملك الظاهر في هذه السنة وولى القضاء شمس الدين بن خلكان (وفيها) قدم أولاد صاحب الموصل وهم الملك الصالح اسمعيل ثم أخوه الملك المجاهد اسحق صاحب جزيرة ابن عمر ثم أخوهما الملك المظفر على صاحب سنجار أولاد لولو فاحسن الملك الظاهر اليهم وأعطاهم الاقطاعات الجليلة بالديار المصرية واستمروا في أرغد عيش في طول مدة الملك الظاهر (وفيها) في ربيع الآخر وردت الاخبار من ناحية عكا ان سبع جزائر في البحر خسف بها وبأهلها وبقى أهل عكا لابسين السواد وهم يبكون ويستغفرون من الذنوب بزعمهم (وفيها) جهز الملك الظاهر بيبرس

بدر الدين الايدمرى فتسلم الشوبك في سلخ ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة تسع وخمسين وستمائة وأخذها من الملك المغيث صاحب الكرك (ثم دخلت سنة ستين وستمائة) في هذه السنة في نصف رجب وردت جماعة من مماليك الخليفة المستعصم البغاددة وكانوا قد تأخروا في العراق بعد استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة وكان مقدمهم يقال له شمس الدين سلار فاحسن الملك الظاهر بيبرس ملتقاهم وعين لهم الاقطاعات بالديار المصرية (وفيها) في رجب أيضا وصل الى خدمة الملك الظاهر بيبرس بالديار المصرية عماد الدين بن مظفر الدين صاحب صهيون رسولا من أخيه سيف الدين صاحب صهيون وصحبته هدية جليلة فقبلها الملك الظاهر وأحسن اليه (وفيها) جهز الملك الظاهر عسكرا الى حلب وكان مقدمهم شمس الدين سنقر الرومى فامنت بلاد حلب وعادت الى الصلاح ثم تقدم الملك الظاهر بيبرس الى سنقر الرومى والى صاحب حماة الملك المنصور والى صاحب حمص الملك الاشرف موسى أن يسيروا الى انطاكية وبلادها للاغارة عليها فساروا اليها ونهبوا بلادها وضايقوها ثم عادوا فتوجهت العساكر المصرية صحبة سنقر الرومى الى مصر ووصلوا اليها في تاسع عشرين رمضان من هذه السنة ومعهم ماينوف عن ثلثمائة أسير فقابلهم الملك الظاهر بالاحسان والانعام (وفيها) لما ضاقت على اقوش البرلى البلاد وأخذت منه حلب ولم يبق بيده غير البيرة دخل في طاعة الملك الظاهر وسار اليه فكتب الملك الظاهر الى النواب بالاحسان اليه وترتيب الاقامات له في الطرقات حتى وصل الى الديار المصرية في ثانى الحجة من هذه السنة أعنى سنة ستين فتلقاه الملك الظاهر وبالغ في الاحسان اليه وأكثر له العطاء فسأل اقوش البرلى من الملك الظاهر أن يقبل منه البيرة فلم يفعل ومازال يعاوده حتى قبلها وبقى اقوش البرلى العزيز المذكور مع الملك الظاهر الى أن تغير عليه وقبضه في رجب سنة احدى وستين وستمائة فكان آخر العهد به (وفيها) في ذى القعدة قبض الملك الظاهر على نائبه بدمشق وهو علاء الدين طيبرس الوزيرى وكان قد تولى دمشق بعد مسير علاء الدين ايدكين البندقدارى عنها وسبب القبض عليه انه بلغ الملك الظاهر عنه أمور كرهها فارسل اليه عسكرا مع عز الدين الدمياطى وغيره من الامراء فلما وصلوا الى دمشق خرج طيبرس لتلقيهم فقبضوا عليه وقيدوه وأرسلوه الى مصر فحبسه الملك الظاهر واستمر الحاج طيبرس في الحبس سنة وشهرا وكانت مدة ولايته بدمشق سنة وشهرا أيضاً وكان طيبرس المذكور رديء السيرة في أهل دمشق حتى نزح عنها جماعة كثيرة من ظلمه وحكم في دمشق بعد قبض طيبرس المذكور علاء الدين ايدغدى الحاج الركنى ثم استناب الملك الظاهر على دمشق الامير جمال الدين اقوش النجيبى

الصالحى

الصالحى (وفيها) في يوم الخميس في أواخر ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة ستين وستمائة جلس الملك الظاهر مجلسا عاما وأحضر شخصاً كان قد قدم الى الديار المصرية في سنة تسع وخمسين وستمائة من نسل بنى العباس يسمى أحمد بعد ان أثبت نسبه وبايعه بالخلافة ولقب أحمد المذكور الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين * وقد اختلف في نسبه فالذى هو مشهور بمصر عند نسابة مصر انه أحمد بن حسن بن أبى بكر ابن الامير أبى على القبى ابن الامير حسن بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر وقد مر نسب المستظهر مع جملة خلفاء بنى العباس وأما عند الشرفاء العباسيين السلمانين في درج نسبهم الثابت فقالوا هو أحمد بن أبى بكر على بن أبى بكر أحمد ابن الامام المسترشد الفضل ابن المستظهر * ولما أثبت الملك الظاهر نسب المذكور نزله في برج محترزا عليه وأشرك له الدعاء في الخطبة لاغير ذلك (وفيها) جهز الملك المنصور صاحب حماة شيخ الشيوخ شرف الدين الانصارى رسولا الى الملك الظاهر ووصل شيخ الشيوخ المذكور فوجد الملك الظاهر عاتباً على صاحب حماة لاشتغاله عن مصالح المسلمين باللهو وأنكر الملك الظاهر على الشيخ شرف الدين ذلك ثم انصلح خاطره وحمله ماطيب به قلب صاحبه الملك المنصور ثم عاد الى حماة (وفيها) توفي الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقى الامام في مذهب الشافعى وله مصنفات جليلة في المذهب وكانت وفاته بمصر رحمه الله تعالى (وفيها) في ذى الحجة توفي الصاحب كمال الدين عمر بن عبد العزيز المعروف بابن العديم انتهت اليه رياسة أصحاب أبى حنيفة وكان فاضلا كبير القدر ألف تاريخ حلب وغيره من المصنفات وكان قد قدم الى مصر لما جفل الناس من التتر ثم عاد بعد خراب حلب اليها * فلما نظر مافعله التتر من خراب حلب وقتل أهلها بعد تلك العمارة قال في ذلك قصيدة طويلة منها

هو الدهر ماتبنيه كفاك يهدم ... وان رمت انصافاً لديه فتظلم
أباد ملوك الفرس جمعا وقيصرا ... وأصمت لدى فرسانها منه أسهم
وأفنى بنى أيوب مع كثر جمعهم ... وما منهم الا مليك معظم
وملك بنى العباس زال ولم يدع ... لهم أثرا من بعدهم وهم هم
واعتابهم أضحت تداس وعهدها ... تباس بأفواه الملوك وتلثم
وعن حلب ماشئت قل من عجائب ... أحل بها ياصاح ان كنت تعلم

(ومنها)

فيالك من يوم شديد لغامه ... وقد أصبحت فيه المساجد تهدم
وقد درست تلك المدارس وارتمت ... مصاحفها فوق الثرى وهى ضخم

وهي طويلة وآخرها

ولكنما لله في ذا مشيئة　　فيفعل فينا مايشاء ويحكم

(ثم دخلت سنة احدى وستين وستمائة)

ذكر مسير الملك الظاهر الى الشام

(في هذه السنة) في حادي عشر ربيع الآخر سار الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية الي الشام فلاقته والدة الملك المغيث عمر صاحب الكرك بغزة وتوثقت لابنها الملك المغيث من الملك الظاهر بالامان وأحسن اليها ثم توجهت الى الكرك وتوجه صحبتها شرف الدين الجاكي المهمندار برسم حمل الاقامات الى الطرقات برسم الملك المغيث ثم سار الملك الظاهر من غزة ووصل الي الطور في ثاني عشر جمادى الاولى من هذه السنة ووصل اليه على الطور الاشرف موسى صاحب حمص في نصف الشهر المذكور فاحسن اليه الملك الظاهر وأكرمه

(ذكر حضور الملك المغيث صاحب الكرك وقتله واستيلاء الملك الظاهر بيبرس على الكرك

(وفي هذه السنة) كان مقتل الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب الكرك وسببه انه كان في قلب الملك الظاهر بيبرس منه غليظ عظيم لامور كانت بينهما قيل ان المغيث المذكور أكره امرأة الملك الظاهر بيبرس لما قبض المغيث على البحرية وأرسلهم الى الناصر يوسف صاحب دمشق وهرب الملك الظاهر بيبرس المذكور وبقيت امرأته في الكرك والله أعلم بحقيقة ذلك وكان من حديث مقتله ان الملك الظاهر بيبرس مازال يجتهد على حضور المغيث المذكور وحلف لوالدته على غزة كما تقدم ذكره وكان عند المغيث شخص يسمى الامجد وكان يبعثه في الرسيلة الى الملك الظاهر فكان الظاهر يبالغ في اكرامه وتقريبه فاغتر الامجد بذلك ومازال على مخدومه الملك المغيث حتى أحضره الى الملك الظاهر حكى لى شرف الدين بن مزهر وكان ابن مزهر المذكور ناظر خزانة المغيث قال لما عزم المغيث على التوجه الى خدمة الملك الظاهر لم يكن قد بقي بخزانته شئ من المال ولا القماش وكان لوالدته حواصل بالبلاد فبعناها بأربعة وعشرين ألف درهم واشترينا باثنى عشر ألف درهم خلعا من دمشق وجعلنا في صناديق الخزانة الاثنى عشر الالف الاخرى ونزل المغيث من الكرك وأنا والامجد وجماعة من أصحابه معه في خدمته قال وشرعت البريدية تصل الى الملك المغيث في

كل يوم بمكاتبات الملك الظاهر ويرسل صحبتهم مثل غزلان ونحوها والمغيث يخلع عليهم حتى نفد ما كان بالخزنة من الخلع * ومن جملة ما كتب اليه في بعض المكاتبات المملوك ينشد في قدوم مولانا

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما ... بأكرم من مولى تمشى الى عبد

قال وكان الخوف في قلب المغيث شديدا من الملك الظاهر * قال ابن مزهر المذكور ففاتحني في شئ من ذلك بالليل فقلت له احلف الى انك لاتقول للامجد ماأقوله لك حتى أنصحك فحلف لى فقلت له أخرج الساعة من تحت الحام واركب حجرتك النجيلة ولا يصبح لك الصباح الا وأنت قد وصلت الى الكرك فتعصى فيه ولا تفكر بأحد قال ابن مزهر ففاقنى وتحدث مع الامجد في شئ من ذلك فقال له الامجد هذا رأى ابن مزهر اياك من ذلك وسار المغيث حتى وصل الي بيسان فركب الملك الظاهر بعساكره والتقاه في يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الاولى من هذه السنة فلما شاهد المغيث الملك الظاهر ترجل فمنعه الملك الظاهر وأركبه وساق الى جانبه وقد تغير وجه الملك الظاهر فلما قارب الدهليز أفرد الملك المغيث عنه وأنزله في خيمة وقبض عليه وأرسله معتقلا الى مصر فكان آخر العهد به قيل انه حمل الى امرأة الملك الظاهر بيبرس بقلعة الجبل فامرت جواريها فقتلته بالقباقيب ثم قبض الملك الظاهر على جميع أصحاب المغيث ومن جملتهم ابن مزهر المذكور ثم بعد ذلك أفرج عنهم انتهى كلام ابن مزهر * ولما التقى الملك الظاهر بيبرس الملك المغيث المذكور وقبض عليه أحضر الفقهاء والقضاة وأوقفهم على مكاتبات من التتر الى الملك المغيث أجوبة عما كتب اليهم به في اطماعهم في ملك مصر والشام وكتب بذلك مشروح وأثبت على الحكام وكان للملك المغيث المذكور ولد يقال له الملك العزيز أعطاه الملك الظاهر اقطاعاً بديار مصر وأحسن اليه ثم جهز الملك الظاهر بدر الدين البيسرى الشمسى وعز الدين استاذ الدار الى الكرك فتسلماها في يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة أعنى سنة احدى وستين وستمائة ثم سار الملك الظاهر ووصل الى الكرك ورتب أمورها ثم عاد الى الديار المصرية فوصل اليها في سابع عشر رجب من هذه السنة

ذكر الاغارة على عكا وغيرها

(وفي هذه السنة) لما كان الملك الظاهر نازلا على الطور أرسل عسكرا هدموا كنيسة الناصرة وهى من أكبر مواطن عبادات النصارى لان منها خرج دين النصرانية وأغاروا على عكا وبلادها فغنموا وعادوا ثم ركب الملك الظاهر بنفسه وجماعة اختارهم

وأغار ثانياً على عكا وبلادها وهدم برجا كان خارج البلد وذلك عقيب اغارة عسكره وهدم الكنيسة الناصرة

ذكر القبض على من يذكر

(وفيها) بعد وصول الملك الظاهر بيبرس الي مصر واستقراره في ملكه في رجب قبض على الرشيدى ثم قبض فى ثانى يوم على الدمياطى والبرلى * وقد تقدمت أخبار البرلى المذكور

ذكر وفاة الاشرف صاحب حمص

(وفي هذه السنة) بعد عود الملك الاشرف صاحب حمص موسى ابن الملك المنصور ابراهيم ابن الملك المجاهد شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذى من خدمة الملك الظاهر بيبرس الى حمص مرض واشتد به المرض وتوفي الى رحمة الله تعالى وأرسل الملك الظاهر وتسلم حمص في ذى القعدة من هذه السنة أعنى سنة احدى وستين وستمائة وهذا الملك الاشرف موسى هو آخر من ملك حمص من بيت شيركوه وقد تقدمت أخبار الاشرف موسى المذكور وأخذ الملك الناصر يوسف صاحب حلب منه حمص بسبب تسليمه شيميس للملك الصالح أيوب صاحب مصر وانه يعوض عن حمص تل باشر ثم أعاد هولاكو عليه حمص فبقيت في يده حتى توفي في أواخر هذه السنة وانتقلت حمص الى مملكة الملك الظاهر بيبرس في ذى القعدة حسبما ذكر وكان جملة من ملك حمص منهم خمسة ملوك أولهم شيركوه بن شاذى ملكه اياها نور الدين الشهيد ثم ملكها من بعده ابنه ناصر الدين محمد بن شيركوه ثم ملكها بعده ابنه شيركوه ابن محمد وتلقب بالملك المجاهد ثم ملكها بعده ابنه ابراهيم بن شيركوه وتلقب بالملك المنصور ثم ملكها بعده ابنه موسى بن ابراهيم وتلقب بالملك الاشرف حتى توفي في هذه السنة وانقرض بموته ملك المذكورين (ثم دخلت سنة اثنتين وستين وستمائة) في هذه السنة قبض الاشكرى صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ابن كيقباذ صاحب بلد الروم وسببه ان عز الدين كيكاوس المذكور كان قد وقع بينه وبين أخيه فاستظهر أخوه عليه فهرب كيكاوس وبقى أخوه ركن الدين قليج أرسلان في سلطنة بلاد الروم ثم سار كيكاوس المذكور الى قسطنطينية فاحسن اليه الاشكرى صاحب قسطنطينية والى من معه من الامراء واستمروا كذلك مدة فعزمت الامراء والجماعة الذين كانوا مع عز الدين المذكور على اغتيال الاشكرى وقتله والتغلب على قسطنطينية وبلغ ذلك الاشكرى فقبض عليهم واعتقل عز الدين كيكاوس بن كيخسرو في بعض القلاع وكحل الامراء والجماعة الذين كانوا عزموا على ذلك فاعمى عيونهم

وقد تقدم ذكر كيكاوس المذكور وأخيه قليج أرسلان في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (وفيها) في ثامن رمضان توفي الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الانصارى المعروف بشيخ الشيوخ بحماة وكان مولده في جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان دينا فاضلا متقدما عند الملوك وله النثر البديع والنظم الفائق وكان غزير العقل عارفاً بتدبير المملكة فمن حسن تدبيره ان الملك الافضل على ابن الملك المظفر محمود لما ماتت والدته غازية خاتون بنت الملك الكامل رحمهما الله تعالى حصل عند الملك الافضل المذكور استشعار من أخيه الملك المنصور محمد صاحب حماة فعزم على أن ينتزح من حماة ويفارق أخاه الملك المنصور وأذن له أخوه الملك المنصور في ذلك فاجتمع الشيخ شرف الدين المذكور بالملك الافضل وعرفه مايعتمده من السلوك مع أخيه الملك المنصور ثم اجتمع بالملك المنصور وقبح عنده مفارقة أخيه وما برح بينهما حتى أزال ماكان في خواطرهما وصار للملك الافضل في خاطر أخيه الملك المنصور من المحبة والمكانة مايفوت الوصف وكان ذلك من بركة شرف الدين المذكور وللشيخ شرف الدين المذكور أشعار فائقة قد تقدم ذكر بعضها وكان مرة مع الملك الناصر يوسف صاحب الشام بعمان فعمل الشيخ شرف الدين

أفدى حبيبا منذ واجهته ... عن وجه بدر التم اغنانى

في وجهه خالان لولاهما ... مابت مفتونا بعمان

وأنشدهما للملك الناصر فاعجباه الى الغاية وجعل يردد انشادهما وقال لكاتبه كمال الدين بن العجمى هكذا تكون الفضيلة فقال ابن العجمى ان التورية لاتخدم هنا لان عمان مجرورة في النظم فلا تخدمه في التورية فقال الملك الناصر للشيخ شرف الدين ماقاله فقال شرف الدين ان هذا جائز وهو أن يكون المثنى في حالة الجر على صورة الرفع واستشهد شرف الدين بقول الشاعر

فاطرق اطراق الشجاع ولو رأى ... مساغا لناباه الشجاع لصمما

واستشهد بغير ذلك فتحقق الملك الناصر

فضيلته (ثم دخلت سنة

ثلاث وستين وستمائة)

تم الجزء الثالث من تاريخ أبي الفداء

ويليه الجزء الرابع وأوله

ذكر فتوح قيسارية

فهرست الجزء الثالث من تاريخ أبى الفدا

(تنبيه) النمر مختلفه في أربع ورقات)

﴿ تمت الفهرست ﴾

﴿ الجزء الرابع ﴾

من كتاب المختصر في أخبار البشر

وهو ذلك التاريخ الذى سرت بذكره الركبان

وأثنى عليه أرباب هذا الفن فى كل زمان حتى كان

عمدتهم الذى يرجعون فى إحقاق الحق اليه ويعولون

فى مهمات منقولاتهم عليه تأليف الملك المؤيد

عماد الدين اسماعيل أبى الفدا صاحب حماة

المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

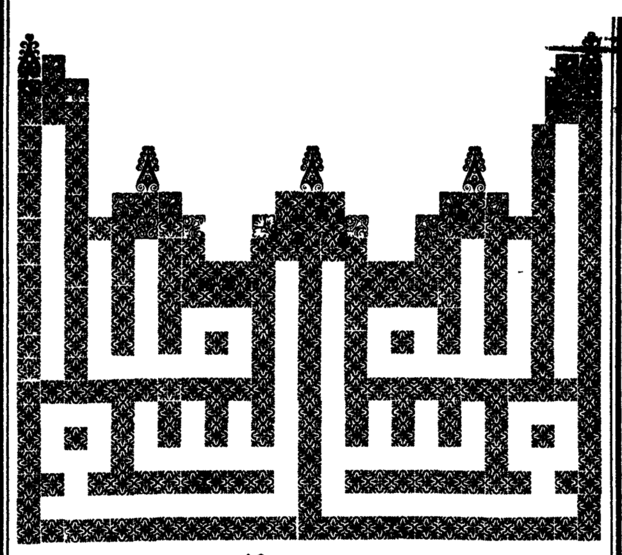
هجريه رحمه الله

تعالى آمين

﴿ الطبعة الأولى ﴾

بالمطبعة الحسينية المصريه

على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه



بسم الله الرحمن الرحيم

(ذكر فتوح قيسارية)

(في هذه السنة) ٦٦٣ سار الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية بعساكره المتوافرة الى جهاد الفرنج بالساحل ونازل قيسارية الشام في تاسع جمادى الاولى وضايقها وفتحها بعد ستة أيام من نزوله وذلك في منتصف الشهر المذكور وأمر بها فهدمت ثم سار الى أرسوف ونازلها وفتحها فى جمادى الآخرة من هذه السنة

(ذكر موت هولاكو)

(في هذه السنة) في تاسع عشر ربيع الآخر مات هولاكو ملك التتر لعنه الله تعالى وهو هولاكو بن طلو بن جنكزخان وكانت وفاته بالقرب من كورة مراغه وكانت مدة ملكه

البلاد

البلاد التي سنصفها نحو عشر سنين وخلف خمسة عشر ولدا ذكرا ولما مات جلس في الملك بعده ولده ابغا بن هولاكو واستقرت له البلاد التي كانت بيد والده حال وفاته وهي أقليم خراسان وكرسيه نيسابور واقليم عراق العجم وهو الذي يعرف ببلاد الجبل وكرسيه اصفهان وأقليم عراق العرب وكرسيه بغداد وأقليم أذربيجان وكرسيه تبريز وأقليم خورستان وكرسيه تستر التي تسميها العامة تشتر وأقليم فارس وكرسيه شيراز وأقليم ديار بكر وكرسيه الموصل وأقليم الروم وكرسيه قونية وغير ذلك من البلاد التي ليست في الشهرة مثل هذه الاقاليم العظيمة

﴿ ذكر غير ذلك من الحوادث ﴾

(وفي هذه السنة) أو التي بعدها أمسك الملك الظاهر بيبرس زامل بن علي أمير العرب بمكاتبة عيسى بن مهنا في حقه (وفيها) في رمضان استولى النائب بالرحبة على قرقيسيا وهي حصن الزباء التي تقدم خبرها مع جذيمة الابرش في أوائل الكتاب وفيه خلاف (وفيها) قبض الملك الظاهر بيبرس على سنقر الرومي (وفيها) توفي قاضي القضاة بمصر بدر الدين يوسف بن حسن بن علي السنجاري ﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة ﴾

(ذكر فتوح صفد وغيرها)

(في هذه السنة) خرج الملك الظاهر بعساكره المتوافرة من الديار المصرية وسار الى الشام وجهز عسكرا الى ساحل طرابلس ففتحوا القليعات وحلبا وعرقا ونزل الملك الظاهر على صفد ثامن شعبان وضايقها بالزحف وآلات الحصار وقدم اليه وهو على صفد الملك المنصور صاحب حماة ولاصق الجند القلعة وكثر القتل والجراح في المسلمين وفتحها في تاسع عشر شعبان المذكور بالامان ثم قتل أهلها عن آخرهم

(ذكر دخول العساكر الى بلاد الارمن)

(وفي هذه السنة) بعد فراغ الملك الظاهر من فتوح صفد سار الى دمشق فلما دخلها واستقر فيها جرد عسكرا ضخما وقدم عليهم الملك المنصور صاحب حماة وأمرهم بالمسير الى بلاد الارمن فسارت العساكر صحبة الملك المنصور المذكور ووصلوا الى بلاد سيس في ذي القعدة من هذه السنة وكان صاحب سيس اذ ذاك هيثوم بن قسطنطين بن باسيل قد حصن الدربندات بالرجالة والمناجنيق وجعل عسكره مع ولديه على الدربندات لقتال العسكر الاسلامي ومنعه فداستهم العساكر الاسلامية وافنوهم قتلا وأسرا وقتل ابن صاحب سيس الواحد وأسر ابنه الآخر وهو ليفون بن هيثوم المذكور وانتشرت العساكر الاسلامية في بلاد سيس وفتحوا قلعة العامودين وقتلوا أهلها ثم عادت العساكر وقد امتلأت أيديهم من الغنائم ولما وصل خبر هذا الفتح العظيم الى الملك الظاهر بيبرس

رحل من دمشق ووصل الى حماة ثم الى فامية فالتقى عساكره وقد عادت منصورة وأمر بتسليم الاسرى وفيهم ليفون ابن صاحب سيس وكان المذكور لما أسر سلمه الملك المنصور الى أخيه الملك الافضل فاحترز عليه وحفظه حتى أحضره بين يدى السلطان ثم عاد الى الديار المصرية على طريق الكرك فتقنطر بالملك الظاهر المذكور فرسه عند بركة زيزا وانكسرت فخذه وحمل في محفة الى قلعة الجبل

(ذكر قتل أهل قارا ونهبهم)

(وفي هذه السنة) عند توجه الملك الظاهر من دمشق لملتقى عساكره العائدة من غزوة بلاد سيس لما نزل على قارا بين دمشق وحمص أمر بنهب أهلها وقتل كبارهم فنهبوا وقتل منهم جماعة لانهم كانوا نصارى وكانوا يسرقون المسلمين ويبيعونهم بالخفية من الفرنج وأخذت صبيانهم مماليك فتربوا بين الترك في الديار المصرية فصار منهم أجناد وأمراء (ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة) فيها وصل الملك المنصور محمد صاحب حماة الى خدمة الملك الظاهر بيبرس بالديار المصرية ثم طلب المنصور من الملك الظاهر مرسوما بالتوجه الى اسكندرية ليراها ويتفرج فيها فرسم له بذلك وأمر أهل اسكندرية باكرامه واحترامه وفرش الشقق بين يدى فرسه فتوجه الملك المنصور الى الاسكندرية وعاد للديار المصرية مكرما محترما ثم خلع عليه الملك الظاهر وأحسن اليه على جارى عادته و رسم له بالدستور فعاد الى بلده (وفيها) توجه الملك الظاهر بيبرس الى الشام فنظر في مصالح صفد ووصل الى دمشق وأقام بها خمسة أيام وقوى الارجاف بوصول التتر الى الشام ثم ورد الاخبار بعودهم على عقبهم فعاد الملك الظاهر الى ديار مصر

(ذكر موت ملك التتر بالبلاد الشمالية)

(وفي هذه السنة) مات بركة بن باطوخان بن دوشى خان بن جنكزخان أعظم ملوك التتر وكرسى مملكته مدينة صراى وكان قد مال الى دين الاسلام ولما مات جلس في الملك بعده ابن عمه منكو تمر بن طغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكزخان (ثم دخلت سنة ست وستين وستمائة)

(ذكر مسير الملك الظاهر الى الشام وفتح انطاكية وغيرها)

(في هذه السنة) في مستهل جمادى الآخرة توجه الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى الشام وفتح يافا في العشر الاوسط من الشهر المذكور وأخذها من الفرنج ثم سار الى انطاكية ونازلها مستهل رمضان وزحفت العساكر الاسلامية على انطاكية فملكوها بالسيف في يوم السبت رابع شهر رمضان من هذه السنة وقتلوا أهلها وسبوا ذراريهم

وغنموا

وغنموا منهم أموالاجليلة وكانت انطاكية للبرنس بيمند بن بيمند وله معها طرابلس وكان مقيما بطرابلس لما فتحت انطاكية (وفيها) في ثالث عشر رمضان استولى الملك الظاهر على بغراس وسبب ذلك انه لما فتح انطاكية هرب أهل بغراس منها وتركوا الحصن خاليا فأرسل من استولى عليها في التاريخ المذكور وشحنه بالرجال والعدد وصار من الحصون الاسلامية وقد تقدم ذكر فتح صلاح الدين للحصن المذكور وتخريبه ثم عمارة الفرنج له بعد صلاح الدين ثم حصار عسكر حلب له ورحيلهم عنه بعد ان أشرفوا على أخذه (وفيها) في شوال وقع الصلح بين الملك الظاهر وبين هيثوم صاحب سيس على انه اذا أحضر صاحب سيس سنقر الاشقر من التتر وكانوا قد أخذوه من قلعة حلب لما ملكها هولاكو كما تقدم ذكره وسلم مع ذلك بهسنا ودربساك ومرزبان ورعبان وشيح الحديد يطلق له ابنه ليفون فدخل صاحب سيس على ابغا ملك التتر وطلب منه سنقر الاشقر فأعطاه اياه ووصل سنقر الاشقر الى خدمة الملك الظاهر وكذلك سلم دربساك وغيرها من المواضع المذكورة خلا بهسنا وأطلق الملك الظاهر ابن صاحب سيس ليفون بن هيثوم وتوجه الى والده ثم عاد الملك الظاهر الى الديار المصرية ووصل اليها في ذى الحجة من هذه السنة (وفيها) اتفق معين الدين سليمان البرواناه مع التتر المقيمين معه ببلاد الروم على قتل ركن الدين قليج أرسلان بن كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان ابن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان يبغو بن سلجوق سلطان الروم فخنق التتر ركن الدين المذكور بوتر وأقام البرواناه مقامه ولده غياث الدين بن ركن الدين قليج أرسلان المذكور وله من العمر أربع سنين (ثم دخلت سنة سبع وستين وستمائة) وفي هذه السنة خرج الملك الظاهر الى الشام وخيم في خربة اللصوص وتوجه الى مصر بالخفية ووصل اليها بغتة وأهل مصر والنائب بها لا يعلمون بذلك الا بعد ان صار بينهم ثم عاد الى الشام (وفيها) تسلم الملك الظاهر بلاطنس من عز الدين عثمان صاحب صهيون (وفيها) توجه الملك الظاهر بيبرس الى الحجاز الشريف وكان رحيله من الفوار في الخامس والعشرين من شوال ووصل الى الكرك وأقام به أياما وتوجه من الكرك في سادس القعدة الى الشوبك ورحل من الشوبك في الحادى عشر من الشهر المذكور ووصل الى المدينة النبوية في خامس وعشرينه ووصل الى مكة في خامس ذى الحجة ووصل الى الكرك في سلخ ذى الحجة (ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمائة) فيها توجه الملك الظاهر بيبرس من الكرك مستهل المحرم عند عوده من الحج فوصل الى دمشق بغتة وتوجه في يومه ووصل الى حماة في خامس المحرم وتوجه من ساعته الى حلب ولم يعلم به العسكر الا وهو في الموكب معهم وعاد الى دمشق في ثالث عشر

المحرم المذكور ثم توجه الى القدس ثم الى القاهرة فوصل اليها في ثالث صفر من هذه السنة (وفيها) عاد الملك الظاهر الى الشام وأغار على عكا وتوجه الى دمشق ثم الى حماة (وفيها) جهز الملك الظاهر عسكرا الى بلاد الاسماعيلية فتسلموا مصياف في العشر الاوسط من رجب من هذه السنة وعاد الملك الظاهر من حماة الى جهة دمشق فدخلها في الثامن والعشرين من رجب ثم عاد الى مقر ملكه بمصر (وفيها) حصل بين منكوتمر ابن طغان ملك التتر بالبلاد الشمالية وبين الاشكرى صاحب قسطنطينية وحشة فجهز منكو تمر الى قسطنطينية جيشا من التتر فوصلوا اليها وعاثوا في بلادها ومروا بالقلعة التى فيها عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك بلاد الروم محبوسا كما قدمنا ذكره في سنة اثنتين وستين وستمائة فحملته التتر بأهله الى منكوتمر فأحسن منكو تمر الى عز الدين المذكور وزوجه وأقام معه الى ان توفي عز الدين المذكور في سنة سبع وسبعين وستمائة فسار ابنه مسعود بن عز الدين المذكور الى بلاد الروم وسار سلطان الروم على ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) أعنى سنة ثمان وستين وستمائة قتل أبو دبوس آخر الملوك من بنى عبد المؤمن وانقرضت بموته دولتهم وقد تقدم ذكر ذلك في سنة أربع وعشرين وستمائة وملكت بلادهم بعدهم بنو مرين على ماسنذكره ان شاء الله تعالى فى سنة اثنتين وسبعين وستمائة (ثم دخلت سنة تسع وستين وستمائة)

(ذكر فتح حصن الاكراد وحصن عكار والقرين)

(في هذه السنة) توجه الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية الى الشام ونازل حصن الاكراد في تاسع شعبان هذه السنة وجد في حصاره واشتد القتال عليه وملكه بالامان في الرابع والعشرين من شعبان المذكور ثم رحل الى حصن عكار ونازله في سابع عشر رمضان من هذه السنة وجد في قتاله وملكه بالامان سلخ رمضان المذكور وعيد الملك الظاهر عليه عيد الفطر فقال محى الدين بن عبد الظاهر مهنئا له بفتوح عكار

يامليك الارض بشرا ... ك فقد نلت الاراده

ان عكار يقينا ... هو عكا وزياده

(وفيها) في شوال تسلم الملك الظاهر قلعة العليقة وبلادها من الاسماعيلية (وفيها) توجه الملك الظاهر الى دمشق وسار منها في العشر الاخير من شوال الى حصن القرين ونازله في ثانى ذى القعدة وزحف عليه وتسلمه بالامان وأمر به فهدم ثم عاد الى مصر (وفيها) جهز الملك الظاهر مايزيد على عشرة شوانى لغزو قبرس فتكسرت في مرسى اليميسوس وأسر الفرنج من كان بتلك الشوانى من المسلمين فاهتم السلطان بعمارة شوان آخر فعمل في المدة اليسيرة ضعف ماعدم (وفيها) توفي هيثوم بن قسطنطين صاحب سيس وملك

بعده ابنه ليفون الذى أسره المسلمون حسبما تقدم ذكره (وفيها) قبض الملك الظاهر على عز الدين بغان المعروف بسم الموت وعلى المحمدى وغيرهما (وفيها) توفي القاضى شمس الدين بن البارزى قاضى القضاة بحماة (وفيها) توفي الطواشى شجاع الدين مرشد الخادم المنصورى رحمه الله تعالى وكان كثير المعروف وتولى تدبير مملكة حماة مدة وكان يعتمد عليه الملك الظاهر ويستشيره (ثم دخلت سنة سبعين وستمائة) فيها توجه الملك الظاهر الى الشام وعزل جمال الدين أقوش النجمى عن نيابة السلطنة بدمشق وولى فيها علاء الدين ايدكين الفخرى الاستدار في مستهل ربيع الاول ثم توجه الملك الظاهر الى حمص ثم الى حصن الاكراد ثم عاد الى دمشق (وفيها) والملك الظاهر بدمشق أغارت التتر على عينتاب وعلى الروج وقيطون الى قرب فامية ثم عادوا واستدعى الملك الظاهر عسكرا من مصر فوصلوا اليه صحبة بدر الدين البيسرى فتوجه الملك الظاهر بهم الى حلب ثم عاد الى الديار المصرية فوصل اليها في الثالث والعشرين من جمادى الاولى (وفيها) في شوال عاد الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية الى الشام فوصل الى دمشق في ثالث صفر (وفيها) توفي سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن منكبرس صاحب صهيون فسلم ولداه سابق الدين وفخر الدين صهيون الى الملك الظاهر وقدما الى خدمته وأحسن اليهما وأعطى سابق الدين امرة طبلخاناة وفيها نازل التتر البيرة ونصبوا عليها المناجنيق وضايقوها وسار اليهم الملك الظاهر وأراد عبور الفرات الى بر البيرة فقاتله التتر على المخاضة فاقتحم الفرات وهزم التتر فرحلوا عن البيرة وتركوا آلات الحصار بحالها فصارت للمسلمين ثم عاد الملك الظاهر فوصل الى الديار المصرية في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة وفيها افرج عن الدمياطى من الاعتقال (وفيها) تسلمت نواب الملك الظاهر ماتأخر من حصون الاسماعيلية وهى الكهف والمينقة وقدموس وفيها اعتقل الملك الظاهر الشيخ خضر وكان قد بلغ المذكور عند الملك الظاهر ارفع منزلة وانبسطت يده وانفذ أمره في الشام ومصر فاعتقله في قاعة بقلعة الجبل مكرما حتى مات (ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وستمائة)

(ذكر ملك يعقوب المرينى مدينة سبته وابتداء ملكهم)

(وفي هذه السنة) ملك يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن حمامة المرينى مدينة سبته وبنو مرين ملوك بلاد المغرب بعد بنى عبد المؤمن وكان آخر من ملك من بنى عبد المؤمن أبو دبوس وقد ذكرنا ماوقع لنا من أخبار أبى دبوس المذكور مع مافيه من الاختلاف في سنة أربع وعشرين وستمائة وان المذكور قتل في سنة ثمان وستين وستمائة وانقرضت حينئذ دولة بنى عبد المؤمن وملك بعدهم بنو مرين وهذه القبيلة أعنى بنى

مرين يقال لهم حمامة من بين قبائل العرب بالمغرب وكان مقامهم بالريف القبلي من أقليم تازة وأول أمرهم انهم خرجوا عن طاعة بني عبد المؤمن المعروفين بالموحدين لما اختل أمرهم وتابعوا الغارات عليهم حتى ملكوا مدينة فاس واقتلعوها من الموحدين في سنة بضع وثلاثين وستمائة واستمرت فاس وغيرها في أيديهم في أيام الموحدين وأول من اشتهر من بني مرين أبو بكر بن عبد الحق بن محبو بن حمامة المريني وبعد ملكه فاس سار الى جهة مراكش وضايق بني عبد المؤمن وبقي كذلك حتى توفي أبو بكر المذكور في سنة ثلاث وخمسين وستمائة وملك بعده أخوه يعقوب بن عبد الحق بن محبو وقوى أمره وحاصر أبا دبوس في مراكش وملكها يعقوب المريني المذكور وازال ملك بني عبد المؤمن من حينئذ واستقرت قدم يعقوب المريني المذكور في الملك وبقي يعقوب مستمرا في الملك حتى ملك سبته في هذه السنة ثم توفي ولم يقع لي تاريخ وفاته وملك بعده ولده يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محبو وكنية يوسف المذكور أبو يعقوب واستمر يوسف المذكور في الملك حتى قتل سنة ست وسبعمائة على ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) وصل الملك الظاهر بعساكره الى دمشق (وفيها) عاد عمر بن مخلول أحد أمراء العربان الى الحبس بعجلون وكان من حديثه ان الملك الظاهر حبسه بعجلون مقيدا فهرب من الحبس المذكور الى بلاد التتر ثم أرسل يطلب الامان فقال الملك الظاهر ماأؤمنه الا أن يعود الى عجلون ويضع القيد في رجله كما كان فعاد عمر الى عجلون وجعل القيد في رجله فعفى عنه الملك الظاهر عند ذلك (وفيها) قويت أخبار التتر لقصد الشام فجفل الناس ﴿وفيها﴾ في جمادى الاولى كانت ولادة العبد الفقير مؤلف هذا المختصر اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بدار ابن الزنجيلي بدمشق المحروسة فان أهلنا كانوا قد جفلوا من حماة الى دمشق بسبب أخبار التتر (وفيها) توفي الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني النحوي وله في النحو واللغة مصنفات كثيرة مشهورة ﴿وفيها﴾ في ذي القعدة توفي الامير مبارز الدين أقوش المنصوري مملوك الملك المنصور صاحب حماة ونائب سلطنته وكان أميرا جليلا عاقلا شجاعا وهو قبجاقي في الجنس ﴿وفيها﴾ في يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجة توفي الشيخ العلامة نصير الدين الطوسي واسمه محمد بن محمد بن الحسين الامام المشهور وكان يخدم صاحب الالموت ثم خدم هولاكو وحظي عنده وعمل لهولاكو رصدا بمراغة وزيجا وله مصنفات عديدة كلها نفيسة منها أقليدس يتضمن اختلاط الاوضاع وكذلك المجسطي وتذكرة في الهيئة لم يصنف في فنها مثلها وشرح الاشارات وأجاب عن غالب ايرادات فخر الدين الرازي عليها وكانت ولادته في حادي عشر جمادى الاولى سنة سبع وتسعين وخمسمائة وكانت وفاته ببغداد ودفن في مشهد موسى الجواد (ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة)

فيها توجه الملك الظاهر بيبرس الى بلاد سيس فدخلها بعساكره المتوافرة وغنموا ثم عادوا الى دمشق حتى خرجت هذه السنة ﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمائة ﴾ فيها نازلت التتر البيرة وكان اسم مقدمهم اقطاى وكان الملك الظاهر بدمشق فتوجه الى جهة البيرة فرحل التتر عنها ولاقى الملك الظاهر الخبر برحيلهم وهو بالقطيفة فأتم السير الى حلب ثم عاد الى مصر ﴿ وفيها ﴾ بعد وصول الملك الظاهر الى مصر جهز جيشامع اقسنقر الفارقانى ومعه عزالدين أيبك الافرم الى النوبة فساروا اليها ونهبوا وقتلوا وعادوا بالغنائم ﴿ وفيها ﴾ كان زواج الملك السعيد بركة ابن الظاهر بيبرس بابنة الامير سيف الدين قلاوون الصالحى غازية خاتون ﴿ وفيها ﴾ في أواخر السنة المذكورة عاد الملك الظاهر الى الشام ﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستمائة ﴾ فيها في المحرم وصل الملك الظاهر بيبرس الى دمشق وكان قد خرج من مصر في أواخر سنة أربع وسبعين وبلغه وصول الامراء الروميين الوافدين وهم بيجار الرومي وبهادر ولده وأحمد بن بهادر وغيرهم فسار الملك الظاهر الى جهة حلب والتقاهم وأكرمهم ثم عاد الى الديار المصرية

﴿ ذكر دخول الملك الظاهر الى بلاد الروم ﴾

(وفي هذه السنة) عاد الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى الشام وكان خروجه من مصر في يوم الخميس لعشرين من رمضان من هذه السنة ووصل الى حلب ثم الى النهر الازرق ثم سار الى ابلستين فوصل اليها في ذى القعدة والتقى بها جمعا من التتر مقدمهم تناون وكانوا نقاوة المغل فالتقى الفريقان في أرض ابلستين يوم الجمعة عاشر ذى القعدة من هذه السنة فانهزم التتر وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم تناون وغالب كبرائهم وأسر منهم جماعة كثيرة صاروا أمراء وكان من جملة المأسورين في هذه الوقعة سيف الدين قبجق وسيف الدين أرسلان وسنذكر أخبارهما ان شاء الله تعالى ثم سار الملك الظاهر بعد فراغه من هذه الوقعة الى قيساريه واستولى عليها وكان الحاكم بالروم يومئذ معين الدين سليمان البرواناه وكان يكاتب الملك الظاهر في الباطن وكان يظن الملك الظاهر انه اذا وصل الى قيسارية يصل اليه البرواناه على ماكان قد اتفق معه في الباطن فلم يحضر البرواناه لما أراده الله من هلاكه على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وأقام الملك الظاهر على قيسارية سبعة أيام في انتظار البرواناه وخطب له على منابرها ثم رحل عن قيسارية في الثانى والعشرين من ذى القعدة وحصل للعسكر شدة عظيمة من نفاد القوت والعلف وعدمت غالب خيولهم ووصلوا الى عمق حارم وأقاموا به شهرا ولما بلغ ابغا بن هولاكو ساق في جموع المغل حتى وصل الى الابلستين وشاهد عسكره صرعى ولم يشاهد أحدا من عسكر الروم مقتولا فاستشاط غضبا وأمر بنهب الروم وقتل من مر به من المسلمين فنهب وقتل

منهم جماعة ثم سار ابغا الى الاردووصحبته معين الدين البرواناه فلما استقر بالاردو أمر بقتل البرواناه فقتل وقتلوا معه نيفا وثلاثين نفسا من مماليكه وخواصه واسم البرواناه المذكور سليمان والبرواناه لقب وهوالحاجب بالعجمي وكان مقتله بالاطاغ وكان البرواناه حازما بتدبير المملكة ذا مكر ودهاء(وفي هذه السنة) توفي الشهاب محمد بن يوسف بن زائدة التلعفرى الشاعر (وفيها) مات الشيخ خضر في حبس الملك الظاهر (وفيها) عاد الملك الظاهر من عمق حارم وتوجه الى دمشق (ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمائه) فيها في خامس المحرم وصل الملك الظاهر بيبرس الى دمشق ونزل بالقصر الابلق وكان قد رحل من عمق حارم في أواخر سنة خمس وسبعين

(ذكر وفاة الملك الظاهر بيبرس)

فيها في يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم توفي السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي بدمشق وقت الزوال رحمه الله تعالى عقب وصوله من بلاد الروم الى دمشق على ماتقدم ذكره وقد احتلف في سبب موته فقيل انه انكسف القمر كسوفا كليا وشاع بين الناس ان ذلك سبب موت رجل جليل القدر فأراد الملك الظاهر أن يصرف التأويل الى غيره فاستدعى بشخص من أولاد الملوك الايوبية يقال له الملك القاهر من ولد الملك الناصر داود بن المعظم عيسى وأحضر قمزا مسموما وأمر الساقي فسقى الملك القاهر المذكور فشرب الملك الظاهر ناسيا بذلك النهاء على أثر شرب الملك القاهر فمات الملك القاهر عقيب ذلك وأما الملك الظاهر فحصلت له حمى محرقة وتوفي في التاريخ المذكور وكتم نائبه ومملوكه بدر الدين تمليك المعروف بالخزندار موته وصبره وتركه في قلعة دمشق الى ان استوت تربته بدمشق قرب الجامع فدفن فيها وهي مشهورة معروفة وارتحل بدر الدين تمليك بالعساكر ومعهم المحفة مظهرا ان الملك الظاهر فيها وانه مريض وسار الى ديار مصر وكان الملك الظاهر قد حلف العسكر لولده بركة بن بيبرس ولقبه الملك السعيد وجعله ولي عهده فوصل تمليك الخزندار بالخزائن والعسكر الى الملك السعيد بقلعة الجبل وعند ذلك أظهر موت الملك الظاهر وجلس ابنه الملك السعيد للعزاء واستقر في السلطنة وكانت مدة مملكة الملك الظاهر نحو سبع عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام لانه ملك في سابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة وتوفي في السابع والعشرين من محرم من سنة ست وسبعين وستمائة وكان ملكا جليلا شجاعا عاقلا مهيبا ملك الديار المصرية والشام وأرسل جيشاً فاستولوا على النوبة وفتح الفتوحات الجليلة مثل صفد وحصن الاكراد وانطاكية وغيرها على ماتقدم ذكره وأصله مملوك قبجاقي الجنس وسمعت انه برجلي وكان أسمر أزرق العينين جهورى الصوت حضر هو ومملوك آخر مع تاجر

الى حماة فاستحضرهما الملك المنصور محمد ليشتريهما فلم يعجبه واحد منهما وكان ايدكين البندقدار الصالحي مملوك الملك الصالح أيوب صاحب مصر قد غضب عليه الملك الصالح المذكور وكان قد توجه ايدكين الى جهة حماة فأرسل الملك الصالح وقبض على ايدكين المذكور واعتقله بقلعة حماة فتركه الملك المنصور صاحب حماة في جامع قلعة حماة واتفق ذلك عند حضور الملك الظاهر مع التاجر فلما قلبه الملك المنصور ولم يشتره أرسل ايدكين البندقدار وهو معتقل فاشتراه وبقي عنده ثم أفرج الملك الصالح عن البندقدار فسار من حماة وصحبته الملك الظاهر وبقي مع أستاذه البندقدار المذكور مدة ثم أخذه الملك الصالح من البندقدار فانتسب الى الملك الصالح دون أستاذه وكان يخطب له وينقش على الدراهم والدنانير بيبرس الصالحي وكان استقرار الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر في مملكة مصر والشام في أوائل ربيع الاول من هذه السنة أعني سنة ست وسبعين وستمائة واستقر بدر الدين تمليك الخزندار في نيابة السلطنة على ما كان عليه مع والده واستمرت الامور على أحسن نظام فلم تطل أيام تمليك الخزندار ومات بعد ذلك في مدة يسيرة قيل حتف أنفه وقيل بل سم والله أعلم وتولى نيابة السلطنة بعده شمس الدين الفارقاني ثم ان الملك السعيد خبط وأراد تقديم الاصاغر وأبعد الامراء الاكابر وقبض على سنقر الاشقر والبيسرى ثم أفرج عنهما بعد أيام يسيرة ففسدت نيات الامراء الكبار عليه وبقي الامر كذلك حتى خرجت هذه السنة ❁ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمائة ❁

﴿ ذكر مسير الملك السعيد بركة الى الشام والاغارة على سيس وخلاف عسكره عليه ﴾

في أثناء هذه السنة سار الملك السعيد بركة الى الشام وصحبته العساكر ووصل الى دمشق وجرد منها العسكر صحبة الامير سيف الدين قلاوون الصالحي وجرد أيضاً صاحب حماة فساروا ودخلوا الى بلاد سيس وشنوا الاغارة عليها وغنموا ثم عادوا الى جهة دمشق واتفقوا على الخلاف على الملك السعيد المذكور وخلعه من السلطنة لسوء تدبيره وعبروا على دمشق ولم يدخلوها فأرسل اليهم الملك السعيد واستعطفهم ودخل عليهم بوالدته فلم يلتفتوا الى ذلك وأتموا السير فركب الملك السعيد وساق وسبقهم الى مصر وطلع الى قلعة الجبل وسارت العساكر في أثره وخرجت هذه السنة والامر كذلك ❁ وفيها ❁ توفي عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق عند منكو تمر ملك التتر بمدينة صراى وكيكاوس المذكور هو الذى كان محبوسا بقسطنطينية حسبما تقدم ذكر القبض عليه في سنة اثنتين وستين وذكر خلاصه واتصاله بملك التتر في سنة ثمان وستين

وحلف عز الدين المذكور ولدا اسمه مسعود وقصد منكوتمر أن يزوجه بزوجة ابنه عز الدين كيكاوس فهرب مسعود واتصل ببلاد الروم لحمل الى ابغا فأحسن اليه ابغا وأعطاه سيواس وارزن الروم وارزنكان واستقرت هذه البلاد لمسعود المذكور ثم بعد ذلك جعلت سلطنة الروم باسم مسعود المذكور وافتقر جدا وانكشف حاله وهو آخر من سمي سلطانا من السلجوقية بالروم ﴿ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستمائة﴾

(ذكر خلع الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر)

﴿في هذه السنة﴾ وصلت العساكر الخارجون عن طاعة بركة المذكور الى الديار المصرية في ربيع الاول وحصروا الملك السعيد بركة بقلعة الجبل فخامر على السعيد بركة غالب من كان معه من الامراء مثل لاجين الزيني وغيره وبقي يهرب واحد بعد واحد من القلعة وينضم الى العسكر المحاصر للقلعة فلما رأى الملك السعيد بركة ذلك أجابهم الى الانخلاع من السلطنة وأن يعطى الكرك فأجابوه الى ذلك وأنزلوه من القلعة وخلعوه في ربيع الاول من هذه السنة أعني سنة ثمان وسبعين وستمائة وسفروه من وقته الى الكرك صحبة بيد عان الركني وجماعة معه فوصل اليها وتسلمها بما فيها من الاموال وكان شيئاً كثيراً

(ذكر اقامة سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس فى المملكة)

(وفي هذه السنة) لما جرى ماذكرناه من خلع الملك السعيد بركة واعطائه الكرك اتفق أكابر الامراء الذين فعلوا ذلك مثل بدر الدين البيسري الشمسي وايتمش السعدي وبكتاش الفخري أمير سلاح وغيرهم على اقامة بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس في المملكة ولقبوه الملك العادل وعمره اذ ذاك سبع سنين وشهور وخطب له وضربت السكة باسمه وذلك في شهر ربيع الاول من هذه السنة وصار الامير سيف الدين قلاوون الصالحي اتابك العسكر ولما استقر ذلك جهز اتابك العسكر المذكور الامير شمس الدين سنقر الاشقر الى دمشق وجعله نائب السلطنة بالشام وكان العسكر لما خالفوا السعيد بركه قد قبضوا على عز الدين ايدمر نائب السلطنة بدمشق وتولى تدبير دمشق بعد ايدمر أقوش الشمسي نائب السلطنة بحلب فسار وتولاها واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة

(ذكر سلطنة الملك المنصور قلاوون الصالحي)

(وفي هذه السنة) أعني سنة ثمان وسبعين وستمائة في يوم الاحد الثاني والعشرين من رجب كان جلوس السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي في السلطنة بعد خلع الصبي

سلامش

سلامش وعزله ولما تولى السلطان الملك المنصور أقام منار العدل وأحسن سياسة الملك وقام بتدبير المملكة أحسن قيام

(ذكر خروج سنقر الاشقر عن الطاعة وسلطنته بالشام)

(وفي هذه السنة) في الرابع والعشرين من ذى القعدة جلس سنقر الاشقر بدمشق في السلطنة وحلف له الامراء والعسكر الذين عنده بدمشق وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر (وفي هذه السنة) توفي الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر بيبرس في الكرك بعد وصوله اليها في مدة يسيرة وكان سبب موته انه لعب بالكرة في ميدان الكرك فتقنطر به فرسه فحصل له بسبب ذلك حمى شديدة وبقي كذلك أياما يسيرة وتوفي وحمل الى دمشق ودفن بتربة أبيه ولما توفي الملك السعيد اتفق من بالكرك وأقاموا موضعه أخاه نجم الدين خضر واستقر في الكرك ولقبوه الملك المسعود ﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمائة ﴾

(ذكر كسرة سنقر الاشقر)

(في هذه السنة) في التاسع عشر من صفر كانت كسرة سنقر الاشقر المستولى على الشام الملقب بالملك الكامل وكان من حديث هذه الكسرة ان السلطان الملك المنصور قلاوون جهز عساكر ديارمصر مع علم الدين سنجر الحلبي الذى تقدم ذكر سلطنته بدمشق عقيب قتل قطز وكان أيضاً من مقدمي العسكر المصرى المذكور بدر الدين بكتاش وبدر الدين الايدمرى وعزالدين الافرم فسارت العساكر المذكورة الى الشام وبرز سنقر الاشقر بعساكر الشام الى ظاهر دمشق والتقى الفريقان في تاسع عشر صفر المذكور فولى الشاميون وسنقر الاشقر منهزمين ونهبت العساكر المصرية أثقالهم وكان السلطان الملك المنصور قلاوون قد جعل مملوكه حسام الدين لاجين السلحدار نائباً بقلعة دمشق فلما هرب سنقر الاشقر أفرج عن حسام الدين لاجين المذكور وكذلك كان سنقر الاشقر قد اعتقل بيبرس المعروف بالجالق لانه لم يحالف له فافرج عنه أيضا وكتب الحلبي الى السلطان الملك المنصور بالنصر واستقر الامير لاجين المنصورى المذكور نائب السلطنة بالشام وأما سنقر الاشقر فانه هرب الى الرحبة وكاتب ابغا بن هولاكو ملك التتر وأطمعه في البلاد وكان عيسى بن مهنا ملك العرب مع سنقر الاشقر وقاتل معه وكتب بذلك الى ابغا أيضا موافقة له ثم سار سنقر الاشقر من الرحبة الي صهيون في جمادى الاولى من هذه السنة واستولى عليها وعلى برزية وبلاطنس والشغر وبكاس وعكار وشيزر وفامية وصارت هذه الاماكن لسنقر الاشقر (وفيها) توفي اقوش الشمسي نائب السلطنة بحلب وولى السلطان الملك المنصور قلاوون على حلب علم الدين سنجر الباشقردى (وفيها) قويت أخبار التتر

وانهم واصلون الى البلاد الاسلامية بجموعهم (وفيها) جعل السلطان الملك المنصور قلاوون ولده الملك الصالح علاء الدين على ولى عهده وسلطنته وركب بشعار السلطنة (وفيها) سار السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى من الديار المصرية ووصل الى غزة وكان التتر قد وصلوا الى حلب فمانوا ثم عادوا فعاد السلطان الى مصر في جمادى الآخرة من هذه السنة (وفيها) استأذن سيف الدين بلبان الطباخى أحد مماليك الملك المنصور وكان نائب السلطنة بحصن الاكراد في الاغارة على بلد المرقب لما اعتمده أهله من الفساد عند وصول التتر الى حلب فاذن له السلطان في ذلك فجمع بلبان الطباخى المذكور عساكر الحصون وسار الى المرقب فاتفق هروب المسلمين ونزل الفرنج من المرقب وقتلوا وأسروا من المسلمين جماعة (وفيها) في مستهل ذى الحجة خرج السلطان الملك المنصور قلاوون من مصر وسار عائدا الى الشام وخرجت هذه السنة (ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة) والسلطان الملك المنصور بالروحاء وأقام هناك مدة ثم سار الى بيسان وقبض على جماعة من الظاهرية ودخل دمشق وأعدم منهم جماعة مثل كوندك وايدغمش الحلبي وبيبرس الرشيدى وأرسل عسكرا الى شيزر وهى لسنقر الاشقر وجرى بينهم مناوشة ثم انه ترددت الرسل بين السلطان وبين سنقر الاشقر واحتاج السلطان الى مصالحته لقوة أخبار التتر ووقع بينهم الصلح على أن يسلم شيزر الى السلطان ويتسلم سنقر الاشقر الشغر وبكاس وكانتا قد ارتجعتا منه فتسلم نواب السلطان شيزر وتسلم الشغر وبكاس سنقر الاشقر وحلفا على ذلك واستقر الصلح بينهما (وفيها) أيضا استقر الصلح بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الملك خضر ابن الملك الظاهر بيبرس صاحب الكرك

ذكر الوقعة العظيمة مع التتر على حمص

﴿ في هذه السنة ﴾ أعنى سنة ثمانين وستمائة في شهر رجب كان المصاف العظيم بين المسلمين وبين التتر بظاهر حمص فنصر الله تعالى فيه المسلمين بعد ما كانوا قد أيقنوا بالبوار وكان من حديث هذا المصاف العظيم ان ابغا بن هولاكو حشد وجمع وسار بهذه الحشود طالبا الشام ثم انفرد ابغا المذكور عنهم وغنم وسار الى الرحبة وسير جيوشه وجموعه الى الشام وقدم عليهم أخاه منكو تمر بن هولاكو وسار الى جهة حمص وسار السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى بالجيوش الاسلامية من دمشق الى جهة حمص أيضا وأرسل الى سنقر يستدعيه بمن عنده من الامراء والعسكر بحكم ما استقر بينهما من الصلح واليمين فسار سنقر الاشقر من صهيون فلما نزل السلطان بظاهر حمص وصل اليه الملك المنصور صاحب حماة بعسكره ثم وصل سنقر الاشقر وصحبته

ايتمش

ايتمش السعدى والحاج ازدمر وعلم الدين الدويدارى وجماعة من الظاهرية ورتب السلطان عسكره ميمنة وميسرة وكان رأس الميمنة الملك المنصور محمد صاحب حماة بعسكره ثم بدر الدين اليسرى دونه ثم علاء الدين طيبرس الوزيرى ثم أيبك الافرم ثم جماعة من العسكر المصرى ثم عسكر الشام ومقدمهم حسام الدين لاجين نائب السلطنة بالشام وكان رأس الميسرة سنقر الاشقر ومن معه ثم بدر الدين تتليك الايدمرى ثم بدر الدين بكتاش أمير سلاح وكان بر الميمنة العرب وبر الميسرة التركمان وكان ساليش القلب حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة ومن أضيف اليه من الامراء والعساكر والتقى الفريقان بظاهر حمص في الساعة الرابعة من يوم الخميس رابع عشر رجب الفرد من هذه السنة أعنى سنة ثمانين وستمائة وأنزل الله نصرته على القلب والميمنة فهزموا من كان قبالتهم من التتر وركبوا قفاهم يقتلونهم وكان منكوتمر قبالة القلب فانهزم أيضا وأما ميسرة المسلمين فانها انكشفت عن مواقفها وتم ببعضهم الهزيمة الى دمشق وساق التتر في أثر المنهزمين حتى وصلوا الى تحت حمص ووقعوا في السوقية وغلمان العسكر والعوام وقتلوا منهم خلقاً كثيرا ثم علموا بنصرة المسلمين وهزيمة جيشهم فولى المذكورون أيضا منهزمين على أعقابهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وكانت عدة التتر ثمانين ألف فارس منهم خمسون الفا من المغل والباقى حشود وجموع من أجناس مختلفة مثل الكرج والارمن والعجم وغيرهم * ولما وصل خبر هذه الكسرة الى ابغا وهو على الرحبة يحاصرها رحل عنها على عقبه منهزما وكتب بهذا الفتح العظيم الى سائر البلاد الاسلامية فزينت لذلك ثم ان السلطان الملك المنصور قلاوون أعطى الدستور للعساكر الشامية فرجع الملك المنصور محمد صاحب حماة الى بلده ورجع سنقر الاشقر وجماعته الى صهيون وسار عسكر حلب اليها وعاد السلطان الى دمشق والاسرى والرؤس بين يديه (وفيها) عاد السلطان الملك المنصور قلاوون الى الديار المصرية مؤيدا منصورا (وفيها) عند وصوله الى مستقر ملكه قدمت اليه هدية صاحب اليمن المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن على بن رسول وطلب امانا من السلطان فقبل السلطان هديته وكانت من طرائف اليمن مثل العود والعنبر والصينى ورماح القنا وغير ذلك وكتب له السلطان أمانا صدره هذا أمان الله تعالى وأمان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وامانا لاخينا السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر صاحب اليمن اننا راعون له ولاولاده مسالمون من سالمهم معادون من عاداهم ونحو ذلك وكان ذلك في العشر الاول من رمضان هذه السنة وأرسل السلطان اليه هدية من أسلاب التتر وخيولهم وعادت رسله بذلك مكرمين (وفيها) مات منكوتمر بن هولاكو بن طلو بن

جنكزخان بجزيرة ابن عمر مكمودا عقيب كسرته على حمص وكان موته من جملة هذا الفتح العظيم (وفيها) توفي عـلاء الدين عطاء ملك بن محمد الجويني وكان صاحب الديوان ببغداد فتقب عليه ابغا نسبه الى مواطأة المسلمين وقبض عليه وأخذ أمواله وكان صدرا كبيرا فاضلا له شعر حسن فنه في تركية

أبادية الاعراب عـنى فانـنى بحاضرة الاتراك نيطت علائقى
وأهلك يانجـل العيون فاننى جننت بهـذا الناظر المتضايق.

وكانت وفاته بعراق العجم وولى بغـداد بعده ابن أخيه هارون بن محمد الجوينى (ثم دخلت سنة احدى وثمـانين وستمائة) فيها ولى السلطان مملوكه شـمس الدين قرا سنقر نيابة السلطنة بحلب فسار اليها واستقر

ذكر موت ابغا

وفيها في المحرم مات ابغا بن هولاكو بن جنكزخان ملك التتر قيـل انه مات مسموما وكان موته ببلاد همـذان وكانت مدة ملكه نحو سبعة عشر سنة وكسورا وخلف من الولد ارغون وكيختو ابنا ابغا ولمـا مات ابغا ملك بعده أخوه أحمد بن هولاكو واسم أحمد المذكور بيكدار * فلمـا جلس في الملك أظهر دين الاسلام وتسمى بأحمد سلطان (وفيها) وصلت رسل أحمد بن هولاكو ملك التتر المذكور الى السلطان الملك المنصور قلاوون وكان كبير الرسل المذكورين الشيخ المتقن قطب الدين محمود الشيرازى وكان اذ ذاك قاضى سيواس فاحـترز عليهم السلطان ولم يمكن أحـدا من الاجتماع بهم وكان مضمون رسالتهم اعلام السلطان باسلام أحمد المذكور وطلب الصلح بين المسلمين والتتر فلم ينتظم ذلك ثم عادت رسله اليه بالجواب (وفيها) توفي منكوتمر بن طغان بن باطو بن دوشى خان ابن جنكزخان ملك التتر بالبلاد الشمالية وملك بعده أخوه تدان منكو بن طغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكزخان وجلس على كرسى التـتر بصراى وقيل ان ذلك كان في سنة ثمـانين (وفيها) عقد للملك الصالح علاء الدين على ابن السلطان الملك المنصور قلاوون على بنت سيف الدين بكيه ثم تزوج أخوه الملك الاشرف باختها الاخرى وكان بكيه معتقلا بالاسكندرية فلما عزم السلطان على ذلك أخرجه من الحبس وأحسن اليه وزوج ابنيه واحدا بعـد الآخر ببنتى بكيه المذكور (وفيها) توفي القاضى الفاضل المحقق شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان البرمكى وكان فاضلا عالمـا تولى القضاء بمصر والشام وله مصنفات جليلة مثل وفيات الاعيان في التاريخ وغيره وكان مولده يوم الخميس بعد صلاة العصر حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمـان وستمائة بمدينة اربل بمدرسة سلطانها مظفر الدين صاحب اربل نقلت ذلك من تاريخه في

ترجمة زينب في آخر حرف الزاى (ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وستمائة) في أوائل هذه السنة قدم الملك المنصور محمد صاحب حماة وصحبته الملك الافضل على الى خدمة السلطان الملك المنصور قلاوون بالديار المصرية فبالغ السلطان في اكرام صاحب حماة والاحسان اليه وأنزله بالكبش وأركبه بالسناجق السلطانية والجفتا والغاشية وسأله عن حوائجه فقال الملك المنصور حاجتي أن أعفى من هذا اللقب فانه ما بقى يصلح لى أن ألقب بالملك المنصور وقد صار هذا لقب مولانا السلطان الاعظم فاجابه السلطان بانى ما تلقبت بهذا الاسم الا لمحبتى فيك ولو كان لقبك غير ذلك كنت تلقبت به فشئ فعلته محبة لاسمك كيف أمكن من تغييره وطلع السلطان بالعسكر المصرى لحفر الخليج الذى بجهة البحيرة وسار صاحب حماة في خدمته الى الحفير ثم أعطى بعد ذلك الدستور لصاحب حماة فعاد مكرما مغمورا بالصدقات السلطانية (وفيها) رمى السلطان الملك الصالح علاء الدين على بن السلطان بجما بجهة العباسية بالبندق وأرسله للملك المنصور محمد صاحب حماة فقبله وبالغ في اظهار السرور والفرح بذلك وأرسل اليه تقدمة جليلة (وفيها) خرج ارغون بن أبغا بخراسان على عمه بيكدار المسمى باحمد سلطان وسار اليه واقتتلا فانهزم ارغون وأخذه أحمد أسيرا وسأل الخواتين في اطلاق ارغون واقراره على خراسان فلم يجب الى ذلك وكانت خواطر المغل قد تغيرت على أحمد بسبب اسلامه والزامه لهم بالاسلام فاتفقوا على قتله وقصدوا ارغون بالموضع الذى هو معتقل فيه وأطلقوه وكبسوا الناق نائب أحمد فقتلوه ثم قصدوا الاردو فاحس بهم السلطان أحمد فركب وهرب فتبعوه وقتلوه وملكوا ارغون ابن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان وذلك في جمادى الاولى من هذه السنة (وفيها) قتل ارغون الصبى سلطان الروم الذى أقامه البرواناه بعد قتله أباه حسبما تقدم ذكره فى سنة ست وستين وستمائة وكان اسم الصبى المذكور غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قليج أرسلان بن كيخسرو بن قليج أرسلان وفرض اسم سلطنة الروم الى مسعود بن عز الدين كيكاوس وهذا مسعود هو الذى هرب من منكوتمر ملك التتر بصراى وأبوه عز الدين كيكاوس هو الذى جرى له مع الاشكرى صاحب قسطنطينية على ما قدمنا ذكره في سنة اثنتين وستين وستمائة واستمرت سلطنة الروم باسم مسعود المذكور الى سنة ثمان وسبعمائة وهو مسعود بن كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن قطلومش من السلجوقية ببلاد الروم وافتقر مسعود المذكور وانكشف حاله جدا حتى قيل انه تناول سما فمات من كثرة المطالبة من أرباب الدين والتتر (وفيها) ولى أرغون سعد الدولة اليهودى وعظمه ومكنه وكان سعد الدولة المذكور في مبدا أمره دلالا بسوق الصناعة بالموصل فحكم في سائر البلاد التى

بأيدى التتر (وفيها) قرر ارغون ولديه قازان وخربنده بخراسان وجعل اتابكهما أميرا كبيرا من أصحابه اسمه نورود (وفيها) مات الاشكرى صاحب قسطنطينية واسمه ميخايل وملك بعده ابنه ماندس وتلقب بالدوقس (وفيها) كاتب الحكام بقلعة الكختا قرا سنقر نائب السلطنة بحلب وسلموا الكختا الى السلطان فجهز قرا سنقر عسكرا فتسلموها وقرر السلطان فيها نوابه وحصنها وصارت من أعظم الثغور الاسلامية نفعا (وفيها) في رجب قدم السلطان الى دمشق وكان قد سار من مصر في جمادى الآخرة (وفيها) كان السيل العظيم بدمشق في العشر الاول من شعبان والسلطان الملك المنصور قلاوون بدمشق وأخذ مامر به من العمارات وغيرها واقتلع الاشجار وأهلك خلقا كثيرا وذهب للعسكر النازلين على جوانب بردى من الخيل والجمال والخيم مالا يحصى وتوجه السلطان عقيبه الى الديار المصرية ووصل الى قلعة الجبل في ثامن عشر رمضان من هذه السنة (ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستمائة) فيها سار السلطان الملك المنصور قلاوون الى دمشق وحضر الملك المنصور صاحب حماة الى خدمته الى دمشق ثم عاد كل منهما الى مقر ملكه

(ذكر وفاة الملك المنصور صاحب حماة)

في هذه السنة في شوال توفي السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالى أحمد بن الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة رحمه الله تعالى ابتدأ فيه المرض في أوائل شعبان بعد عوده من خدمة السلطان من دمشق وكان مرضه حمى صفراوية داخل العروق ثم صلح مزاجه بعض الصلاح فاشار الاطباء بدخوله الحمام فدخلها فعاوده المرض وأحضر له الاطباء من دمشق مع من كان في خدمته منهم واشتد به ذات الجنب وعالجوه بما يصلح لذلك فلم يفد شيأ وفي مدة مرضه عتق مماليكه وتاب توبة نصوحا وكتب الى السلطان الملك المنصور قلاوون يسأله في اقرار ابنه الملك المظفر محمود في مملكته على قاعدته واشتد به مرضه حتى توفي بكرة حادى عشر شوال من هذه السنة أعنى سنة ثلاث وثمانين وستمائة وكانت ولادته في الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة فيكون عمره احدى وخمسين سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوما وملك حماة يوم السبت ثامن جمادى الاولى سنة اثنتين وأربعين وستمائة وهو اليوم الذى توفي فيه والده الملك المظفر محمود فيكون مدة ملكه احدى وأربعين سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام وكان أكبر أمانيه أن يعيش الى أن يسمع جوابه من السلطان فيما سأله من اقرار حماة على ولده الملك المظفر محمود فاتفق وفاته قبل وصول الجواب وكان قد أرسل في ذلك على البريد مملوكه سنقر أميراخور فوصل بالجواب بعد موت الملك المنصور بستة أيام ونسخة الجواب من

السلطان

السلطان بعد البسملة المملوك قلاوون أعز الله أنصار المقام العالى المولوى السلطانى الملكى المنصورى الناصرى ولا عدمه الاسلام ولا فقدته السيوف والاقلام وحماه من أذى داء وعود عواد والمـام آلام المملوك يجدد الخدمة التى كان يود تجديدها شفاها ويصف ما عنده من الألم لما ألم بمزاجه الكريم حتى انه لم يكد يفتح بالحديث فاها ولمـا وقفنا على الكتاب المولوى المتضمن بمرض الجد المحروس وما انتهي اليه الحال كادت القلوب تنشق والنفوس تذوب حزنا والرجاء من الله أن يتداركه بلطفه وأن يمن بعافيته التى رفع في مسألتها يديه وبسط كفيه وهو يرجو من كرم الله معاجلة الشفاء ومداركة العافية الموردة بعد الكدر مورد الصفاء وان الله يفسح في أجل المولى ويهبه العمر الطويل وأما الاشارة الكريمة الى ماذكره من حقوق يوجبها الاقرار وعهود أمنت بدورها من السرار ونحن بحمد الله فعندنا تلك العهود ملحوظه وتلك المودات محفوظه فالمولى يعيش قرير العين فمـا ثم الا مايسره من اقامة ولده مقامه لايحول ولايزول ولا يرى على ذلك ذلة ولا ذهول ويكون المولى طيب النفس مستديم الانس بصدق العهد القديم وبكل مايؤثر من خير مقيم ولما وصل الكتاب اجتمع لقراءته الملك الافضل والملك المظفر وعلم الدين سنجر المعروف بابى خرص وقرئ عليهم وتضاعف سرورهم بذلك وكان الملك المنصور محمد صاحب حمـاة المذكور ملكا ذكيا فطنا محبوب الصورة وكان له قبول عظيم عند ملوك الترك وكان حليما الى الغاية يتجاوز عمـا يكره ويكتمه ولا يفضح قائله من ذلك ان الملك الظاهر بيبرس قدم الى حماة ونزل بالدار المعروفة الآن بدار المبارز فرفع اليه أهل حماة عدة قصص يشكون فيها من الملك المنصور فامر الملك الظاهر دواداره سيف الدين بلبان أن يجمع القصص ولا يقرأها ويضعها في منديل ويحملها الى الملك المنصور صاحب حمـاة فحملها الدوادار المذكور وأحضرها الى الملك المنصور وقال انه والله لم يطلع السلطان يعنى الملك الظاهر على قصة منها وقد حملها اليك فتضاعف دعاء الملك المنصور لصدقة الملك الظاهر وخلع على الدوادار وأخذ القصص وقال بعض الجماعة سوف نرى من تكلم بشئ لاينبغى وتكلموا بمثل ذلك فامر الملك المنصور باحضار نار وحرق تلك القصص ولم يقف على شئ منها لئلا يتغير خاطره على رافعها وله مثل ذلك كثير رحمه الله تعالى

ذكر ملك الملك المظفر حماة

ولمـا بلغ السلطان الاعظم الملك المنصور وفاة الملك المنصور صاحب حماة قرر ابنه الملك المظفر محمودا ابن الملك المنصور محمد في ملك حماة على قاعدة والده وأرسل اليه والى عمه الملك الافضل والى أولاده التشاريف ومكاتبة الى الملك المظفر بذلك ووصلت التشاريف ولبسناها في العشر الاخير من شوال من هـذه السنة أعنى سنة ثلاث وثمـانين وستمائة

ونسخة الكتاب الواصل من السلطان بعد البسملة المملوك قلاوون أعز الله نصرة المقام العالى المولوى السلطانى الملكى المظفرى التقوى ونزع عنه الباس الباس وألبسه حلل السعد المجلوة على أعين الناس وهو يخدم خدمة بولاء قد تبجست عيونه وتأسست مبانيه وتبايبت ظنونه وحلت رهونه وحلت ديونه وأثمرت غصونه وزهت أفنانه وفنونه ومنها وقد سيرنا المجلس السامى جمال الدين اقوش الموصلى الحاجب وأصحبناه من الملبوس الشريف مايغير به لباس الحزن وينجلى في مطلعه ضياء وجه الحسن وينجلى بذلك غيوم تلك الغموم وأرسلنا أيضا صحبته مايلبسه هو وذووه كما يبدو البدر بين النجوم وآخر الكتاب وكتب في عشرين شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة وكان قد وقع الاتفاق عند موت الملك المنصور على ارسال علم الدين سنجر أبى خرص الحموى لاجل هذا المهم فلاقى سنجر المذكور جمال الدين الموصلى بالخان في أثناء الطريق فأتم سنجر أبو خرص السير ووصل الى الابواب الشريفة السلطانية فتلقاه السلطان بالقبول وأعاده بكل مايحب ويختار وقال نحن واصلون الى الشام ونفعل مع الملك المظفر فوق مافي نفسه فعاد علم الدين سنجر أبوخرص الى حماة ومعه الجواب بنحو ذلك (ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستمائة)

﴿ ذكر ركوب الملك المظفر صاحب حماة بشعار السلطنة ﴾

في هذه السنة في صفر كان ركوب السلطان الملك المظفر محمود صاحب حماة بشعار السلطنة بدمشق المحروسة وصورة ماجرى في ذلك ان السلطان الملك المنصور قلاوون وصل في هذه السنة في أواخر المحرم بعساكره المتوافرة الى دمشق المحروسة وسار الملك المظفر صاحب حماة وعمه الملك الافضل ووصلا اليه الى دمشق فأكرمهما السلطان اكراماً كثيرا وأرسل الى الملك المظفر في اليوم الثالث من وصوله التقليد بسلطنة حماة والمعرة وبارين والتشريف وهو أطلس أحمر فوقانى بطراز زركش وسنجاب ودايرة قندس وقباء أطلس أصفر تحتانى وشاش تساعى وكلوته زركش وحياصة ذهب وسيف محلى بالذهب وتلكش وعنبرينا وثوب بطرز مذهبة ولباس وأرسل شعار السلطنة وهو سنجق بعصائب سلطانية وفرس بسرج ذهب ورقبة وكبوش وأرسل الغاشية السلطانية فلبس الملك المظفر ذلك وركب بشعار السلطنة وحضرت أمراء السلطان ومقدمو العسكر وساروا معه من الموضع الذى كان فيه وهو داره المعروفة بالحافظية داخل باب الفراديس بدمشق المحروسة الى أن وصل الى قلعة دمشق ومشت الامراء في خدمته ودخل الملك المظفر الى عند السلطان فأكرمه وأجلسه الى جانبه على الطراحة وطيب خاطره وقال له أنت ولدى وأعز من الملك الصالح عندى فتوجه الى بلادك وتأهب لهذه الغزاة المباركة فأنتم من بيت مبارك ماحضرتم في مكان الا

وكان

وكان النصر معكم فعاد الملك المظفر وعمه الملك الافضل الى حماة وعملا أشغالهما وكذلك باقي العسكر الحموى وتأهبوا للمسير الى خدمة السلطان ثانياً

(ذكر فتوح المرقب)

(وفي هذه السنة) سار السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون بعد وصوله الى دمشق بالعساكر المصرية والشامية ونازل حصن المرقب في أوائل ربيع الاول من هذه السنة وهو حصن للاستبار في غاية العلو والحصانة لم يطمع أحد من الملوك الماضين في فتحه * فلما زحف العسكر عليه أخذ الحجارون فيه النقوب ونصبت عليه عدة مجانيق كبارا وصغارا يقول العبد الفقير مؤلف هذا المختصر انني حضرت حصار الحصن المذكور وعمرى اذ ذاك نحو اثنتى عشرة سنة وهو أول قتال رأيته وكنت مع والدى ولما تمكنت النقوب من أسوار القلعة طلب أهله الامان فأجابهم السلطان رغبة في ابقاء عمارته فانه لو أخذه بالسيف وهدمه كان حصل التعب في اعادة عمارته فأعطى أهله الامان على ان يتوجهوا بما يقدرون على حمله غير السلاح وصعدت السناجق السلطانية على حصن المرقب المذكور وتسلمه في الساعة الثامنة من نهار الجمعة تاسع عشر ربيع الاول من هذه السنة أعنى سنة أربع وثمانين وستمائة وكان يوما مشهودا أخذ فيه الثار من بيت الاستبار ومحيت آية الليل بآية النهار فأمر السلطان بحمل أهل المرقب الى مأمنهم ولما ملكه قرر أمره ورحل عنه الى الوطاة بالساحل وأقام بمروج بالقرب من موضع يقال له برج القرفيص ثم سار السلطان ونزل تحت حصن الاكراد ثم سار ونزل على بحيرة حمص وفي بحيرة قدس

ذكر مولد مولانا السلطان الاعظم الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى

(وفي هذه السنة) ولد مولانا السلطان الاعظم المذكور من زوجة السلطان وهي بنت سكتاى بن قراجين بن جنغان وسكتاى المذكور ورد الى الديار المصرية هو وأخوه قرمشى سنة خمس وسبعين وستمائة صحبة بيجار الرومى في الدولة الظاهرية فتزوج السلطان الملك المنصور قلاوون ابنة سكتاى المذكور في سنة ثمانين وستمائة بعد موت أبيها المذكور بولاية عمها قرمشى ووردت البشائر بمولده الي السلطان وهو نازل على بحيرة حمص عند عوده من فتح المرقب فتضاعف سروره وضربت البشائر فرحاً بمولده السعيد وفيها عاد السلطان الى الديار المصرية وأعطى الملك المظفر عند رحيله عن حمص الدستور فعاد الى حماة (ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة) فيها أرسل

السلطان عسكرا كثيفا مع نائب سلطنته حسام الدين طرنطاى المنصورى وأمره بمنازلة الكرك فسار اليها وحاصرها وتسلمها بالامان وأقام بها نواب السلطان وعاد وصحبته أصحاب الكرك جمال الدين خضر وبدر الدين سلامش ولدا الملك الظاهر بيبرس فاحسن السلطان اليهما ووفي لهما بأمانه وبقيا على ذلك مدة طويلة ثم بلغه عنهما ما كرهه فاعتقلهما فبقيا في الحبس حتى توفي فنقل خضر وسلامش ولدا الملك الظاهر بيبرس الى القسطنطينية (وفيها) خرج السلطان منَ الديار المصرية الى غزة ثم سار الى الكرك فوصل اليها في شعبان وقرر أمورها ثم عادالى جهة غابة ارسوف وأقام مدة ثم عادالى الديار المصرية (وفيها)توفي ركن الدين اباجى الحاجب(ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمائة)

ذكر فتوح صهيون

كان السلطان قد جهز عسكرا كثيفا مع نائب سلطنته حسام الدين طرنطاى بمن معه من العساكر المصرية والشامية في هذة السنة الى قلعة صهيون ونصب عليها المجانيق وضايقها بالحصار فأجابه صاحبها الامير شمس الدين سنقر الاشقر الى تسليمها بالامان وحلف له حسام الدين طرنطاى فنزل سنقر الاشقر اليه وسلم صهيون في ربيع الاول من هذه السنة فتسلمها طرنطاى وأكرم سنقر الاشقر المذكور غاية الاكرام ثم سار حسام الدين طرنطاى الى اللاذقية وكان بها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع جهاته فركب طريقاً اليه في البحر بالحجارة وحاصر البرج المذكور وتسلمه بالامان وهدمه ثم بعد ذلك توجه الى الديار المصرية وصحبته سنقر الاشقر فلما وصلا الى قرب قلعة الجبل ركب السلطان الملك المنصور قلاوون والتقى مملوكه حسام الدين طرنطاى وسنقر الاشقر وأكرمه ووفي له بالامان وبقي سنقر الاشقر مكرما محترما مع السلطان الى ان توفي السلطان وملك بعده ولده الملك الاشرف فكان من أمره ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) نزل تدان منكو بن طغان بن باطو بن دوش خان بن جنكزخان عن مملكة التتر بالبلاد الشمالية وأظهر التزهد والانقطاع الى الصلحاء وأشار الى ان يملكوا ابن أخيه تلابغا بن منكوتمر بن طغان المذكور فملك بعده تلابغا ابن المذكور (وفيها) أرسل السلطان الملك المنصور عسكرا مع علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط متولى القاهرة الى النوبة فساروا اليها وغزوا وغنموا وعادوا (وفيها) توفي بدر الدين تليك الايدمرى (ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة) فيها توفي الملك الصالح علاء الدين على ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون وهو الذى جعله ولى عهده وسلطنه في حياته فوجد عليه السلطان والده وجدا عظيما وكان مرضه بالدوسنطريا وخلف الملك الصالح المذكور ولدا اسمه موسى بن على (ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة)

ذكر

ذكر فتوح طرابلس

(في هذه السنة) في أول ربيع الآخر فتحت طرابلس الشام وصورة ماجرى ان السلطان الملك المنصور خرج بالعساكر المصرية في المحرم من هذه السنة وسار الى الشام ثم سار بالعساكر المصرية والشامية ونازل مدينة طرابلس الشام يوم الجمعة مستهل ربيع الاول من هذه السنة ويحيط البحر بغالب هذه المدينة وليس عليها قتال في البر الا من جهة الشرقى وهو مقدار قليل ولما نازلها السلطان نصب عليها عدة كثيرة من المجانيق الكبار والصغار ولازمها بالحصار واشتد عليها القتال حتى فتحها يوم الثلاث رابع ربيع الآخر من هذه السنة بالسيف ودخلها العسكر عنوة فهرب أهلها الى المينا فنجى أقلهم في المراكب وقتل غالب رجالها وسبيت ذراريهم وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة وحصار طرابلس هو أيضاً مما شاهدته وكنت حاضرا فيه مع والدى الملك الافضل وابن عمى الملك المظفر صاحب حماة ولما فرغ المسلمون من قتل أهل طرابلس ونهبهم أمر السلطان فهدمت ودكت الى الارض وكان في البحر قريباً من طرابلس جزيرة وفيها كنيسة تسمى كنيسة سنطماس وبينها وبين طرابلس المينا فلما أخذت طرابلس هرب الى الجزيرة المذكورة والى الكنيسة التى فيها عالم عظيم من الفرنج والنساء فاقتحم العسكر الاسلامى البحر وعبروا بخيولهم سباحة الى الجزيرة المذكورة فقتلوا جميع من فيها من الرجال وغنموا مابها من النساء والصغار وهذه الجزيرة بعد فراغ الناس من النهب عبرت اليها في مركب فوجدتها ملأى من القتلى بحيث لايستطيع الانسان الوقوف فيها من نتن القتلى * ولما فرغ السلطان من فتح طرابلس وهدمها عاد الى الديار المصرية وأعطى صاحب حماة الدستور فعاد الى بلده وكان الفرنج قد استولوا على طرابلس في سنة ثلاث وخمسمائة في حادى عشر ذى الحجة فبقيت بأيديهم الى أوائل هذه السنة أعنى سنة ثمان وثمانين وستمائة فيكون مدة لبثها مع الفرنج نحو مائه سنة وخمس وثمانين سنة وشهور (وفيها) مات قتلاى خان بن طلو بن جنكزخان ملك التتر بالصين وهو أعظم الخانات والحاكم على كرسى مملكة جنكزخان وكان قد طالت مدته ولما مات قتلاى خان جلس بعده ولده شهون (ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة)

ذكر وفاة السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى

(في هذه السنة) في سادس ذى القعدة توفي الملك المنصور المذكور وصورة وفاته انه خرج من الديار المصرية بالعساكر المتوافرة على عزم غزو عكا وفتحها وبرز الى مسجد التبرز فابتدأ مرضه في العشر الاخير من شوال بعد نزوله بالدهليز في المكان المذكور وأخذ مرضه بتزايد حتى توفي يوم السبت سادس ذى القعدة بالدهليز وكان جلوسه في

الملك يوم الاحد الثاني والعشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة فيكون مدة ملكه نحو احدى عشر سنة وثلاثة أشهر وأياما وخلف ولدين هما الملك الاشرف صلاح الدين خليل والسلطان الاعظم الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد وكان السلطان الملك المنصور المشار اليه ملكا مهيباً حليماً قليل سفك الدماء كثير العفو شجاعاً فتح الفتوحات الجليلة مثل المرقب وطرابلس التي لم يجسر أحد من الملوك مثل صلاح الدين وغيره على التعرض اليهما لحصانتهما وكسر جيش التتر على حمص وكانوا في جمع عظيم لم يطرق الشام قبله مثله ولا يحتمل هذا المختصر ذكر فضائله رحمه الله تعالى ورضي عنه

ذكر سلطنة ولده الملك الاشرف

ولما توفي السلطان جلس في الملك بعده ولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور قلاوون المذكور وكان جلوسه في سابع ذي القعدة من هذه السنة صبيحة اليوم الذي توفي فيه والده ولما استقر السلطان الملك الاشرف في المملكة قبض على حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة في يوم الجمعة ثاني عشر ذي القعدة فكان آخر العهد به وفوض نيابة السلطنة الى بدر الدين بيدرا والوزارة الى شمس الدين محمد بن السلعوس (ثم دخلت سنة تسعين وستمائة)

ذكر فتوح عكا

(في هذه السنة) في جمادى الآخرة فتحت عكا وسبب ذلك ان السلطان الملك الاشرف سار بالعساكر المصرية الى عكا وأرسل الى العساكر الشامية وأمرهم بالحضور وان يحضروا صحبتهم المجانيق فتوجه الملك المظفر صاحب حماة وعمه الملك الافضل وسائر عسكر حماة صحبته الى حصن الاكراد وتسلمنا منه منجنيقاً عظيماً يسمى المنصوري حمل مائة عجلة ففرقت في العسكر الحموي وكان المسلم الي منه عجلة واحدة لاني كنت اذ ذاك أمير عشرة وكان مسيرنا بالعجل في أواخر فصل الشتاء فاتفق وقوع الامطار والثلوج علينا بين حصن الاكراد ودمشق فقاسينا من ذلك بسبب جر العجل وضعف البقر وموتها بسبب البرد شدة عظيمة وسرنا بسبب العجل من حصن الاكراد الى عكا شهرا وذلك مسير نحو ثمانية أيام للخيل على العادة وكذلك أمر السلطان الملك الاشرف بجر المجانيق الكبار والصغار مالم يجتمع على غيرها وكان نزول العساكر الاسلامية عليها في أوائل جمادى الاولى من هذه السنة واشتد عليها القتال ولم يغلق الفرنج غالب أبوابها بل كانت مفتحة وهم يقاتلون فيها وكانت منزلة الحمويين برأس الميمنة على عادتهم فكنا على جانب البحر والبحر عن يميننا اذا واجهنا عكا وكان يحضر الينا

مراكب مقبية بالخشب الملبس جلود الجواميس وكانوا يرموننا بالنشاب والجروح وكان القتال من قدامنا من جهة المدينة ومن جهة يميننا من البحر وأحضروا بطسة فيها منجنيق يرمى علينا وعلى خيمنا من جهة البحر فكنا منه في شدة حتى اتفق في بعض الليالى هبوب رياح قوية فارتفع المركب وانحط بسبب الموج وانكسر المنجنيق الذى فيه بحيث انه انحطم ولم ينصب بعد ذلك وخرج الفرنج في اثناء مدة الحصار بالليل وكبسوا العسكر وهزموا اليزكية واتصلوا الى الخيام وتعلقوا بالاطناب ووقع منهم فارس في جوة مستراح بعض الامراء فقتل هناك وتكاثرت عليهم العساكر فولى الفرنج منهزمين الى البلد وقتل عسكر حماة عدة منهم فلما أصبح الصباح علق الملك المظفر صاحب حماة عدة من رؤس الفرنج في رقاب خيلهم التى كسبها العسكر منهم وأحضر ذلك الى السلطان الملك الاشرف واشتدت مضايقة العسكر لعكا حتى فتحها الله تعالى لهم في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة بالسيف ولما هجمها المسلمون هرب جماعة من أهلها في المراكب وكان في داخل البلد عدة أبرجة عاصية بمنزلة قلاع دخلها عالم عظيم من الفرنج وتحصنوا بها وقتل المسلمون وغنموا من عكا شيأ يفوت الحصر من كثرته ثم استنزل السلطان جميع من عصى بالابرجة ولم يتأخر منهم أحد فأمر بهم فضربت أعناقهم عن آخرهم حول عكا ثم أمر بمدينة عكا فهدمت الى الارض ودكت دكا * ومن عجائب الاتفاق ان الفرنج استولوا على عكا وأخذوها من صلاح الدين ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا على من بها من المسلمين ثم قتلوهم فقدر الله عز وجل في سابق علمه انها تفتح في هذه السنة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة على يد السلطان الملك الاشرف صلاح الدين فكان فتوحها مثل اليوم الذى ملكها الفرنج فيه وكذلك لقب السلطانين

ذكر فتوح عدة حصون ومدن

لما فتحت عكا ألقى الله تعالى الرعب في قلوب الفرنج الذين بساحل الشام فاخلوا صيدا وبيروت وتسلمها الشجاعى في أواخر رجب وكذلك هرب أهل مدينة صور فأرسل السلطان وتسلمها ثم تسلم عثليث في مستهل شعبان ثم تسلم انطرطوس في خامس شعبان جميع ذلك في هذه السنة أعنى سنة تسعين وستمائة واتفق لهذا السلطان من السعادة مالم يتفق لغيره من فتح هذه البلاد العظيمة الحصينة بغير قتال ولا تعب وأمر بها فخربت عن آخرها وتكاملت بهذه الفتوحات جميع البلاد الساحلية للاسلام وكان أمرا لايطمع فيه ولا يرام وتطهر الشام والسواحل من الفرنج بعد ان كانوا قد أشرفوا على أخذ الديار المصرية وعلى ملك دمشق وغيرها من الشام فلله الحمد والمنة على ذلك ولما تكاملت هذه

الفتوحات العظيمة رحل السلطان الملك الاشرف ودخل دمشق وأقام مدة ثم عاد الى الديار المصرية ودخلهافي هذه السنة ﴿ وفيها ﴾ لما كان السلطان محاصرا لعكا سعى علم الدين سنجر الحموى المعروف بأبى خرص بين السلطان و بين حسام الدين نائب السلطنة بدمشق فخاف حسام الدين لاجين وقصد أن يهرب وعلم به السلطان فقبض عليه وعلى أبى خرض وقيدهما وأرسلهما فحبسا (وفيها) ولى السلطان علم الدين سنجر الشجاعى نيابة السلطنة بالشام موضع حسام الدين لاجين ﴿ وفيها ﴾ في ربيع الاول مات أرغون ملك التتر ابن ابغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان وكانت مدة مملكته نحو سبع سنين ولما مات ملك بعده أخوه كيختو بن ابغا وخلف أرغون ولدين هما قازان وخربندا وكانا بخراسان ولما تولى كيختو فحش في الفسق واللواط بابناء المغل فابغضوه على ذلك وفسدت نياتهم فيه ﴿ وفيها ﴾ قتل تلابغا بن منكو تمر بن طغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكزخان وقد تقدم ذكر ملكه في سنة ست وثمانين وستمائة قتله نغية وجلس بعده في الملك طقطغا بن منكو تمر بن طغان أخو تلابغا المذكور ورتب نغية اخوة طقطغا معه وهم برلك وصراى بغا وتدان (وفي أوائل هذه السنة) أعنى سنة تسعين تكملت عمارة قلعة حلب وكان قد شرع قرا سنقر في عمارتها في أيام السلطان الملك المنصور فتمت في أيام الملك الاشرف فكتب عليها اسمه وكان قد خربها هولاكو لما استولى على حلب في سنة ثمان وخمسين وستمائة فكان لبثها على التخريب نحو ثلاث وثلاثين سنة بالتقريب ﴿ ثم دخلت سنة احدى وتسعين وستمائة ﴾

﴿ ذكر فتوح قلعة الروم ﴾

(في هذه السنة) سار السلطان الملك الاشرف من مصر الى الشام وجمع عساكره المصرية والشامية وسار الملك المظفر محمود وعمه الملك الافضل الى خدمته والتقياه بدمشق وسارا في خدمته وسبقاه الى حماة فاهتم الملك المظفر صاحب حماة في أمر الضيافة والاقامة والتقدمة ووصل السلطان الى حماة وضرب دهليزه في شمالها عند ساقية سلمية ومد له الملك المظفر سماطا عظيما بالميدان ونصب خيما تليق بنزول السلطان فنزل السلطان الملك الاشرف بالميدان وبسط بين يدى فرسه عدة كثيرة من الشقق الفاخرة ثم دخل السلطان الى دار الملك المظفر بحماة فبسط الملك المظفر بين يدى فرسه بسطا ثانيا وقعد السلطان بالدار ثم دخل الحمام وخرج وجلس على جانب العاصى ثم راح الى الطيارة التى على سور باب النقفى المعروفة بالطيارة الحمراء فقعد فيها ثم توجه من حماة وصاحب حماة وعمه في خدمته الى المشهد ثم الى الحمام والزرقا بالبرية فصاد شيئاً كثيرا من الغزلان وحمير الوحش وأما العساكر فسارت على السكة الى حلب ثم فصل السلطان الى حلب وتوجه منها الى قلعة

الروم ونازلها في العشر الاول من جمادى الآخرة من هذه السنة وهي حصن على جانب الفرات في غاية الحصانة ونصب عليه المجانيق وهذا الحصار أيضاً من جملة الحصارات التى شاهدتها وكانت منزلة الحمويين على رأس الجبل المطل على القلعة من شرقها فكنا نشاهد أحوال أهلها في مشيهم وسعيهم في القتال وغير ذلك واشتدت مضايقتها ودام حصارها وفتحت بالسيف في يوم السبت حادى عشر رجب من هذه السنة وقتل أهلها ونهب ذراريهم واعتصم كيناغيلوس خليفة الارمن المقيم بها في القلة وكذلك اجتمع بها من هرب من القلعة وكان منجنيق الحمويين على رأس الجبل المطل على القلة فتقدم مرسوم السلطان الى صاحب حماة أن يرمى عليهم بالمنجنيق فلما وترناه لنرمي عليهم طلبوا الامان من السلطان فلم يؤمنهم الاعلى أرواحهم خاصة وأن يكونوا اسرى فأجابوا الى ذلك وأخذ كيناغيلوس وجميع من كان بقلة القلعة اسرى عن آخرهم ورتب السلطان علم الدين سنجر الشجاعى لتحصين القلعة واصلاح ماخرب منها وجردمعه لذلك جماعة من العسكر وأقام الشجاعى وعمرها وحصنها الي الغاية القصوى ورجع السلطان الى حلب ثم الي حماة وقام الملك المظفر بوظائف خدمته ثم توجه السلطان الى دمشق وأعطى الملك المظفر الدستور فأقام ببلده وسار السلطان الى دمشق وصام بها رمضان وعيد بها ثم سار الى الديار المصرية

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(وفيها) هرب حسام الدين لاجين الذى كان نائبا بالشام من دمشق لما وصل السلطان الى دمشق عائدا من قلعة الروم وكان حسام الدين المذكور قد اعتقله السلطان وهو نازل على حصار عكا ثم أفرج عنه في أوائل هذه السنة أعنى سنة احدى وتسعين وسار مع السلطان الى قلعة الروم وعاد معه الى دمشق فلما وصل اليها استوحش من السلطان وهرب منه الى جهة العرب فقبضوه وأحضروه الى السلطان فبعث به الى قلعة الجبل بديار مصر فحبس بها (وفيها) استناب السلطان بدمشق عز الدين أيبك الحموى وعزل علم الدين سنجر الشجاعى (وفيها) عند عود السلطان الى حلب من قلعة الروم عزل قرا سنقر المنصورى عن نيابة السلطنة بحلب واستصحبه معه وولى موضعه عن حلب سيف الدين بلبان المعروف بالطباخي وكان المذكور نائباً بالفتوحات وكان مقامه بحصن الاكراد فعزله وولاه موضع قرا سنقر في نيابة السلطنة بحلب وولي الفتوحات والحصون طغريل الايغانى موضع الطباخي ثم عزله بعد مدة وولى موضعه عز الدين أيبك الخزندار المنصورى (وفيها) بعد وصول السلطان الى مصر قبض على شمس الدين سنقر الاشقر وجرمك وكان قد قبض على طقصو بدمشق وكان آخر العهد بهم ﴿ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وستمائة﴾

ذكر احضار صاحب حماة وعمه على البريد الى مصر ثم مسيرهما من مصر مع السلطان الملك الاشرف الى الشام والقبض على أولاد عيسى

﴿وفي هذه السنة﴾ في جمادى الاولى أرسل السلطان الملك الاشرف أحضر الملك المظفر محمود صاحب حماة وعمه الملك الافضل على على البريد الى الديار المصرية فتوجها من حماة وعندهما الخوف بسبب طلبهما على البريد ووصلا الى قلعة الجبل في اليوم الثامن من خروجهما من حماة فحال وصولهما شملتهما صدقات السلطان وأمرهما فأدخلا الحمام بقلعة الجبل وأنعم عليهما بملبوس يليق بهما وأقاما في الخدمة أياما ثم خرج السلطان على الهجن الى جهة الكرك وسارت العساكر على الطريق الى دمشق وأركب صاحب حماة وعمه الهجن صحبته لانهما حضرا الى مصر على البريد ولم يكن معهما خيل ولا غلمان فرسم السلطان لهما بما يليق بهما من الهجن والغلمان ورتب لهما المأكول والمشروب وما يحتاجان اليه وسارا في خدمته الى الكرك ولاقتهما تقادمهما الى بركة زيزا فقدماها وقبلها السلطان وأنعم عليهما وسار السلطان ودخل دمشق ثم سار السلطان من دمشق على البرية متصيدا ووصل الى الفرقلس وهو جفار في طرف بلد حمص من الشرق ونزل عليه وحضر الى الخدمة هناك مهنا بن عيسى أمير العرب وأخواه محمد وفضل وولده موسى ابن مهنا فقبض السلطان على الجميع وأرسلهم الى مصر فحبسوا في قلعة الجبل ووصل السلطان الى القصب وأعطى صاحب حماة الدستور فحضر الى بلده وأما عمه الملك الافضل فانه كان قد حصل له تشويش لما كان السلطان بخيجل وما حواليها فأعطاه السلطان الدستور وأرسل والدى الملك الافضل المذكور تقدمة ثانية معي الى السلطان ولم يقدر والدى على الحضور بسبب مرضه فأحضرت التقدمة الى السلطان الملك الاشرف وهو نازل على القصب فقبلها وارتحل وعاد الى مصر فوصل اليها في رجب من هذه السنة

(ذكر مسير العساكر الى حلب)

(وفي هذه السنة) بعد وصول السلطان الى مصر كان قد أخر بعض العسكر المصرى على حمص فتقدم اليهم والى صاحب حماة وعمه الملك الافضل بالمسير الى حلب والمقام بها لما في ذلك من ارهاب العدو فسارت العساكر اليها وخرج الملك المظفر محمود صاحب حماة وعمه الملك الافضل معهم من حماة يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان هذه السنة ودخلوا حلب يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شعبان الموافق لرابع شهر آب وأقاموا بها

ذكر

(ذكر مسير الملك الافضل الى دمشق ووفاته بها)

(وفي هذه السنة) في ذى القعدة سار والدى الملك الافضل نور الدين على ابن الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب من حلب الى دمشق وتوفي بها في أوائل ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة اثنتين وتسعين وستمائة وكان مولده في أواخر سنة خمس وثلاثين وستمائة وكان سبب مسير الملك الافضل الى دمشق انه لما كان هو والملك المظفر في صحبة السلطان لما سار من مصر الى الكرك في أوائل هذه السنة حسبما ذكرناه صار السلطان ينفرد للصيد بفهوده ولا يستصحب معه الا البعض من يختاره من الخاصكية ووالدى الملك الافضل المذكور خاصة دون ابن أخيه صاحب حماة وأعجب السلطان حديث الملك الافضل المذكور وخبرته بأمر الفهود والصيد فقال السلطان في تلك الايام للملك الافضل المذكور ياعلاء الدين ماتحضر الى ديار مصر في أيام الصيد لتكون معي في صيودى فقد حصل الانس بك فقبل الملك الافضل الارض ودعى للسلطان على تأهيله لذلك فلما سار الملك المظفر محمود صاحب حماة وعمه الملك الافضل الى حلب وأقاما بها من سلخ شعبان الى أوائل ذى القعدة ودخل تشرين وآن وقت الصيد وصل مرسوم السلطان الى والدى الملك الافضل يطلبه الى الابواب الشريفة بالديار المصرية فسار الملك الافضل من حلب في ذى القعدة ولم يستصحب أحدا من أولاده معه وكنا ثلاثة مجردين مع ابن عمنا الملك المظفر صاحب حماة وتوجه والدنا بمفرده فمرض في أثناء الطريق ووصل الى دمشق وقد اشتد به المرض وفصد فضعفت قوته واشتد المرض به حتى توفي ونقل الى حماة ودفن بها ووصلنا الخبر ونحن بحلب فعملنا عزاه واشتمل الملك المظفر علينا وأحسن الينا

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) أفرج السلطان الملك الاشرف عن بدر الدين البيسرى وكان له في الاعتقال نحو ثلاث عشرة سنة (وفيها) أفرج عن حسام الدين لاجين المنصورى الذى كان نائباً بالشام (وفيها) أعطيت العساكر الدستور فعدنا الى حماة أعطانى الملك المظفر ابن عمي أمرة طبلخاناه وأربعين فارسا (ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة)

(ذكر مقتل السلطان الملك الاشرف)

(وفي هذه السنة) في أوائل المحرم قتل السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون وسبب ذلك انه سار من قلعة الجبل الى الصيد ووصل الى تروجه ونصب الدهليز عليها وركب في نفر يسير من خواصه

للصيد فقصده مماليك والده وهم بيدرا نائب السلطنة ولاجين الذى كان عزله السلطان عن نيابة السلطنة بدمشق واعتقله مرة بعد أخرى وقرا سنقر الذى عزله عن نيابة السلطنة بحلب وانضم اليهم بهادر رأس النوبة وجماعة من الامراء ولما قاربوا السلطان أرسل اليهم أميرا يقال له كرت أميراخور ليكشف خبرهم فحال وصوله اليهم أمسكوه ولم يمكنوه من العود الى السلطان وقاربوا السلطان وكان بينهم مخاضة فخاضوها ووصلوا اليه فأول من ضربه بالسيف بيدرا ثم لاجين حتى فارق وتركوه مرميا على الارض فحمله ايدمر الفخرى والى تروجه الى القاهرة فدفن في تربته رحمه الله تعالى ولا جرم ان الله تعالى انتقم من قاتليه المذكورين معجلا ومؤجلا على ماسنذكره

(ذكر مقتل بيدرا)

ولما قتل السلطان على ماذكرناه اتفق الجماعة الذين قتلوه على سلطنة بيدرا وتلقب بالملك القاهر وسار نحو قلعة الجبل ليملكها واجتمعت مماليك السلطان الملك الاشرف وانضموا الى زين الدين كتبغا المنصورى وساروا في أثر بيدرا ومن معه فلحقوهم على الطرانة في خامس عشر المحرم من هذه السنة واقتتلوا وانهزم بيدرا وأصحابه وتفرقوا في الاقطار وتبعوا بيدرا وقتلوه ورفعوا رأسه على رمح واستتر لاجين وقرا سنقر ولم يطلع لهما على خبر

(ذكر سلطنة مولانا السلطان الاعظم الملك الناصر)

ولما جرى ماجرى من قتل السلطان الملك الاشرف ثم قتل بيدرا ووصول زين الدين كتبغا والمماليك السلطانية الى قلعة الجبل وبها علم الدين سنجر الشجاعى نائباً اتفقوا على سلطنة مولانا السلطان الاعظم الملك الناصر ولد مولانا السلطان الملك المنصور فاجلسوه على سرير السلطنة في باقى العشر الاوسط من المحرم من هذه السنة وتقرر أن يكون الامير زين الدين كتبغا المنصورى نائب السلطنة وعلم الدين سنجر الشجاعى وزيرا وركن الدين بيبرس البرجى الجاشنكير أستاذ الدار وتتبعوا الامراء الذين اتفقوا مع بيدرا على ذلك فظفروا أولا ببهادر رأس النوبة وأقوش الموصلى الحاجب فضربت رقابهما وأحرقت جثتهما ثم ظفروا بطرنطاى الساقى والناق ونغية واروس السلحدارية ومحمد خواجا والطنبغا الجمدار واقسنقر الحسامى فاعتقلوا بخزانة البنود أياما ثم قطعت أيديهم وأرجلهم وصلبوا على الجمال وطيف بهم وأيديهم معلقة في أعناقهم جزاء بما كسبوا ثم وقع قجقار الساقى فشنق

(ذكر القبض على الوزير ابن السلعوس وقتله)

(وفي هذه السنة) اتفق زين الدين كتبغا والشجاعي على القبض على شمس الدين محمد بن السلعوس وزير السلطان الملك الاشرف فقبضا عليه وتولاه الشجاعي فعاقبه واستصفى ماله وقتله وكان ابن السلعوس المذكور قد بلغ عند السلطان منزلة عظيمة وتمكن في الدولة وصارت الامور كلها معذوقة به وكان لابن السلعوس المذكور أقارب وأهل بدمشق فلما صار في هذه المنزلة أرسل وأحضر أقاربه من دمشق الى عنده بالديار المصرية فحضروا الا شخصا منهم فانه استمر مقيما بدمشق وكتب الى ابن السلعوس

تنبه ياوزير الارض واعلم   بانك قد وطئت على الافاعي
وكن بالله معتصما فانى   أخاف عليك من نهش الشجاعي

(ذكر قتل الشجاعي)

وفي صفر من هذه السنة حصلت الوحشة بين الامير زين الدين كتبغا نائب السلطنة وبين علم الدين سنجر الشجاعي الوزير وصار مع كل منهما جماعة من الامراء ولما جرى ذلك نزل كتبغا ومن معه من القلعة واستمر الشجاعي وأصحابه بها وحصره كتبغا وغلب عليه وقتل الشجاعي المذكور وقطع رأسه وطيف به في البلد (وفيها) ظهر حسام الدين لاجين وشمس الدين قرا سنقر من الاستتار وأخذ لهما خوشداشهما الامير زين الدين كتبغا الامان من السلطان وقرر لهما الاقطاعات الجليلة وأعز جانبهما (ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة)

(ذكر استيلاء زين الدين كتبغا على المملكة)

(في هذه السنة) في يوم الاربعاء تاسع المحرم جلس الامير زين الدين كتبغا المنصوري على سرير المملكة ولقب نفسه الملك العادل زين الدين كتبغا واستحلف الناس على ذلك وخطب له بمصر والشام ونقشت السكة باسمه وجعل مولانا السلطان الملك الناصر في قاعة بقلعة الجبل وحجب عنه الناس ولما تملك زين الدين كتبغا المذكور جعل نائبه في السلطنة حسام الدين لاجين الذى كان مستترا بسبب قتل السلطان الملك الاشرف على ماتقدم ذكره واستقر الحال على ذلك

(ذكر قتل كيختو ملك التتر وملك بيدو)

﴿ في هذه السنة ﴾ في ربيع الآخر قتل كيختو بن ابغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان وسبب ذلك انه لما أفحش كيختو المذكور بالفسق في أبناء المغل شكوا ذلك الى ابن عمه بيدو بن طرغية بن هولاكو فاتفق معهم على قتل كيختو المذكور

وقصدوا كبسه وقتله فعلم كيختو وهرب فتبعوه ولحقوه بسلاسلار من أعمال موغان وقتلوه بها في الشهر المذكور * ولما قتل كيختو ملك بعده ابن عمه بيدو بن طرغية ابن هولاكو المذكور وجلس على سرير الملك في جمادى الاولى من هذه السنة وكان قازان بخراسان * فلما بلغه ملك بيدو جمع من أطاعه من المغل وأهل تلك البلاد وسار الى قتال بيدو ولما بلغ بيدو مسير قازان اليه جمع وسار الى جهة قازان وكان مع قازان اتابكه نيروز وهو الذى جمع الناس على طاعة قازان فلما تقارب الجمعان علم قازان انه لاطاقة له ببيدو فراسله واصطلحا وعاد قازان الى خراسان وأمر بيدوان يقيم نيروز عنده خوفا من أن يجمع العسكر على قازان مرة ثانية فرجع قازان الى خراسان وأقام نيروز عند بيدو وأخذ نيروز في استمالة المغل الى قازان وافسادهم على بيدو في الباطن

ذكر مقتل بيدو وتملك قازان

ولما استوثق نيروز من المغل في الباطن كتب الى قازان بخراسان وأمره بالحركة فتحرك قازان وبلغ بيدو ذلك فتحدث مع نيروز في ذلك فقال نيروز لبيدو ارسلني الى قازان لافرق جمعه وأرسله اليك مربوطا فاستحلف بيدو نيروز على ذلك وأرسله فسار نيروز الى قازان وأعلمه بمن معه من المغل وعمد نيروز الى قدر فوضعها في جولق وربطه وأرسل بذلك الى بيدو وقال وفيت بيميني حيث ربطت قازان وبعثته اليك وقازان اسم القدر بالتترى فلما بلغ بيدو ذلك جمع عساكره وسار الى جهة قازان والتقى الجمعان بنواحى همذان فخامر أصحاب بيدو عليه وصاروا مع قازان فولى بيدو هاربا وتبعه عسكر قازان فأدركوه عن قريب بنواحى همذان وقتلوه في ذى الحجة من هذه السنة فكانت مدة مملكة بيدو نحو ثمانية أشهر * ولما قتل استقر قازان ابن أرغون ابن ابغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان في المملكة في ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة أربع وتسعين وستمائة بعد مقتل بيدو ولما استقر قازان في المملكة جعل نيروز نائب مملكة ورتب أخاه خربند بن أرغون بخراسان

ذكر أخبار ملوك اليمن ووفاة صاحبها

(وفي هذه السنة) توفي صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن الملك المنصور عمر بن على بن رسول بقلعة تعز * وقد تقدم ذكر ملكه اليمن بعد قتل أبيه في سنة ثمان وأربعين وستمائة فكانت مدة ملكه نحو سبع وأربعين سنة وخلف عدة من الاولاد الذكور فملك بعده ولده الاكبر الملك الاشرف عمر بن يوسف وكان أخو عمر المذكور الملك المؤيد داود بالشحر عند موت والده لان أباه كان قد أعطى داود المذكور الشحر وأبعده اليها فلما مات والده وملك أخوه الملك الاشرف تحرك

الملك المؤيد داود المذكور وسار الى عدن واستولى عليها فارسل أخوه الملك الاشرف عسكرا واقتتلوا مع الملك المؤيد داود المذكور فانتصروا عليه وأخذوه أسيرا واحضروه الي الملك الاشرف فقيده واعتقله وكان عمر الملك الاشرف لما تملك نحو سبعين سنة وأقام في الملك عشرين شهرا وتوفي والملك المؤيد داود في الاعتقال مقيدا فاتفق كبراء الدولة في ذلك الوقت وأخرجوه من الحبس وملكوا الملك المؤيد داود بن يوسف المذكور واستمر مالكا لليمن الى يومنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وسبعمائة

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) أرسل الملك العادل زين الدين كتبغا وقبض على خشداشه عز الدين أيبك الخزندار وعزله عن الحصون والسواحل بالشام ثم أفرج عنه واستناب موضعه عز الدين أيبك الموصلي (وفيها) قصر النيل تقصيرا عظيما وتبعه غلاء وأعقبه وباء وفناء عظيم (وفيها) في أوائل هذه السنة لما جلس في السلطنة زين الدين كتبغا أفرج عن مهنا بن عيسى واخوته وأعادهم الى منزلتهم (ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة) في هذه السنة قدم من التتر نحو عشرة آلاف انسان وافدين الى الاسلام خوفا من قازان وكان مقدمهم يقال له طرغية من أكبر أمراء المغل كان مزوجاً ببنت منكوتمر بن هولاكو الذى انكسر جيشه على حمص ويقال لهذه الطائفة الوافدين العويراتيه وكان سبب قدومهم ان مقدمهم طرغية هو الذى اتفق مع بيدو على قتل كيختو بن ابغا فلما ملك قازان قصد الامساك على طرغية وقتله أخذا بثار عمه كيختو فهرب طرغية وجماعته المذكورون بسبب ذلك ولما قدموا الى الاسلام أرسل الملك العادل كتبغا أمير القائهم وأكرمهم وأنزلهم بالساحل قريب قاقون وادر عليهم الارزاق وأحضر كبرائهم عنده الى الديار المصرية وأعطاهم الاقطاعات الجليلة وواصلهم بالخلع وقدمهم على غيرهم (وفيها) في شوال خرج الملك العادل كتبغا من الديار المصرية وسار الى الشام ووصل الى دمشق وحضر اليه بدمشق الملك المظفر محمود صاحب حماة ثم سار الملك العادل من دمشق الى جهة حمص وسار على البرية متصيداً ووصل الى حمص وقدم الى جوسيه وهي قرية على درب بعلبك من حمص وكانت خراباً فاشتراها وعمرها فوصل اليها ورآها ثم عاد الى دمشق وأعطى صاحب حماة الدستور فعاد الى بلده ولما استقر العادل بدمشق عزل عز الدين أيبك الحموى عن نيابة السلطنة بالشام وولى موضعه سيف الدين غرلو مملوك الملك العادل كتبغا المذكور وخرجت هذه السنة والملك العادل بدمشق (ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة)

﴿ذكر مسير العادل كتبغا من دمشق وخلعه واستيلاء لاجين على السلطنة﴾

لما دخلت هذه السنة سار العادل كتبغا المنصور في أوائل المحرم من دمشق بالعساكر متوجها الى مصر فلما وصل الى نهر العوجا واستقر بدهليزه وتفرقت مماليكه وغيرهم الى خيامهم ركب حسام الدين لاجين المنصوري نائب الملك العادل كتبغا المذكور بسنجق ونقاره وانضم الى لاجين المذكور بدر الدين البيسري وقرا سنقر المنصوري وسيف الدين قبجاق المنصوري والحاج بهادر الظاهري وغيرهم من الامراء المتفقين مع حسام الدين لاجين وقصدوا الملك العادل وبغتوه عند الظهر في دهليزه بالمنزلة المذكورة فلم يلحق أن يجمع أصحابه وركب في نفر قليل فحمل عليه نائبه لاجين المذكور وقتل بكتوت الازرق وبتخاص وكانا أكبر مماليك العادل فولى العادل كتبغا المذكور هاربا راجعا الى دمشق لانه فيها مملوكه غرلو ووصل الى دمشق فركب مملوكه غرلو والتقاه ودخل الى قلعة دمشق واهتم في جمع العسكر والتأهب لقتال لاجين فلم يوافقه عسكر دمشق على ذلك ورأى منهم التخاذل فخلع نفسه عن السلطنة وقعد بقلعة دمشق وأرسل الى حسام الدين لاجين يطلب منه الامان وموضعا يأوي اليه فأعطاه صرخد فسار العادل كتبغا المذكور اليها واستقر فيها الى ان كان منه ما سنذكره ان شاء الله تعالى وأما حسام الدين لاجين فانه لما هزم العادل كتبغا على ماذكرناه نزل بدهليزه على نهر العوجا واجتمع معه الامراء الذين وافقوه على ذلك وشرطوا عليه شروطا فالتزمها منها أن لاينفرد عنهم برأي ولا يسلط مماليكه عليهم كما فعل بهم كتبغا فأجابهم لاجين الى ذلك وحلف لهم عليه فعند ذلك حلفوا له وبايعوه بالسلطنة ولقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري وذلك في شهر المحرم من هذه السنة أعني سنة ست وتسعين وستمائة ثم رحل بالعساكر الى الديار المصرية ووصل اليها واستقر بقلعة الجبل ولما استقر بمصر أعطى للعادل كتبغا صرخد وأرسل الى دمشق سيف الدين قبجق المنصوري وجعله نائب السلطنة بالشام

ذكر غير ذلك من الحوادث

(وفي هذه السنة) أرسل حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور مولانا السلطان الملك الناصر من القاعة التي كان فيها بقلعة الجبل الى الكرك وسار معه سلار فأوصله اليها ثم عاد سلار الى حسام الدين لاجين (وفيها) أفرج الملك المنصور لاجين عن بيبرس الجاشنكير وعن عدة أمراء كان العادل كتبغا قد قبض عليهم وسجنهم في أيام سلطنته (وفيها) أعطى المنصور لاجين المذكور جماعة من مماليكه امرة طبلخاناه مثل منكوتمر وايدغدي شقير وبهادر المعزي وغيرهم (ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمائة)

ذكر

(ذكر تجريد العساكر الى حلب ودخولهم الى بلاد سيس وعودهم الى حلب ثم دخولهم ثانيا وما فتحوه)

(في هذه السنة) جرد حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور جيشا كثيفا من الديار المصرية مع بدر الدين بكتاش الفخرى المعروف بأمير سلاح ومع علم الدين سنجر الدواداري ومع شمس الدين كريته ومع حسام الدين لاجين الرومي المعروف بالحسام استاذ دار فساروا الى الشام ورسم لاجين المذكور بمسير عساكر الشام فسار البكي الظاهري نائب السلطنة بصفد ثم بعد مدة سار سيف الدين قبجق نائب السلطنة بالشام وأقام قبنجق ببعض العسكر بحمص وسارت العساكر الى حلب وسار الملك المظفر محمود صاحب حماة بعسكره ووصل المذكورون الى حلب يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة وسابع نيسان ثم ساروا الى بلاد سيس فعبر صاحب حماة والدواداري ومن معهما من العساكر من دربندمري وعبر باقى العساكر من جهة بغراس من باب اسكندرونه واجتمعوا على نهر جيحان وشنوا الغارات على بلاد سيس في العشر الاوسط من رجب وكسبوا وغنموا وعادوا فخرجوا من دربند بغراس الى مرج انطاكية في الحادي والعشرين من رجب من هذه السنة الموافق لرابع ايار وسار صاحب حماة الملك المظفر الى جهة حماة حتى وصل الى قصطون فورد مرسوم لاجين بعود العساكر واجتماعهم بحلب ودخولهم الى بلاد سيس ثانيا وهذه الغزاة من الغزوات التى حضرتها وشاهدتها من أولها الى آخرها فعدنا الى حلب ووصلنا اليها في يوم الاحد الثامن والعشرين من رجب وأقمنا ثم رحلنا من حلب ثالث رمضان الى بلاد سيس ودخلنا من باب اسكندرونه ونزلنا على حموص يوم الجمعة تاسع رمضان من هذه السنة الموافق للعشرين من حزيران وأقام على حموص بدر الدين بكتاش أمير سلاح والملك المظفر صاحب حماة ومن انضم اليهما من عسكر دمشق مثل ركن الدين بيبرس العجمى المعروف بالجالق ومضافيه من عسكر دمشق وحاصرنا حموص وضايقناها وأما باقى العسكر فانهم نزلوا أسفل من حموص في الوطاة واستمر الحال على ذلك وقل الماء في حموص واشتد بهم العطش وكان قد اجتمع فيها من الارمن عالم عظيم ليعتصموا بها وكذلك اجتمع فيها من الدواب شئ كثير فهلك غالبهم بالعطش * ولما اشتد بهم الحال وهلكت النساء والاطفال أخرج أهل حموص في الخامس والعشرين من رمضان وهو سابع عشر يوما من نزولنا عليها من نسائهم نحو ألف ومائتين من النساء والصبيان فتقاسمهم العسكر وغنموهم فكان قسمي جاريتين ومملوكا وأصابنا ونحن نازلون على حموص في العشر الاوسط من شهر تموز ضباب قوى ومطر وحصل للملك المظفر وهو

نازل على حموص فقليل مرض ولم يكن صحبته طبيبه فاقتصر على ما كنت أصفه له وأعالجه به فشفاه الله تعالى وأعاد الى العافية وأنعم على وأحسن الى على جارى عادته وكانت خيمته المنصوبة على حموص خيمة ظاهرها أحمر قد عملها من أكسية مغربية وداخلها منقوش بالخام الرفيع المصبغ وكانت الامراء الذين لم ينازلوا حموص وهم مقيمون في الوطاة اذا عرض لهم مايقتضى المشاورة يطلعون الى الجبل ويجتمعون في خيمة الملك المظفر وبين يديه يتشاورون على مافيه المصلحة واستمر الحال على ذلك الى ان فتحت حموص وغيرها على ماسنذكره

ذكر فتوح حموص وغيرها من قلاع بلاد الارمن

ولما كان فتوح ذلك متوقفا على ملك دندين ابن ليفون احتجنا نذكر كيفية ملكه بلاد الارمن وتسليمه البلاد الى المسلمين فنقول انه تقدم في سنة أربع وستين وستمائة أسر ليفون بن هيتوم لما دخلت العساكر صحبة الملك المنصور صاحب حماة في أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى وتقدم كيفية خلاص ليفون وما افتداه أبوه هيتوم به حق عاد الى أبيه صاحب سيس ثم ان ليفون المذكور ملك بعد موت أبيه هيتوم وبقى في الملك مدة ثم مات ليفون المذكور وخلف عدة من الاولاد الذكور أكبرهم هيتوم ثم تروس ثم سنباط ثم دندين ثم اوشين * فلما مات ليفون ملك بعده ابنه الاكبر هيتوم بن ليفون بن هيتوم وبقى في الملك مدة فجمع أخوه سنباط جماعة ووثب على أخيه هيتوم المذكور وقبض عليه وسمله فعميت عين هيتوم الواحدة وسلمت له الاخرى واستمر في الحبس وكذلك قبض سنباط المذكور على أخيه تروس ثم قتله وخلف تروس المذكور ولدا صغيرا واستقر سنباط المذكور في الملك واتفق دخول العساكر الى بلاد سيس ومنازلة حموص في أيام مملكة سنباط فضاقت على الارمن البلاد بما رحبت وهلكوا من كثرة ماقتل وغنم منهم المسلمون فنسبوا ذلك الى سوء تدبير سنباط وعدم مصانعته للمسلمين فكرهوه واتفقوا على اقامة أخيه دندين بن ليفون في المملكة والقبض على سنباط واجتمع الارمن على دندين فاحس سنباط بذلك فهرب الى جهة قسطنطينية وتملك دندين ويقال له كسيندين أيضا فلما تملك دندين المذكور أرسل الى العساكر المقيمة في بلاد سيس على حموص وعلى غيرها وبذل لهم الطاعة والاجابة الى مايرسم به سلطان الاسلام وانه نائب السلطان بهذه البلاد فطلب منه العسكر أن يكون نهر جيحان حدا بين المسلمين والارمن وان يسلم كل ماهو جنوبى نهر جيحون من الحصون والبلاد فأجاب دندين المذكور الى ذلك وسلم جميع البلاد التى جنوبى نهر جيحان المذكور الى المسلمين فمنها حموص وتل حمدون وكويرا والنقير

وحجر

وحجر شغلان وسرفندكار ومرعش وهذه جميعها حصون منيعة ماترام وكذلك سلم غيرها من البلاد وكان تسليم حموص يوم الجمعة تاسع عشر شوال من هذه السنة أعنى سنة سبع وتسعين وستمائة ووافق ذلك ثامن شهر آب وسلمت تل حمدون بعدها ثم سلمت باقى الحصون والبلاد المذكورة وأمر حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور باستمرار عمارة هذه البلاد وكان ذلك رأيا فاسدا على ماسيظهر من عود هذه البلاد الى الارمن عند دخول قازان البلاد * ولما استقرت هذه البلاد للمسلمين جعل فيها حسام الدين لاجين بعض الامراء نائبا ثم عزله وولى عليها سيف الدين اسندمر نائباً وجرد معه عسكراوكان مقام أسندمر المذكور بتل حمدون وبعد تسليم تل حمدون رحل الملك المظفر محمود صاحب حماة عنها مستهل ذى القعدة من هذه السنة وسارت العساكر وخرجت من الدربند وسرنا جميعاً ودخلنا حلب يوم الاثنين تاسع ذى القعدة الموافق لعاشر آب من هذه السنة أعنى سنة سبع وتسعين وستمائة * فلما أقمنا بحلب ورد مرسوم حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور الى سيف الدين بلبان الطباخى بالقبض على جماعة من الامراء المجردين مع العسكر فعلموا بذلك وكان قبجق مقيماً بحمص مستشعراً خائفاً من لاجين المذكور فهرب من حلب فارس الدين البكى نائب السلطنة بصفد وكان من جملة العسكر المجردين على حلب وكذلك هرب بكتمر السلحدار وبورلار وعزاز ووصلوا الى حمص واتفقوا مع سيف الدين قبجق على العصيان

﴿ ذكر غير ذلك من الحوادث ﴾

في أوائل هذه السنة قبل تجريد العساكر الى سيس قبض حسام الدين لاجين على نائبه في السلطنة شمس الدين قرا سنقر واعتقله وولى نيابة السلطنة مملوكه منكوتمر الحسامى فاظهر منكوتمر المذكور من الحماقة والكبرياء ماغيربه خواطر العسكر عليه وعلى أستاذه وكذلك قبض لاجين المذكور على بدر الدين البيسرى وعلى عز الدين أيبك الحموى وعلى الحاج بهادر أمير حاجب وغيرهم من الامراء (وفيها) أوقع قازان ملك التتر باتابكه نيروز وقتله لانه نسبه الى مكاتبة المسلمين ورتب موضع نيروز قطلوشاه (وفيها) وفد سلامش وهو مقدم تمان من المغل وكان ببلاد الروم وبلغه أن قازان يريد قتله فهرب وقدم على الملك المنصور حسام الدين لاجين فأكرمه فطلب سلامش نجدة من الملك المنصور لاجين ليعود الى الروم طمعا في اجتماع أهل الروم عليه فجرد معه من حلب عسكرا مقدمهم سيف الدين بكتمر الجلمى وساروا مع سلامش حتى تجاوزوا بلدسيس فخرجت عليهم التتر واقتتلوا معهم فقتل الجلمى وجماعة من العسكر الاسلامى وهرب الباقون وأما سلامش فهرب الى قلعة من بلاد الروم واعتصم بها ثم أرسل اليه قازان

واستنزله وحصر سلامش وقتله شر قتلة (وفيها) اجتمع رأى حسام الدين لاجين ونائبه منكوتمر على روك الاقطاعات بالبلاد المصرية فريكت جميع البلاد المصرية وكتب بما استقر عليه الحال مثالات وفرقت على أربابها فقبلوها طوعا أو كرها (وفيها) توفي عز الدين أيبك الموصلي نائب الفتوحات وغيرها وولي موضعه سيف الدين كرد أميراخور (وفيها) في أواخر ذى القعدة من هذه السنة هرب قبجق والبكى وبكتمر السلحدار ومن انضم اليهم من حمص وساق خلفهم ايدغدى شقير مملوك حسام الدين لاجين من حلب مع جماعة من العسكر المجردين ليقطعوا عليهم الطريق ففاتهم قبجق ومن معه وعبروا الفرات واتصلوا بقازان ملك التتر فأحسن اليهم وأقاموا عنده حتى كان منهم ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) في أواخر ذى القعدة وصل من حسام الدين لاجين دستور للملك المظفر صاحب حماة بالحضور من حلب الى حماة فسار الملك المظفر ووصل الى حماة واستمرت العساكر مقيمين بحلب الى ان خرجت هذه السنة (وفي الثامن والعشرين) من شوال هذه السنة أعنى سنة سبع وتسعين وستمائة توفي الشيخ العلامة جمال الدين محمد بن سالم بن واصل قاضى القضاة الشافعى بحماة المحروسة وكان مولده في سنة أربع وستمائة وكان فاضلا اماما مبرزا في علوم كثيرة مثل المنطق والهندسة وأصول الدين والفقه والهيئة والتاريخ وله مصنفات حسنة منها مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب ومنها الانبروزية في المنطق صنفها للانبروز ملك الفرنج صاحب صقلية لما توجه القاضى جمال الدين المذكور رسولا اليه فى أيام الملك الظاهر بيبرس الصالحى واختصر الاغانى اختصارا حسنا وله غير ذلك من المصنفات ولقد ترددت اليه بحماة مرارا كثيرة وكنت أعرض عليه ماأحله من أشكال كتاب أقليدس واستفيد منه وكذلك قرأت عليه شرحه لمنظومة ابن الحاجب في العروض فان جمال الدين صنف لهذه المنظومة شرحا حسنا مطولا فقرأته عليه وصححت أسماء من له ترجمة في كتاب الاغانى فرحمه الله ورضى عنه وكان توجه الى الانبراطور رسولا من جهة الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر والشام في سنة تسع وخمسين وستمائة ومعنى الانبراطور بالفرنجية ملك الامراء ومملكته جزيرة صقلية ومن البر الطويل بلاد أنبولية والانبردية قال جمال الدين ووالد الانبراطور الذى رأيته كان يسمى فردريك وكان مصافيا للسلطان الملك الكامل ثم مات فردريك المذكور في سنة ثمان وأربعين وستمائة وملك صقلية وغيرها من البر الطويل بعده ولده كرا بن فردريك ثم مات كرا وملك بعده أخوه منفريدا بن فردريك وكل من ملك منهم يسمى انبراطور وكان الانبراطور من بين ملوك الفرنج مصافيا للمسلمين ويحب العلوم قال فلما وصلت الى الانبراطور منفريذا المذكور اكرمنى وأقمت عنده في مدينة من

مدائن

مدائن البر الطويل المتصل بالاندلس من مدينة أنبولية واجتمعت به مرارا ووجدته متميزا وعبا للعلوم العقلية يحفظ عشر مقالات من كتاب أقليدس قال وبالقرب من البلد الذى كنت فيه مدينة تسمى لوجاره أهلها كلهم مسلمون من أهل جزيرة صقلية يقام فيها الجمعة ويعلن بشعار الاسلام قال ووجدت أكثر أصحاب الانبراطور منفريذا المذكور مسلمين ويعلن في معسكره بالاذان والصلاة وبين البلد الذى كنت فيه وبين رومية مسيرة خمسة أيام وقال بعد توجهى من عند الانبراطور اتفق البابا خليفة الفرنج وريد افرنس على قصد الانبراطور وقتاله وكان البابا قد حرمه كل ذلك بسبب ميـل الانبراطور المذكور الى المسلمين وكذلك كان أخوه كرا ووالده فردريك محرمين من جهة البابا برومية لميلهم الى الاسلام قال ولقد حكى لى لما كنت عنده ان مرتبة الانبراطور كانت قبل فردريك لوالده ولمامات والد فردريك المذكور كان فردريك شابا أول ماترعرع وانه طمع في الانبراطورية جماعة من ملوك الفرنج وكل منهم رجى أن يفوضها البابا اليه وكان فردريك شابا ما كرا وجنسه من الالمانية فاجتمع بكل واحد من الملوك الذين قد طمعوا في أخذ الانبراطورية بانفراده وقال له انى لا أصلح لهذه المرتبة وليس لى فيها غرض فاذا اجتمعنا عند البابا فقل ينبغى أن يتقلد الحديث في هذا الامر ابن الانبراطور المتوفي ومن رضى بتقليـده الانبراطورية فأنا راض به فان البابا اذا رد الاختيار الى في ذلك اخترتك ولا اختـار غيرك وقصدى الانتماء اليك ولما قال هذه المقالة لكل واحد من الملوك المذكورين بانفراده وصدقه في ذلك ووثق به واعتقد صـدقه فلما اجتمعوا عند البابا بمدينة رومية ومعهم فردريك المذكور قال البابا للملوك المذكورين ماترون في أمر هذه المرتبـة ومن هو الاحق بها ووضع تاج الملك بين أيديهم فكل واحد منهم قال قد حكمت فردريك في ذلك فانه ولد الانبراطور وأحق الجماعة بان يسمع قوله في ذلك فقام فردريك وقال أنا ابن الانبراطور وأنا أحق بتاجه ومرتبته والجماعة كلهم قد رضوا بى ووضع التاج على رأسه فابلسوا كلهم وخرج مسرعا والتاج على رأسه وكان قد حصل جماعة من أصحابه الالمانية الشجعان راكبين مستعدين وركب واجتمعت عليه أصحابه الالمانية وسار بهم على حمية الى بلاده قال القاضى جمال الدين واستمر الانبراطور منفريذا بن فردريك المذكور في مملكته وقصده البابا وريدا فرنس بجموعهما واقتتلوا معه وهزموه وقبضوا عليه وتقدم البابا بذبحه فذبح منفريذا المذكور وملك بلاده بعده أخو ريد افرنس وذلك في سـنة ثلاث وستين وستمائة في غالب ظنى (ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة)

(ذكر قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين صاحب مصر والشام)

(في هذه السنة) وثب لاجين المذكور جماعة من المماليك الصبيان الذين اصطفاهم لنفسه

ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الآخر في أوائل الليل فقتلوه وهو يلعب بالشطرنج وأول من ضربه شخص منهم يقال له سيف الدين كرجي بالسيف وضربه الباقون بعده حتى قتلوا لاجين المذكور وطلموا ليقتلوا مملوكه ونائبه منكوتمر فاستجار بسيف الدين طغجي الاشرفي وكان طغجي مقدم هؤلاء المماليك الذين قتلوا لاجين فأجاره طغجي وبعث بمنكوتمر المذكور الى الجب فحبسه فيه ثم بعد استقراره في الجب توجه كرجي ومعه جماعة فاخرجوا منكوتمر وذبحوه على رأس الجب ولما أصبح الصباح عن ذلك جلس طغجي في موضع النيابة وأمر ونهى وهنالك جماعة من الامراء أكبر منه مثل الحسام أستاذ الدار وسلار وبيبرس الجاشنكير وغيرهم فاتفق آراؤهم على الوقيعة بطغجي واعادة الملك الى مولانا السلطان الملك الناصر المقيم بالكرك واتفق بعد ذلك وصول بعض العسكر المجردين على حاب فوصل أمير سلاح وغيره وأشار الامراء المذكورون على طغجي بالركوب وتلقى أمير سلاح فامتنع وعاودوه فأجاب وركب طغجي من قلعة الجبل وجعل نائبه بها كرجي الذى قتل لاجين فعند ما اجتمعت الامراء بالامير سلاح تحدثوا فيما فعله الصبيان من قتل السلطان وأنكرت الامراء وقوع مثل ذلك وقالوا ان طغجي هو الذى فعل ذلك فحطوا عليه بالسيوف وهرب منهم فأدركوه وقتلوه وقصدوا كرجي بقلعة الجبل فهرب واتبعوه فقتلوه أيضاً وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة وكانت مدة مملكة حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور المذكور سنتين وثلاثة أشهر

(ذكر عود مولانا السلطان الملك الناصر الى سلطنته)

(وفي هذه السنة) عاد مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد ابن مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الى مملكته فانه لما جرى ما ذكرناه من قتل لاجين ثم قتل طغجي اتفقت الامراء على اعادة مولانا السلطان الملك الناصر الى مملكته فتوجه سيف الدين آل ملك وعلم الدين الجاولي الى الكرك وأحضراه الى الديار المصرية فصعد الى قلعة الجبل واستقر على سرير ملكه في يوم السبت رابع عشر جمادى الاولى من هذه السنة أعني سنة ثمان وتسعين وستمائة وهي سلطنته الثانية فلما استقر السلطان الملك الناصر بالقلعة اتفق معه الامراء على أن يكون سيف الدين سلار نائب السلطنة ويكون بيبرس الجاشنكير أستاذ الدار وأن يكون بكتمر الجوكندار أمير جاندار فلما استقر ذلك فوض نيابة السلطنة بالشام الى جمال الدين أقوش الافرم وأفرجوا عن شمس الدين قرا سنقر من الاعتقال وكان له فيه نحو سنة وشهرين ثم بعثوا به الى الصبيبة وكتب تقليد الملك المظفر محمود صاحب حماة ببلاده على عادته وبعث به اليه في جمادى الاولى من هذه السنة

(ذكر تجريد العسكر الحموى الى حلب)

(وفي هذه السنة) في رمضان الموافق لحزيران من شهور الروم جرد الملك المظفر عسكر حماة الى حلب بسبب حركة التتر الى جهة الشام فسرنا من حماة الى المعرة وورد كتاب سيف الدين بلبان الطباخى بتراخى الاخبار فعدنا من المعرة الى حماة فورد كتابه بطلبنا فأعادنا الملك المظفر من حماة فى يوم وصولنا اليها وهو يوم الاربعاء سابع عشر رمضان وحزيران فسرنا ودخلنا حلب في الثانى والعشرين من رمضان من هذه السنة ثم أرسل الملك المظفر وطلبنى من نائب السلطنة بمفردى فأعطانى سيف الدين بلبان الطباخى دستورا فسرت الى حماة الى خدمة ابن عمى الملك المظفر واستمر اخواى وغيرهما من الامراء والعسكر مقيمين بحلب وأقمت أنا عند الملك المظفر بحماة

ذكر وفاة الملك المظفر صاحب حماة وخروج حماة حينئذ عن البيت التقوى الايوبى

(وفي هذه السنة) أعنى سنة ثمان وتسعين وستمائة يوم الخميس الثانى والعشرين من ذى القعدة توفي صاحب حماة السلطان الملك المظفر تقى الدين محمود ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب رحمه الله تعالى ومولده في ليلة الاحد خامس عشر المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة فيكون عمره احدى وأربعين سنة وعشرة أشهر وسبعة أيام وملك حماة من حين توفي والده في حادى عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة فيكون مدة ملكه خمس عشرة سنة وشهرا ويوما واحدا وكان مرضه حمى محرقة وكان سبب ذلك مع فراغ العمر انه كان غاويا برمى البندق واتفق له فيه صروعات حسنة فأراد أن يرمى النسر من طيور الواجب فقصد جبل علاروز وهو جبل مطل على قسطون وكان ذلك في شدة الحر وقتل حمارا وتركه على موضع بذلك الجبل وعمل من اغصان الشجر كوخا وكان يجلس في الكوخ وأنا معه ومملوك له ومن يشاهده في رمى البندق وكان يدخل الى الكوخ في السحر ويظل فيه الى الظهر ولا يتكلم انتظارا لنزول النسر على جيفة الحمار وكنا نشم نتن تلك الجيفة واتفق نزول النسر في تلك الحالة ولم يقدر له رميه ثم عدنا الى حماة فابتدأ بنا المرض وبلغت الموت وفي مدة مرضى مرض الملك المظفر وعادنى وهو قد ابتدأ به المرض ثم بعد بضع عشر يوما توفي في التاريخ المذكور وأنا منقطع عنه بسبب مرضى وكذلك مرض المملوك الذى كان معنا بذلك المكان وكان عسكر حماة بحلب على ما قد ذكرناه وكان قد اتفق حضور الامير صارم الدين أزبك المنصورى الى حماة بسبب تشويش زوجته فلحق الملك المظفر قبل وفاته وكان حاضرا

وفاته وأما اخواى أسد الدين عمر وبدر الدين حسن ابنا الملك الافضل فانهما حضرا الى حماة من حلب بعد وفاة الملك المظفر ولما اجتمع المذكورون اختلفوا فيمن يكون صاحب حماة ولم ينتظم في ذلك حال

(ذكر وصول قرا سنقر الجوكندار الى حماة نائباً بها)

ولما توفي الملك المظفر كان قرا سنقر قد أخرج من السجن وأرسل الى الصبيبة وهى مكان وخم فأرسل قرا سنقر الى الحكام بمصر يتضور من المقام بالصبيبة فاتفق عند ذلك وصول الخبر الى مصر بموت صاحب حماة فأعطى قرا سنقر نيابة السلطنة بحماة وسار من الصبيبة ووصل الى حماة واستقر في النيابة بها في أوائل ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة ثمان وتسعين وستمائة ونزل بدار الملك المظفر صاحب حماة وقمنا بوظائف خدمته وأخذ من تركة صاحب حماة ومنا أشياء كثيرة حتى أجحف بنا ووصلت المناشير من مصر الى أمراء حماة وجندها باستقرارهم على مابأيديهم من الاقطاعات فاستمرينا على ما كان بأيدينا

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) أرسل سيف الدين بلبان الطباخي عسكرا الى ماردين فنهبوا ربض ماردين حتى نهبوا الجامع وعملوا الافعال الشنيعة وذلك كان حجة لقازان في قصد البلاد على ماسنذكره (وفيها) توفي بدر الدين بيسرى في محبسه من حين حبسه لاجين (وفيها) سار مولانا السلطان الملك الناصر من الديار المصرية بعساكر مصر الى بلاد غزة وأقام بها حتى خرجت هذه السنة واتفق قرا سنقر واخواى وأرسلوا معى قماشا وخيلا من خيل الملك المظفر صاحب حماة وقماشه فسرت أنا وصارم الدين أزبك المنصورى الحموى وقدمت ذلك لمولانا السلطان وهو نازل بالساحل قرب عسقلان فقبله وتصدق على بخلعة وحياصة ذهب ورسم بزيادة اقطاعى واقطاع أخى بدر الدين حسن فزادونا نقدا من ديوان حماة (وفي هذه السنة) توفي شمس الدين كريته أحد المقدمين الذين دخلوا الى بلاد سيس وفتحوا ماتقدم ذكره (ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة)

ذكر المصاف العظيم الذي كان بين المسلمين والتتر وهزيمة المسلمين واستيلاء التتر على الشام

(في هذه السنة) سار قازان بن أرغون بجموع عظيمة من المغل والكرج والمرتدة وغيرهم وعبر الفرات ووصل بجموعه الى حلب ثم الى حماة ونزل على وادى مجمع المروج وسارت العساكر الاسلامية صحبة مولانا السلطان الملك الناصر حتى وصلوا بظاهر حمص ثم

ساروا

ساروا الى جهة المجمع وكان سلار والجاشنكير هما المتغلبان على المملكة فداخل الامراء الطمع ولم يكملوا عدة جندهم فنقص العسكر كثيرا مع سوء التدبير ونحو ذلك من الامور الفاسدة التى أوجبت هزيمة العسكر ثم ساروا والتقوا عند العصر من نهار الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الاول من هذه السنة الموافق للثالث والعشرين من كانون الاول من شهور الروم بالقرب من مجمع المروج في شرقى حمص على نحو نصف مرحلة من حمص فولت ميمنة المسلمين ثم الميسرة وثبت القلب واحتاطت به التتر وجرى بينهم قتال عظيم وتأخر السلطان الى جهة حمص حتى أدركه الليل فولت العساكر الاسلامية تبتدر الطريق وتمت بهم الهزيمة الى ديار مصر المحروسة وتبعهم التتر واستولوا على دمشق وساقوا في أثر الجفال الى غزة والقدس وبلاد الكرك وكسبوا وغنموا من المسلمين الجفال شيئاً عظيما

ذكر المتجددات بعد الكسرة

وكان قبجق وبكتمر السلحدار والبكى مع قازان من حين هربوا من حمص على ماقدمنا ذكره في سنة سبع وتسعين وستمائة * فلما استولى قازان على دمشق أخذ سيف الدين قبجق الامان لاهل دمشق ولغيرهم من قازان ملك التتر واستولى قازان على مدينة دمشق وعصت عليه القلعة وأمر بحصارها فحوصرت وكان النائب بها الامير سيف الدين ارجواش المنصورى فقام في حفظها أتم قيام وصبر على الحصار ولم يسلمها وأحرق الدور التى حوالى القلعة والمدارس فاحترقت دار السعادة التى كانت مقر نواب السلطنة وكذلك احترق غيرها من الاماكن الجليلة * وأما عسكر مصر فانهم لما وصلوا الى مصر رسم لهم بالنفقة فأنفق فيهم أموالا جليلة واصطلحوا أحوالهم وجددوا عدتهم وخيولهم وأقام قازان بمرج دمشق المعروف بمرج الزنبقية ثم عاد الى بلاده الشرقية وقرر في دمشق قبجق وجرد صحبته عدة من المغل * فلما بلغ العساكر المصرية مسير قازان عن الشام خرجوا من مصر في العشر الاول من شهر رجب من هذه السنة وخرج السلطان الى الصالحية ثم اتفق الحال على مقام السلطان بالديار المصرية ومسير سلار وبيبرس الجاشنكير بالعساكر الى الشام فسار المذكوران بالعساكر وكان قبجق وبكتمر السلحدار والالبكى قد كاتبوا المسلمين في الباطن وصاروا معهم فلما خرجت العساكر من مصر هرب قبجق ومن معه من دمشق وفارقوا التتر وساروا الى جهة ديار مصر وبلغ ذلك التتر المجردين بدمشق فخافوا وساروا من وقتهم الى البلاد الشرقية وخلا الشام منهم ووصل قبجق والالبكى وبكتمر السلحدار الى الابواب السلطانية فاحسن اليهم السلطان ووصل سلار وبيبرس الجاشنكير الى دمشق وقررا أمور الشام ورتبا في

في نيابة السلطنة بدمشق الامير جمال الدين اقوش الافرم على عادته ورتبا قرا سنقر في نيابة السلطنة بحلب بعد عزل سيف الدين بلبان الطباخي عنها واعطائه اقطاعاً بديار مصر ورتبا قطلوبك في نيابة السلطنة بالساحل والحصون عوض سيف الدين كرد فانه استشهد في الوقعة ورتبا في نيابة السلطنة بحماة الامير كتبغا زين المنصورى الذى كان سلطانا ثم خلع وأعطى صرخد واستمر بصرخد حتى استولى قازان على الشام ثم سار الى مصر والتتر بالشام ثم سار مع سلار والجاشنكير الى الشام فرتباه في نيابة السلطنة بحماة بعد قرا سنقر فسار كتبغا المذكور ووصل الى حماة في الرابع والعشرين من شعبان هذه السنة أعنى سنة تسع وتسعين وستمائة واستقر بحماة وأقام بدار صاحب حماة الملك المظفر وسار قرا سنقر الى حلب ثم عاد سلار والجاشنكير بالعساكر الى الديار المصرية

ذكر غير ذلك من الحوادث

﴿في هذه السنة﴾ كان بين طقطغا بن منكوتمر وبين نغية حروب كثيرة قتل فيها نغية وقام مقامه ابنه جكا (وفيها) فى مدة استيلاء التتر على الشام استولى على حماة شخص من الرجالة الذين كانوا فيها لحفظ القلعة يسمى عثمان السبيتارى وحكم في البلد والقلعة واستباح الحريم وأموال أهل حماة وسفك دم جماعة منهم الفارس ارلندمشد حماة وبعض أهل الباب الغربى وكان يشارك عثمان المذكور في الحكم رفيقه اسماعيل فغدر عثمان برفيقه اسماعيل وقتله وانفرد عثمان بالحكم في حماة وقيل انه تلقب بالملك الرحيم وبقي على تلك الحال الى ان طلعت العساكر الاسلامية من مصر واستولوا على الشام وأرسلوا صارم الدين أزبك الحموى الى حماة ليكون فيها الى أن يحضر اليها زين الدين كتبغا المنصورى النائب فعصى عثمان المذكور بالقلعة المذكورة ثم فارقه أصحابه وتخلوا عنه وأمسك عثمان المذكور واعتقل وكان المذكور من جندارية قرا سنقر * فلما وصل قرا سنقر الى حماة متوجها الى حلب نزل على تل صفرون وتسلم عثمان المذكور وأطلقه فحضر أهل حماة وشكوا مافعله فيهم عثمان المذكور من نهب أموالهم وهتك الحريم وسفك الدماء فتبرطل قرا سنقر من عثمان المذكور ماأخذه من أموال أهل حماة واستصحب عثمان معه وأحسن اليه ومنع الناس حقهم ولم يمكن أحدا منه بعد ان حكم القاضى بسفك دم عثمان المذكور وبقي عثمان عند قرا سنقر مكرما الى ان هرب قرا سنقر الى التتر على ماسنذكره ان شاء الله تعالى فاختفى عثمان المذكور ولم يظهر وكان أصله من بلاد الشوبك فلما تصدق على السلطان بحماة تتبعت عثمان المذكور وطلبته من نائب السلطنة بالشام وهو المقر

السيفي تنكيز فامسك عثمان المذكور من بلاد عجلون وأرسله الى معتقلا الى حماه فضربت عنقه في سوق الخيل بحضرة العسكر في يوم الاثنين رابع عشر شعبان سنة ست عشرة وسبعمائة (وفيها) لما وصل قازان بجموع المغل الى الشام طمع الارمن في البلاد التي افتتحها المسلمون منهم وعجز المسلمون عن حفظها فتركها الذين بها من العسكر والرجالة وأخلوها فاستولى الارمن عليها وارتجعوا حموص وتل حمدون وكوبر وسرفندكار والنقير وغيرها ولم يبق مع المسلمين من جميع تلك القلاع غير قلعة حجر شغلان واستولى الارمن على غيرها من الحصون والبلاد التي كانت جنوبي نهر جيحان (وفيها) أو في السنة التي قبلها لما ملك دندين بلاد الارمن أفرج عن أخيه هيتوم ابن ليفون وجعله الملك وصار دندين بين يديه وكان هيتوم قد بقي أعور من حين سمله أخوه سنباط على ماقدمنا ذكره واستمر هيتوم ودندين على ذلك مدة يسيرة ثم غدر هيتوم بدندين وجازاه أقبح جزاء وأراد القبض عليه فهرب دندين الى جهة قسطنطينية واستقر هيتوم في مملكة سيس * ولما استقر هيتوم في ملك سيس كان لاخيه تروس الذي قتله أخوه سنباط على ماذكرناه ولد صغير فاقام هيتوم المذكور الصغير ذلك ابن تروس في الملك وجعل هيتوم نفسه أتابكا لذلك الصغير وبقي كذلك حتى قتلهما برلغي مقدم المغل الذين ببلاد الروم على ماسنذكره ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة سبعمائة)

ذكر مسير التتر الى الشام ومسير السلطان والعساكر الاسلامية الى العوجا ورجوعهم

﴿ في هذه السنة ﴾ عاودت التتر قصد الشام وعبروا الفرات في ربيع الآخر وجفلت المسلمون منهم وخلت بلاد حلب وسار قراسنقر بعسكر حلب الى حماة وبرز زين الدين كتبغا وعساكر حماة الى ظاهر حماة في الثاني والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة وسادس كانون الاول وكذلك وصلت العساكر من دمشق واجتمعوا بحماة وأقامت التتر ببلاد سرمين والمعرة وتيزين والعمق وغيرها ينهبون ويقتلون وسار السلطان بالعساكر الاسلامية ووصل الى العوجا واتفق في تلك المدة تدارك الامطار الى الغاية واشتدت الوحول حتى انقطعت الطرقات وتعذرت الاقوات وعجزت العساكر عن المقام على تلك الحال فرحل السلطان والعساكر وعادوا الى الديار المصرية فوصل اليها في عاشر جمادى الاولى من هذه السنة * وأما التتر فانهم أقاموا يتنقلون في بلاد حلب نحو ثلاثة أشهر ثم ان الله تعالى تدارك المسلمين بلطفه ورد التتر على أعقابهم بقدرته فعادوا الى بلادهم وعبروا الفرات في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة الموافق

لاوائل ادار من شهور الروم ورجع عسكر حلب مع قرا سنقر الى حلب وتراجعت الجفال الى أماكنهم

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

﴿ في هذه السنة ﴾ لما وردت الاخبار بعود التتر الى الشام استخرج من غالب الاغنياء بمصر والشام ثلث أموالهم لاستخدام المقاتلة (وفيها) لما خرجت العساكر من مصر توفي سيف الدين بلبان الطباخي الذى كان نائبا بحلب ودفن بأرض الرملة وورثه السلطان بالولاء (وفيها) عزل كراى المنصورى الذى كان نائباً بصفد وولى موضعه بتخاص (وفيها) عزل قطلوبك عن نيابة السلطنة بالحصون والسواحل ونقل الى دمشق فصار من أكبر الامراء بها وولي موضعه على الحصون والسواحل سيف الدين اسندمر الكرجى (وفيها)التزمت الذمة بلبس الغيار فلبس اليهود عمائم صفرا والنصارى عمائم زرقا والسمرة عمائم حمرا (وفيها) وصلت رسل قازان ملك التتر وكان مضمون رسالتهم التهديد والوعيد فاعيد جوابه على مقتضى ذلك ﴿ وفيها ﴾ ولى البكى الظاهرى الذى قفز الى التتر وعاد على ماذكرناه نيابة السلطنة بحمص وكذلك أعطى قبجق الشوبك اقطاعاً وأرسل اليها فأقام بها ﴿ وفيها ﴾ قتل جكا بن نفية أخاه تكا ﴿ وفيها ﴾ جرى بين جكا ونائبه طنغوز قتال فانتصر فيه طنغوز على جكا ثم انتصر جكا ثم استنجد طنغوز بطقطغا فلم يكن لجكا به قبل فهرب الى الاولاق وهم قوم بتلك البلاد لصهر كان بينه وبين الاولاق فغدر به ملك الاولاق وأمسك جكا واعتقله بقلعة طرفو ثم قتله وبعث برأسه الى القرم وصارت مملكة نفية لطقطغا (ثم دخلت سنة احدى وسبعمائة)

﴿ ذكر وفاة الخليفة ﴾

(وفي هذه السنة) توفي أبو العباس أحمد الملقب بالحاكم بأمر الله المنصوب في الخلافة وقد تقدم ذكر ولايته ونسبه في سنة ستين وستمائة والخلاف في ذلك * ولما توفي الحاكم المذكور قرر في الخلافة بعده ولده سليمان بن أحمد وكنيته أبو الربيع ولقب بالمستكفى بالله

ذكر الاغارة على بلاد سيس

﴿ وفي هذه السنة ﴾ جرد من مصر بدر الدين بكتاش أمير سلاح وأيبك الخزندار معهما العساكر فساروا الى حماة وورد الامر الى زين الدين كتبغا نائب السلطنة بحماة أن يسير بالعساكر الى بلاد سيس فخرج كتبغا المذكور من حماة وخرجنا صحبته في يوم السبت الخامس والعشرين من شوال في هذه السنة الموافق للثالث والعشرين

من حزيران من شهور الروم وسار العسكر صحبة زين الدين المذكور ودخلنا حلب يوم الخميس مستهل ذى القعدة ورحلنا من حلب ثالث ذى القعدة ودخلنا دربند بغراس سابع القعدة من الشهر المذكور وانتشرت العساكر في بلاد سيس فخرقت الزروع ونهبت ماوجدت ونزلنا على سيس وزحفنا عليها وأخذنا من سفح قلعتها شيئاً كثيرا من جفال الارمن وعدنا فخرجنا من الدربند الى مرج انطاكية ووصلنا الى حلب يوم الاثنين تاسع عشر ذى القعدة من هذه السنة وسرنا الى حماة ودخلناها يوم الثلاث السابع والعشرين من الشهر المذكور الموافق للرابع والعشرين من تموز من شهور الروم ودخل زين الدين كتبغا المذكور حماة وقد ابتدأ به المرض

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) مات قبجى بن أردنو بن دوشى خان بن جنكزخان صاحب غزنة وباميان وغيرهما من تلك النواحي وخلف من الاولاد بيان وكبلك وطقطمر وبغاتمر ومنغطاى وصاصى فاختلفوا بعده واقتتلوا ثم انتصر فيما نغديان بن قنجى واستقر في ملك غزنة على ماسنذكره (وفيها) توفي صاحب مكة الشريف أبو نمى محمد بن أبى سعد بن على بن قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين ابن سليمان بن على بن الحسن بن على رضى الله عنهم واختلفت أولاده وهم رميثة وحميضة وأبو الغيث وعطيفة وتغلب رميثة وحميضة على مكة شرفها الله تعالى ثم قبض بيبرس الجاشنكير على رميثة وحميضة في هذه السنة وكان قد حج وتولى أبو الغيث على مكة ثم بعد سنين أطلق حميضة ورميثة فغلبا على مكة وهرب عنها أبو الغيث ثم اقتتل حميضة ورميثة فانتصر حميضة واستقر في مكة حرسها الله تعالى ثم كان منه ماسنذكره ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة اثنتين وسبعمائة)

ذكر فتح جزيرة ارواد

(وفي محرم من هذه السنة) فتحت جزيرة ارواد وهى جزيرة في بحر الروم قبالة انطرطوس قريباً من الساحل اجتمع فيها جمع كثير من الفرنج وبنوا فيها سورا وتحصنوا في هذه الجزيرة وكانوا يطلعون منها ويقطعون الطريق على المسلمين المترددين في ذلك الساحل وكان النائب على الساحل اذ ذاك سيف الدين اسندمر الكرجي فسأل ارسال اسطولا اليها فعمرت الشوانى وسارت اليها من الديار المصرية في بحر الروم ووصلت اليها في المحرم من هذه السنة وجرى بينهم قتال شديد ونصر الله المسلمين وملكوا الجزيرة المذكورة وقتلوا وأسروا جميع أهلها وخربوا أسوارها وعادوا الى الديار المصرية بالاسرى والغنائم

ذكر دخول التتر الى الشام وكسرتهم مرة بعد أخرى

(وفي هذه السنة) عاودت التتر قصد الشام وساروا الى الفرات وأقاموا عليها مدة في ازوارها وسارت منهم طائفة تقدير عشرة آلاف فارس وأغاروا على القريتين وتلك النواحي وكانت العساكر قد اجتمعت بحماة عند زين الدين كتبغا النائب بحماة الملقب بالملك العادل وكان مريضاً من حين عاد من بلاد سيس كما تقدم ذكره واسترخت أعضاؤه فلما اجتمعت العساكر عنده وقع الاتفاق على ارسال جماعة من العسكر الى التتر الذين أغاروا على القريتين فجردوا اسندمر الكرجي نائب السلطنة بالساحل وجردوا صحبته جماعة من عسكر حلب وجماعة من عسكر حماة وجردوني أيضاً من جملتهم فسرنا من حماة سابع شعبان من هذه السنة واتقعنا مع التتر على موضع يقال له الكوم قريباً من عرض واقتتلنا معهم يوم السبت عاشر شعبان من هذه السنة الموافق لسلخ ادار وصبر الفريقان ثم نصر الله المسلمين وولى التتر منهزمين وترجل منهم جماعة كثيرة عن خيلهم وأحاط المسلمون بهم بعد فراغهم من الوقعة وبذلوا لهم الامان فلم يقبلوا وقاتلوا بالنشاب وعملوا سروج الخيل ستائر لهم وناوشهم العسكر القتال من الضحى الى انفراك الظهر ثم حملوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم وكان هذا النصر عنوان النصر الثاني على ماننذكره ثم عدنا مؤيدين منصورين ووصلنا الى حماة يوم الثلاث ثالث عشر شعبان المذكور الموافق لثاني نيسان

ذكر المصاف الثاني والنصرة العظيمة

(وفي هذه السنة) سار التتر بجموعهم العظيمة صحبة قطلو شاه نائب قزان بعد كسرتهم على الكوم ووصلوا الي حماة فاندفعت العساكر الذين كانوا بها بين أيديهم وسار زين الدين كتبغا في محفة وأخرني بحماة لكشف التتر فوصل التتر الى حماة في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان من هذه السنة فلما شاهدت جوعهم ونزولهم بظاهر حماة وكنت واقفاً على العليليات سرت من وقتي ولحقت زين الدين كتبغا بالقطيفة وأعلمته بالحال وسارت العساكر الاسلامية الى دمشق ووصلت أوائل العساكر الاسلامية من ديار مصر صحبة بيبرس الجاشنكير واجتمعوا بمرج الزنبقية بظاهر دمشق ثم ساروا الى مرج الصفر لما قاربهم التتر وبقي العسكر منتظرين وصول السلطان الاعظم الملك الناصر وسارت التتر وعبروا على دمشق طالبين العسكر ووصلوا اليهم عند شقحب بطرف مرج الصفر واتفق ان ساعة وصول التتر الى الجيش وصل مولانا السلطان بباقي العساكر الاسلامية والتقى الفريقان بعد العصر من نهار السبت ثاني رمضان من هذه السنة أعني سنة اثنتين وسبعمائة وكان ذلك في العشرين من نيسان واشتد القتال

بينهم وتكردست للتتر على الميمنة فاستشهد من المسلمين خلق كثير منهم الحسام استاذ الدار وكان رأس الميمنة وكان برأس الميمنة أيضا سيف الدين قبجق فاندفع هو وباقي الميمنة بين أيدي التتر وأنزل الله نصره على القلب والميسرة فهزمت التتر وأكثر القتل فيهم فولى بعض التتر مع توليه منهزمين لايلوون وتأخر بعضهم مع جوبان وحال الليل بين الفريقين فنزل التتر على جبل هناك بطرف مرج الصفر وأشعلوا النيران وأحاطت المسلمون بهم وأصبح الصباح وشاهد التتر كثرة المسلمين فانحدروا من الجبل يبتدرون الهرب وتبعهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكان في طريقهم أرض متوحلة فتوحل فيها عالم كثير من التتر فأخذ بعضهم أسرى وقتل بعضهم وجرد من العسكر الاسلامي جمعاً كثيراً مع سلار وساقوا في أثر التتر المنهزمين الى القريتين ووصل التتر الى الفرات وهي في قوة زيادتها فلم يقدروا على العبور والذي عبر فيها هلك فساروا على جانبها الى جهة بغداد فانقطع أكثرهم على شاطئ الفرات وهلك من الجوع وأخذ منهم العرب جماعة كثيرة وأخاف الله تعالى بهذه الوقعة ماجرى على المسلمين في المصاف الذي كان ببلد حمص قرب مجمع المروج في سنة تسع وتسعين وستمائة * ولما حصل هذا النصر العظيم واجتمعت العساكر بدمشق أعطاهم السلطان الدستور فسارت العساكر الحلبية والحموية والساحلية الى بلادهم فدخلنا حماة مؤيدين منصورين في يوم السبت سادس عشر رمضان من هذه السنة الموافق لرابع ايار من شهور الروم

ذكر وفاة زين الدين كتبغا وولاية قبجق حماة

(وفي هذه السنة) أعني سنة اثنتين وسبعمائة في ليلة الجمعة عاشر ذي الحجة توفي زين الدين كتبغا المنصوري نائب السلطنة بحماة والمذكور كان من مماليك السلطان الملك المنصور سيف الدين الملك قلاوون الصالحي فترقى حتى تسلطن وتلقب بالملك العادل وملك ديار مصر والشام في سنة أربع وتسعين وستمائة ثم خلعه نائبه لاجين وأعطاه صرخد على ماتقدم ذكره في سنة ست وتسعين وستمائة واستمر مقيما بصرخد من السنة المذكورة الى ان اندفعت المسلمون من التتر على حمص في سنة تسع وتسعين وستمائة فوصل كتبغا المذكور من صرخد الى مصر وخرج مع سلار والجاشنكير الى الشام فقرره نائبا بحماة على ماتقدم ذكره في سنة تسع وتسعين وستمائة ثم أغار على بلاد سيس فلما عاد الى حماة مرض قبل دخوله الى حماة وطال مرضه ثم حصل له استرخاء وبقي لايستطيع أن يحرك يديه ولا رجليه وبقي كذلك مدة وسار من حماة الى قريب مصر جافلا بين يدي التتر لما كان المصاف على مرج الصفر ثم عاد الى حماة وأقام بها مدة يسيرة وتوفي في التاريخ المذكور من هذه السنة ولما توفي

أرسلت أعرض على الآراء الشريفة السلطانية اقامتي في حماة على قاعدة أصحابها من أهلي فوجد قاصدي الامر قد فات وقررت حماة لسيف الدين قبجق المقيم بالشوبك وكتب تقليده بها في هذه السنة وحصل الي من الصدقات السلطانية الوعود الجميلة الصادقة بحماة وتطييب الخاطر والاعتذار بأن كتابي وصل بعد خروج حماة لقبجق ووصل قبجق الى حماة في السنة القابلة على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) توفي فارس الدين البكي الظاهري نائب السلطنة بحمص (وفيها) توفي القاضي تقي الدين محمد بن دقيق العيد قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية وكان اماما فاضلا وولي موضعه القاضي بدر الدين محمد الحموي المعروف بابن جماعة (وفيها) كانت زلزلة عظيمة هدمت بعض أسوار قلعة حماة وغيرها من الاماكن بالبلاد وهدمت بالديار المصرية أماكن كثيرة وهلك خلق كثير تحت الهدم وخربت من أسوار اسكندرية ستا وأربعين بدنة (ثم دخلت سنة ثلاث وسبعمائة)

ذكر وفاة قازان ملك التتر

(في هذه السنة) توفي قازان بن أرغون بن ابغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان بنواحي الري في أواخر هذه السنة وكان قد ملك في أواخر سنة أربع وتسعين وستمائة فيكون مدة مملكته ثمان سنين وعشرة أشهر وكان قد اشتد همه بسبب هزيمة عسكره وكسرتهم على مرج الصفر فلحقه حمى حادة ومات مكمودا ولما مات قازان ملك أخوه خربند بن أرغون وكان جلوسه في الملك في الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة وتلقب الجنبو سلطان

ذكر قدوم قبجق الى حماة

قد تقدم في سنة اثنتين وسبعمائة ذكر وفاة زين الدين كتبغا نائب السلطنة بحماة وانه رتب موضعه سيف الدين قبجق وكانت الشوبك اقطاع قبجق وكان مقيما بها فلما أعطي نيابة السلطنة بحماة وارتجعت منه الشوبك أقام بها حتى جهز أشغاله وسار من الشوبك في ثالث صفر من هذه السنة أعني سنة ثلاث وسبعمائة * ولما قارب حماة خرجنا لملتقاه الى العنثر وعملنا له الضيافات وقدمنا له التقادم وسرنا معه ودخلنا حماة في صبيحة يوم السبت وهو الثالث والعشرون من صفر من هذه السنة الموافق لسادس تشرين الاول من شهور الروم ونزل بدار الملك المظفر صاحب حماة واستقر قدمه بحماة

ذكر

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) بعد العصر من نهار الاحد خامس جمادى الاولى وخامس عشر كانون الاول توفيت عمتي مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وأمها غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل وكان مولد مؤنسة خاتون المذكورة في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكانت كثيرة الصدقات والمعروف عملت مدرسة بمدينة حماة تعرف بالخاتونية ووقفت عليها وقفا جليلا رحمها الله تعالى ورضي عنها وهي آخر من كان قد بقي من أولاد الملك المظفر صاحب حماة (وفيها) كثر الموت في الخيل فهلك منها مالا يحصى حتى خلت غالب اسطبلات الامراء والجند (وفيها) توفي عز الدين أيبك الحموى نائب حمص (وفيها) توجهت الى الحجاز الشريف لقضاء حجة الفرض ووجدت سلار قد حج من جهة مصر وصحبته عدة كثيرة من الامراء ووقفنا الاثنين والثلاث للشك في أول الشهر وعدنا الى البلاد وخرجت هذه السنة ونحن قد برزنا من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم (وفي أواخر) هذه السنة جردت العساكر من مصر وسيف الدين قبجق بعسكر حماة وقرا سنقر بعسكر حلب ودخلوا الى بلاد سيس وحاصروا تل حمدون وفتحوها بالامان وارتجعوها من الارمن وهدموها الى الارض ولم أحضر هذه الغزاة لانى كنت بالحجاز الشريف حسبما ذكر (ثم دخلت سنة أربع وسبعمائة) وفي هذه السنة وصل من المغرب ركب كبير وصحبتهم رسول من أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني ملك المغرب ووصل صحبته الى ديار مصر هدية عظيمة من الخيول والبغال مايقارب خمسمائة رأس من الخيل العربية بالسروج واللجم والركب المكفتة بالذهب المصرى (وفيها) وصل الى مصر صاحب دنقلة وهو عبد اسود اسمه اياى ووصل صحبته هدية كثيرة من الرقيق والهجن والابقار والنمور والشب والسنباذج وطلب نجدة من السلطان فجرد معه جماعة من العسكر وقدم عليهم طقصبا نائب السلطنة بقوص (وفيها) أعيد رميثة وحميضة ابنا أبي نمى لما ملك مكة حرسها الله تعالى (وفيها) توفي جماز بن شيحة صاحب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وملك بعده ابنه منصور ابن جماز (وفيها) وصلت الى حماة في يوم السبت عاشر صفر عائدا من الحجاز الشريف بعد زيارة القدس الشريف والخليل صلوات الله عليه وسلامه (ثم دخلت سنة خمس وسبعمائة)

ذكر اغارة عسكر حلب على بلاد سيس

في أوائل المحرم من هذه السنة الموافق للعشر الاخير من تموز أرسل قرا سنقر نائب

السلطنة بحلب مع قشتمر مملوكه عسكر حلب للاغارة على بلاد سيس فدخلوها في أول الشهر المذكور وكان قشتمر المذكور ضعيف العقل قليل التدبير مشتغلا بالخمر ففرط في حفظ العسكر ولم يكشف أخبار العدو واستهان بهم فجمع صاحب سيس جموعاً كثيرة من التتر وانضمت اليهم الارمن والفرنج ووصلوا على غرة الى قشتمر المذكور ومن معه من الامراء وعسكر حلب والتقوا بالقرب من اياس فلم يكن للحلبيين قدرة بمن جاءهم فتولوا يبتدرون الطريق وتمكنت التتر والارمن منهم فقتلوا وأسروا غالبهم واختفى من سلم في تلك الجبال ولم يصل الى حلب منهم الا القليل عرايا بغير خيل وكان صاحب سيس في هذه السنة هيتوم بن ليفون بن هيتوم وهو الذى أمسكه أخوه سنباط وسمله فذهبت عينه الواحدة وبقي أعور حسبما تقدم ذكره في سنة تسع وتسعين وستمائة

ذكر غير ذلك

(في هذه السنة) قطع خبز بدر الدين بكتاش أمير سلاح لكبره وعجزه عن الحركة (وفيها) أفرج عن الحاج بهادر الظاهرى وكان قد اعتقله حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور (وفيها) هلك قطلوشاه نائب خربندا قتله أهل كيلان لانهم عصوا وسار قطلوشاه لقتالهم فكبسوه وقتلوه وقتل معه جماعة من المغل (وفيها) سار جمال الدين اقوش الافرم بعسكر دمشق وغيره من عساكر الشام الى جبال الظنينين وكانوا عصاة مارقين من الدين فاحاطت العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنيعة وترجلوا عن خيولهم وصعدوا في تلك الجبال من كل الجهات وقتلوا وأسروا جميع من بها من النصيرية والظنينين وغيرهم من المارقين وطهرت تلك الجبال منهم وهي جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس وأمنت الطرق بعد ذلك فانهم كانوا يقطعون الطريق ويتخطفون المسلمين ويبيعونهم للكفار (وفيها) استدعى تقي الدين أحمد بن تيمية من دمشق الى مصر وعقد له مجلس وأمسك وأودع الاعتقال بسبب عقيدته فانه كان يقول بالتجسيم على ماهو منسوب الى ابن حنبل (ثم دخلت سنة ست وسبعمائة)

(ذكر من ملك في هذه السنة بلاد المغرب من بني مرين)

قد تقدم ذكر بني مرين في سنة اثنتين وسبعين وستمائة وانه استقر في الملك منهم يعقوب ثم ابنه يوسف ولما كان في هذه السنة قتل أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ابن محيو بن حمامة المريني ملك المغرب وهو محاصر تلمسان وكان قد أقام على حصارها سنين كثيرة ونفدت أقوات أهل تلمسان ولم يبق عندهم مايكفيهم شهرا وأيقنوا بالعطب ففرج الله عنهم بقتل المريني المذكور وسبب قتله انه اتهم وزيره بتعرضه الى حرمه واتهم زمام داره وكان اسمه عنبر بمواطأة الوزير على ذلك وأمر بحبس الوزير وأمر

بقتله

بقتل زمام داره عنبر ولما أخرج عنبر ليقتل مر بالخدام فقالوا ماالخبر فقال أمر بقتلى وسيقتلكم كلكم بعدى فهجم بعض الخدام بسكين على أبى يعقوب المذكور وقد خضب أبو يعقوب لحيته بحناء وهو نائم على قفاه فضربه الخادم بالسكين في جوفه وهرب عنه وأغلق الباب عليه وكان هناك امرأة لخدمة أبى يعقوب فصاحت فدخل أصحابه عليه وبه بعض الرمق فأوصى الى ابنه أبى سالم بن أبى يعقوب ومات ولما مات أبو يعقوب المذكور جلس في الملك بعده ولده أبو سالم بن يوسف المذكور ولما ملك أبو سالم قصده ابن عمه أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق وقيل ان أبا ثابت هو عامر بن عبد الله بن يوسف بن أبى يعقوب فيكون ابن أخى أبى سالم لا ابن عمه وانضم مع أبى ثابت يحيى بن يعقوب عم أبى سالم فلما قارباه هرب أبو سالم بن يوسف منهما فأرسلا في أثره من تبعه وقتله وحمل رأس أبى سالم المذكور الى أبى ثابت عامر المذكور ولما قتل أبو سالم استقر أبو ثابت عامر في المملكة وكان جلوسه في الملك في منتصف هذه السنة أعنى سنة ست وسبعمائة * ولما استقر أمر بقتل الخادم الذى قتل عمه يوسف فقتل ثم أمر بقتل الخدام عن آخرهم فقتلوا وأضرمت لهم النيران وألقوا فيها ولم يترك أبو ثابت بمملكته خادما خصيا حتى أباده ثم ان أبا ثابت المذكور وثب على عمه يحيى فقتله في ثانى يوم استقراره في الملك ثم سار أبو ثابت الى فاس وأرسل مستحفظا من بنى عمه اسمه يوسف بن أبى عباد الى مراكش ثم ان يوسف المذكور بعد استقراره في مراكش خلع طاعة أبى ثابت عامر المذكور وكان منه ماسنذكره

ذكر غير ذلك من الحوادث

﴿ في هذه السنة ﴾ توفي الامير بدر الدين بكتاش الفخرى المعروف بأمير سلاح وكان بين قطع خبزه ووفاته دون أربعة أشهر (ثم دخلت سنة سبع وسبعمائة)

ذكر وفاة عامر ملك المغرب وذكر من تملك بعده

(في أواخر هذه السنة) توفي أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف أبى يعقوب بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن حمامة ملك المغرب وكانت مدة ملكه سنة وثلاثة أشهر وأياما وقيل سنة ونصفا وتوفي بطنجة فانه لما عصى عليه ابن عمه يوسف بن أبى عباد بمراكش سار اليه أبو ثابت المذكور فاقتتل معه يوسف فانتصر أبو ثابت وولى يوسف منهزما فأخذ أسيرا وقتل من أصحابه جماعة كثيرة واستقامت مراكش لابى ثابت ثم عاد أبو ثابت المذكور الى طنجة لقتال قوم بها من الاعراب فأدركته منيته بها ولما مات أبو ثابت جلس في الملك بعده ابن عمه على بن يوسف ثم خلعه الوزير

وجماعة من العسكر بعد يومين من جلوسه وأقاموا في الملك سليمان بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو وبايعوه فاستمال الناس وانفق فيهم الاموال وزاد في عطيات بنى مرين وأطلق المكوس وأحسن الى الرعية وقبض على على بن يوسف المخلوع واعتقله بطنجة واستقرت قدم سليمان في الملك واستقامت له الامور

ذكر قتل صاحب سيس وقتل ابن أخيه

(وفي هذه السنة) قتل برلغى وهو مقدم المغل المقيمين ببلاد الروم صاحب سيس هيتوم بن ليفون بن هيتوم المقدم ذكره بعد ان ذبح ابن أخيه تروس الصغير على صدره واستقر في ملك سيس وبلاد أوشين بن ليفون أخو هيتوم المذكور ولما قتله برلغى مضى أخو هيتوم المذكور الناق بن ليفون صحبة برلغى وشكى الى خربندا فأمر خربندا ببرلغى فقتل بالسيف (وفيها) عزم سلام على المسير الى اليمن والاستيلاء عليه وعينت العساكر للمسير صحبته وجهزت الآلات في المراكب من عيذاب ثم أنهى عزمه عن ذلك (وفيها) نزل سيف الدين كراى المنصورى عن أقطاعه بديار مصر واستقال من الامرة فأقيل وبقى بطالا حتى أنعم عليه مولانا السلطان فيما بعد باقطاع وأعطاه نيابة السلطنة بدمشق على ماسنذكره (وفيها) توفي ركن الدين بيبرس العجمى الصالحى المعروف بالجالق أحد البحرية وكان آخر البحرية وكان قد أسن (ثم دخلت سنة ثمان وسبعمائة)

ذكر مسير السلطان الى الكرك واستيلاء بيبرس الجاشنكير على المملكة

﴿وفي هذه السنة﴾ في يوم السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان خرج مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون الصالحى من الديار المصرية متوجها الى الحجاز الشريف وسار في خدمته جماعة من الامراء منهم الامير عز الدين ايدمر الخطيرى والامير حسام الدين قرا لاجين والامير سيف الدين آل ملك وغيرهم ووصل الى الصالحية وعيد بها عيد الفطر ثم سار الى الكرك فوصل اليها في عاشر شوال وكان النائب بها جمال الدين أقوش الاشرفي فعمل سماطا واحتفل به وعبر السلطان الى المدينة ثم الى القلعة * ولما عبر السلطان على الجسر الى القلعة والامراء ماشون بين يديه والمماليك حول فرسه وخلفه سقط بهم جسر قلعة الكرك وقد حصلت يد فرس مولانا السلطان وهو راكبه داخل عتبة الباب فلما أحس الفرس بسقوط الجسر أسرع حتى كاد أن يدوس الامراء الماشين بين يديه وسقط من

ممـاليك مولانا السلطان خمس وثلاثون الى الخندق وسقط غيرهم من أهـل الكرك ولم يهلك من المماليك غير شخص واحـد لم يكن من الخواص ونزل في الوقت مولانا السلطان خلد الله تعالى ملكه عند الباب وأحضر الجنويات والحبال ورفع الذين وقعوا عن آخرهـم وأمر بمداواتهـم فصاحوا وعادوا الى ما كانوا عليه في مدة يسـيرة وكان ذلك من عنوان سـعادة مولانا جعلها الله تعالى خارقـة للعوائد فان ارتفاع الجسر الذى سقطوا منه الى الخندق يقارب خمسين ذراعا ولما استقر مولانا السلطان بقلعة الكرك أمر جمال الدين أقوش نائب السلطنة بها والامراء الذين حضروا في خدمته بالمسير الى الديار المصرية وأعلمهم انه جعل السفر الى الحجاز وسيلة الى المقام بالكرك وكان سبب ذلك استيلاء سلار وبيبرس الجاشنكير على المملكة واستبدادهما بالامور وتجاوز الحد في الانفراد بالاموال والامر والنهى ولم يتركا لمولانا السلطان غير الاسم مع ما كان منهما من محاصرة مولانا السلطان في القلعة وغير ذلك مما لا تنكمش النفس منه فانف مولانا السلطان خلد الله ملكه من ذلك وترك الديار المصرية وأقام بالكرك ولما وصلت الامراء الى الديار المصرية واعلموا من بها باقامة السلطان بالكرك وفراقه الديار المصرية اشتوروا فيما بينهم واتفقوا على أن تكون السلطنة لبيبرس الجاشنكير وأن يكون سلار مستمرا على نيابة السلطنة كما كان عليه وحلفوا على ذلك وركب بيـبرس الجاشنكير من داره بشعار السلطنة الى الايوان الكبير بقلعة الجبـل وجلس على سرير الملك في يوم السبت الثالث والعشرين من شوال هذه السنة أعنى سنة ثمان وسبعمائة وتلقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصورى وأرسـل الى نواب السلطنة بالشام فحلفوا له عن آخرهم وكتب تقليدا لمولانا السلطان بالكرك ومنشورا بما عينه له من الاقطاع بزعمه وأرسلهما اليـه واستقر الحال على ذلك حتى خرجت هذه السنة (وفيها) ملك الفرنج الاستبتار جزيرة ردوس وأخذتها من الاشكرى صاحب قسطنطينية وصعب بسبب ذلك على التجار الوصول في البحر الى هذه الديار لمنع الاستبتار من يصل الى بلاد الاسلام (وفيها) أرسل صاحب تونس أبو حفص عمر أسطولا وعسكرا الى جزيرة جربة وهى جزيرة في البحر الرومى ومسيرتها من قابس يوم واحد ولهذه الجزيرة مخاضة الى البر ودور هذه الجزيرة ستة وسبعون يوما وكانت بأيدى المسلمين فتغلب عليها الفرنج وملكوها في سنة ثمانين وستمائة فلما كانت هذه السنة أرسل اليهم صاحب تونس عسكرا وقاتلهم فاستنجد أهل هذه الجزيرة بفرنج صقلية فلما وصل أصطول صقلية اليهم عاد أصطول صاحب تونس اليه ولم يتمكنوا من فتحها (وفيها) مات الامير خضر ابن الملك الظاهر بيبرس بباب القنطرة وكان المذكور قد جهزه السلطان الملك الاشرف خليـل ابن السلطان الملك المنصـور قلاوون الى

القسطنطينية فبقي فيها هو وأخوه وأهله مدة وتوفي سلامش أخوه هناك ثم عاد خضر المذكور الى القاهرة وأقام عند باب القنطرة وتوفي في هذه السنة ﴿ثم دخلت سنة تسع وسبعمائة﴾

(ذكر تجريد العساكر الى حلب وما ترتب على ذلك)

(وفي هذه السنة) وصل من مصر الامير جمال الدين أقوش الموصلي المعروف بقتال السبع وأصله من مماليك بدر الدين لولو صاحب الموصل وكذلك وصل لاجين الجاشنكير المعروف بالزير تاج وصحبتهما تقدير ألفي فارس من عسكر مصر وجردني الامير سيف الدين قبجق نائب السلطنة بحماة وجرد معي جماعة من عسكر حماة فسرنا ودخلنا حلب يوم الخميس تاسع عشر ربيع الآخر من هذه السنة الموافق للخامس والعشرين من ايلول وكان نائب السلطنة بحلب قراسنقر المنصوري ووصل أيضاً جماعة من عسكر دمشق مع الحاج بهادر الظاهري فأخذ قرا سنقر في الباطن يستميل الناس الى طاعة مولانا السلطان ويقبح عندهم طاعة بيبرس الجاشنكير الملقب بالملك المظفر

(ذكر مسير مولانا السلطان من الكرك وعوده اليها)

(وفي هذه السنة) سار جماعة من المماليك على حمية من الديار المصرية مفارقين طاعة بيبرس الجاشنكير الملقب بالملك المظفر ووصلوا الى السلطان بالكرك واعلموه بما الناس عليه من طاعته ومحبته فاعاد السلطان خطبته بالكرك ووصلت اليه مكاتبات عسكر دمشق يستدعونه وانهم باقون على طاعته وكذلك وصلت اليه من حلب المكاتبات فسار السلطان بمن معه من الكرك في جمادى الآخرة من هذه السنة ووصل الى حمان وهي قرية قريب من رأس الماء فعمل جمال الدين أقوش عليه الحيلة وأرسل اليه قرابغا مملوك قرا سنقر برسالة كذبها على قرا سنقر وكان قرابغا قد سار الى الافرم بمكاتبة تتعلق به بمفرده فأرسله الافرم الى السلطان فسار من دمشق ولاقى السلطان بحمان فانهى قرابغا المذكور ماحمله الافرم من الكذب مما يقتضي رجوع مولانا السلطان فلما سمع مولانا السلطان قرابغا ظنه حقا ورجع الى الكرك واستمرت العساكر على طاعة مولانا السلطان واستدعائه ثانياً وانحلت دولة بيبرس الجاشنكير وجاهره الناس بالخلاف ولما جرى ذلك وبلغ العساكر المقيمين بحلب ساروا من حلب من غير دستور وسرت أنا بمن معي من عسكر حماة ودخلت حماة يوم الثلاث التاسع عشر من رجب والثالث والعشرين من كانون الاول

(ذكر مسير مولانا السلطان الى دمشق واستقرار ملكه بها)

ولما تحقق مولانا السلطان الملك الناصر صدق طاعة العساكر الشامية وبقاؤهم على طاعته

وصحبته عاود المسير الى دمشق وخرج من الكرك وخرجت عساكر دمشق الى طاعته وتلقوه وأما أقوش الافرم نائب السلطنة بدمشق فانه هرب ووصل السلطان الى دمشق في يوم الثلاث ثالث عشر شعبان من هذه السنة الموافق لعشرين من كانون الثاني وهيئت له قلعة دمشق فلم ينزل بها ونزل بالقصر الابلق وأرسل الافرم وطلب الامان من السلطان فأمنه فقدم الى طاعته الى دمشق وسار قبجق من حماة وسار العسكر الحموي صحبته وكذلك سار اسندمر بعسكر الساحل ووصل قبجق واسندمر من معهما من العساكر الى خدمة السلطان بدمشق في يوم الاثنين الرابع والعشرين من شعبان من هذه السنة وقدمت تقدمتي ومن جملتها مملوكي طقزتمر في يوم الاربعاء السادس والعشرين من شعبان المذكور فحصل من مولانا السلطان القبول والصدقة والمواعيد الصادقة بالتصدق على بحماة على عادة أهلي وأقاربي ثم وصل قرا سنقر الى دمشق بعسكر حلب يوم الجمعة الثامن والعشرين من شعبان وكان وصل قبل ذلك سيف الدين بكتمر المعروف بأمير جاندار من صفد ولما تكاملت للسلطان عساكر الشام أمرهم بالتجهيز للمسير الى ديار مصر

(ذكر مسير مولانا السلطان الى ديار مصر واستقراره في سلطنته)

(وفي هذه السنة) لما تكاملت العساكر الشامية عند السلطان بدمشق أرسل الى الكرك وأحضر ما كان بها من الحواصل وانفق في العسكر وسار بهم من دمشق في يوم الثلاث تاسع رمضان من هذه السنة الموافق لعاشر شباط ولما بلغ بيبرس الجاشنكير ونائبه ذلك جردا عسكرا ضخما مع برلغي وغيره من المقدمين فساروا الى الصالحية وأقاموا بها وكان برلغي من أكبر أصحاب الجاشنكير وكان الشاعر أراده بقوله

فكان الذي استنصحت أول خائن وكان الذي استصفيت من أعظم العدا

وسارت العساكر في خدمة السلطان وكان الفصل شتاء والخوف شديدا من الامطار وتوحل الارض وقدر الله تعالى لنا بالصحو والدفاء وعدم الامطار واستمر ذلك حتى وصلنا في خدمته الى غزة في يوم الجمعة تاسع عشر رمضان من هذه السنة ولما وصل السلطان الى غزة قدم الى طاعته عسكر مصر أولا فأولا وكان ممن قدم أيضاً برلغي وغيره من المقدمين ومعهم عدة كثيرة من العسكر ثم تتابعت الاطلاب وكان يلتقي مولانا السلطان في كل يوم وهو سائر طلب بعد طلب من الامراء والمماليك والاجناد ويقبلون الارض ويسيرون صحبة الركاب الشريف ولما تحقق بيبرس الجاشنكير ذلك خلع نفسه من السلطنة وأرسل مع ركن الدين بيبرس الدواداري ومع بهادر أن يطلب الامان من مولانا السلطان وأن يتصدق عليه ويعطيه اما الكرك أو حماة أو صهيون وأن يكون معه ثلثمائة مملوك من مماليكه فوقعت اجابة السلطان الى مائة مملوك وأن يعطيه صهيون وأتم مولانا السير وهرب

الجاشنكير من قلعة الجبل الى جهة الصعيد وخرج سلار الى طاعة مولانا السلطان والتقاه يوم الاثنين الثامن والعشرين من رمضان قاطع بركة الحجاج وقبل الارض وضرب لمولانا السلطان الدهليز بالبركة في النهار المذكور وأقام بها يوم الثلاث سلخ رمضان وعيد يوم الاربعاء بالبركة ورحل السلطان في نهاره والعساكر الشامية والمصرية سائرون في خدمته وعلى رأسه الجتر ووصل الى قلعة الجبل وصعد اليها واستقر على سرير ملكه بعد العصر من نهار الاربعاء مستهل شوال من هذه السنة أعنى سنة تسع وسبعمائة الموافق لرابع ادار من شهور الروم وهى سلطنته الثالثة وفي يوم الجمعة ثالث شوال وهو اليوم الثالث من وصول مولانا السلطان سار سلار من قلعة الجبل الى الشوبك بحكم ان السلطان أنعم بها عليه وقطع خبزه من الديار المصرية وأعطى السلطان نيابة السلطنة بحلب سيف الدين قبجق وارتجع منه حماة وسار قبجق من مصر يوم الخميس تاسع شوال ورسم لعسكر حماة بالمسير معه وتصدق على وطيب خاطرى بانه لا بد من انجاز ماوعدنى به من ملك حماة وانما أخر ذلك لما بين يديه من المهمات والاشغال المعوقة عن ذلك فسرنا مع قبجق من مصر متوجهين الى الشام في التاريخ المذكور ووصلنا الى حماة يوم الخميس خامس عشر ذى القعدة من هذه السنة ثم رسم السلطان للامير جمال الدين أقوش الافرم بصرخد فسار اليها وقرر نيابة السلطنة بالشام لشمس الدين قرا سنقر وقرر حماة للحاج بهادر الظاهرى ثم ارتجعها منه وقرره في نيابة السلطنة بالحصون والفتوحات بعد عزل أسندمر عنها وكان قد حصلت بيني وبين أسندمر عداوة مستحكمة بسبب ميله الى أخيه فقصد أن يعدل بحماة عنى اليه فلم يوافقه السلطان الى ذلك فلما رأى ان السلطان يتصدق بحماة علي طلبها أسندمر لنفسه فما أمكن السلطان منعه منها فرسم السلطان بحماة لاسندمر وتأخر حضوره لامور اقتضت ذلك وقرر السلطان الامير سيف الدين بكتمر الجوكاندار في نيابة السلطنة بديار مصر

(ذكر القبض على بيبرس الجاشنكير الملقب بالملك المظفر)

كان المذكور قد هرب من قلعة الجبل عند وصول مولانا السلطان الى الصالحية وأخذ منها جملا كثيرة من الاموال والخيول وتوجه الى جهة الصعيد فلما استقر مولانا السلطان بقلعة الجبل أرسل اليه وارتجع منه ماأخذه من الخزائن بغير حق ثم ان بيبرس المذكور قصد المسير الى صهيون حسبما كان قد سأله فبرز من أطفيح الى السويس وسار الى الصالحية ثم سار منها حتى وصل الى موضع باطراف بلاد غزة يسمى العنصر قريب الداروم وكان قرا سنقر متوجها الى دمشق نائباً بها على مااستقر عليه الحال فوصل اليه المرسوم بالقبض على بيبرس الجاشنكير فركب قرا سنقر وكبسه بالمكان المذكور وقبض عليه به

وسار

وسار به الى جهة مصر حتى وصل الى الخطارة فوصل من الابواب الشريفة السلطانية أسندمر الكرجي وتسلم بيبرس الجاشنكير من قرا سنقر وأمر قرا سنقر بالعود فعاد الى الشام فوصل أسندمر بيبرس الجاشنكير فحال وصوله الى قلعة الجبل اعتقل يوم الخميس رابع عشر ذى القعدة من هذه السنة فكان آخر العهد به وكانت مدة سلطنة بيبرس المذكور الملقب بالملك المظفر احد عشر شهرا

تفانى الرجال على حبها ... وما يحصلون على طائل

(وفيها) غلب بيان بن قبجي على مملكة أخيه فاستنجد وطرده عنها واتفق موت كبلك عقيب ذلك وخلف ولدا اسمه قشتمر بن كبلك فاستنجد قشتمر وطرد عمه بيان واستقر في ملك أبيه كبلك وقيل ان الذى طرده بيان هو أخو منغطاى ابن قبجي (وفيها) وردت الاخبار بان الفرنج قصدت ملك غرناطة بالاندلس وهو نصر بن محمد بن الاحمر فاستنجد بسليمان المرينى صاحب مراكش واتقع ابن الاحمر مع الفرنج (وفيها) تزوج خربندا ملك التتر بنت صاحب ماردين الملك المنصور غازى بن قرا أرسلان وحملت اليه الى الاردو (وفيها) في يوم الاربعاء خامس ذى الحجة حضر مهنا بن عيسى الى حماة وطلب توفيق الحال بيني وبين أخى بسبب حماة فلم يتفق حال (وفيها) في ثامن عشر ذى الحجة حضر بدر الدين تليك السديدى الى حماة وحكم فيها نيابة عن اسندمر وحضر صحبته من السلطان اسندمر وبقى الانتظار حاصلا لقدوم اسندمر الى حماة (وفيها) في يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى الحجة خرجت من حماة مظهرا انى متوجه الى دمشق لملتقى اسندمر فأرسلت في الباطن أسأل من صدقات مولانا السلطان أن يمكنى من المقام بدمشق ومفارقة حماة فانه قد كان استحكم في خاطر اسندمر من عداوتى فخشيت من المقام بحماة تحت حكم المذكور فتركتها وسرت الى دمشق ودخلتها في يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ووصل اسنبغا مملوكى من الابواب الشريفة يوم الاربعاء رابع المحرم من سنة عشر وسبعمائة بمقامي بدمشق وتصدق على السلطان بخلعة كرودوحش وكلوته رزنش ورسم لى بغلة من حواصل دمشق وان أقيم بدمشق ويكون خبزى بحماة مستقرا على وكذلك أجنادى وأمرنى فاستقريت بدمشق ونزحت عن حماة (ثم دخلت سنة عشر وسبعمائة)

(ذكر وصول اسندمر الى دمشق متوجها الى حماة)

(في هذه السنة) في يوم الثلاث العاشر من المحرم وصل اسندمر من الابواب الشريفة متوجها الى حماة نائبا بها وكنت حينئذ مقيما بدمشق كما ذكرنا فخرجت الى الكسوة والتقيته ووجدت عنده لمقامي بدمشق وخروجي عن حكمه أمرا عظيما وأخذ يخدعنى

ويستميلني ويطيب خاطري ويسألني المسير معه الى حماة فلم أجبه الى ذلك فدخل الى قرا سنقر وسأله في ارسالي صحبته طوعا أوكرها فأجابه ان السلطان رسم بمقامه بدمشق فلا يمكن خلاف ذلك فأقام اسندمر بدمشق أياما قلائل وتوجه الى حماة ودخلها في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من المحرم من هذه السنة

﴿ ذكر القبض على سلار ﴾

كان سلار بالشوبك وقدعزم على الهروب منها فأرسل السلطان اليه واستدعاه بعدان عرض عليه المسير الى حماة ويكون نائباً بها ورسم لاسندمر فسار من حماة الى دمشق وأخلى حماة لاجل سلار وترددت المراسلات اليه فحضر سلار الى الابواب الشريفة بديار مصر في سلخ ربيع الآخر من هذه السنة وقبض على سلار المذكور فكان آخر العهد به واحتيط على غالب موجوده لبيت المال وكان شيئاً كثيرا

(ذكر استقراري بحماة وعودها الى البيت التقوى وما يتعلق بذلك)

(وفي هذه السنة) توفي الحاج بهادر النائب بالسواحل الشامية في يوم الثلاث لعشرين من ربيع الآخر ووصل مهنا بن عيسى الى دمشق وتوجه منها الى مصر في يوم السبت مستهل جمادى الاولى وكان السلطان حريصاً الى انجاز ماوعده بأن يقيمني بحماة وتأخر ذلك بسبب مداراته لاسندمر وغيره فلما اتفق موت الحاج بهادر ووصول مهنا بن عيسى الى الابواب الشريفة أعطى مولانا السلطان نيابة السلطنة بالسواحل والفتوحات لاسندمر وتصدق على بحماة والمعرة وبارين وأرسل تقليد اسندمر بالسواحل مع منكوتمر الطباخي فوصل الى دمشق في يوم الاحد الثالث والعشرين من جمادى الاولى وسار الى حماة فلم يجب اسندمر الى المسير الى الساحل وامتنع من قبول التقليد والخلعة ورد التقليد صحبة منكوتمر المذكور فعاد به الى دمشق واتفق عند ذلك موت سيف الدين قبجق نائب السلطنة بحلب في يوم السبت سلخ جمادى الاولى فلما وصل خبر موته الى الابواب الشريفة أنعم السلطان بنيابة السلطنة بحلب على اسندمر موضع سيف الدين قبجق وأنعم على جمال الدين أقوش الافرم بنيابة السلطنة بالفتوحات ونقله من صرخد اليها واستقرت حماة للعبد الفقير الى الله تعالى اسماعيل بن علي مؤلف هذا الكتاب ووصل الى بدمشق التقليد الشريف بحماة صحبة الامير سيف الدين قجلس الناصري السلحدار وأعطيت حماة في هذه المرة على قاعدة النواب وكان تاريخ التقليد في ثامن عشر جمادى الاولى سنة عشر وسبعمائة حسب المرسوم الشريف وخرجت من دمشق متوجها الى حماة وصحبتي الامير سيف الدين قجلس المذكور في يوم الاربعاء الثامن عشر من جمادى الآخرة واسندمر مقيم بحماة وهو في أشد مايكون من الغضب بسبب فراق حماة وكوني

قد شملتني بها الصدقات الشريفة السلطانية حتى انه عزم انه يقاتلني ويدفعني عنها وكان قد طلع جميع العسكر الحموى الى لقائي والتقوني قاطع حمص ووصل الى اسندمر مملوكه سنقر من الابواب الشريفة وخوفه من عاقبة فعله فتوجه اسندمر من حماة ضحى يوم الاثنين المذكور ودخلت الى حماة عقيب خروجه منها في النهار المذكور وكان استقراري في دار ابن عمي الملك المظفر بحماة بعد الظهر من نهار الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة أعني سنة عشر وسبعمائة الموافق لسادس عشر كانون الثاني وكان خروج حماة عن البيت التقوى الايوبي عند موت السلطان الملك المظفر صاحب حماة في يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وتسعين وستمائة وعودها في تاريخ التقليد وهو ثامن عشر جمادى الاولى سنة عشر وسبعمائة فيكون مدة خروجها من البيت التقوى الى أن عادت اليه احدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما ولنذكر جملة من أخبار حماة وقد ذكرت في أخبار داود وسليمان في الكتب الاربعة والعشرين التي مع اليهود ثم صارت بلدة صغيرة حتى صارت من الاعمال ثم ان اسطيتينوس ملك الروم بنى اسوار حماة في أول سنة من ملكه وفرغ منها في سنتين وبقيت مع الروم حتى فتحها أبو عبيدة ابن الجراح بالامان بعد فتوح حمص وبقيت مضافة الى حمص وتواردت عمال الخلفاء الراشدين على حمص حتى ملكت بنو امية وأقاموا بدمشق فتواردت عمالهم عليها ثم لما صارت الدولة لبني العباس تواردت عمالهم على حمص أيضا وعلى حماة وغيرهما ثم استولت القرامطة على حماة وقتلوا فيها مقتلة كبيرة من أهلها ثم صارت لصالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب ثم صارت للامير سهم الدولة خليفة بن جيهان الكردى ثم صارت لشجاع الدولة جعفر ابن كلند والي حمص وفي سنة سبع وسبعين واربعمائة تقدم خلف بن ملاعب صاحب حمص قلعة حماة ثم أقطع السلطان ملكشاه حماة لاقسنقر مضافة الى حلب وبقيت له الى أن قتله تتش ثم صارت حماة لمحمود بن على بن قراجا وكان ظالما ثم صارت حماة لطغتكين صاحب دمشق ثم صارت للبرسقي ثم لولده عز الدين مسعود بن اقسنقر البرسقي ثم صارت لبهاء الدين سونج بن بورى بن طغتكين ثم صارت لعماد الدين زنكي بن اقسنقر ثم ارتجعها منه شمس الملوك اسماعيل بن بورى بن طغتكين ثم استولى عليها عماد الدين زنكي ثم صارت حماة لنور الدين محمود بن زنكي ثم صارت لولده الملك الصالح اسماعيل بن محمود ثم صارت لصلاح الدين يوسف بن أيوب ثم اعطاها لخاله شهاب الدين محمود الحارمي بن تكش ثم صارت للملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ثم صارت لولده الملك المنصور محمد بن عمر ثم صارت لولده الملك

الناصر قليج أرسلان بن محمد ثم صارت لاخيه الملك المظفر محمود بن محمد ثم صارت لولده الملك المنصور محمد بن محمود ثم صارت لولده الملك المظفر محمود ثم خرجت عنهم فتولى فيها قراسنقر ثم زين الدين كتبغا ثم سيف الدين قبجق ثم سيف الدين اسندمر ثم صارت لمؤلف هذا الكتاب اسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولنرجع الى بقية حوادث هذه السنة أعنى سنة عشر وسبعمائة ولما قاربت حماة ونزلت الرستن البسنى الامير سيف الدين قجليس التشريف السلطانى وهو أطلس أحمر بطراز زركش فوقانى وتحته أطلس أصفر وكلوته زركش وشاش رقم ومنطقة ذهب مصرى وسيف محلى بذهب مصرى واركبنى حصانا برقيا بسرجه ولجامه ودخلت حماة بذلك وقرئ التقليد الشريف بحضور الناس وأعطيت الامير سيف الدين المذكور أربعين ألف درهم وأوصلته بالخلع والخيول وتوجه من حماة في يوم الاحد التاسع والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة واتفق لى شئ عجيب وهو ان مولدى بدمشق في جمادى ووصلنى تقليد حماة بدمشق في جمادى وأقمت بحماة وحصلت التقدمة على جارى عادة أهلى وأرسلت سألت من صدقات السلطان دستورا بالتوجه الى الابواب الشريفة فرسم لى بذلك فخرجت من حماة في مستهل شوال من شهور هذه السنة ودخلت مصر وحضرت بين يدى المواقف الشريفة يوم الثلاث مستهل ذى القعدة من هذه السنة وقدمت التقدمة في غد ذلك اليوم فشملتنى الصدقات بقبول ذلك ثم أفاض على وعلى جميع من كان في صحبتى الخلع وتصدق على بالمركوب والنفقة وأعادنى الى بلدى بجبور الحبور فوصلت الى حماة في يوم الثلاث ثالث ذى الحجة من هذه السنة الموافق للسابع والعشرين من نيسان

﴿ ذكر ملوك الغرب ﴾

توفي أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف في منتصف هذه السنة وجلس في الملك بعده عم أبيه أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق في شهر رجب من هذه السنة واستقرت قدمه في الملك

(ذكر القبض على اسندمر نائب السلطنة بحلب)

كان السلطان قد جرد عسكرا مع كراى المنصورى وشمس الدين سنقر الكمالي فساروا وأقاموا بحمص ولما وصلت الى حماة عائدا من الابواب الشريفة ركبوا من حمص وساقوا ليكبسوا اسندمر بحلب ويبغتوه بها فانه كان مستشعرا لما كان قد فعله من الجرائم وأرسل كرايه المذكور الى يعلمنى بمسيرهم وان أسير بالعسكر الحموى واجتمع بهم لهذا المهم فخرجت من حماة يوم الخميس تاسع ذى الحجة من هذه السنة وهو ثالث يوم من وصولي من الابواب الشريفة ونزلت بالعبادى وسقنا نهار الجمعة وبعض الليل ووصلنا الى حلب بعد

مضى ثلثى الليلة المسفرة عن نهار السبت حادى عشر ذى الحجة واحتطنا بدار النيابة التى فيها اسندمر تحت قلعة حلب وأمسكناه بكرة السبت واعتقل بقلعة حلب وجهز الى مصر مقيدا في يوم الاحد ثانى عشر ذى الحجة من هذه السنة ووصل الى مصر فاعتقل بها ثم نقل الي الكرك وكان آخر العهد به واحتيط على موجوده من الخيل والقماش والسلاح وكان شيئا كثيرا وحمل جميع ذلك الى بيت المال واستمر كريه والكمالى ومن معهما من العساكر والعبد الفقير اسماعيل بن على مقيمين بحلب حتى خرجت هذه السنة (وفيها) توفي نجم الدين أحمد ابن الرفعة بديار مصر وكان من أعيان الفقهاء الشافعية وشرح التنبيه في نحو عشرين مجلدا ونقل عليه شرح الوجيز الذى للرافعى (وفيها) في يوم الاحد سابع عشر رمضان توفي بتبريز القاضى قطب الدين محمود بن مسعود وكان مولده بمدينة شيزر في صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة فيكون مدة عمره ستا وسبعين سنة وسبعة أشهر وكان اماما مبرزا في عدة علوم مثل العلم الرياضى والمنطق وفنون الحكمة والطب والاصولين وله عدة مصنفات منها نهاية الادراك في الهيئة وتحفة السامى في الهيئة أيضاً وشرح مختصر ابن الحاجب في الفقه ومصنفاته وفضائله مشهورة (ثم دخلت سنة احدى عشرة وسبعمائة)

(ذكر وفاة طقطغا وملك أزبك)

(في هذه السنة) ظنا أعنى سنة عشر أو سنة احدى عشرة وسبعمائة توفي طقطغا ابن منكو تمر بن طغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكزخان ملك التتر بالبلاد الشمالية التى كرسى ملكها سراى وقد تقدم ذكر ملكه في سنة تسعين وستمائة ولما مات طقطغا المذكور ملك بعده أزبك بن طغريشاه بن منكو تمر بن طغان بن باطوخان بن دوشى خان بن جنكزخان واستقر أزبك المذكور ملكا بتلك الجهات

(ذكر نقل قرا سنقر من نيابة السلطنة بدمشق الى حلب وولاية كريه المنصورى دمشق واعطاء العساكر الذين بحلب الدستور)

(في هذه السنة) لما قبض على اسندمر سأل قرا سنقر نائب السلطنة بدمشق من مولانا السلطان أن ينقله الى نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية لانه كان قد طال مقامه بها وألف سكنى حلب فرسم له بذلك وحضر تقليده بولاية حلب مع الامير سيف الدين أرغون الدوادار الناصرى وسار في صحبته من دمشق متوجها الى حلب وحصل عند قرا سنقر استشعار من العسكر المقيمين بحلب لئلا يقبضوا عليه وبقى المقر السيفى أرغون الدوادار الناصرى المذكور يطيب خاطر قرا سنقر ويحلف له على عدم توهمه ويسكنه ويثبت

جاشه حتى وصل الى حلب وركبت العساكر المقيمون بحلب للتقاء فالتقيناه ودخل حلب في يوم الاثنين ثامن عشر المحرم من هذه السنة واستقر في نيابة السلطنة بحلب وأعطى المقر السيفي أرغون الناصرى عطاء جزيلا وسفره وسار المقر السيفي أرغون المذكور من حلب يوم الاربعاء لعشرين من المحرم وتوجه الى الديار المصرية فأقمنا بعد ذلك مدة ثم ورد الدستور الى العساكر المقيمة بحلب فسرنا منها في يوم الجمعة الحادى والعشرين من صفر عائدين الى أوطاننا ودخلت حماة في يوم الاثنين الرابع والعشرين من صفر من هذه السنة الموافق لثانى عشر تموز وأتمت العساكر المصرية والدمشقية المسير الى بلادهم ولما انتقل قراسنقر من دمشق الى حلب أنعم السلطان بنيابة السلطنة بالشام على سيف الدين كريه المنصورى ووصل اليه التقليد بذلك فاستقر فيها ثم بعد مدة قبض على كريه المنصورى ورتب في نيابة السلطنة بالشام أقوش الذى كان نائبا بالكرك

(ذكر مسير قرا سنقر الى الحجاز وعوده من أثناء الطريق وهربه)

وفيها سأل قراسنقر دستورا الى الحجاز الشريف لقضاء حجة الفرض فرسم له السلطان بذلك فعمل شغله وسار من حلب في أوائل شوال من هذه السنة ولم يسر على الطريق وسار على طرف البلاد من شرقيها حتى وصل الى بركة زيزا فحصل عنده التخيل والخوف من الركب المصرى لئلا يقبضوا عليه في الحجاز فعاد من بركة زيزا على البرية وسار على البر الى أركة والسخنة ثم الى بر حلب واجتمع مع مهنا بن عيسى أمير العرب واتفقا على المشاققة والعصيان وقصد قرا سنقر حلب ليستولى عليها فاجتمع العسكر والامراء الذين بها ومنعوه من الدخول اليها ووصل من صدقات السلطان الى قرا سنقر ومهنا مايطيب خاطرهما فلم يرجعا عن ضلالهما وأصرا على ذلك فجرد السلطان عسكرا مع المقر السيفي أرغون الدوادار الناصرى ومع الامير حسام الدين قرا لاجين بسبب قرا سنقر المذكور بحيث ان رجع عن الشقاق والنفاق يقرر أمره في مكان يختاره وان لم يرجع عن ذلك يقصده العسكر حيث كان ووصل العسكر المذكور الى حماة في يوم السبت سادس ذى الحجة من هذه السنة الموافق لنصف نيسان وسرت بصحبتهم في عسكر حماة وتوجهنا الى البرية ونزلنا بالخام بالقرب من الزرقا في يوم الخميس الحادى عشر من ذى الحجة من هذه السنة فاندفع قرا سنقر الى الفرات وأقام هناك وافترقت مماليكه فبعضهم سار الى التتر وبعضهم قدم الى الطاعة ثم توجه قرا سنقر الى جهة مهنا فعادت العساكر من الخام الى حلب وكان دخولنا الى حلب في يوم الاحد رابع عشر ذى الحجة من هذه السنة ثم كان ماسنذكره ان شاء الله تعالى وفي جمادى الاولى من هذه السنة قبض على سيف الدين بكتمر الجوكندار نائب السلطنة وأقام مولانا السلطان مقامه في نيابة السلطنة الامير

ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى (وفيها) حضرت رسل سيس بالارزاق المقدرة عليهم في كل سـنة وأحضروا لنواب الشام التقادم على جارى العادة وأحضروا لى بغلا وقماشا وخرجت هذه السـنة والحكام فيها على ماأصفه مولانا السلطان الاعظم الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى سلطان الاسلام بمصر والشام وما هو مضاف اليهما والحجاز و نائب السلطنة ركن الدين بيبرس الدوادار صاحب التاريخ المسمى بزبدة الفكره في تاريخ الهجره والنائب بالشام جمال الدين أقوش الذى كان نائباً بالكرك وقرا سنقر قد أظهر الشقاق وانضم الى مهنا بن عيسى أمير العرب وهو متردد في البرارى على شاطئ الفرات والحكم بحلب الى المشدين والنظار وليس بها نائب وقطلوبك بصفد فان النائب بصفد كان بكتمر الجوكندار انتقل الى مصر على ماتقدم ذكره فولى السلطان صفد سيف الدين قطلوبك واسماعيل مؤلف هذا الكتاب بحماة وما هو مضاف اليها وهو المعرة وبارين وباقى الاطراف مثل البيرة والرحبة وغزة وحمص وقلعة الروم وغـيرها من مواطن النيابة جميعها فيها مماليك السلطان أو مماليك والده أومماليك مماليك والده وجميعهم مرتبون من الابواب الشريفة على ماتقتضيه آراؤه العالية وأما الاطراف البعيدة فصاحب ماردين الملك المنصور نجم الدين غازى ابن الملك المظفر قرا أرسلان ابن الملك السـعيد نجم الدين غازى ابن الملك المنصور ناصر الدين ارتق ابن قطب الدين ايلغازى بن الى بن حسام الدين تمرتاش بن نجم الدين ايلغازى بن ارتق وقد تقدم أخبار ملوك ماردين مساقة الى سنة ثمانين وخمسمائة ثم ذكرنا أخبارهم في سنة سبع وثلاثين وستمائة وصاحب اليمن الملك المؤيد شرف الدين داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول وملك التـتر بالعراقين وكرمان وخراسان وديار بكر والروم وأذربيجان وغـيرها خربندا بن أرغون بن ابغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان وسار قبجى ملك تركستان بما وراء النهر وصاحب التخت بالصين القائم مقام جنكزخان سرقين بن منغلاى بن قبلاى بن طلو بن جنكزخان وملك التتر ببلاد الشمالى التى كرسى ملكها صراى أزبك بن طغريشاه بن منكو تمر بن طغان وملك التـتر بغزنة وباميان منطغاى بن قبجى بن أردنو بن دوشى خان بن جنكزخان وملك المغرب أبو سعيد عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق المرينى وملك غرناطة بالاندلس أبو الجيوش نصر بن محمد بن الاحمر وصاحب تونس أبو البقاء خالد بن زكريا بن يحيى بن أبى حفص والاشكرى ملك قسطنطينية اندرونيقوس وملك سيس أوشـين بن ليفون بن هيتوم (ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وسبعمائة)

(ذكر هروب الافرم واجتماعه بقرا سنقر ثم مسيرهما الى خربندا)

(وفي هذه السنة) قصد أقوش الافرم نائب السلطنة بالفتوحات أن يحدث خلافا وأن يجمع الناس عليه فهرب اليه حوه ايدمر الزردكاش من دمشق وانضم اليه من لايق به وسار من دمشق واجتمع بالافرم بالساحل وقصدوا من عسكر الساحل ومن غيرهم الموافقة لهم على ضلالهم فلم يوافقهم أحد فلما رأى الافرم ذلك هرب من الساحل وخرج على حمية وعبر على الغولة بين دمشق وحمص وسار في البرية واجتمع بقرا سنقر في شهر المحرم من هذه السنة وكان بعض العساكر مع الامير سيف الدين اركتمر على حمص فساق خلف الافرم فلم يلحقه وكان على حلب العسكر المقدم ذكره في السنة الماضية صحبة الامير سيف الدين أرغون الدوادار فلما بلغنا هروب الافرم واجتماعه بقرا سنقر وهم قريب سلمية وقع آراء الامراء على الرحيل من حلب والمسير الى جهة حمص وسلمية فرحل الامير سيف الدين أرغون الناصرى والامير حسام الدين قرا لاجين ومؤلف هذا المختصر بعسكر حماة من حلب وسرنا ووصلنا الى حماة في ثانى عشر المحرم من هذه السنة ووصلت باقي العساكر وسرنا من حماة في يوم الثلاث خامس عشر المحرم الموافق للثامن والعشرين من ايار ونزلنا بظاهر سلمية وقصد قرا سنقر والافرم كبس العسكر بالليل لظنهما ان فيهم مخامرين وانهم يوافقونهم على ذلك فلم يوافقهم أحد على ذلك فرجعوا عن ذلك وسار قرا سنقر والافرم ومن معهما الى جهة الرحبة فاتفق آراء الامراء على تجريد عسكر في أثرهم فجردوا العبد الفقير اسماعيل بن على بعسكر حماة وكذلك جردوا من المصريين الامير سيف الدين قلى بمقدمته وغيره من المقدمين المصريين والمقدمين الدماشقة فسرنا من سلمية في يوم الخميس سابع عشر المحرم من هذه السنة الى القسطل ثم الى قديم ثم الى عرض ثم الى قباقب ثم الى الرحبة ووصلنا اليها في يوم الاحد الثامن والعشرين من المحرم فلما وصلنا الى الرحبة اندفع قرا سنقر ومن معه الى جهة رومان قريب عانة والحديثة فما أمكننا المضى خلفه الى تلك البلاد بغير مرسوم فأقمنا بالرحبة ثم رحلنا منها عائدين في مستهل صفر الموافق لثامن حزيران من هذه السنة وسرنا الى المقر السيفى أرغون الدوادار وكان قد سار من سلمية الى حمص فوصلنا الى حمص في يوم الخميس ثامن صفر من هذه السنة ثم ان المقر السيفى رأى ان حماة قريبة وليس بمقامى بعسكر حماة على حمص فائدة فاقتضى رأيه سيرى الى حماة فسرت الى حماة ودخلتها يوم الاثنين ثانى عشر صفر واستمر العسكر مقيمين بحمص ثم ان قرا سنقر والافرم طال عليهما الحال وكثر ترداد الرسل اليهما في اطابة خواطرهما وهما لا يزدادان الا عتوا ونفورا حتى سارا الى التتر واتصلا بخربندا في ربيع الاول من هذه

السنة وكذلك ايدمر الزردكاش ومن انضم اليهم

(ذكر وصول الدستور الى العسكر)

ولما اتصل بالعلوم الشريفة السلطانية مااتفق من الامر تقدم مرسومه الى العساكر بالمسير الى أماكنهم فسارت من حمص في يوم الاثنين السادس والعشرين من صفر من هذه السنة الموافق لثالث تموز وعادوا الى أوطانهم

(ذكر وفاة صاحب ماردين)

(في هذه السنة) يوم الاحد ثامن ربيع الآخر توفي صاحب ماردين ومن عقيب مسير قرا سنقر من عنده الى الاردو وهو الملك المنصور نجم الدين غازى ابن الملك المظفر قرا أرسلان ابن السعيد نجم الدين غازى بن المنصور بن ارتق أرسلان ابن قطب الدين ايلغازى ابن الي بن تمر تاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين وملك ماردين بعده ابنه الالي الملك العادل عماد الدين على بن غازى نحو ثلاثة عشر يوما ثم ملك أخوه شمس الدين صالح وتلقب بالملك الصالح ابن غازى المذكور

(ذكر وصول النائب الى حلب)

وفيها قرر السلطان سيف الدين سودى الجمدار الاشرفي ثم الناصرى في نيابة السلطنة بحلب المحروسة موضع قراسنقر فوصل سودى المذكور الى حلب في ثامن أوتاسع ربيع الاول من هذه السنة واستقر في نيابة السلطنة بحلب

(ذكر مسيرى الى مصر)

(وفي هذه السنة) توجهت الى الابواب الشريفة وخرجت من حماة يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الاول من هذه السنة الموافق للرابع والعشرين من تموز وسقت من أثناء الطريق على البريد ووصلت الى قلعة الجبل وحضرت بين يدى المواقف الشريفة السلطانية في يوم الاثنين العاشر من ربيع الآخر الموافق للرابع عشر من آب ثم وصلت صبياني وقدمت التقدمة في يوم الجمعة خامس عشر ربيع الآخر وكان قبل وصولى قد قبض على بيبرس الدوادار نائب السلطنة وعلى جماعة من الامراء مثل الكمالى فحال حضورى بين يديه افاض على التشريف السلطانى الاطلس المزركش على عوائد صدقاته وأمر بنزولى في الكبش فأقمت به فاتفق بعد أيام يسيرة ان النيل وفى ونشر الخلع في يوم الاحد الثالث والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة الموافق للسابع والعشرين من آب من شهور الروم ورابع أيام النسىء بعد مسرى من شهور القبط واتفق في أيام حضورى بين أيدى المواقف الشريفة اقامة المقر السيفى أرغون الدوادار في نيابة السلطنة وقلده

وأعطاه السيف والبسه الخلعة ولما لم يبق لى شغل تصدق السلطان وأفاض على وعلى أصحابى الخلع وشرفنى بمركوب بسرجه ولجامه ثم تصدق على بثلاثين ألف درهم وخمسين قطعة من القماش ورسم أن يكتب لى التقليد بمملكة حماة والمعرة وبارين تمليكا ولولا خوف التطويل لاوردنا التقليد عن آخره لكننا نذكر منه فصولا يحصل بها الغرض طلبا للاختصار فمنه بعد البسملة الحمد لله الذى عضد الملك الشريف بعماده * وأورث الجد السعيد سعادة أجداده * وبلغ ولينا من تباهى ببابه ملوك بنى الايام غاية مراده * ومنه فاصبح جامع شملها * ورافع لواء فضلها * وناشر جناح عدلها * ومنه يحمد على انه صان بنا الملك وحماه * وكف بكف بأسنا المتطاول على استباحة حماه * ومنه ونشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فان أولى من عقد له لواء الولاء وتشرفت باسمه اسرة الملوك وذوى المنابر * وتصرفت أحكامه في مايشاء من نواه وأوامر * وتجلى في سماء السلطنة شمسه فقام في دستها مقام من سلف * واخلف في أيامنا الزاهرة من درج من اسلافه اذ هو ببقائنا ان شاء الله خير خلف * من ورث السلطنة لاعن كلاله * واستحقها بالاصالة والاثالة والجلاله * وأشرقت الايام بغرة وجهه المنير * وتشرفت به صدور المحافل وتشوق اليه بطن السرير * ومن أصبح لسماء المملكة الحموية وهو زين أملاكها * ومطلع أفلاكها * وهو المقام العالى العمادى ابن الملك الافضل نور الدين على ابن السلطان الملك المظفر تقى الدين ولد السلطان الملك المنصور ولد السلطان الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وهو الذى مابرحت عيون مملكته اليه متشوفة ولسان الحال يتلو ضمن الغيب قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى ان أظهر الله مافي غيبه المكنون * وأنجز له في أيامنا الوعود وصدق الظنون * وشيد الله منه الملك بأرفع عماد * ووصل ملكه بملك أسلافه وسيبقى في عقبه ان شاء الله الى يوم التناد * فلذلك رسم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى الباهرى لازالت الممالك مغمورة من عطائه * والملوك تسرى من ظل كنفه تحت مسبول غطائه * أن يستقر في يد المقام العالى العمادى المشار اليه جميع المملكة الحموية وبلادها وأعمالها وما هو منسوب اليها ومباشرها التى يعرضها قلمه وقسمه * ومنارها التى يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه * وكثيرها وقليلها * وحقيرها وجليلها * على عادة الشهيد الملك المظفر تقى الدين محمود الى حين وفاته ومنه وقلدناه ذلك تقليدا * يضمن للنعمة تخليدا * وللسعادة تجديدا * ومنه في آخره والله تعالى يؤهل بالنصر مغناه * ويجمل ببقائه صورة دهر هو معناه * والاعتماد على الخط الشريف أعلاه * وكتب في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة حسب المرسوم الشريف والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وصحبه

وسلم ثم رسم لي بالعود الى بلدي فخرجت من القاهرة يوم الثلاث الثاني من جمادى الاولى من هذه السنة وسرت الى دمشق وكان قد وصل اليها الامير سيف الدين تنكز الناصرى نائباً واستقر في نيابة السلطنة بها بعد جمال الدين أقوش الذى كان نائباً بالكرك وأحسن الامير المذكور الىّ وتلقانى بالاكرام ووصلت الى حماة واجتمع الناس وقرئ التقليد الشريف عليهم في يوم الاثنين الثانى والعشرين من جمادى الاولى الموافق للخامس والعشرين من ايلول ولما وصلت الى حماة كان قد سافر الامراء الغرباء منها الى حلب فانى لما كنت بالابواب الشريفة استخبرنى مولانا السلطان عن أحوالى وما أشكو منه فلم أفصح له بشئ فاطلع بعلمه الشريف وحدة ذهنه وقوة فراسته على تقلقى من الامراء المماليك السلطانية المقيمين بحماة فانهم استجدوا بحماة لما خرجت من البيت التقوى الايوبى فاطلع السلطان على تعبى معهم وانهم ربما لايكونون وفق غرضى فاقتضى مرسومه الشريف نقلهم الى حلب واستمرار اقطاعاتهم التي كانت لهم بحماة عليهم الى ان يتجلى مايعوضهم به فتقدم مرسومه اليهم بذلك ووصل اليهم المرسوم على البريد بتوجههم الى حلب قبل وصولى الى حماة بأيام يسيرة فحال وصول المرسوم خرجوا من حماة عن آخرهم ولم يبيتوا بها وانتقلوا بأهلهم وجندهم وكانوا نحو أربعة عشر أميراً بعضهم بطبلخاناه وبعضهم أمراء عشرات ووصلت الى حماة ولم يبق بها غير من اخترت مقامه عندى وكان هذا من أعظم الشفقة والصدقة

(ذكر تجريد العسكر الى حلب ووصول العدو ومنازلة الرحبة)

(وفي هذه السنة) فى يوم السبت سابع عشر رجب خرجت من حماة بعساكر حماة ودخلت حلب في يوم السبت الآخر الرابع والعشرين من رجب المذكور وأقمت بها وكان النائب بها الامير سيف الدين سودى ثم وصل بعض عسكر دمشق مع سيف الدين بهادراص وقويت أخبار التتر وجفل أهل حلب وبلادها ثم وصلت التتر الى بلاد سيس وكذلك وصلوا الى الفرات فعندها رحل الامير سيف الدين سودى وجميع العساكر المجردة من حلب في يوم الخميس ثامن رمضان في هذه السنة ووصلنا الى حماة في يوم السبت سابع عشر رمضان المذكور وكان خربندا نازل الرحبة بجموع المغل في آخر شعبان من هذه السنة الموافق لأواخر كانون الاول وأقام سيف الدين سودى بعسكر حلب وغيره من العساكر المجردة بظاهر حلب ونزل بعضهم في الخانات وكان البرد شديدا والجفال قد ملؤا المدينة واستمرينا مقيمين بحماة وكشافتنا تصل الى عرض والسخنة وتعود الينا باخبار المخذول واستمر خربندا محاصرا للرحبة وأقام عليها المجانيق وأخذ فيها النقوب ومعه قرا سنقر والافرم ومن معهما وكانا قد

أطمعا خربندا انه ربما يسلم اليه النائب بالرحبة قلعة الرحبة وهو بدر الدين بن اركتى الكردى لان الافرم هو الذى كان قد سعى للمذكور في نيابة السلطنة بالرحبة وأخذ له امرأة الطبلخاناه فطمع الافرم بسبب تقدم احسانه الى المذكور أن يسلم اليه الرحبة وحفظ المذكور دينه وما في عنقه من الايمان للسلطان وقام بحفظ القلعة أحسن قيام وصبر على الحصار وقاتل أشد قتال ولما طال مقام خربندا على الرحبة بجموعه وقع في عسكره الغلاء والفناء وتعذرت عليه الاقوات وكثرت منه المقفزون الى الطاعة الشريفة وضجروا من الحصار ولم ينالوا شيأ ولا وجد خربندا لما أطمعه به قرا سنقر والافرم صحة فرحل خربندا عن الرحبة راجعا على عقبه في السادس والعشرين من رمضان من هذه السنة بعد حصار نحو شهر وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالها فنزلت أهل الرحبة واستولوا عليها ونقلوها الى الرحبة * ولما جرى ذلك رحل سودى وعسكر حلب من حماة وعادوا الى حلب واستمر بهادراص ومن معه من عسكر دمشق مقيما بحماة مدة ثم ورد لهم الدستور فساروا الى دمشق

(ذكر مسير السلطان بالعساكر الاسلامية الى الشام ثم توجهه الى الحجاز)

* (وفي هذه السنة) سار مولانا السلطان بالعساكر الاسلامية من ديار مصر وكان مسيره بسبب نزول التتر على الرحبة حسبما ذكرناه ووصل الى دمشق يوم الثلاث الثالث والعشرين من شوال من هذه السنة أعنى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة بعد رحيل العدو عن الرحبة وعودهم على أعقابهم فلما لم يبق في البلاد عدو عزم على الحجاز الشريف لاداء حجة الفرض فرتب العساكر بالشام وأمر بعضهم بالمقام باللجون وسواحل عكا وقاقون وجرد بعضهم على حمى حمص وترك نائب السلطنة المقر السيفى أرغون ونائب السلطنة بالشام الامير سيف الدين تنكز مقيمين بدمشق وعندهما باقى العساكر واستجار السلطان بالله تعالى وخرج من دمشق متوجها الى الحجاز الشريف في يوم الخميس الثانى من ذى القعدة الموافق لاول اذار وأتم المسير ووصل الى عرفات وأكمل مناسك الحج وعاد مسرعا فوصل الى الكرك سلخ هذه السنة ثم كان ماسنذكره ان شاء الله تعالى * (وفيها) * ولد لى ولدى محمد بن اسماعيل بن على بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب وكانت ولادته في اقامة الساعة الثانية من نهار الخميس مستهل رجب الفرد من هذه السنة أعنى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة الموافق الثانى يوم من تشرين الثانى من شهور الروم (وفيها) انخسف القمر مرتين مرة في صفر ومرة في شعبان (وفيها) كانت الامطار قليلة حتى خرج فصل الشتاء ثم تداركت الامطار

في فصل الربيع الى ان زادت الانهر زيادة عظيمة في آخر نيسان على خلاف ماعهد (وفيها) قوى استيحاش الامير مهنا بن عيسى أمير العرب لما اعتمد من مساعدة قرا سنقر ولغير ذلك من الامور وكاتب خربندا ثم أخذ منه اقطاعاً بالعراق وهو مدينة الحلة وغيرها واستمر اقطاعه من السلطان بالشام وهو مدينة سرمين وغيرها على حاله وعامله السلطان بالتجاوز ولم يؤاخذه بما بدئ منه وحلف على ذلك مرارا فلم يرجع عما هو عليه وجعل مهنا ولده سليمان بن مهنا منقطعا الى خدمة خربندا ومترددا اليه واستمر ابنه موسى بن مهنا في صدقة السلطان ومترددا الى الخدمة واستمر مهنا على ذلك يأخذ الاقطاعين بالشام والعراق ويصل اليه الرسل من الفريقين وخلعهما وانعامهما وهو مقيم بالبرية ينتقل الى شط الفرات من منازله لايروح الى أحد الفئتين وهذا أمر لم يعهد مثله ولا جرى نظيره فان كلا من الطائفتين لو اطلعوا على أحدمنهم أنه يكتب الى الطائفة الاخرى سطرا قتلوه لساعته ولا يمهلونه ساعة ووافق مهنا في ذلك سعادة خارقة (ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبعمائة)

ذكر وصول السلطان من الحجاز الشريف

(وفي هذه السنة) وصل مولانا السلطان الى دمشق في يوم الثلاث حادى عشر المحرم عائداً من الحجاز الشريف بعد ان أقام بالكرك أياماً وجمع الله له بذلك سعادة الدنيا والآخرة وتوجهت الى خدمته من حماة وحضرت بين يديه بدمشق المحروسة في يوم الخميس الثالث عشر من المحرم من هذه السنة الموافق لعاشر ايار وهنأته بقدومه الى مملكته وعبيده وقدمت ماأحضرته من الخيول والقماش والمصاغ فقابله بالقبول وشملني احسانه بالخلع والاكرام على جارى عوائد صدقاته وأرسل الى هدية الحجاز حجر أشقر وطاقات طائفي مع الامير طاشتمر الخاصكي

ذكر خروج المعرة عن حماة

(وفي هذه السنة) في المحرم خرجت المعرة عن حماة وأضيفت الي حلب واستقر بيدى حماة وبارين وسبب ذلك ان الامراء الذين كانوا بحماة ثم انتقلوا الى حلب حسبما ذكرناه في سنة أثنى عشرة وسبعمائة استقرت اقطاعاتهم بحماة لعدم اقطاعات محلولة تفى بجملة مالهم فصعب عليهم نقلتهم الى حلب جدا فأخذوا في التعنت والشكوى على بسبب اقطاعاتهم ونقودهم المرتبة بحماة وانضم الى ذلك انه صار يتغير بعض اقطاعاتهم ويدخل فيها شئ من بلاد حلب بحكم تنقل أو زيادة ترد المناشير الشريفة بذلك وتخلط بلاد المملكة الحموية ببلاد المملكة الحلبية وغيرها من الممالك السلطانية وصارت اطماعهم معلقة بالعود الى حماة وهم مجتهدون على ذلك تارة بالتثقيل على السلطان

بالشفائع وتارة بالسعى في ذهاب حماة منى فلم أجد لذلك مايحسمه الا بتعيين المعرة وبلادها للامراء المذكورين واضافتها الى حلب وانفرادى بحماة وبارين منفصلة عن الممالك الشريفة السلطانية وسألت صدقات السلطان في ذلك وقال لى ياعماد الدين ماأرضى لك بدون ماكان في يد عمك وابن عمك وجدك وكيف أنقصك عنهم المعرة فعاودت السؤال وأبديت التضرر الزائد فأجابنى على كره لذلك صدقة علىّ واجابة الى سؤالى وكتب بصورة مااستقر عليه الحال مرسوماً شريفاً ذكرنا بعضه طلباً للاختصار فمنه فلذلك رسم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى أن يستقر بيده حماة وبارين بجميع حدودها وما هو منسوب اليها من بلاد وضياع وقرايا وجهات وأموال ومعاملات وغير ذلك من كل ماينسب الى هذين الاقليمين ويدخل في حكمهما يتصرف في الجميع كيف شاء من تولية واقطاع اقطاعات الامراء والجند وغيرهم من المستخدمين من أرباب الوظائف وترتيب القضاة والخطباء وغيرهما ويكتب بذلك مناشير وتواقيع من جهته ويجرى ذلك على عادة الملك المظفر تقى الدين محمود صاحب حماة ويقيم على هاتين الجهتين خمسمائة فارس بالعدة الكاملة من غير نقص ويبطل حكم ماعليهما من المناشير والتواقيع الشريفة والمسامحات والمحسوب وكل ماهو مرتب عليهما للامراء والجند والعرب والتركمان وغيرهم بحكم الانعام بهما على المشار اليه على قاعدة الملك المظفر صاحب حماة وتعويض الجميع عن ذلك بالمعرة وافرادها عن حماة وبارين فليستقر جميع ماذكر بيده العالية استقرار الدرر في اسلاكها * والدرارى في أفلاكها * يتصرف في أحوالها بين العالمين بنهيه وأمره * ويجرى أموالها بين المستوجبين بانعامه وبره * ولا يمضى فيها أمر بغير منشوره الكريم * ولا يجرى معلوم ولا رسم الا بمرسومه الجارى على سنن سلفه القديم * وليفعل في ذلك بجميع ماأراد كيف أراد * ويتصرف على مايختار فيما تحت حكمه الكريم وبحكمه من مصالح العباد والبلاد * والله تعالى يعلى بمفاخر عماده * ويجعل التأييد والنصر قرين اصداره وايراده * والخط الشريف حجة بمضمونه ان شاء الله تعالى كتب في تاسع عشر المحرم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ثم تصدق بخلعة ثانية وأنعم على بسنجق بعصائب سلطانية يحمل على رأسى في المواكب وغيرها وهذا مما يختص به السلطان ولا يسوغ لاحد غيره حمله ثم رسم بالدستور فسرت من دمشق في يوم الثلاث الخامس والعشرين من المحرم وكذلك توجه السلطان عائداً الى الديار المصرية فوصل اليها واستقر في مقر ملكه ودخلت أنا حماة في يوم الاثنين مستهل صفر من هذه السنة الموافق للثامن والعشرين من ايار من شهور الروم

ذكر مسيري الى الحجاز الشريف

﴿ وفي هذه السنة ﴾ أرسلت طلبت دستورا من مولانا السلطان بالتوجه الى الحجاز الشريف فرسم لى بالدستور وجهزت شغلى وقدمت الهجن الى الكرك وجهزت ولدى والثقل مع الركب الشامي ووصلنى من صدقات السلطان ألف دينار عيناً برسم النفقة ووصلنى منه مراسم شريفة باخراج السوقية من سائر البلاد الى الركب الحموى وان تسير جمالى حيث شئت قدام المحمل السلطانى أو بعده على ماأراه فقابلت هذه الصدقات بمزيد الدعاء وخرجت من حماة في يوم الجمعة رابع عشر شوال من هذه السنة الموافق لاول شباط وسرت بالخيل الى الكرك وركبت الهجن من هناك ورجعت الخيل والبغال الى حماة واستصحبت معى ستة ارؤس من الخيل جنائب وسار في صحبتى عدة مماليك بالقسى والنشاب وسبقت الركب الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ووصلت اليها في يوم الجمعة العشرين من ذى القعدة وتمكنت من الزيارة خلوة وأقمت حتى لحقنى الركب ثم سبقتهم ووصلت الى مكة في يوم السبت خامس ذى الحجة وأقمت بها ثم خرجنا الى عرفات ووقفنا يوم الاربعاء ثم عدنا الى منى وقضينا مناسك الحج ثم اعتمرت لانى حججت هذه الحجة مفرداً على ماهو المختار عند الشافعى وكنت في الحجة الاولى قارنا ثم عدنا الى البلاد وسبقت الحجاج من بطن مر وسرت منه يوم الثلاث خامس عشر ذى الحجة الموافق لثامن نيسان وسرت حتى خرجت هذه السنة واستهل المحرم سنة أربع عشرة وسبعمائة وانى قد عديت تبوك ووصلت الى حماة حادى عشر المحرم سنة أربع عشرة وكان مسيرى من مكة الى حماة نحو خمسة وعشرين يوما أقمت من ذلك في المدينة وفي المعلا وفي بركة زيزا ودمشق مايزيد على ثلاثة أيام وكان خالص مسيرى من مكة الى حماة دون اثنين وعشرين يوما وكان مسيرى على الهجن وكان صحبتى فرس وبغل ولم يقف عنى شئ منها وهذه هى حجتى الثانية وحججت الحجة الاولى في سنة ثلاث وسبعمائة (وفيها) جرد السلطان من مصر الى مكة عسكراً وأمراء من عسكر دمشق وأرسل معهم أبا الغيث بن أبى نمى ليقروه في مكة ويقبضوا أويطردوا أخاه حميضة بن أبى نمى لانه كان قد ملك مكة وأساء السيرة فيها وكان مقدم العسكر المجرد على ذلك سيف الدين طقصبا الحسامى فلما اجتمعت به في مكة أوصلنى مثالا من مولانا السلطان يتضمن انى أساعدهم على امساك حميضة بالرجال والرأى فلما قربنا من مكة حرسها الله تعالى تركها حميضة وهرب الى البرية فقررنا أبا الغيث بمكة واستغلها وأخذ مايصل مع الركبان من اليمن وغيره الى صاحبها وكذلك استهدى الضرائب من التجار واستقرت قدمه فيها ثم كان منه ماسنذكره ان شاء الله

تعالى وأقام العسكر المجرد عند أبي الغيث بمكة خوفاً من معاودة حميضة ثم ان أبا الغيث أعطى العسكر دستورا بعد اقامتهم بنحو شهرين فعادوا الى الديار المصرية (وفيها) اجتمع جماعة من بنى لام من عربان الحجاز وقصدوا قطع الطريق على سوقة الركب الذين يلاقونهم من البلاد الى تبوك عند عود الحاج وساروا الى ذات حج والتقوا مع السوقة فقتل من السوقية تقدير عشرين نفساً وأكثر ثم انتصروا على بنى لام وهزموهم وأخذوا منهم تقدير ثمانين هجيناً وعادت بنو لام بخفي حنين (ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة) فيها وصلت الى حماة عائداً من الحجاز الشريف في حادى عشر المحرم (وفيها) في أواخر جمادى الآخرة حصل لى مرض حاد أيقنت منه بالموت ووصيت وتأهبت كذلك ثم ان الله تعالى تصدق على بالعافية (وفيها) جردت العساكر الى حلب فجردت جميع عسكر حماة وأقمت بسبب التشويش (وفيها) في رجب توفي الامير سيف الدين سودى نائب السلطنة بحلب فولى السلطان نيابة السلطنة بحلب الامير علاء الدين الطنبغا الحاجب ووصل الى حلب واستقر بها نائباً بموضع سودى في أوائل شعبان من هذه السنة (وفيها) في ذى الحجة جمع حميضة بن أبي نمى وقصد أخاه أبا الغيث بن أبي نمى صاحب مكة وكان أبو الغيث منتظرا وصول الحجاج ليعتضد بهم فابتدره حميضة قبل وصول الحجاج واقتتل معه فانتصر حميضة وأمسك أخاه أبا الغيث وذبحه ثم هرب حميضة لقرب الحجاج منه فلما قضى الحجاج مناسكهم وعادوا الى البلاد عاد حميضة الى مكة واستولى عليها (ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبعمائة)

(ذكر فتوح ملطية)

﴿ في هذه السنة ﴾ في يوم الاحد الثانى والعشرين من المحرم فتحت ملطية وسبب ذلك ان المسلمين الذين كانوا بها اختلطوا بالنصارى حتى أنهم زوجوا الرجل النصرانى بالمسلمة وكانوا يعدون الاقامة بالتتر ويعرفونهم بأخبار المسلمين وكانت الاجناد والرجالة الذين بالحصون مثل قلعة الروم وبهسنا وكختا وكركر وغيرها لاينقطعون عن الاغارة على بلاد العدو مثل بلاد الروم وغيرها وكانت طريقهم في غالب الاوقات تكون قريب ملطية فاتفق ان أهل ملطية ظفروا ببعض الغيارة المذكورين فاسروهم وقتلوا جماعة من المسلمين فلما جرى ذلك أرسل السلطان عسكرا ضخماً من الديار المصرية مع الامير سيف الدين بكتمر الابوبكرى ومع سيف الدين قلى وسيف الدين أوول تمر فساروا الى دمشق ورسم السلطان لجميع عساكر الشام بالمسير معهم وجعل مقدماً على الكل الامير سيف الدين تنكز الناصرى نائب السلطنة بدمشق وتقدمت مراسيم السلطان الى أولا بأن أجهز عسكر حماة صحبتهم وان أقيم أنا بمفردى بحماة ثم رأى

المصلحة بتوجهي بعسكر حماة فتوجهت أنا والعساكر المذكورة ودخلنا الى حلب في يوم الخميس والجمعة ثالث عشر المحرم لكثرة العساكر فانجرت في يومين ثم سرنا من حلب الى عين تاب ثم الى نهر مرزبان ثم الى رعبان ثم الى النهر الازرق وعبرنا على قنطرة عليه رومية معمولة بالحجر النحيت لم أشاهد مثلها في سعتها وسرنا وجعلنا حصن منصور يميننا وصار منا في جهه الشمال ووصلنا الى ذيل الجبل ونزلنا عند خان هناك يقال له خان قمر الدين وعبرنا الدربند ويسمى ذلك الدربند بلغة أهل تلك البلاد بندطجق دربا بضم الطاء المهملة والجيم وسكون القاف وفتح الدال والراء المهملتين ثم ألف وبقى العسكر ينجر في الدربند يومين وليلتين لضيقه وحرجه ثم سرنا الى زبطرة وهى مدينة صغيرة خراب ثم نزلنا على ملطية بكرة الاحد المذكور أعنى الثانى والعشرين من المحرم الموافق للسابع والعشرين من نيسان وطلبت العساكر ميمنة وميسرة وأحدقنا بها وفي حال الوقت خرج منها الحاكم فيها ويسمى جمال الدين الخضر وهو من بيت بعض أمراء الروم وكان والده و جده حاكما في ملطية أيضا ويعرف خضر المذكور بزامير ومعناه الامير الكبير بلغة نصارى تلك البلاد وفتح باب ملطية القبلى وخرج معه قاضيها وغيرهما من أكابرها وطلبوا منا الامان فامنهم الامير سيف الدين تنكز مقدم العسكر واتفق ان الباب القبلى الذى فتح كان قبالة موقفى بعسكر حماة فأرسلت الامير صارم الدين أزبك الحموى وجماعة معه وأمرته بحفظ الباب فانى خفت من طمع العسكر لئلا ينهبوا ملطية وليس معنا أمر بذلك وحفظ الباب حتى حضر الامير سيف الدين تنكز وكان موقفه في الجانب الآخر فلما حضر أقام جماعة من الامراء بحفظ باب المدينة ثم ان العسكر والطماعة هجموا مدينة ملطية من الباب المذكور وكذلك هجمها جماعة من العسكر من الجانب الآخر وأراد سيف الدين تنكز منعهم عن ذلك فخرج الامر عن الضبط لكثرة العساكر الطماعة فنهبوا جميع مافيها من أموال المسلمين والنصارى حتى لم يدعوا فيها الا ما كان مطمورا ولم يعلموا به وكذلك استرقوا جميع أهلها من المسلمين والنصارى ثم بعد ذلك حصل الانكار التام على من يسترق مسلما أو مسلمة وعرضوا الجميع فاطلق جميع المسلمين من الرجال والنساء وأما أموالهم فانها ذهبت واستمر النصارى في الرق عن آخرهم وأسر منها ابن كربغا شحنة التتر بتلك البلاد وكذلك أسر منها الشيخ مندو وهو صاحب حصن أركنى وكان مندو المذكور قعيدا لقصاد التتر وكان يتبع قصاد المسلمين ويمسكهم وكان من أضر الناس على المسلمين ولما أمسك سلم الى الامير سيف الدين قلى وسلمه المذكور الى بعض مماليكه التتر فهرب مندو المذكور وهرب معه المملوك الذى كان مرسما عليه ثم لما

كان من نهب ملطية ماذكرناه التي المنكر فيها النار فاحترق غالبها وكذلك خربنا ماأمكننا من أسوارها أن نخربه وأقمنا عليها نهارا واحدا وليلة ثم ارتحلنا عائدين الى البلاد حتى وصلنا الى مرج دابق في يوم الخميس ثالث صفر من هذه السنة وأقمنا به مدة وكان ببلاد الروم جوبان وهو نائب خربندا ومعه جمع كثير وكنا مستعدين فلم يقدم علينا ولا جاء الى ملطية الا بعد رحيلنا عنها بمدة فاستمرينا مقيمين بمرج دابق وترددت الرسل الى أوشين بن ليفون صاحب بلاد سيس في اعاة البلاد التي جنوبي جيحان وزيادة القطيعة التي هي الاتاوة فزاد القطيعة حتى جعلها نحو ألف ألف درهم وبعد ذلك ورد الدستور فسرنا من مرج دابق في يوم الخميس ثاني ربيع الاول ووصلنا الى حماة في يوم الخميس تاسع ربيع الاول وبعد يومين من وصولي وصل الامير سيف الدين تنكز بباقي العساكر وعملت له ضيافة بداري التي بمدينة حماة فمضى هو والامراء في يوم الاحد ثاني عشر ربيع الاول ثم سافر في النهار المذكور الى دمشق (وفيها) في مدة مقامي بمرج دابق قبض بمصر على ايدغدي شقير الحسامي وكان من شرار الناس وعلى بكتمر الحاجب وعلى بهادر الحسامي المغربي (وفيها) جهزت خيل التقدمة الى الابواب الشريفة صحبة مملوكي اسنبغا فحصل قبولها والاحسان على أولا بحصان برقي بسرجه ولجامه ثم بخلعة أطلس أحمر بطرز زركش وكلوته زركش وشاش تساعي وهو شاش منسوج جميعه بالحرير والذهب وقباء أطلس أصفر تحتاني وحياصة ذهب بجامة مجوهرة بفصوص بلخش ولؤلؤ وثلاثين ألف درهم وخمسين قطعة من القماش السكندراني وسيف ودلكش أطلس أصفر فلبست التشريف السلطاني المذكور وركبت في الموكب به في يوم الخميس ثاني رجب الفرد الموافق لثاني تشرين الاولى أيضاً وشملتني الصدقات السلطانية بتوقيع شريف أن لاتكون بحماة وبلادها حماية للدعوة الاسماعيلية أهل مصياف بل يتساوون مع رعية حماة في أداء الحقوق والضرائب الديوانية وغير ذلك (وفيها) قبض على تمر الساقي نائب السلطنة بالفتوحات وعلى بهادراص (وفيها) سار الملك الصالح واسمه صالح ابن الملك المنصور غازى ابن الملك المظفر قرا أرسلان صاحب ماردين الى خدمة خربندا ملك التتر بالتقادم على عادة والده فاحسن اليه خربندا ثم عاد الملك الصالح المذكور الى ماردين في جمادى الآخرة من هذه السنة ﴿ وفي أثناء هذه السنة ﴾ ورد الى الابواب الشريفة رميثة بن أبي نمى من مكة وهو أخو حميضة الاكبر مستنجدا على أخيه حميضة صاحب مكة حينئذ فجهز السلطان مع رميثة عسكرا من العساكر المصرية وجهزهم بما يحتاجون اليه فسار بهم رميثة الى مكة وكان مقدم العسكر تمر خان بن قرمان أمير طبلخاناه وأمير آخر يقال له

طيدمر وكان العسكر مائتين فارس من تقاوة عسكر مصر فجمع حميضة مايقارب اثنى عشر ألف مقاتل وتعبى العسكر المصرى وكان رميثة في القلب وابن قرمان ميمنة وطيدمر ميسرة والتقوا واقتتلوا في عيد الفطر من هذه السنة وراء مكة الى جهة اليمن بمراحل ورمى العسكر بالنشاب فولى جماعة حميضة منهزمين لايلوون وكان لحميضة حصن الى جهة اليمن فهرب اليه وانحصر به فأحاط به العسكر وحاصروه فنزل حميضة برقبته مع ثلاثة أوأربعة أنفس وهرب خفية واحتاط العسكر على ماله وحريمه وغنموا من ذلك شيئاً كثيرا قيل انه حصل للفارس من عسكر مصر مايقارب عشرة آلاف درهم وكان في الغنيمة من العنبر الخام وأمثاله مايفوت الحصر فاطلق السلطان ذلك جميعه للعسكر واستقر رميثة صاحب مكة (وفيها) افرج السلطان عن جمال الدين اقوش الذى كان نائبا بالكرك ثم صار نائباً بدمشق وأحسن اليه وعلا منزلته (وفيها) وصل قرا سنقر الى بغداد في رمضان هذه السنة وتقدم مرسوم الى التتر الذين ببغداد وديار بكر وتلك الاطراف بالركوب مع قرا سنقر اذا قصد الاغارة على بلاد الشام وكان خربندا مقيما بجهة موغان وأقام قرا سنقر وقدم عليه بها فدوى وسلم قرا سنقر * ولما دخلت سنة ست عشرة توجه قرا سنقر في مستهل المحرم من بغداد الى جهة خربندا (وفيها) في ذى القعدة ولد للسلطان ولد ذكر ودقت البشائر لمولده في ديار مصر والشام ثم توفي المولود المذكور بعد مدة يسيرة وجهزت تقدمة لطيفة بسبب المولود المذكور صحبة طيدمر فقدمها وحصل قبولها (وفيها) في جمادى الاولى وصل الى من صدقات السلطان حصان برقى أحمر بسرجه ولجامه صحبة عز الدين ايبك أميراخور فاعطيته خلعة طردوحشن بكلوته زركش وفرساً بسرجه ولجامه وخمسة آلاف درهم (وفيها) في أواخر ذى القعدة أغار سليمان بن مهنا بن عيسى بجماعة من التتر والعرب على التراكين والعرب النازلين قريب تدمر ونهبهم وأخذ لهم أغناماً كثيرة ووصل في اغارته الى قرب البيضاء بين القريتين وتدمر وعاد بما غنمه الى الشرق (وفي هذه السنة) أعنى سنة خمس عشرة وسبعمائة توفي نجاد بن أحمد بن حجى بن يزيد بن شبل أمير آل مراد وكانت وفاته في أواخر هذه السنة واستقر بعده في امرة آل مراد ثابت بن عساف بن أحمد بن حجى المذكور وبقى ثابت المذكور وتوبة بن سليمان بن أحمد يتنازعان في الامرة (وفيها) توفي بدمشق ابن الاركشى الذى كان نائباً بالرحبة لما حصرها خربندا وكان قد عزل في تلك السنة وأعطى امرة بدمشق وتولى الرحبة مكانه بكتوت القرمانى ثم عزل وولى على الرحبة بعده طغربك الانصارى

ذكر اخبار ابي سعيد ملك المغرب

﴿ وفي هذه السنة ﴾ أعني سنة خمس عشرة وسبعمائة اجتمع العسكر على عمر ولد أبي سعيد عثمان ملك المغرب وبقي والده خائفاً من العسكر واقتتل عمر المذكور مع والده أبي سعيد عثمان وانتصر عمر وهرب أبوه أبو سعيد الى تازة فسار ولده عمر وحصره بها ثم وقع الاتفاق بينهما على أن يسلم أبو سعيد الامر الى ولده عمر المذكور وأشهد عليه بذلك وبقي أبو سعيد في تازة وسار عمر بالجيوش الى جهة فاس فلحق عمر بعد أيام يسيرة مرض شديد فكاتب عسكره أباه بمدينة فاس وعنده بيوت الاموال والسلاح فحصره أبوه أبو سعيد نحو تسعة أشهر ثم وقع الاتفاق بينهما على جانب طائل من المال يتسلمه عمر المذكور وان تكون له سجلماسة فتسلم عمر ذلك وسار من فاس الى سجلماسة وتسلمها واستقر أبوه أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق في المملكة على ما كان عليه وكان لعمر المذكور حينئذ من العمر نحو عشرين سنة (وفيها) توفي السيد ركن الدين وكان اماما مبرزا في العلوم المعقولات والمنقولات وشرح الحاوى الصغير ومختصر ابن الحاجب في الفقه وفضائله مشهورة (ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعمائة) فيها في العشر الاخير من المحرم الموافق لاواخر العشر الاوسط من نيسان ترادفت الامطار فحصل سيول عظيمة في بلاد حلب وحماة وحمص وغرق أهل ضيعة من بلاد حمص مما يلي جهة جوسية (وفيها) في الثاني والعشرين من ربيع الاول الموافق لرابع عشر حزيران وصل الى حماة من ديار مصر الامير بهاء الدين أرسلان الدوادارى وأوقع الوصية على اخباز آل عيسى ثم استقرت الوصية على خبز مهنا ومحمد ابني عيسى وأحمد وفياض ابني مهنا المذكور وركب الامير بهاء الدين المذكور من عندي للجنا وسار عليها الى مهنا واجتمع به على مربعة وهي منزلة تكون يوما تقريباً من السخنة يوم الاثنين سلخ ربيع الاول من السنة المذكورة وتحدث معه في انقطاعه عن التتر ولم ينتظم حال فعاد الامير بهاء الدين المذكور الى دمشق ثم عاد الى موسى بن مهنا بالقرب من سلمية ثم عاد الى دمشق وتوجه هو وفضل بن عيسى الى الابواب الشريفة واستقر فضل أميرا موضع أخيه مهنا ووصل الى بيوته بتل أعدا في أوائل جمادى الاولى من هذه السنة

ذكر مسيري الى مصر وعود المعرة

(في هذه السنة) حصلت تقدمتي على جاري العادة من الخيول والقماش والمصاغ وسألت دستورا لاتوجه بنفسي الى الابواب الشريفة فورد الدستور الشريف وسرت من حماة آخر نهار الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الآخر الموافق لسادس عشر تموز وكانت خيلي قد تقدمتني فلحقتهم على خيل البريد بدمشق وخرجت من دمشق

في نهار وصولي اليها وهو يوم الاثنين الثامن والعشرين من ربيع الآخر المذكور ووصلت الى القاهرة عشية نهار الاحد ثامن عشر جمادى الاولى وأنزلت في الكبش وحضرت بين يدى المواقف الشريفة السلطانية بكرة الاثنين تاسع عشر جمادى المذكورة وشملني من الصدقات السلطانية مايفوت الحصر من ترتيب الاقامات في الطرقات من حماة الى مصر ومن كثرة الرواتب مدة مقامي بالكبش ومن الخلع لى ولكل من في محبتي ووصلني بحصانين بسروجهما ولجمهما أحدهما كان سرجه محلى ذهبا مصرياً واتفق عند وصولي زيادة النيل على خلاف العادة ووفي ماء السلطان وكثر بحضورى في نهار الخميس الثاني والعشرين من جمادى الاولى الموافق لثاني عشر آب وتاسع عشر مسرى وهذا شئ لم يعهد في جيلنا وأُقت في الصدقات السلطانية ووصلني بثلاث خلع أحدها أطلس تحتاني أصفر وفوقاني أحمر بطرز زركش وكلوته زركش وشاش تساعي والاخرى قباء منسوج بالذهب وطراز زركش يزيد عن مائة مثقال من الذهب المصرى بفروقاقم والخلعة الثالثة عند مسيرى قباء ثالث بالشرج وتصدق على بمدينة المعرة وقصبتها زيادة على مابيدى وكتب لي بها تقليدا يشبه ماكتب لي بحماة ومدحني شهاب الدين محمود كاتب الانشاء الحلبي بقصيدة ذكر فيها صدقات السلطان وعود المعرة أضربنا عن غالبها خوف التطويل فمنها

بك تزهى مواكب واسره ولك الشمس والقواضب أسره
وبأيامك التى هى روض للامانى تجنى ثمار المسره
بك كل الدنيا تهنى ويضحى قدرها عاليا وكيف المعره

وتوجهت من الابواب الشريفة وأنا مغمور محبور بأنواع الصدقات السلطانية وسرت من الكبش بعد العشاء الآخرة من الليلة المسفرة عن نهار الجمعة رابع عشر جمادى الاخرة وقدمت مملوكى طيدمر الدوادار مبشرا على البريد لاهلى بحماة ثم لحقنى الى سرياقوش الامير سيف الدين كجرى أمير شكار بسنقور وكذلك وصلني احمال من الحلاوة والسكر والشمع زائداً عن الاقامات المرتبة في الطرقات وكذلك وصلني سيف محلى بالذهب المصرى وأتممت السير وتوجهت على غزة للزيارة فزرت الخليل ثم القدس وسرت من القدس يوم الثلاث الخامس والعشرين من جمادى الآخرة ودخلت دمشق يوم الاحد مستهل رجب * ولما أصبحت سرت منها ودخلت حماة نصف الليلة المسفرة عن نهار الخميس خامس رجب الموافق للثالث والعشرين من ايلول فانى قصدت في ذلك عدم التثقيل على الناس فانهم كانوا قد زينوا حماة واحتفلوا بالبسط لقدومى فدخلت بغتة ليلا لذلك ولم يكن عسكر حماة فيها فانى جردتهم الى حلب حسب المرسوم الشريف

وساروا من حماة الى حلب يوم خروجى من حماة الى الديار المصرية فاقاموا بحلب
ثم جردهم نائب حلب الى عين تاب ثم الى الكختا ثم عادوا الى حماة في أول شعبان بعد
قدومى بقريب شهر (وفيها) مرض الامير سيف الدين كستاى نائب السلطنة بطرابلس
والقلاع في يوم الاربعاء تاسع عشر ربيع الآخر الموافق لثامن ايلول فولي السلطان
موضعه الامير شهاب الدين قرطاى الذى كان نائبا بحمص وأقام في النيابة بحمص الامير
سيف الدين ارقطاى أحد أمراء دمشق حينئذ (وفيها) في جمادى الآخرة سارمهنا
ابن عيسى وكان نازلا بالقرب من عانة الى خربندا واجتمع به بالقرب من قنغرلان ثم
عاد الى بيوته (وفيها) في ثانى عيد الفطر الموافق لتاسع عشر كانون الاول وقع بحماة
والبلاد التى حوالها ثلوج عظيمة ودامت أياما وبقي على الارض نصف ذراع ودام
على الارض أياما وانقطعت الطرق بسببه وكان ثلجا لم أعهد مثله وكان البرد والجليد شديدا
عاما في البلاد حتى جلد الماء في الديار المصرية ووقعت الثلوج باللاذقيه والسواحل
(وفيها) جهزت صحبة لاجين المشد تقدمة لطيفة ومملوكا يسمى يلدز الى المواقف
الشريفة فوصل بذلك وقدمه فقبله وشملتنى صدقات السلطان صحبة لاجين المذكور
بمسامحات ماعلى بضائع أجهزها مع كافة التجار في جميع البلاد وكذلك زادنى على
المعرة بجملة غلال بلادها وضاعف على صدقاته وكان وصول لاجين بذلك الى حماة بالسابع
والعشرين من شوال من هذه السنة أعنى سنة ست عشرة وسبعمائة (وفيها) قصد
حميضة بن أبى نمى خربندا مستنصرا في اعادته الى ملك مكة ودفع أخيه رميثة فجرد
خربندا مع حميضة الدرفندى وهو النائب على البصرة وجرد معه جماعة من التترو عرب
خفاجة (وفيها) في ذى القعدة خرجت المعرة عنى وسبب ذلك ان محمدا ابن عيسى
طلبها ليحضر الى الطاعة فاجيب الى ذلك وتسلمها نواب المذكور وكتب الى السلطان
بما طيب خاطرى من جهتها (وفيها) بلغ السلطان ان حميضة قد جهزه خربندا بعسكر
وخزانة صحبة الدرفندى ليملكه مكة فجهز السلطان نائبه في السلطنة وهو المقر الاشرف
السيفى أرغون الدوادار فحج وحج العسكر صحبته وعادوا سالمين *وأما حميضة والدرفندى
فكان من أمرهما ماسنذكره (وفيها) لما قدم عسكر مصر الى مدينة الرسول كان
مقدمهم المقر السيفى أرغون فحضر اليه منصور بن حماد الحسينى صاحب مدينة الرسول
فطلع معه يودعه الى عيون حمزة فخلع نائب السلطنة على منصور المذكور وعلى ولده
كبيش بن منصور وأعادهما الى المدينة فلما حضر المحمل المصرى وصحبته العسكر
خرج اليهم منصور فقبضوا عليه وأحضر معتقلا الى بين يدى السلطان الى ديار مصر
فتصدق عليه السلطان وأفرج عنه وأمره بالعود الى بلده (وفي هذه السنة) أعنى سنة

ست عشرة وسبعمائة في السابع والعشرين من رمضان مات خربنـدا بن أرغون بن ابغا ابن هولاكو بن طلو بن جنكزخان وكان جلوسه في الملك فى أواخر ذى الحجة سنة ثلاث وسبعمائة ومات بالمدينة الجديدة التى سماها السلطانية وكان اسم بقعتها قنغرلان فلمـا مات خطب بالسلطنة لولده أبى سـعيد بن خربندا وكان عمره نحو عشر سـنين واستولى على الامر جوبان ابن الملك ابن تناون

ذكر ماجرى لحميضة والدرفندى

وكان خربندا قد جهز حميضة وجهز معه الدرفندى نائب السلطنة بالبصرة وجهز معه عسكرا وخزانة ليسير الدرفندى بالعسكر مع حميضة ويقاتل عسكر المسلمين الواصلين الى الحج ويملك حميضة بدل أخيه رميثة فسار الدرفندى وحميضة ومن معهما من عسكر التتر والعرب حتى جاوزوا البصرة فبلغهم موت خربندا فتفرقت تلك الجموع ولم يبق مع الدرفندى غير ثلثمائة من التتر وأربعمائة من عقيل عرب البصرة وكان قد استولى على البصرة ابن السوايكى فأرسل استوحي محمد بن عيسى على الدرفندى فجمع محمد بن عيسى عربه من خفاجة وعرب اخوته وأولاد اخـوته وسار الى الدرفندى فأحرز له بالقرب من البصرة واتقع معه في العشر الاخير من ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة ست عشرة وسبعمائة فانهزم الدرفندى في بضع وثلاثين نفسا من الزامه وانهزم حميضة برقبته وأخذ حريم حميضة وما كان معـه من الاموال وكذلك الخيم والاثقال والجمال وكان ذلك شيأ عظيما وفيها هرب الترا كمين الكنجاوية الى طاعة السلطان وفارقوا التتر فسارت التتر في طلبهم فانجد الكنجاوبين عسكر البيرة واتقعوا مع التتر فانهزم التتر هزيمة قبيحة وأسر منهم نحو خمسين من المغل وقتل منهم جمـاعة ووصل الكنجاوية سالمين بذواتهم وحريمهم الى البلاد الاسلامية (ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبعمائة) ولمـا دخلت هذه السنة كان الصبى ابن خرابندا واسمه أبو سعيد قد حضر من خراسان صحبة سونج وغيره من الامراء الى ظاهر السلطانية واجتمعوا مع جوبان ونزلوا جميعهم بظاهر السلطانية مع ذيل الجبل ومضى من أول هذه السنة عدة أشهر ولم يجلس هذا الصبى على سرير الملك بل اسم السلطنة للصبى والحاكم جوبان وفي الباطن بينه وبين سونج الوحشة وكل من سونج وجوبان يختار أن يكون هو الذى يجلس الصبى ويكون نائبه فتأخر جلوسه لذلك ثم انهم اتفقوا وأخرجوا استقطلو عنهم وجهزوه الى خراسان وكان قد تحرك على خراسان التتر الذين بخوارزم وما وراء النهر وقيل ان ملكهم باشور (وفيها) في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر الموافق لعاشر أيار من شهور الروم كان السيل الذى خرب بعلبك فانه جاء من شرقيها بين الظهر والعصر فكسره السور وقوى السيل وقلع

برجا وبعض النشتين اللتين على يمين البرج وشماله وسار بالبرج صحيحا يخرب بالبلد ويخرب مايمر به من الدور مسافة بعيدة قيل انها خمسمائة ذراع ودخل السيل الجامع وغرق به جماعة ورمى المنبر وخرب بعض حيطان الجامع وبلغ السيل الى رؤس العمد وكذلك دخل السيل المذكور الحمامات وغرق فيها جماعة وذهب للناس بذلك أموال عظيمة وخرب دورا كثيرة وأسواقا وغرق عدة كثيرة من الرجال والنساء والاطفال وأتلف كتب الحديث والمصاحف وكانت مضرته عظيمة (وفيها) في ربيع الآخر كانت الاغارة على آمد وسبب ذلك أن نائب السلطنة بحلب جهز عدة كثيرة من عسكر حلب وغيرهم من التراكمين والعربان والطماعة وقدم عليهم شخصا تركمانيا من أمراء حلب يقال له ابن جاجا وكان عدة المجتمعين المذكورين مايزيد على عشرة آلاف فارس فساروا الى آمد وبغتوها ودخلوها ونهبوا أهلها المسلمين والنصارى ثم بعد ذلك أمر باطلاق من كان مسلما فأطلقوا بعد أن ذهبت أموالهم وبالغ المجتمعون المذكورون في النهب حتى نهبوا الجامع وأخذوا بسطه وقناديله وفعلوا بالمسلمين كل فعل قبيح وعادوا سالمين وقد امتلأت أيديهم من الكسوبات الحرام التى لاتحل ولاتجوز شرعا وخلت آمد من أهلها وصارت كانها لم تغن بالامس (وفيها) في الثانى والعشرين من ربيع الآخر وصلنى من صدقات السلطان حصان برقى بسرجه ولجامه صحبة موسى أحد أمراء أخورية فوصلته بالخلع والدراهم وقابلت الصدقات بمزيد الدعاء (وفيها) خرج السلطان الملك الناصر خلد الله ملكه من الديار المصرية في رابع جمادى الاولى الموافق لرابع عشر تموز الى حسبان من البلقاء ووصل اليها في سادس عشر جمادى الاولى ووصل اليه في حسبان المقر السيفى تنكز نائب السلطنة بالشام ووصل اليه صحبته جماعة من الامراء وكنت طلبت دستورا بالحضور فرسم بتجهيز خيل التقدمة ومقامى بحماة فجهزتها وأقمت وقدمت خيلى يوم نزوله على حسبان يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الاولى وكنت قد جهزتها صحبة طيدمر الدوادار فقبلت وتصدق السلطان وأرسل الى صحبة طيدمر تشريفا كاملا على جارى العادة من الاطلس الاحمر والاصفر والكلوته الزركش والطرز الزركش بالذهب المصرى وكذلك تصدق بثلاثين الف درهم وخمسين قطعة قماش وركبت بالتشريف المذكور الموكب بحماة نهار الاثنين سادس جمادى الثانية من هذه السنة أعنى سنة سبع عشرة وسبعمائة ثم عاد السلطان الى الديار المصرية من الشوبك ولم يصل في خرجته هذه الى دمشق بل رجع من بلاد البلقاء (وفيها) وصل مثال السلطان بالبشارة بالنيل وان الخليج كسر في رابع جمادى الاولى وسلخ أبيب قبل دخول مسرى وهذا مما لا يعهد فانه تقدم عن عادته شهرا (وفيها) بعد رحيل

السلطان عن الكرك أفرج عن الامير سيف الدين بهادراص ووصل بهادراص الى دمشق وأتم السلطان السير ودخل مصر يوم الاربعاء منتصف جمادى الآخرة من هذه السنة (وفيها) في أثناء ذى الحجة ظهر فى جبال بلاطنس انسان من بعض النصيرية وادعى انه محمد بن الحسن العسكرى ثانى عشر الائمة عند الاماميـة الذى دخل السرداب المقدم ذكره فاتبع هذا الخارجى الملعون من النصيرية جماعة كثيرة تقدير ثلاثة آلاف نفر وهجم مدينة جبلة في يوم الجمعة الحادى والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة والناس في صلاة الجمعة ونهبت أموال أهل جبلة وسلبهم ماعليهم وجرد اليه عسكر من طرابلس فلما قاربوه تفرق جمعه وهرب واختفى في تلك الجبال فتتبع وقتل لعنه الله وباد جمعه وتفرقوا ولم يعد لهم ذكر (ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة) في أوائل هذه السنة سار فضل بن عيسى الى ابن خربندا وجوبان الى بغداد واجتمع بهما وأحضر لهما تقدمة من الخيول العربية فاقبل جوبان عليه وأعطي فضل المذكور البصرة واستمرت له اقطاعاته التى كانت له بالشام بيده مع البصرة وأقام فضل عندهما مدة واجتمع بقرا سنقر هناك ثم عاد الى بيوته وبعد مسير فضل عنهما سار جوبان وابن خربندا عن بغداد الى قنغرلان وهى المدينة الجديدة المسماة بالسلطانية (وفي هذه السنة) توجهت من حمـاة الى الديار المصرية وخرجت الخيل قدامى من حماة في نهار السبت منتصف جمادى الاولى الموافق لنصف تموز أيضا وتأخرت أنا بحماة ثم خرجت من حماة وركبت الخيل خيل البريد في نهار الاثنين الرابع والعشرين من جمادى الاولى والرابع والعشرين من تموز ولحقت خيلى وثقلى بغزة نهار الاحد غرة جمادى الآخرة وهو اليوم الثلاثون من تموز وسرت بهم جميعا ووصلت الى قلعة الجبل وحضرت بين يدى مولانا السلطان الملك الناصر خلد الله ملكه بها في نهار الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة الموافق لعاشر آب الرومي وشملتنى صدقاته بالتنزيل في الكبش وترتيب الرواتب الكثيرة بعـد ما كان رتب لى في جميع المنازل من حماة الى الديار المصرية الرواتب الزائدة عن كفايتى وكفاية كل من هو في صحبتى من الاغنام والخـبز والسكر وحوائج الطعام والشعير والبسنى تشريفا في حال قدومي من الاطلس بطرز الزركش والكلوته على العادة وأركبنى حصانا بسرج محلى بالذهب وأقمت تحت صدقاته في الكبش على أجمل حال ثم انه عن لى أن أرى مدينـة الاسكندرية فسألت ذلك وحصلت الصدقات السلطانيـة باجابتى لذلك وتقدمت المراسيم انى أسير اليها في المراكب وأعود في البر على الخيل فسرت أنا ومن في صحبتى في حراقتـين وتوجهت من الكبش في يوم الاثنـين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة وهو الموافق للحادى والعشرين من آب وسرت في النيل الى أن وصلت الى

فوه وسرنا منها في الخليج الناصرى ووصلت الاسكندرية في بكرة يوم الاربعاء الخامس والعشرين من جمادى الآخرة ووصلني بها من صدقات السلطان مائة قطعة قماش من عمل اسكندرية وأقمت بها حتى صليت الجمعة وخرجت من اسكندرية وركبت الخيل وبت في تروجه ووصلت الى الكبش بكرة الاثنين الثلاثين من جمادى الآخرة وأقمت به وكسر الخليج بحضورى في يوم الاربعاء ثانى رجب الموافق للثلاثين من آب وأول يوم من توت من شهور القبط ثم شملتنى الصدقات السلطانية بزيادة عدة قرايامن بلد المعرة على ماهو مستقر بيدى وأفاض علي وعلى من هو في صحبتى بالتشاريف وأمرنى بالعود الى بلدى فخرجت من بين يديه من الميدان في نهار السبت ثانى عشر رجب من هذه السنة الموافق لثامن ايلول ووصلت الى حماة نهار الخميس مستهل شعبان الموافق للثامن والعشرين من أيلول واستقريت فيها (وفي هذه السنة) أعني سنة ثمان عشرة عند توجه الحاج من مصر أرسل السلطان الامير بدر الدين بن التركانى وكان المذكور مشد الدواوين بديار مصر فارسله السلطان مع الحجاج الى مكة بعسكر وسار المذكور حتى وصل ووقف الوقفة وفي أيام التشريف أرسل رميثة صاحب مكة حسبما أمر به مولانا السلطان بحكم تقصيره ومواطأته فى الباطن لاخيه حيضة وأرسله معتقلا الى ديار مصر واستقر بدر الدين ابن التركانى المذكور نائبا وحاكما في مكة ولما دخلت سنة تسع عشرة وسبعمائة أرسل السلطان عطيفة وهو من اخوة حيضة وكان عطيفة المذكور مقيما بمصر فارسله السلطان ليقيم بها مع بدر الدين ابن التركانى المذكور (وفي أواخر هذه السنة) أعني سنة ثمانى عشرة وسبعمائة حالفت عقيل عرب الاحساء والقطيف على مهنا بن عيسى وطردوا أخاه فضلا عن البصرة فجمع مهنا العرب وقصد عقيل والتقى الجمعان وافترقا على غير قتال ولا طيبة بعد أن أخذت عقيل أباعر كثيرة تزيد على عشرة آلاف من عرب مهنا المذكور وعاد كل من الجمعين الى أماكنهما وكانت هذه البرية وغالب بلاد الاسلام مجدبة لقلة الامطار وهلك العرب وضرب دواب تفوت الحصر (وفيها) قريبا من منتصف هذه السنة خرج اللحيانى وهو أبو زكريا يحيى الحفصى من ملك تونس وكان اللحيانى المذكور قد ملك أفريقية حسبما سقنا وقدمنا ذكره مع جملة الحفصيين في سنة اثنتين وخمسين وستمائة فلما كانت هذه السنة جمع أخو خالد الذى مات في حبس اللحيانى فقصد اللحيانى فهرب منه الى طرابلس وتملك أخو خالد تونس ولم يقع لى اسم أخي خالد المذكور وكان للحيانى ولد شهم وكان اللحيانى المذكور يخاف منه فاعتقل ولده المذكور فلما استولى أخو خالد المذكور على تونس وطرد اللحيانى عن المملكة أخرج اللحيانى ولده من الاعتقال وجمع اليه الجموع والتقى مع أخي خالد فانتصر أخو خالد وقتل ابن اللحيانى واستقر اللحيانى بطرابلس

الغرب كالمحصور بها ثم ان اللحيانى ايس من البلاد وهرب باهله ومن تبعه وقدم بهم الى الديار المصرية في سنة تسع عشرة وقصد الحج وتوجه مع الحجاج فمرض ورجع من أثناء الطريق ثم انه قصد الاقامة بالاسكندرية فسار اليها وأقام بها (ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعمائة) في هذه السنة في أواخر ربيع الآخر هرب رميثة بن أبى نمى الذى كان صاحب مكة وكان المذكور أفرج عنه وأكرم غاية الاكرام فسولت له نفسه الهروب الى الحجاز فهرب وأركب السلطان خلفه جماعة وتبعوه وأمسكوه بالقرب من عقبة ايلة على طريق حاج مصر وأحضروه فاعتقل بقلعة الجبل

ذكر الوقعة العظيمة التى كانت بالاندلس

وفي هذه السنة اجتمعت الفرنج في جمع عظيم واجتمعت فيه عدة من ملوكهم وكان أكبرهم ملك قشتيلية واسمه جوان وقصد ابن الاحمر ملك غرناطة فبذل له قطيعة في كل يوم مائة دينار وفي كل أسبوع ألف دينار فابى الفرنج أن يقبلوا ذلك فخرج المسلمون من غرناطة بعد أن تعاهدوا على الموت واقتتلوا معهم فاعطاهم الله النصر وركبوا قفاء الفرنج يقتلون ويأسرون كيف شاؤا وقتل جوان المذكور وأسرت امرأته وحصل للمسلمين من الغنائم مايفوت الحصر حتى قيل كان فيها مائة وأربعون قنطارا من الذهب والفضة وأما الاسرى فتفوت الحصر

ذكر مسيرى الى مصر ثم الحجاز الشريف

وفي هذه السنة حج السلطان من الديار المصرية ولما قرب أوان الحج أرسل جمال الدين عبد الله البريدى ورسم الىّ أن احضر الى الابواب الشريفة فركبت خيل البريد وأخذت في صحبتى أربعة من مماليكى وخرجت من حماة يوم الجمعة سادس عشر شوال الموافق لسلخ تشرين الثانى وسرت حتى وصلت الى مصر وحضرت بين يدى السلطان بقلعة الجبل نهار السبت الرابع والعشرين من شوال الموافق لثامن كانون الاول ونزلت بالقاهرة بدار القاضى كريم الدين وأقمت حتى خرجت صحبة الركاب السلطانى

ذكر خروج السلطان وتوجهه الى الحجاز

(وفي هذه السنة) في يوم السبت ثانى ذى القعدة خرج السلطان الى الدهليز المنصوب وكان قد نصب له قرب العش وخرج من قلعة الجبل بكرة السبت المذكور وتصيد في طريقه الكراكى وكنت بين يديه فتفرج على الصيد وصاد عدة من الكراكى من السقاقر وغيرها ونزل بالدهليز المنصوب وأقام به يتصيد في كل نهار ببلاد الحوف ورحل من المنزلة المذكورة بكرة الخميس سابع ذى القعدة الموافق لعشرين من كانون الاول وسار على درب الحاج المصرى على السويس وأيلة وسرت في صدقاته حتى وصلنا رابع

في يوم الاثنين ثانى الحجة الموافق لرابع عشر كانون الثانى وأحرم من رابغ وسار منها في يوم الثلاث غد النهار المذكور واتفق من جملة سعادته وتأييده طيب الوقت فانه كان في وسط الاربعينيات ولم نجد بردا نشكو منه مدة الاحرام وسار حتى دخل مكة بكرة السبت سابع ذى الحجة ثم سار الى منى ثم الى مسجد ابراهيم وأقام هناك حتى صلى به الظهر وجمع اليها العصر ووقف بعرفات راكبا تجاه الصخرات في يوم الاثنين ثم أفاض وقدم الى منى وكمل مناسك حجه وكان في خدمته القاضى بدر الدين بن جماعة قاضى قضاة ديار مصر الشافعى وواظب السلطان في جميع أوقات المناسك بحيث ان السلطان حافظ على الاركان والواجبات والسنن محافظة لم أرها من أحد ولما كمل مناسك حجه سار عائدا الى مقر ملكه بالديار المصرية وخرجت هذه السنة أعنى سنة تسع عشرة وهو بين ينبع وايلة بمنزلة يقال لها القصب وهى الى ايلة أقرب ولقد شاهدت من جزيل صدقاته وانعامه في هذه الحجة مالم أقدر ان أحصره وانما أذكر نبذة منه وهو انه سار في خدمته مايزيد على ستين أميراً أصحاب طبلخانات وكان لكل منهم في كل يوم في الذهاب والاياب ما يكفيه من عليف الخيل والماء والحلوى والسكر والبقسماط وكذلك لجميع العسكر الذين ساروا في خدمته وكان يفرق فيهم في كل يوم في تلك المفاوز وغيرها مايقارب أربعة آلاف عليقة شعير ومن البقسماط والحلوى والسكر مايناسب ذلك وكان في جملة ماكان في الصحبة الشريفة أربعون جملا تحمل محاير الخضراوات مزروعة وكان في كل منزلة يحصد من تلك الخضراوات مايقدم صحبة الطعام بين يديه وفرق في منزلة رابغ على جميع من في الصحبة من الامراء والاجناد وغيرهم جملا عظيمة من الدراهم بحيث كان أقل نصيب فرق في الاجناد ثلثمائة درهم وما فوق ذلك الى خمسمائة درهم ونصيب أمراء العشرات ثلاثة آلاف درهم * وأما الامراء أصحاب الطبلخانات فوصل بعضهم بعشرين ألف درهم وبعضهم بأقل من ذلك فكان شيأ كثيراً وأما التشاريف فاكثر من أن تحصر ثم كان ماسنذكره في سنة عشرين وسبعمائة ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة عشرين وسبعمائة)

ذكر قدوم السلطان الى مقر ملكه

استهل السلطان غرة المحرم من هذه السنة في القصب وهى منزلة عن ايلة على تقدير أربعة مراحل وسار السلطان منها ونزل بايلة وأقام بها ثلاثة أيام ينتظر وصول خيل وخزانة كانت له بالكرك وبعد وصول ذلك رحل السلطان وسار حتى دخل قلعة الجبل بكرة نهار السبت ثانى عشر المحرم من هذه السنة الموافق للثالث والعشرين من شباط وكان يوم دخوله يوما مشهودا ركب جميع الجيش وقبلوا الارض بين يديه * ولما صار

على تقدير أربعة آلاف ذراع من القلعة أخذت الامراء في بسط الشـقق الفاخرة بين يدى فرسه فبسطوا واستمر البسط الى ان دخل القلعة المنصورة في أسعد وقت من ضحى يوم السبت المذكور

ذكر ماأولانى من عميم الصدقات وجزيل التطولات

سرت من حمـاة على البريد ولم يصحبنى مركوب لى ولا شئ من أدوات المسافر فتصدق على وأنزلنى عنـد القاضى كريم الدين فكان يبالغ في الاحسان الىّ بأنواع الامور من الملابس والمراكيب والاكل وكان ينصب لى خاما مختصا بى يكفى بجميع مااحتاجه من الفرش للنوم والمأكل والغلمان المختصة بى وكان مع ذلك لم تنقطع التشاريف على اختلاف أنواعها لا خلعها على من اختار وكان السلطان في طول الطريق في الرواح والعود يتصيد الغزلان بالصقور وأنا في صدقاته أتفرج ويرسل الىّ من الغزلان التى يصيدها وتقـدم مرسومه الى ونحن نسير انى اذا وصلت الى ديار مصر أسلطنك وتتوجه الى بلدك وأنت سلطان واستعفيت عن ذلك واستقلته وتألمت منه استصغارا لنفسى وتعظيما الاسم الشريف أن يشارك فيه وبقى الامر في ذلك كالمتردد الى ان وصل الى مقر ملكه حسبما ذكرناه ونزلت أنا عند القاضى كريم الدين بداره داخـل باب زويلة بالقرب الى بين القصرين وأقمت هناك وتقدم مرسوم السلطان بارسال شعار السلطنة الىّ فحضرت الموالى والامراء وهم سيف الدين الماس أمير حاجب وسيف الدين قجليس والامير علاء الدين ايدغمش أميراخور والامير ركن الدين بيبرس الاحمدى والامير سيف الدين طيبال أمير حاجب أيضاً وحضر من الامراء الخاصكية تقدير عشرين أميرا وحضر صحبتهـم التشريف الاطلس الكامل المزركش والنمجا الشريفة السلطانية والغاشية المنسوجة بالذهب المصرى وعليها القبة والطير وثلاثة سـناجق وعصائب وتقليد يتضمن السلطنـة والجمدارية السلطانية وسلحدار بسـيفين معلقين على كتفه والشاويشـية وحضر جميع ذلك الى المدرسة المنصورية بين القصرين وقدم لى حصان كامل العدة فركبته بكرة الخميس سابع عشر المحرم الموافق للثامن والعشرين من شباط بالشعار المذكور ومشت الامراء الى اثناء الطريق وركبوا ولمـا قاربت قلعة الجبل نزلوا جميعهم واستمريت حتى وصلت الى قرب باب القلعة ونزلت وقبلت الارض للسلطان الى جهة القلعـة وقبلت التقليد الشريف ثم أعدت تقبيل الارض مرارا ثم طلعت صحبة النـائب وهو المقر السيفى أرغون الدوادار الى القلعة وحضرت بـين يدى السلطان في ضحوة النهار المذكور فقبلت الارض فأولانى من الصدقة مالا يفعله الوالد مع ولده وعند ذلك أمرنى بالمسير الى حمـاة وقال يافلان لك مدة غائب فتوجه الى بلدك فقبلت الارض وودعته وركبت

خيل البريد عند العصر من نهار الخميس المذكور وشعار السلطنة صحبتي على فرس بريد وسرت حتى قاربت حماة وخرج من بها من الامراء والقضاة وتلقوني وركبت بالشعار المذكور ودخلت حماة ضحوة نهار السبت السادس والعشرين من المحرم من هذه السنة الموافق لثامن اذار بعد ان قرئ تقليد السلطنة بنقيرين في خام كان قد انصب هناك ولولا مخافة التطويل كنا ذكرنا نسخته

ذكر الاغارة على سيس وبلادها

(في هذه السنة) تقدمت مراسيم السلطان باغارة العساكر على بلاد سيس ورسم لمن عينه من العساكر الاسلامية الشامية فسار من دمشق تقدير ألفي فارس وسار الامير شهاب الدين قرطاى بعساكر الساحل وجردت من حماة امراء الطبلخانات الذين بها وسارت العساكر المذكورة من حماة في العشر الاول من ربيع الاول من هذه السنة ووصلوا الى حلب ثم خرجت عساكر حلب صحبة المقر العلاى الطنبغا نائب السلطنة بحلب وسارت العساكر المذكورة عن آخرهم ونزلوا بعمق حارم وأقاموا به مدة ثم رحلوا ودخلوا الى بلاد سيس في منتصف ربيع الآخر من هذه السنة الموافق للرابع والعشرين من ايار وساروا حتى وصلوا الى نهر جيحان وكان زائدا فاقتحموه ودخلوا فيه فغرق من العساكر جماعة كثيرة وكان غالب من غرق التراكمين الذين من عسكر الساحل وبعد ان قطعوا جيحان المذكور ساروا ونازلوا قلعة سيس وزحفت العساكر عليها حتى بلغوا السور وغنموا منها وأتلفوا البلاد والزراعات وساقوا المواشي وكانت شيأ كثيراً وأقاموا ينهبون ويخربون ثم عادوا وقطعوا جيحان وكان قد انحط فلم ينضر أحد به ووصلوا الى بغراس في نهار السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر المذكور ثم ساروا الى حلب وأقاموا بها مدة يسيرة حتى وصل اليهم الدستور فسار كل عسكر الى بلده * وفي هذه السنة * في أثناء ربيع الاول وصلت الجهة في البحر الى الديار المصرية وكان في خدمتها مايقارب ثلاثة آلاف نفر من رجال ونساء واحتفل بهم الى غاية مايكون وادرت عليهم الانعامات والصلات

ذكر قطع اخباز آل عيسى وطردهم عن الشام

(في هذه السنة) تقدمت مراسيم السلطان بقطع اخباز المذكورين وطردهم بسبب سوء صنيعهم فقطعت اخبازهم ورحلوا عن بلاد سلمية في يوم الاثنين ثاني جمادى الاولى من هذه السنة الموافق لعاشر حزيران وساروا الى جهات عانة والحديثة على شاطئ الفرات * وفيها * عند رحيل المذكورين وصل الامير سيف الدين قجليس وسار بجمع عظيم من العساكر الشامية والعرب في أثر المذكورين حتى وصل الى الرحبة

ثم سار منها حتى وصل الى عانة ولما وصل المذكور هناك هرب آل عيسى الى وراء الكبيسات وعيسى المذكور هو عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصبة بن فضل ابن ربيعة وأقام السلطان موضع مهنا محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن عصبة المذكور ولما جرى ذلك عاد الامير سيف الدين المذكور وأقام بالرحبة حتى نجزت مغلاتها وحملت الى القلعة ثم سار منها ونزل على سلمية في يوم الخميس منتصف رجب من السنة المذكورة الموافق للحادي والعشرين من آب واستمر مقيما على سلمية حتى وصل اليه الدستور فسار منها الى الديار المصرية في يوم الاثنين تاسع شهر رمضان من السنة المذكورة الموافق لثالث عشر تشرين الاول وأتم سيره حتى وصل الى مصر

ذكر هلاك صاحب سيس

﴿ في هذه السنة ﴾ مات صاحب سيس أوشين بن ليفون عقيب الاغارة على بلده وكان المذكور مريضاً لما دخلت العساكر الى بلاده وشاهد حريق بلاده وخراب أماكنه وقتل رعيته وسوق دوابهم فتضاعفت آلامه وهلك في جمادى الاولى من هذه السنة وخلف ولدا صغيراً دون البلوغ فاقيم مكانه وتولى تدبير أمره جماعة من كبار الارمن

ذكر مقتل حميضة

ولما جرى من حميضة ماتقدم ذكره واستمر وصول العساكر من الديار المصرية الى مكة لحفظها من المذكور رأى المذكور عجزه وضاقت عليه الارض بما رحبت فعزم على الحضور الى مقدم العسكر المقيم بمكة وهو الامير ركن الدين بيبرس أميراخور ودخوله في الطاعة وكان قد هرب من بعض المماليك السلطانية من منى لما حج السلطان ثلاثة مماليك يقال لاحدهم ايدغدى والتجؤا الى حميضة في برية الحجاز فآواهم وأكرم مثواهم ولما عزم حميضة على الحضور الى الطاعة اتفقوا على قتله واغتياله وكان حميضة قد نزل على القرب من وادي نخلة فلما كان وقت القيلولة ذهب الى تحت شجرة ونام فقتله ايدغدى المذكور بالسيف وقطع رأس حميضة وأحضره الى مقدم العسكر بمكة فحمل الى بين يدى السلطان بالديار المصرية وكفى الله شر حميضة المذكور ولقاء عاقبة بغيه وكان حميضة المذكور قد ذبح أخاه أبا الغيث فاقتص الله منه وكان مقتله في يوم الخميس سابع عشر جمادى الاولى من هذه السنة الموافق للرابع والعشرين من تموز بالقرب من وادي نخلة ﴿ وفيها ﴾ تصدق السلطان على ولدى محمد وأرسل له تشريفاً أطلس أحمر بطرز زركش وقندس وتحتاني أطلس أصفر وشربوش مزركش ومكلل باللؤلؤ وأمر له بامرية وستين فارساً لخدمته طبلخاناه فركب محمد بالتشريف المذكور بحماة يوم الاثنين الخامس من رجب الموافق لحادي عشر آب وكان

عمره حينئذ نحو تسع سنين ﴿ وفيها ﴾ حج المقر السيفي أرغون الدوادار وكان السلطان قد عفا عن رميثة وأفرج عنه وأرسله صحبة المقر السيفي الى مكة ورسم لرميثة المذكور بنصف متحصل مكة ويكون النصف الآخر لعطيفة أخيه فسافر المقر السيفي وقرر رميثة بمكة حسبما رسم به السلطان ﴿ وفيها ﴾ في يوم الاثنين تاسع ذى الحجة وصل المجد اسماعيل السلامى رسولا من جهة أبي سعيد ملك التتر ومن جهة جوبان وعلى شاه بهدايا جليلة وتحف ومماليك وجوارى مما يقارب قيمته خمسين تمانا والتمان هو البدرة وهى عشرة آلاف درهم وسار بذلك الى السلطان (وفيها) في شوال الموافق لتشرين الثانى شرعت في عمارة القبة وعمل المربع والحمام على ساقية نخيلة بظاهر حماة وفرغت العمارة في المحرم من سنة احدى وعشرين وسبعمائة وجاء ذلك من انزه الاماكن (وفيها) أوفي أواخر سنة تسع عشرة وسبعمائة جرى بين الفرنج الجنويين قتال شديد وذلك بين قبيلتين منهم يقال لاحدى القبيلتين اسبينيا وللاخرى دوريا حتى قتل منهم ماينيف عن خمسين ألف نفر وكان احدى القبيلتين أصحاب داخل جنوة والاخرى أصحاب خارج البلد اسبينيا بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة من تحتها وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر النون وفتح ياء مثناة من تحتها وفي آخرها ألف مقصورة ودويار بضم الدال المهملة وسكون الواو وكسر الراء المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وفي آخرها ألف والله أعلم (ثم دخلت سنة احدى وعشرين وسبعمائة) فيها في مستهل جمادى الاولى توفيت بحماة فاطمة خاتون بنت الملك المنصور صاحب حماة وكانت كثيرة الاحسان (وفيها) عدى مهنا ابن عيسى الفرات وتوجه الى أبي سعيد ملك التتر مستنصرا به على المسلمين وأخذ معه تقدمة برسم التتر سبعمائة بعير وسبعين فرساً وعدة من الفهود ﴿ وفيها ﴾ حضر رسول تمرتاش بن جوبان المستولى على بلاد الروم بتقدمة الى الابواب الشريفة بديار مصر (وفيها) ورد مرسوم السلطان على مؤلف الاصل يأمره بالحضور ليسير معه في صيوده قال فسرت من حماة على البريد وسبقت تقدمتى وحضرت لدى المواقف الشريفة وهو نازل بالقرب من قليوب فبالغ في ادرار الصدقات على (وفيها) رحل السلطان من الاهرام وسار في البرية متصيداً حتى وصل الى الحمامات وهى غربى الاسكندرية على مقدار يومين ثم عاد الى القاهرة (وفيها) دخل تمرتاش المذكور بعسكره الى بلاد سيس وأغار وقتل فهرب صاحب سيس الى قلعة اياس التى في البحر وأقام تمرتاش ينهب ويخرب نحو شهر ثم عاد الى بلاد الروم (وفيها) عاد مؤلف الاصل من الخدمة الشريفة الى حماة (وفيها) توجه نائب الشام تنكز الى الحجاز

الشريف وكان قد توجه من الديار المصرية الادر السلطانية الى الحج بتجمل وعظمة لم يعهد مثلها

ذكر وفاة صاحب اليمن

﴿ وفيها ﴾ ليلة الثلاثاء في ذى الحجة توفي بمرض ذات الجنب بتعز الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول فاتفق أرباب الدولة وأقاموا ولده علي ولقب الملك المجاهد سيف الاسلام بن داود المذكور وهو اذ ذاك أول ماقد بلغ ثم خرج عليه عمه الملك المنصور أيوب ولقبه زين الدين أخو داود في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فملك اليمن واعتقل ابن أخيه سيف الاسلام وقعد المنصور في مملكة اليمن دون ثلاثة أشهر ثم هجم من العسكر وأخرجوا سيف الاسلام وأعادوه الى ملك اليمن واعتقلوا عمه المنصور ايوب وبقي أمر مملكة اليمن مضطرباً غير منتظم الاحوال (ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة) فيها وصل الامير فضل بن عيسى صحبة الادر السلطانية من الحجاز داخلا عليهم مستشفعا بهم فرضى عنه السلطان وأقره على امرة العرب موضع محمد بن أبي بكر أمير آل عيسى

ذكر فتوح اياس

(فيها) وصل بعض العساكر المصرية والشامية والساحلية وسار صحبتهم غالب عسكر حماة الى حلب المحروسة وانضم اليهم عسكرها وتقدم عليهم نائب حلب الطنبغا وأتموا السير حتى نزلوا اياس من بلاد سيس وحاصروها وملكوها بالسيف وعصت عليهم القلعة التى في البحر فاقاموا عليها منجنيقاً عظيما وركب المسلمون اليها طريقين في البحر الى ان قاربوا القلعة فهربت الارمن منها وأخلوها وألقوا في القلعة نارا وملك المسلمون القلعة نهار الاحد الحادى والعشرين من ربيع الآخر وهدموا ماقدروا على هدمه وعاد كل عسكر الى بلده (وفيها) توجه اتامش الناصرى رسولا الى أبي سعيد ملك التتر وعاد الى القاهرة بانتظام الامر واتفاق الكلمة (وفيها) وصل مؤلف الاصل تغمده الله برحمته الى خدمة السلطان قال وسرت في خدمة السلطان الى الاهرام وحضر هناك رسول صاحب برشونه وهو أحد ملوك الفرنج بجهات الاندلس فقبل السلطان هديتهم وأنعم عليهم أضعاف ذلك ثم رحل من الاهرام وتوجه الى الصعيد الأعلى وأنا معه الى ان وصلنا دندرة وهي عن قوص مسيرة يوم وعدنا الى القاهرة (ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة) فيها عاد الملك المؤيد الى حماة من خدمة السلطان بعد ان غمره بالانعام والعطايا

ذكر السنة الحمرا

فيها جدبت الارض بالشام من دمشق الى حلب وانحبس القطر ولم ينبت شيء من الزراعات الا القليل النادر واستسقى الناس في هذه البلاد فلم يسقوا وأما السواحل التى من طرابلس الى اللاذقية وجبل اللكام فان الامطار مازالت تقع في هذه النواحى فاستوت زراعاتهم (وفيها) مات قاضى القضاة الشافعى بدمشق المعروف بابن صقرى وهو نجم الدين أحمد وولى مكانه جمال الدين المعروف بالزرعى (وفيها) عزل السلطان كريم الدين بن عبد الكريم عن منصبه واستعاد منه ما كان عنده من الاموال وأرسله الى الشوبك فاقام بها وولى مكانه أمين الملك عبد الله (وفيها) رسم السلطان لمؤلف الاصل أن لايرسل قوده نظرا في حاله بسبب محل البلاد فارسلت عدة يسيرة من الخيل التى كنت حصلتها فتصدق على بتشريف كامل على عادتى وستين قطعة اسكندرى وخمسين ألف درهم وألف مكوك حنطة (وفيها) حضرت رسل أبى سعيد ملك التتر ورسل نائبه جوبان وتوجهوا الى الابواب الشريفة بالقاهرة ثم عادوا الى بلادهم (وفيها) وصلت الملكة بنت ابغا واسمها قطلو وفي خدمتها عدة كثيرة من التتر وتوجهت الى الحج ورسم السلطان ورتب لها في الطرقات الاقامات الوافرة (ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة) فيها تقدم السلطان بابطال المكوس والضرائب عن سائر أصناف الغلة بجميع الشام فابطل وكان ذلك جملة تخرج عن الاحصاء

ذكر المتجددات فى بلاد الروم

كان ببلاد الروم تمرتاش بن جوبان فاستولى عليها واستكثر من المماليك وقطع ما كان يحمل منها الى الاردو والخواتين وصار كلما جاءه رسول لطلب المال يهينه ويعيده بغير زبدة فلما كثر ذلك منه سار اليه أبوه جوبان فعزم تمرتاش على قتال أبيه وأنفق في عسكره ومماليكه فلما قرب جوبان منه فارقه عسكره وصاروا مع جوبان * فلما رأى تمرتاش ذلك حضر مستسلما الى أبيه جوبان فتقدم جوبان بامساكه وأخذه معه معتقلا الى الاردو وذلك بعد ان أقام ببلاد الروم شخصاً من التتر موضع تمرتاش

ذكر المتجددات باليمن

(في هذه السنة) لم يبق في يد الملك المجاهد على بن داود غير حصن تعز وخرج باقى ملك اليمن عنه وسار بيد ابن عمه صاحب الدملوه وتلقب بالملك الظاهر (وفيها) نزل الامير مهنا بن عيسى بظاهر سلمية من بلاد حمص عند تل اعدا وكان له مايزيد عن عشر سنين لم ينزل باهله هنالك وكان الامر والنهى اليه في العرب وخبز الامرة لاخيه

فضل

فضل بن عيسى (وفيها) ورد مرسوم السلطان الى صاحب حماة بالمسير الى خدمته
فسار وأخذ معه ولده محمدا وأهله قال وحضرت بين يدى السلطان بقلعة الجبل مستهل
الحجة فبالغ في أنواع الصدقات على وعلى من كان معى وعلى ولدى ووصل وأنا هناك
رسل أبى سعيد ملك التتر ويقال لكبيرهم طوغان وهو من جهة أبى سعيد والذى من
بعده حمزة وهو من جهة جوبان وصحبتهما الطواشى ريحان خزندار أبى سعيد وكان
مسلما ما كان صحبتهم من الهدايا وحضر المذكورون بين يدى السلطان بقلعة الجبل
وكان يوما مشهودا لبس فيه جميع الامراء والمقدمون والمماليك السلطانية وغيرهم
الكلوتات المزركشات والطرز الذهب ولم يبق من لم يلبس ذلك غير الملك الناصر وأحضر
المذكورون التقدمة وأنا حاضر وهى ثلاثة أكاديش بثلاثة سروج ذهب مصرى
مرصعة بأنواع الجواهر وثلاث حوايص ذهب مجوهرة وسيف غلافه ملبس ذهباً
مرصع جوهرا وعدة أقبية من نسيج وغيره مستنجبة وجميعها بطرز زركش ذهب
وشاشا فيه قبضات عدة زركش ذهب واحدى عشر بختيا مزينة أحمالها صناديق ملؤها
قماش من معمول تلك البلاد وعدتها سبعمائة شقة قد نقش عليها القاب السلطان
فقبل ذلك منهم وغمر الرسل بأنواع التشاريف والانعام وكان عيد الاضحى بعد
ذلك بيومين واحتفل السلطان للعيد احتفالا عظيما يطول شرحه وأقام رسل التتر
ينظرون الى ذلك ثم أحضرهم وخلع عليهم ثانيا وأوصلهم مناطق من الذهب ومبالغا
تزيد على مائة ألف درهم وأمرهم بالعود الى بلادهم ثم بعد ذلك عبر السلطان النيل
ونزل بالجيزة ثالث عشر الحجة وكان قد طلع النيل وزادعلى ثمانية عشر ذراعا ووصل
الى قريب الذراع التاسع عشر وطال مكثه على البلاد فاقام بالجيزة حتى جفت البلاد لاجل
الصيد ثم رحل وسار الى الصيد وأنا بين يديه الشريفتين (وفيها) مات على شاه وزير
ملك التتر وكان المذكور قد بلغ منزلا عظيما من أبى سعيد وغيره وانشأ بتبريز الجامع
الذى لم يعهد مثله ومات قبل اتمامه وهو الذى نسج المودة بين الاسلام والتتر رحمه الله
تعالى (ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعمائة) فيها عاد الملك الناصر الى القاهرة
وأعطى لصاحب حماة الدستور بعد ماغمره بالصدقات ورسم له بألفى مثقال ذهب
وثلاثين ألف درهم ومائة شقة من أفخر القماش الاسكندرى ووصل الى حماة شاكرا ناشرا

ذكر عمارة القصور بقرية سرياقوس والخانقاه

﴿في هذه السنة﴾ تكملت القصور والبساتين بسرياقوس وهى قرية في جهة الشمال
عن القاهرة على مرحلة خفيفة وعمر السلطان على طريق الجادة الآخذة الى الشام
بالقرب من العش خانقاه وأنزل جماعة من الصوفية بها ورتب لهم الرواتب الجليلة

وأرسل صاحب حماة هدية تليق بالخانقاه المذكورة مثل كتب وبسط وغير ذلك

ذكر ارسال السلطان العسكر الى اليمن

(وفيها) بلغ السلطان اضطراب حال اليمن وفساد أحوال الرعية فارسل اليها جيشا وقدم على الجيش الامير ركن الدين بيبرس الذى كان أميراخور ثم أمير حاجب والامير سيف الدين طينال الحاجب حينئذ وكان توجه العسكر المذكور من الديار المصرية في شهر ربيع الاول من هذه السنة ووصلوا الى اليمن وخرج اليهم الملك المجاهد ابن الملك المؤيد صاحب اليمن وهو اذ ذاك شاب جاهل ليس له معرفة بما يجب عليه فقصر في حق العسكر ثم انه لتقصيره في حقهم استوحش منهم ودخل قلعة تعز وعصى بها ولم يكن مع العسكر مرسوم بملك اليمن بل بمساعدة المذكور وتقرير أمر ولايته ووجدوا في طريقهم مشقة عظيمة من العطش والجوع ووصلوا الى مصر في شوال من هذه السنة فلم يعجب السلطان ماصدر منهم وأنكر عليهم واعتقل المقدم بيبرس المذكور ﴿ وفي هذه السنة ﴾ حضر علاء الدين الطنبغا بحلب الى حماة متوجها الى خدمة السلطان وتوجه من حماة ثالث ذى القعدة من هذه السنة الموافق لثانى عشر تشرين الاول ثم عاد وعبر على حماة وتوجه الى حلب تاسع وعشرين ذى القعدة المذكورة (ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمائة) وكان أول المحرم يوم الاحد وهو الموافق لثامن كانون الاول (وفيها) في منتصف ربيع الآخر الموافق لحادى وعشرين اذار خرجت بعسكر حماة ووصلت الى القناة الواصلة من سلمية الى حماة وقسمتها على الامراء والعسكر لينظفوها فانها كانت قد آلت الى التلف بسبب مااجتمع فيها من الطين فحرروها في نحو أسبوع ثم عدت الى حماة (وفيها) وصل الامير سيف الدين اتامش متوجها رسولا الى أبي سعيد وجوبان وكان صحبته تقدمة جليلة للمذكورين وكان عبوره على حماة وتوجهه الى البلاد الشرقية منها في سادس جمادى الاولى وتاسع ايار (وفيها) في أوائل جمادى الآخرة عزل السلطان الامير شهاب الدين قرطاى من نيابة السلطنة بالسواحل وولى مكانه الامير سيف الدين طينال الحاجب وكان وصول طينال الى تلك الجهة في سادس وعشرين الشهر المذكور (وفيها) يوم الاثنين سادس عشر جمادى الآخرة وتاسع عشر ايار كانت وفاة مملوكى طيدمر وكان المذكور قد صار أميرا كبيرا عندى وكان مريضا بالسل مدة طويلة وجرى على لفقده أمر عظيم رحمه الله تعالى (وفيها) وصل رسول جوبان وصحبته طاى بضا قرابة السلطان وكان عبوره على حماة في منتصف جمادى الآخرة (وفيها) في ثامن عشر شعبان عاد سيف الدين من الاردو وعبر على حماة وتوجه الى الابواب الشريفة (وفيها) في شعبان حضر نجم

الدين

الدين صاحب حصن كيفا متوجها الى الحجاز ثم ابطل المسير الى الحجاز وسار الى عند السلطان الى مصر فانعم عليه السلطان وأعاده فعبر على حماة وتوجه الى حصن كيفا (وفيها) حال وصوله اليها قتله أخوه وكان أخوه مقيما هناك وملك أخوه الحصن والمذكوران من ولد تورانشاه ابن الملك الصالح أيوب بن الكامل بن العادل بن أيوب (وفيها) أمر السلطان بطرد مهنا وعربه وأمرني بارسال عسكر الى الرحبة لحفظ زرعها من المذكورين فجردت اليها أخي بدر الدين ومحمودا ابن أخي واسنبغا مملوكي فساروا اليها بمن في صحبتهم في مستهل شهر رمضان ووصلوا وأقاموا بها وعادوا الى حماة في حادى وعشرين ذى القعدة من السنة المذكورة الموافق لتاسع عشر تشرين الاول

ذكر وفاة اخي بدر الدين حسن رحمه الله تعالى

(في هذه السنة) مرض أخي حسن عند وصوله من الرحبة واشتد مرضه وكان مرضه حمى بلغمية وتوفي نهار الثلاثاء مستهل الحجة وكان عمره يوم وفاته سبعا وخمسين سنة وكان أكبر مني بثلاث سنين وخلف ابنين طفلين وبنتين وأعطيت امريته لابنه الطفل وعمره نحو ثلاث سنين وأقمت لهم نواباً يباشرون أمورهم ثم مرض محمود ابن أخي أسد الدين عمر وابتدأ مرضه يوم موت أخي حسن وقوى مرضه حتى توفي محمود المذكور يوم الاحد ثالث عشر الحجة من السنة المذكورة وكان بينه وبين وفاة عمه بدر الدين حسن المذكور ثلاثة عشر يوما وكان عمر محمود عند وفاته نحو ست وثلاثين سنة (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعمائة) فيها عزل السلطان نائبه المقر السيفي أرغون من نيابة السلطنة بمصر وأرسله الى حلب نائباً بها بعد عزل الطنبغا منها وكان عبور المقر السيفي أرغون المذكور على حماة يوم الثلاثاء سادس وعشرين المحرم الموافق لثامن وعشرين كانون الاول وكانت الامطار في هذه السنة مفرطة الى الغاية (وفيها) تصدق السلطان وأرسل لى حصانين من خيل برقه أحدهما بسرج ذهب لى والآخر بسرج فضة لابنى محمد ووصل بهما أميراخور دقماق وركبناهما يوم الخميس ثالث عشر رجب الفرد الموافق لرابع حزيران (وفيها) في يوم السبت ثالث عشر شعبان حضر من الابواب الشريفة الامير علاء الدين قطلوبغا المعروف بالمغربي وصحبته رسولا جوبان وهما اسندمر وحمزة وتوجه بهما وأوصلهما الى البيرة مكرمين ثم عاد قطلوبغا المغربي المذكور الى حماة وتوجه الى الابواب الشريفة وتوفي عند وصوله (وفيها) بعد وصول المقر السيفي أرغون الى حلب توفي ابنه الكبير ناصر الدين محمد بن أرغون وكان أميراً كبيراً في الدولة وكان وفاته يوم الاربعاء سابع عشر شعبان المذكور

ذكر اخبار ابى سعيد وجوبان

وكان أبو سعيد ملك التتر صبيا عند موت أبيه خربندا فقام بتدبير المملكة جوبان ولم يكن لابى سعيد معه من الامر شئ حسبما تقدم ذكره ولما كبر أبو سعيد ووجد ان الامر مستبد به جوبان وليس له معه حكم أضمر لجوبان السوء وكان جوبان قد سلم الاردو لابنه خواجا دمشق فحكم خواجا دمشق على أبى سعيد فاتفق في هذه السنة ان جوبان سار بالعساكر الى خراسان واستمر ابنه خواجا دمشق حاكما في الاردو وكان الاردو اذ ذاك بظاهر السلطانية وكان خواجا دمشق يروح سرا بالليل الى بعض خواتين خربندا * فلما خرج شهر رمضان من هذه السنة ودخل شوال توجه خواجا دمشق في الليل ودخل القلعة ونام عند تلك الخاتون وكان هناك امرأة أخرى عينا لابى سعيد عليها فارسلت تلك المرأة وأخبرت أبا سعيد بالخبر واسم المرأة التي هى عين حجل ولقلعة السلطانية بابان فارسل أبو سعيد عسكرا ووقفوا على الباب وأحس دمشق خواجا بذلك فحمل وخرج من الباب الواحد فضربوه وأمسكوه وقصدوا احضاره ممسوكا بين يدى أبى سعيد فارسل أبو سعيد وقال لهم اقطعوا رأسه وأحضروه فقطعوا رأس دمشق خواجا المذكور وأحضروه الى بين يدى أبى سعيد وبقى المغل يرفسون رأسه وجمع أبو سعيد كل من قدر عليه وخاف من جوبان وأرسل الى العسكر الذى مع جوبان وخبرهم بانه قد عادى جوبان * ولما بلغ جوبان ذلك سار من خراسان بمن معه من العسكر طالباً أبا سعيد وسار أبو سعيد الى جهته حتى تقارب الجمعان عند مكان يسمى صارى قماش أى القصب الاصفر وذلك على مراحل يسيرة من الرى * ولما تقارب الجمعان فارقت العساكر عن آخرها جوبان ورحلوا عنه الى طاعة أبى سعيد وذلك في ذى الحجة من هذه السنة فلم يبق مع جوبان غير عدة يسيرة فابتدر جوبان الهرب وقصد نواحى هراة واختفى خبره ثم ظهر في السنة الاخرى ثم عدم قيل انه قتل بهراة قتله صاحبها وقيل غير ذلك وتتبع أبو سعيد كل من كان من أولاده والزامه فاعدمهم واستقرت قدم أبى سعيد في المملكة وكان أبو سعيد يهوى بنت جوبان واسمها بغداد وكانت مزوجة للامير حسن بن اقبغا وهو من أكبر أمراء المغلة فطلقها أبو سعيد منه وتزوجها أبو سعيد وبقيت عند أبى سعيد في منزلة عظيمة جدا

﴿ ذكر سفرى الى الابواب الشريفة ﴾

﴿ في هذه السنة ﴾ رسم السلطان لى بالحضور الى أبوابه الشريفة لاكون في خدمته في سيوده فخرجت من حماة يوم الاثنين رابع ذى القعدة الموافق للحادى والعشرين من ايلول وأتممت السير أنا وابنى محمد حتى وصلنا الى بلبيس ونزلنا على عيثة وهى قرية

خارج

خارج بلبيس من جهتها الجنوبيـة فرض ابنى محمد المذكور مرضاً شديدا وأرسـل السلطان الى خيلا بسروجها لى ولابنى ووصلنى ذلك الى بير البيضا وأنا في شدة عظيمة من الخوف على ولدى واستمر مرضـه يتزايد والتقيت بالسلطان وقبلت الارض بين يديه يوم السبت مستهل الحجة بظاهر سرياقوس ونزلنا بسرياقوس والسلطان يبالغ في الصدقة بأنواع التشاريف والخيول والمأكل وأنا مشغول الخاطر وأقمنا بسرياقوس بالعمائر التي أنشأها السلطان هناك وأرسل السلطان أحضر رئيس الاطباء اذ ذاك وهو جمـال الدين ابراهيم بن أبي الربيع المغربي فحضر الى سرياقوس وبقي يساعـدني على العلاج ثم رحل السلطان من سرياقوس ودخل القلعة وأرسـل الى حراقة فركبت أنا وابني محمد فيها وكان اذ ذاك يوم بحرانه يعني سابع أيام المرض وهو يوم الخميس سادس ذي الحجة ونزلت بدار طقزتمر على بركة الفيل وأصبح يوم الجمعة المرض منحطا ولله الحمد فانه أفسح بالبحران المذكور وأقمت تحت ظل صدقات السلطان وبقي يحصل لى عوائق عن ملازمة خدمة السلطان بسبب مرض الولد فان الحمى بقيت تعاوده بعد كل قليل والسلطان يتصدق ويعذرني في انقطاعي ويرسم لى بذلك رحمة منه وشـفقة على وبقي عنده من مرض ابنى أمر عظيم وبقيت أتردد مع السلطان في هذه النوبة في الصيف في أراضي الجيزة وأراضي المنوفية حتى خرجت هذه السنة (ثم دخلت سـنة ثمان وعشرين وسبعمائة) وكان أول المحرم من هذه السنة يوم الاثنين وكنا بالقاهرة كما تقدم وخلع على السلطان في هذا اليوم قباء مذهبا بطرزذهب مصرى لم يعمل مثله في كبره وحسنه

﴿ذكر خروج السلطان الى عند الاهرام واستحضار رسل ابى سعيد﴾

ثم عدى السلطان الى الجيزة ونزل عند الاهرام واستحضر هناك رسل أبي سعيد ووصلوا مبشرين بهروب جوبان ونصرة أبي سعيد عليه واستقراره في الملك وانه مقيم على الصلح والمحبة وقصدوا من السلطان استمرار الصلح فاستحضر السلطان الرسل عنـد الاهرام في الدهليز الشريف وكان الدهليز جميعه جتره وشقته من أطلس معدني ونخ مذهب عال وكان ذلك يوم الاحد ثامن وعشرين المحرم وثالث عشر كانون الاول وكان الرسـل ثلاثة نفر كبيرهم شيخ كانه كردى الاصـل يسمى ارش بغا والثاني اياجي والثالث برجا قرابة الامير بدر الدين جنكي وكان يوما مشهودا ونزل السلطان الرسل في خيمة أعدها السلطان لهم وادر السلطان عليهـم الانعامات الوافرة وبالغ في الاحسان اليهـم ثم انه سفرهم وأنعم على كل من في صحبتهم من أتباعهم وكانوا نحو مائة نفر وسافر الرسـل المذكورون من تحت الاهرام يوم الاربعاء مستهل صفر ودخلوا القاهرة وتوجهوا منها عائدين الى أبي سعيد وهم مغمورون بصدقات السلطان ثم ان السلطان دخل الى القلعة

يوم الاحد ثاني عشر صفر وكانت غيبته نحو خمسة وثلاثين يوما ثم خرجنا الى سرياقوس يوم الخميس سلخ صفر وفي يوم الجمعة غد النهار المذكور خلع علي وعلى ابني محمد تشاريف حسنة فوق العادة وكذلك أوصلنا بالحوائص الذهب المجوهرة وبالقماش الفاخر مما يعمل للخاص الشريف بدار الطراز بالاسكندرية ووصلني من الصناقر والصقور والشواهين عدة كثيرة ثم وصلني بعد ذلك كله بثلاثة آلاف دينار مصرية ورسم لي بالدستور والعود الى بلادي فودعته عند بحر ابن منجا يوم السبت ثاني ربيع الاول وسرت حتى دخلت حماة يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني وعشرين ربيع الاول من هذه السنة الموافق لخامس شباط (وفيها) قبل دخولي حماة توفيت والدتي رحمها الله تعالى يوم الخميس حادي وعشرين ربيع الاول ورابع شباط وكنت اذ ذاك قريب حمص فلم يقدر الله لي ان أراها ولا حضرت وفاتها وكانت من العبادة على قدم كبير (وفيها) بعد وصولي الى حماة بمدة يسيرة أرسلت وطلبت من السلطان دستورا لزيارة القدس الشريف فرسم لي بالتوجه اليه فخرجت من حماة يوم الثلاث سلخ حمادي الاولى الموافق لثاني عشر نيسان وتوجهت على بلد بارين الى بعلبك الى كرك نوح وانحدرت منها الى الساحل ونزلت ببيروت وسرت منها الى صيدا وصور ثم الى عكا ثم الى القدس وسرت الى الخليل صلوات الله عليه ثم عدت الى حماة ودخلتها يوم السبت خامس وعشرين حمادي الآخرة (وفيها) بعد وصولي من القدس وصلني من صدقات السلطان على العادة في كل سنة من الخيل البرقية اثنان بالعدة الكاملة لي ولابني صحبة علاء الدين ايدغدي أميراخور وركبناهما بالعسكر على العادة يوم ثاني عشر رجب من هذه السنة (وفيها) أرسلت التقدمة من الخيل وغيرها على عادتي في ارسال ذلك كل سنة صحبة لاجين وكان خروجه بها من حماة يوم السبت ثاني شعبان (وفيها) عبر على حماة سيف الدين اروج رسولا من السلطان وتوجه الى أبي سعيد وكان ذلك في أواخر ربيع الاول ثم عاد بعد ان أدى الرسالة وعبر على حماة في سادس عشر شعبان من هذه السنة متوجها الى الابواب الشريفة

ذكر اخبار تمرتاش بن جوبان

كان تمرتاش المذكور في حياة أبيه جوبان قد صار صاحب بلاد الروم واستولى على جميع بلادها من قونية الى قيسارية وغيرهما من البلاد المذكورة * فلما انقهر أبوه وهرب كما ذكرناه ضاقت بتمرتاش المذكور الارض ففارق بلاده وسار في جمع يسير نحو مائتي فارس أوأقل أوأكثر الى الشام ثم سار منها الى مصر الى صدقات السلطان وكانت نفس المذكور كبيرة جدا بسبب كبر أصله في المغل وكبر منصبه ولم يكن له عقل يرشده الى ان يجمل نفسه حيث جعله الله تعالى ووصل المذكور الى

صـدقات السلطان بالديار المصرية في العشر الاول من ربيع الاول فتصدق عليه السلطان وأنعم عليه الانعامات الجليلة وأعرض عليه امرية كبيرة واقطاعاً جليلا فأبى أن يقبل ذلك وان يسلك ماينبغي واتفق ان الصلح قد انتظم بين السلطان وبين أبي سعيد وكان أبو سعيد يكاتب ويطالب تمرتاش المذكور بحكم الصلح وما استقر عليه القواعد فرأى السلطان من المصلحة امساك تمرتاش المذكور وانضم الى ذلك مابلغ السلطان عنه انه أخذ أموال أهل بلاد الروم وظلمهم الظلم الفاحش فامسكه السلطان واعتقله في أواخر شعبان من هذه السنة ثم حضر اباجي رسول أبي سعيد فبالغ في طلب تمرتاش المذكور فاقتضت المصلحة اعدامه فاعدم تمرتاش المذكور في رابع شوال من هذه السنة بحضرة اباجي رسول أبي سعيد (وفيها) وصل اباجي رسول أبي سعيد وعبر على حماة في أواخر شعبان وصحبته ارلان قرائب والدة السلطان وتوجه الى الابواب الشريفة بسبب تمرتاش وكان من أمره ماشرح وعاد اباجي رسول المذكور من الابواب الشريفة وعبر على حماة في التاسع عشر من شوال وتوجه الى جهة أبي سعيد (وفيها) يوم الاحد تاسع عشر ذى القعدة توفي مملوكي اسنبغا وكان قد بقي من أكبر أمراء عسكر حماة رحمه الله (ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة) وكانت غرة المحرم من هذه السنة يوم الجمعة رابع تشرين الثانى ولم يبلغني في أوائلها مايليق أن يؤرخ والله أعلم

﴿ ذكر أخبار الصبي صاحب سيس ﴾

في هذه السنة اشتد الصبي صاحب سيس وهو ليفون بن أوشين وكان الحاكم عليه صاحب الكرك بكافين الاولي مفتوحة وبينهماراء مهملة ساكنة وهى قليعة قريب البحر في أطراف بلد سيس من جهة الغرب والشمال وهى تتاخم بلاد ابن قرمان وكان صاحب الكرك المذكور قد استولى على مملكة صاحب سيس بحكم صغر الصبي المذكور فلما كانت هذه السنة قوى الصبي وقتل صاحب الكرك وأخاه بعده وأرسل رأس صاحب الكرك الى السلطان فارسل السلطان تشريفا وسيفا وفرسا بسرجه ولجامه مع الامير شهاب الدين أحمد المهمندار بالابواب الشريفة فتوجه شهاب الدين المهمندار بذلك الى الصبي صاحب سيس فلبس صاحب سيس الخلعة وشد السيف وقبل الارض وركب الفرس المتصدق به عليه وقويت نفسه بذلك وأوصل شهاب الدين المهمندار المذكور انعاما كثيرا وعاد شهاب الدين الى الابواب الشريفة وعبر على حماة متوجها الى الابواب الشريفة يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة (وفي هذه السنة) وصلني من صدقات السلطان من الحصن البرقية اثنان بالعدة الكاملة صحبة علاء الدين ايدغدى أميراخور لي ولابني محمد وركبنا

الموكب بهما نهار الاثنين سابع رجب وفي هذه السنة أرسل السلطان الى المقـر السيفي أرغون النائب بحلب وأمره بالحضور الى الابواب الشريفة فسار المذكور من حلب وتوجه الى الديار المصرية وحضر بين يدى السلطان وشمله بانواع الصدقات والتشاريف وبقى مقيما في الخدمة الشريفة نحو نصف شهر وما يزيد على ذلك ثم أمره بالعود الى النيابة بالمملكة الحلبية فعاد اليها وعبر على حماة يوم الخميس حادى عشر رجب وكنت قد خرجت الى تلقيه ولقيته بين حمص والرستن وبت عنده يوم الخميس بالرستن ودخل حماة يوم الجمعة وصلى وسافر الى حلب (وفي هذه السنة) في الليلة المسفرة عن نهار الاثنين الثالث والعشرين من رجب وتاسع عشر أيار ولد لولدى محمد ولد ذكر وكان ذلك وقت المسبح من الليلة المذكورة وسميته عمر بن محمد (وفي هذه السنة) كان قد توجه على الرحبة رسول أبي سعيد وهو رسول كبير يسمى تمر بغا وحضر بين يدى السلطان وكان حضوره بسبب ان أبا سعيد سأل الاتصال بالسلطان وأن يشرفه السلطان بأن يزوجه ببعض بناته ووصل مع الرسول المذكور ذهبا كثيرا لعمل مأكول وغيره يوم العقد فاجابه السلطان بجواب حسن وان اللاتى عنده صغار ومتى كبرن يحصل المقصود وعاد تمر بغا الرسول بذلك وعبر على حماة يوم الجمعة عاشر شعبان من هذه السنة (وفيها) توفي بدمشق قاضى قضاتها وهو علاء الدين القزوينى وكان فاضلا في العلوم العقلية والنقلية وعلم التصوف وله مصنفات مفيدة رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة ثلاثين وسبعمائة) فيها في المحرم توفي القاضى علاء الدين على بن الاثير كان كاتب السر بمصر ثم فاج وانقطع فولى مكانه القاضى محي الدين ابن فضل الله (وفيه) مات الشيخ فتح الدين بن قرناص الحموى ولى نظر جامع حماة وله نظم (وفيه) قدم قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر الاخنائى صحبة نائب الشام عوضا عن القونوى (وفيه) توفي الوزير الزاهد العالم أبو القاسم محمد بن الوزير الأزدى الغرناطى بالقاهرة قافلا من الحج بلغ من الجاه ببلده الى أنه كان يولى في الملك ويعزل وكان ورعا شريف النفس عاقلا أوصى أن تباع ثيابه وكتبه ويتصدق بها (وفيها) في صفر مات بدمشق سيف الدين بهادر المنصورى بداره وشيعه النائب والاعيان (وفيه) مات مسند العصر شهاب الدين احمد بن أبى طالب الصالحى الحجازى ابن شحنة الصالحية توفي بعد السماع عليه بنحو من ساعتين كان ذا دين وهمة وعقل واليه المنتهى في الثبات وعدم النعاس وحصلت له للرواية خلع ودراهم وذهب واكرام وشيعه الخلق والقضاة ونزل الناس بموته درجة (وفيه) توفي قاضى القضاة فخر الدين عثمان بن كمال الدين محمد بن البارزى الحموى الجهنى قاضى حلب فجأة بعد أن توضأ وجلس بمجلس الحكم ينتظر اقامة العصر حج غير مرة وكان يعرف الحاوى في الفقه وشرحه في ست مجلدات وكان

يعرف

يعرف الحاجبية والتصريف وكان فيه دين وصداقة رحمه الله تعالى (وفيه) في ربيع الآخر تولى القضاء قضاة بحلب القاضي شمس الدين محمد بن النقيب نقل من طرابلس وولى طرابلس بعده شمس الدين محمد بن المجد عيسى البعلى سار من دمشق اليها (وفيها) في جمادى الاولى أنشأ الامير سيف الدين مغلطاى الناصرى مدرسة حنفيه بالقاهرة ومكتب أيتام (وفيها) في جمادى الآخرة مات الامير العالم سيف الدين أبو بكر محمد بن صلاح الدين ابن صاحب الكرك بالجبل وكان فاضلا شاعرا (وفيه) وصل الخبر بعافية السلطان من كسر يده فزينت دمشق وخلع على الامراء والاطباء (وفيه) مات بمكة قاضيها الامام نجم الدين أبو حامد (وفيه) مات الشيخ ابراهيم الهدمة وله كرامات وشهرة (وفيه) حضرت رسل الفرنج يطلبون بعض البلاد فقال السلطان لولا أن الرسل لايقتلون لضربت أعناقكم ثم سفروا (وفيها) في رجب ماتت زوجة تنكز وعمل لها تربة حسنة قرب باب الخواصين ورباط (وفيها) في رمضان مات قاضى طرابلس شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى الشافعى البعلى وكان صاحب فنون (قلت)

لقد عاش دهرا يخدم العلم جهده ... وكان قليل المثل في العلم والود

فلما تولى الحكم ماعاش طائلا ... فما هنئ ابن المجد والله بالمجد

(وفيه) أنشأ الامير سيف الدين قوصون الناصرى جامعا عند جامع طولون عند دار قتال السبع فخطب به أول يوم قاضى القضاة جلال الدين بحضور السلطان وقرر لخطابته القاضى فخر الدين محمد بن شكر (وفيها) في شوال مات رئيس الكحالين نور الدين على بمصر (وفيه) احترقت الكنيسة المعلقة بمصر وبقيت كوما (وفيه) قدم رسول صاحب اليمن بهدية فقيد وسجن لان صاحب الهند بعث الى السلطان بهدايا فأخذها صاحب اليمن وقتل بعض من كان معها وحبس بعضهم (وفيها) في ذى القعدة مات الامير علاء الدين قلبرس ابن الامير علاء الدين طبرس بدمشق بالسهم وكان مقدم ألف وله معروف وخلف أموالا ومات الامير سيف الدين كوليجار المحمدى (وفيها) بدمشق في ذى الحجة مات المعمر المسند زين الدين أيوب بن نعمه وكانت لحيته شعرات يسيرة وكان كحالا * ومات بها أيضا الصالح الزاهد الشيخ حسن المؤذن بالمأذنة الشرقية بالجامع وكان مجاورا به * ومات بدر الدين محمد بن الموفق ابراهيم بن داود بن العطار أخو الشيخ علاء الدين ببستانه وصلاح الدين يوسف بن شيخ السلامية صهر الصاحب وشيعه الخلق وفجع به أبواه وكان شابا متميزا من أبناء الدنيا المتنعمين (ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وسبعمائة) فيها وردت كتب الحجاج بما جرى بمكة شرفها الله تعالى حول البيت من ثورة عبيد مكة ساعة الجمعة بالوفد من النهب والجراحة وقتل جماعة من الحجاج وقتل أمير

مصرى وهو أيدمر أمير جندار وابنه ولما بلغ السلطان ذلك غضب وجرد جيشا من مصر
والشام للانتقام من فاعلى ذلك (وفيها) في المحرم أيضا مات الامير الكبير شهاب الدين
طغان بن مقدم الجيوش سنقر الاشقر ودفن بالقرافة جاوز الستين وكان حسن الشكل
ومات الصالح كمال الدين محمد ابن الشيخ تاج الدين القسطلانى بمصر سمع ابن الدهان
وابن علاق والنجيب وحدث وكان صوفيا (وفيها) في صفر مات قاضى القضاة
عز الدين محمد ابن قاضى القضاة تقى الدين سليمان بن حمزة الحنبلى بدمشق بالدير
ومولده في ربيع الآخر سنة خمس وستين سمع من الشيخ وابن النجارى وأبى بكر
الهروى وطائفة وأجاز له ابن عبد الدائم وكان عاقلا ولى القضاء بعد ابن مسلم وحج ثلاث
مرات (وماتت) أم الحسن فاطمة بنت الشيخ علم الدين البرزالى سمعت الكثير من خلق
وحدثت وكتبت ربعة وأحكام ابن تيمية والصحيح وحجت وكانت تجتهد يوم الحمام ان
لاتدخل حتى تصلى الظهر وتحرص في الخروج لادراك العصر رحمها الله تعالى (وفيها)
في صفر أيضاً وصل نهر الساجور الى نهر قويق وانصبا الى حلب بعد غرامة أموال
عظيمة وتعب من العسكر والرعايا بتولية الامير فخر الدين طمان (وفيها) في ربيع الاول
مات بحلب الامير سيف الدين أرغون الناصرى نائبها وخرجت جنازته بلا تابوت وعلى
النعش كساء بالفقيرى من غير ندب ولا نياحة ولا قطع شعر ولا لبس جل ولا تحويل
سرج حسبما أوصى به ودفن بسوق الخيل تحت القلعة وعملت عليه تربة حسنة ولم يجعل
على قبره سقف ولا حجرة بل التراب لاغير وكان متقنا لحفظ القرآن مواظبا على التلاوة
عنده فقه وعلم ويرد أحكام الناس الى الشرع الشريف حتى كان بعض الجهال ينكر عليه
ذلك وكتب صحيح البخارى بخطه بعد ماسمعه من الحجاز واقتنى كتبا نفيسة وكان عاقلا
وفيه ديانة رحمه الله (وفيها) في صفر أيضاً ولى قضاء الحنابلة بدمشق الشيخ شرف الدين
ابن الحافظ واستناب ابن أخيه القاضى تقى الدين عبد الله بن أحمد ومات القاضى الفقيه
الاديب ضياء الدين على بن سليم بن ربيعة الاذرعى الشافعى بالرملة ناب عن القاضى عز
الدين ابن الصائغ وناب بدمشق عن القونوى ونظم التنبيه في الفقه في ستة عشر ألف
بيت وشعره كثير (ومات) الرئيس زين الدين يوسف بن محمد بن النصيبى بحلب سمع من
شيخ الشيوخ عز الدين مسند العشرة وحدث قارب الثمانين (وفيها) في ربيع الآخر
مات الامير سيف الدين طرشى الناصرى بمصر أمير مائة حج غير مرة وفيه ديانة (ومات)
الشيخ علاء الدين ابن صاحب الجزيرة الملك المجاهد اسحاق ابن صاحب الموصل لؤلؤ بمصر
سمع جزء ابن عرفة من النجيب والجمعة من ابن علاق وكان جنديا له ميرة ومات بحلب
نور الدين حسن بن الشيخ المقرى جمال الدين الفاضلى روى عن زينب بنت مكى وكان

كاتبا بحلب ومات الامير علم الدين سنجر البروانى بمصر فجأة كان أمير خمسين من الشجعان ومات الصالح المسند شرف الدين أحمد بن عبد المحسن بن الرفعة العدوى سمع وحدث ومات ليلة الجمعة تاسع عشرى ربيع الآخر بدر الدين محمد بن ناهض أمام الفردوس بحلب سمع عوالى الفيلانيات الكبير على القطب ابن عصرون وحدث وله نظم ومات رئيس المؤذنين بجامع الحاكم نجم الدين أيوب بن على الصوفي وكان بارعا في فنه له أوضاع عجيبة وآلات غريبة (وفيها) في جمادى الاولى عاد الامير علاء الدين التنبغا الى نيابة حلب وفرح الناس به وأظهروا السرور (وفيها) حضر بمكة الامير رميثة بن أبى نمى الحسنى وقرئ تقليده ولبس الخلعة بولاية مكة وحلف مقدم العسكر الذين وصلوا اليه والامراء له بالكعبة الشريفة وكان يوما مشهودا وكان وصول الجيش الى مكة في سابع عشر ربيع الآخر (وفيه) مات الامام الورع موفق الدين أبو الفتح الجمفرى المالكى وشيعه خلق الى القرافة وقارب السبعين ولم يحدث (ومات) العدل المعمر برهان الدين ابراهيم بن عبدالكريم العنبرى باشر الصدقات والايتام والمساجد وهو خال ابن الزملكانى (ومات) القاضى تاج الدين بن النظام المالكى بالقاهرة (ومات) أبو دبوس المغربى بمصر قيل انه ولى مملكة قابس ثم أخذت منه فترح فاعطى اقطاعا في الحلقة (وفيها) في جمادى الآخرة مات القاضى التاج أبو اسحاق عبدالوهاب بن عبد الكريم وكيل السلطان وناظر الخواص بمصر (وفيه) وصل الى دمشق العسكر المجرد الى مكة ومقدمهم الحى بغا غابوا خمسة أشهر سوى أربعة أيام وأقاموا بمكة شهرا ويوما وحصل بهم الرعب في قلوب العرب وهرب من بين أيديهم عطيفة والاشراف بأهلهم وثقلهم وعوض عن عطيفة بأخيه رميثة وقرر مكانه (ومات) الامير حسام الدين طرنطاى العادلى الدوانداری بمصر وكان دينا وله سماع (ومات) المجد بن اللفينة ناظر الدواوين بالقاهرة (ومات) الرئيس تاج الدين بن الدماملى كبير الكرامية بمصر قيل ترك مائة ألف دينار (ووصل) الحاج عمر بن جامع السلامى الى دمشق من اصلاح عين تبوك جمع لها من التجار دون عشرين ألفا وأحكمت (وفيها) في رجب مات بمصر العلامة فخر الدين عثمان بن ابراهيم التركمانى سمع من الابرقوهى وشرح الجامع الكبير وألقاه في المنصورية دروسا وكان حسن الاخلاق فصيحا ودرس بها بعده ابنه (ومات) بمصر القاضى جمال الدين بن عمر البوزنجى المالكى معيد المنصورية (وفيها) في شعبان كان بدمشق ريح عاصفة حطمت الاشجار ثم وقع في تاسعه برد عظم قدر البندق (وفيه) جاء من الكرك الملك أحمد ابن مولانا السلطان الملك الناصر وختن بعد ذلك بأيام وأنفذ الى الكرك أخ له اسمه ابراهيم (ومات) سيف الدين كشتمر الطباخى الناصرى بمصر كهلا تفقه لابى حنيفة

وكان دينا وأحدثت بالمدرسة المعزية على شاطئ النيل الخطبة وخطب عز الدين عبد الرحيم بن الفرات حين رتب ذلك سيف الدين طقزدمر أمير الجيش (وفيها) في رمضان قدم دمشق العلامة تاج الدين عمر بن علي اللخمي بن الفاكهاني المالكي من الاسكندرية لزيارة القدس والحج فحدث ببعض تصانيفه وسمع الشفاء وجامع الترمذي من ابن طرخان وصنف جزء في ان عمل المولد في ربيع الاول بدعة (وفيها) في ذي القعدة مات الصاحب تقي الدين بن السلعوس بالقاهرة فجأة حج وسمع من القارون (ومات) القاضي جمال الدين أحمد بن محمد بن القلانسي التميمي درس بالامينية والظاهرية وعمل الانشاء بدمشق (وفيها) في ذي الحجة مات الامير نجم الدين البطاحي ولي أستاذ دارية السلطنة ومات أمين الدين بن البص أنفق أموالا في بناء خان المزيرب وفي بناء مسجد الذباب والمأذنة قيل أنفق في وجوه البر مائتي ألف وخمسين ألفا ومات بدمشق الامير ركن الدين عمر بن بهادر وكان مليح الشكل وجاء التقليد بمناصب جمال الدين بن القلانسي لاخيه (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة) في المحرم منها توفي الشيخ الكبير العابد المقرى أبو محمد عبد الرحمن بن أبي محمد بن سلطان القرامزي الحنبلي بجوبر ودفن بتربة له جوار قبة القلندرية بدمشق وكان مشهورا بالمشيخة يتردد اليه الناس سمع من ابن أبي اليسر وابن عساكر وحدث بدمشق ومصر وقرأ بالروايات على الشيخ حسن الصقلي (ومات) الامير الكبير علم الدين الدميتري ولي نيابة قلعة دمشق مدة (وحصل) بحمص سيل عظيم هلك به خلائق ومات بحمام تنكز بها نحو مائتي امرأة وصغير وصغيرة وجماعة رجال دخلوا ليخلصوا النساء وهلك بعض المتفرجين بالجزيرة وانهدمت دار المستوفي وهلك ابنه وصاروا يخرجون الموتى من بواليع الحمام والقمين وكان بالحمام عروس فلهذا كثر النساء بالحمام * ومات بمصر الامير علاء الدين مغلطاي الجمالي وزر بمصر وحج بالمصريين (ومات السلطان الملك المؤيد) اسماعيل ابن الملك الافضل علي صاحب حماة مؤلف هذا التاريخ وله تصانيف حسنة مشهورة منها أصل هذا الكتاب ونظم الحاوي وشرحه شيخنا قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي شرحا حسنا وله كتاب تقويم البلدان وهو حسن في بابه تسلطن بحماة في أول سنة عشرين بعد نيابتها رحمه الله تعالى وكان سخيا محبا للعلم والعلماء متقنا يعرف علوما ولقد رأيت جماعة من ذوي الفضل يزعمون أنه ليس في الملوك بعد المأمون أفضل منه رحمه الله تعالى (وفيها) في صفر مات قاضي الجزيرة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن نصر الشافعي وكان له تعلق بالدولة ومكاتبة من بلده ثم تحول الى دمشق (وفيه) تملك حماة السلطان الملك الافضل ناصر الدين محمد ابن الملك المؤيد على قاعدة أبيه وهو ابن عشرين سنة (وفيها) في ربيع الاول مات بالقاهرة القاضي الامام المحدث تاج الدين أبو القاسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي بن عوض السعدي

سعد خدام الشافعي ولد سنة خمسين تفقه وقرأ النحو على الامين المحلى وسمع من ابن عزون وابن علان وجماعة وارتحل فلقى بالثغر عثمان بن عوف وعمل معجمه في ثلاث مجلدات وأجاز له ابن عبد الدائم وروى الكثير وخرج أربعين تساعيات وأربعين مسلسلات وكان حسن الخط والضبط متقنا ولي مشيخة الحديث بالصاحبية وأفتى وذكر أنه كتب بخطه أزيد من خمسمائة مجلد (ومات) بدمشق العلامة رضى الدين ابراهيم ابن سليمان الرومي الحنفي المعروف بالمنطقي بدمشق بالنورية وكان دينا متواضعا محسنا الى تلامذته حج سبع مرات (ومات) الامير علاء الدين طنبغا السلحدار عمل نيابة حمص ثم نيابة غزة وبها مات وحج بالشاميين سنة احدى عشرة وسبعمائة ﴿ ومات ﴾ بمكة خطيبها الامام بهاء الدين محمد بن الخطيب تقي الدين عبد الله ابن الشيخ المحب الطبرى له نظم ونثر وخطب وفيه كرم ومروءة وفصاحة وخطب بعده أخوه التاج على ﴿ وفيها ﴾ في ربيع الآخر ركب بشعار السلطنة الملك الافضل الحموى بالقاهرة وبين يديه الغاشية ونشرت العصائب السلطانية والخليفية على رأسه وبين يديه الحجاب وجماعة من الامراء وفرسه بالرقبة وبالشبابة وصعد القلعة هكذا ﴿ وفيها ﴾ في جمادى الاولى مات قاضي القضاة بدمشق شرف الدين أبو محمد عبد الله ابن الامام شرف الدين حسن ابن الحافظ أبي موسى ابن الحافظ الكبير عبد الغنى المقدسي الحنبلي فجأة كان شيخا مباركا (ومات) فخر الدين على بن سليمان بن طالب بن كثيرات بدمشق (ومات) بالاسكندرية الصالح القدوة الشيخ يافوت الحبشي الاسكندرى الشاذلي وكانت جنازته مشهورة وقد جاوز الثمانين كان من أصحاب أبي العباس المرسى (وفيها) في رجب مات الامام الصالح عز الدين عبد الرحمن ابن الشيخ العز ابراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الحنبلي سمع أباه وابن عبد الدائم وجماعة وكان خيرا بشوشا رأسا في الفرائض (ومات) بدمشق الناصح محمد بن عبد الرحيم بن قاسم الدمشقي النقيب الجنائزى كان خبيرا بألقاب الناس يحصل الدراهم والخلع ويتقيه الناس عفا الله عنه (ومات) بمصر فخر الدين بن محمد ابن فضل الله كاتب المماليك ناظر الجيوش المصرية كان له بر وعدمه الناس وعرفوا قدره بوفاته فانه كان يشير على السلطان بالخيرات ويرد عن الناس أمورا معظمات قلت

وكم أمور حدثت بعده حتى بكت حزنا عليه الرتوت
لو لم يمت ماعرفوا قدره مايعرف الانسان حتى يموت

سمع من ابن الابرقوهي واحتيط على حواصله (ومات) شيخ القراء شهاب الدين أحمد ابن محمد بن يحيي بن أبي الحزم سبط السلعوس النابلسي ثم الدمشقي ببستانه ببيت لهيا وكان ساكنا وقورا (ومات) بمصر الامير سيف الدين ايجية الدوادار الناصرى الفقيه

الحنفى كهلا وولى المنصب بعده الامير صلاح الدين يوسف بن الاسعد ثم عزل بعد مده (وفيها) في شعبان كان عرس الملك محمد ابن السلطان على زوجته بنت بكتمر الساقى وسوارها ألف ألف دينار مصرية وذبح خيل وجمال وبقر وغنم وأوز ودجاج فوق عشرين ألف رأس وحمل له ألف قنطار شمع وعقد له ثمانية عشر ألف قنطار حلوى سكرية وأنفق على هذا العرس أشياءلا تحصى (ومات) بالقاهرة جمال الدين محمد بن بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك الطائى الجيانى بلغ الخمسين وسمع من ابن النجارى جزأ خرجه له عمه وله نظم جيد ولم يحدث ومات الامير سيف الدين ساطى صهر سلار من العقلاء وفيه ديانة وله حرمة وافرة (ومات) بدمشق أمين الدين سليمان بن داود الطبيب تلميذ العماد الدنيسرى كان سعيدا في علاجه وحصل أموالا قلت

مات سليمان الطبيب الذى أعده الناس لسوء المزاج

لم يفده طب ولم يغنه علم ولم ينفعه حسن العلاج

كان مقدما على المداواة ودرس بالدخوارية مدة وعاش نحو سبعين سنة (وفيه) طغى ماء الفرات وارتفع ووصل الى الرحبة وتلفت زروع وانكسر السكر بدير بسير كسرا ذرعه اثنان وسبعون ذراعا وحصل تألم عظيم وعملوا السكر فلما قارب الفراغ انكسر منه جانب وغلت الاسعار بهذا السبب وتعب الناس بصعوبة هذا العمل (وفيها) في رمضان أمر بدمشق الامير على ابن نائب دمشق سيف الدين تنكز ولبس الخلعة عند قبر نور الدين الشهيد المشهور باجابة الدعاء عنده ومشى الامراء في خدمته الى العتبة السلطانية فقبلها (وفيه) نقل من دمشق الى كتابة السر بالابواب السلطانية القاضى شرف الدين أبو بكر ابن محمد بن الشيخ شهاب الدين محمود ونقل الى دمشق القاضى محي الدين بن فضل الله وولده (ومات) بدمشق فجأة الامير سيف الدين بلبان العنقاوى الزراق الساكن بالسبعة وقد جاوز السبعين من أمراء الاربعين ﴿ومات﴾ شيخ القراء ذوالفنون برهان الدين أبو اسحاق ابراهيم بن عمر الجعبرى الشافعى بالخليل ومولده سنة أربعين وستمائة وتصانيفه كثيرة اشتغل ببغداد وقرأ التعجيز على مصنفه بالموصل وأقام شيخا أربعين سنة ﴿ومات﴾ بمصر الامير سيف الدين سلامش الظاهرى أمير خمسين وقد قارب التسعين وكان دينا صالحا ﴿وفيها﴾ في شوال توجه السلطان للحج بأهله ومعظم أمرائه في حشمة عظيمة ﴿ومات﴾ الامام شهاب الدين أبو أحمد عبد الرحمن بن محمد بن عسكر المالكى مدرس المستنصرية ببغداد وله مصنفات في الفقه وكان حسن الاخلاق ولد في سنة أربع وأربعين بباب الازج ﴿وفيها﴾ في ذى القعدة مات قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى ابن الاخنائى بالعادلية بدمشق ودفن بسفح قاسيون

كان من شهود الخرابة بمصر ثم جعل حاكما بالاسكندرية ثم بدمشق لابن دقيق العيد ولازم الدمياطي مدة وسمع من أبي بكر بن الانماطى وجماعة ومولده عاشر رجب سنة أربع وستين وكان عفيفا فاضلا عاقلا نزها متدينا محبا للحديث والعلم شرح بعض كتاب البخارى ﴿ وفيه ﴾ وفى النيل قبل النيروز بثلاثة وعشرين يوما وبلغ احد عشر من تسعة عشر وهذا لم يعهد من ستين سنة وغرق أماكن واتلف للناس من القصب مايزيد على ألف ألف دينار ونبت على البـلاد أربعة أشهر ﴿ وفيها ﴾ في ذى الحجة مات قطب الدين موسى بن أحمد بن حسان ابن شيخ السلامية وكان ناظر الجيش الشامي ومرة المصرى ودفن بتربة أنشأها بجنب جامع الافرم وعاش أثنتين وسبعين ورثاه علاء الدين بن غانم ﴿ ومات ﴾ الشيخ الصالح المقرى شمس الدين محمد بن النجم أبى تغلب بن أحمد بن أبى تغلب الفاروثى ويعرف بالمربى جاوز الثمانين كان معلما في صنعة الاقباع ويقرئ صبيانه ويتلو كثيرا قرأ بالسبع على الكمال المحلى قديما ﴿ ومات ﴾ العلامة الخطيب جمال الدين يوسف بن محـمـد بن مظفر بن حماد الحموى الشافعي خطيب جامع حماة كان عالما دينا سمع جزء الانصارى من مؤمل البالسى والمقداد القيسى وحدث واشتغل وأفتى وكان على قدم من العبادة والافادة رحمه الله تعالى ﴿ ومات ﴾ العلامة شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن قاضى القضاة الحافظ سـعـد الدين مسعود بن أحمد الحارثى بالقاهرة تصدر للاقراء وحج مرات وجاور وسمع من العز الحرانى وجماعة وكان ذا تعبد وتصون وجلالة قرأ النحو على ابن النحاس والاصول على ابن دقيق العيد ومولده سنة احدى وسبعين وولى بعـده تدريس المنصورية قاضى القضاة تقى الدين ﴿ ومات ﴾ كبير أمراء سيف الدين بكتمر الناصرى الساقى بعد قضاء حجه وابنه الامير أحمد أيضاً وخلف مالا يحصى كثرة ماتا بعيون القصب بطريق مكة ونقلا الى تربتهما بالقرافة ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ﴾ فيها في المحرم أطلق الصاحب شمس الدين غبريال بعـد مصادرة كثيرة ﴿ ومات ﴾ بدمشق نقيب الاشراف شرف الدين عدنان الحسينى ولى النقابة على الاشراف بعد موت أبيه واستمر بها تسع عشرة سنة وهم بيت تشيع ﴿ وفيها ﴾ في صفر وصل الخبر بموت محدث بغداد تقى الدين محمود بن على بن محمود بن مقبل الدقوقى كان يحضر مجلسه خلق كثير لفصاحته وحسن آدابه وله نظم وولى مشيخة المستنصرية وحدث عن الشيخ عبد الصمد وجماعة وكان يعظ وحمل نعشه على الرؤس وما خلف درهما ﴿ وفيه ﴾ قدم أمين الملك عبد الله الصاحب على نظر دمشق وهو سبط السديد الشاعر ﴿ ومات ﴾ بدمشق الشيخ كمال الدين عمر بن الياس المراغى كان عالما عابدا سمع منهاج البيضاوى من مصنفه ﴿ وفيها ﴾ في ربيع الاول ولى القضاء بدمشق العلامة

جمال الدين يوسف بن جملة بعد الاخنائي ﴿وفيها﴾ في ربيع الآخر توجه القاضي محي الدين بن فضل الله وابنه الى الباب الشريف وتحول الى موضعه بدمشق القاضي شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود وولى نقابة الاشراف بدمشق عمادالدين موسى بن عدنان ﴿وفي خامس عشر﴾ شعبان من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة دخل الامير بدر الدين لؤلؤ القندشي الي حلب شادا على المملكة وعلى يده تذاكر وصادر المباشرين وغيرهم ومنهم النقيب بدرالدين محمدبن زهرة الحسيني والقاضي جمال الدين سليمان بن ريان ناظر الجيش وناصر الدين محمد بن قرناص عامل الجيش وعمه المحي عبد القادر عامل المحلولات والحاج اسماعيل بن عبد الرحمن العزازي والحاج على بن السقا وغيرهم واشتد به الخطب وانزعج به الناس كلهم حتى البريشون وقنت الناس في الصلوات وقلت في ذلك

قلبي لعمر الله معلول ... بما جرى للناس مع لولو

يارب قد شردعنا الكرا ... سيف على العالم مسلول

وماهذا السيف من مغمد ... سواك يامن لطفه السول

كان هذا لؤلؤ مملوكا لقندش ضامن المكوس بحلب ثم ضمن هو بعد أستاذه المذكور ثم صار ضامن العداد ثم صار أمير عشرة ثم أمير طبلخانات ثم صار منه ماصار ثم انه عزل ونقل الى مصر وأراح الله أهل حلب منه فعمل بمصر أقبح من عمله بحلب وتمكن وعاقب حتى نساء مخدرات وصادر خلقا ﴿وفيها﴾ في جمادى الاولى مات عز القضاة فخر الدين بن المنير المالكي من العلماء ذوى النظم والنثر وألف تفسيرا وأرجوزة في السبع ﴿ومات﴾ قاضي المجدل بدر الدين محمد بن تاج الدين الجعبري ﴿ومات﴾ قاضي القضاة بدر الدين محمدبن جماعة الكناني الحموي بمصر له معرفة بفنون وعدة مصنفات حسن المجموع كان ينطوى على دين وتعبد وتصون وتصوف وعقل ووقار وجلالة وتواضع درس بدمشق ثم ولى قضاء القدس ثم قضاء الديار المصرية ثم قضاء الشام ثم قضاء مصر وولى مشيخة الحديث بالكاملية ومشيخة الشيوخ وحمدت سيرته ورزق القبول من الخاص والعام وحج مرات وتنزه عن معلوم القضاء لغناه مدة وقل سمعه في الآخر قليلا فعزل نفسه ومحاسنه كثيرة ومن شعره

لم أطلب العلم للدنيا التي ابتغيت ... من المناصب أو للجاه والمال

لكن متابعة الاسلاف فيه كما ... كانوا فقدر ماقدكان من حالي

﴿وفيها﴾ في جمادى الآخرة مات الرئيس تاج الدين طالوت بن نصير الدين بن الوجيه بن سويد بدمشق حدث عن عمر القواس وعاش خمسين سنة وهو سبط

الصاحب جمال الدين بن صصرى وكان فيه دين وبر وله أموال ﴿ ومات ﴾ العلامة مفتى المسلمين شهاب بن أحمد بن جهبل الشافعى بدمشق درس بالصلاحية وولى مشيخة الظاهرية ثم تدريس الباذرائية وله محاسن وفضائل (ومات) الامير علم الدين طرقشى المشد بدمشق (وفيها) في رجب مات الشيخ الامام القدوة تاج الدين بن محمود الفارقى بدمشق عاش ثلاثا وثمانين سنة وكان عابدا عاقلا فقيها عفيف النفس كبير القدر ملازما للجامع عالج الصرف مدة ثم ترك واتجر في البضائع وحدث عن عمر ابن القواس وغيره (ومات) صاحبنا الامير شهاب الدين أحمد بن بدر الدين حسن بن المروانى نائب بملبك ثم والي البر بدمشق وكان فيه دين كثير التلاوة محباللفضل والفضلاء ولي والده النيابة بقصير أنطاكية طويلا وبها مات (وفيها) في شعبان مات الخطيب بالجامع الازهر علاء الدين بن عبد المحسن بن قاضى العسكر المدرس بالظاهرية والاشرفية بالديار المصرية (وفيه) دخل القاضى تاج الدين محمد بن الزين حلب متوليا كتابة السر ولبس الخلعة وباشر وأبان عن تعفف عن هدايا الناس (وفيها) في رمضان مات بدمشق الامير علاء الدين أوران الحاجب وكان ينطوى على ظلم من أولاد الاكراد ومات بحماة زين الدين عبد الرحمن بن على بن اسماعيل بن البارزى المعروف بابن الولى كان وكيل بيت المال بها وبنى بها جامعاً وكانت له مكانة ومروءة ومنزلة عند صاحب حماة * ومات مسند الشام المعمر تاج الدين أبو العباس أحمد بن المحدث تقى الدين ادريس كان فيه خير وديانة * ومات بحماة شيخ الشيوخ فخر الدين عبد الله بن التاج كان صواما عابدا ذا سكينة سمع من والده *ومات الامام المؤرخ شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب الشافعى بالقاهرة وله تاريخ في ثلاثين مجلدا كان ينسخ في اليوم ثلاثة كراريس وفضيلته تامة عاش خمسين سنة *ومات الامام جمال الدين حسين بن محمود الربعى البالسى بالقاهرة قرأ بالروايات وكان شيخ القراء وله وظائف كثيرة أم بالشجاعى ثم ام بالسلطان نيفاً وثلاثين سنة وكان عالماً كثير التهجد (وفيها) في ذى القعدة أخذ حاجب العرب بدمشق على بن مقلد فضرب وحبس وأخذ ماله وقطع لسانه وعزل ناصر الدين الدوادار وضرب وصودر وأخذ منه مال جزيل وأبعد الى القدس ثم قطع لسان ابن مقلد مرة ثانية فمات آخر اليوم (قلت)

أوصيك فان قبلت منى أفلحت ونلت ماتحب
لاتدن من الملوك يوما فالبعد من الملوك قرب

ومات بحلب أمين الدين عبد الرحمن الفقيه الشافعى المواقيق سبط الابهرى وكان له يد طولى في الرياضى والوقت والعمليات ومشاركة في فنون وكان عنده لعب فنفق عند

الملك المؤيد بحماة وتقدم ثم بعـده تأخر وتحول الى حلب ومات بها (قلت) وأهل حمـاة يطعنون في عقيدته ويعجبني بيتان الثاني منهما مضمن لالكونهما فيه فان سريرته عند الله بل لحسن صناعتهما وهما

الى حلب خذ عن حماة رسالة أراك قبلت الابهري المنجما
فقولى له ارحل لاتقيم عندنا والافكن في السر والجهر مسلما

ومات الزاهد الولى أبو الحسن الواسطى العابد محرما ببدر قيل انه حج وله ثمـان عشرة سـنة ثم لازم الحج وجاور مرات وكان عظيم القدر منقبضاً عن الناس (وفيها) في ذى الحجة مات الامير الكبير مغلطاى كان مقدم ألف بدمشق وماتت الشيخة المسندة الجليلة أم محمـد أسماء بنت محمـد بن صصرى أخت قاضى القضاة نجم الدين سمعت وحدثت وكانت مباركة كثيرة البر وحجت مرات وكانت تتلو فى المصحف وتتعبد (قلت)

كذلك فلتكن أخت ابن صصرى تفوق على النساء صبى وشيبا
طراز القوم انثى مثل هذى وما التأنيث لاسم الشمس عيبا

ومات أيضا بدمشق عز الدين ابراهيم بن القواس بالعقيبة ووقف داره مدرسة وأمسك حاجب مصر سيف الدين ألماس وأخوه قره تمر ووجـد لهما مال عظيم (ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وسبعمائة) في أول المحرم منها أفرج عن الامير بدر الدين القرماني والامير سيف الدين اسلام وأخيه وخلع عليهم (وتوفي بالقدس) خطيبه وقاضيه الشيخ عماد الدين عمر النابلسى (وفيها) في صفر مات قاضى القضاة جمال الدين أبو الربيع سليمان الاذرعى الشافعى ويكنى أبا داود أيضاً بالسكتة ولى القضاء بمصر ثم بالشام مدة وكان عليه سكينة ووقار وأحضر ناصر الدين الدواتدار الى مخدومه سيف الدين تنكز فضرب وأهين وكمل عليه مال يقوم به وحصلت صقعة أتلفت الكروم والخضراوات بغوطة دمشق *ومات الامير سيف الدين صلغنة الناصرى وكان دينا يبدأ الناس بالسلام في الطرقات ومات بطرابلس نائبها الامـير شهاب الدين قرطاى المنصورى من كبار الامراء حج وأنفق كثيرا في سبل الخير رحمه الله تعالى *ومات بحماة قاضى القضاة نجم الدين أبو القاسم عمر بن الصاحب كمال الدين العقيلى الحنفي المعروف بابن العديم وكان له فنون وأدب وخط وشعر ومروءة غزيرة وعصبية لم يحفظ عليه انه شتم أحدا مدة ولايته ولا خيب قاصده (قلت)

قد كان نجم الدين شمسا أشرقت بحماة للدانى بها والقاصى
عدمت ضياء ابن العديم فأنشدت مات المطيع فياهلاك العاصى

(وفيها) في ربيع الاول توفي الامير سيف الدين طرنا الناصرى أمير مائة مقدم ألف

بدمشق

بدمشق*ومات جمال الدين فرج بن شمس الدين قره سنقر المنصورى ورسم تنكز نائب السلطنة بعمارة باب توما واصلاحه فعمر عمارة حسنة ورفع نحو عشرة أذرع ووسع وجدد بابه (وفيها) في ربيع الآخر وصل جمال الدين أقوش نائب الكرك الى طرابلس نائباً بها عوضاً عن قرطاى رحمه الله تعالى ووصل سيل الى ظاهر دمشق هدم بعض المساكن وخاف الناس منه ثم نقص في يومه ولطف الله تعالى وتوفيت أم الخير خديجة المدعوة ضوء الصباح وكانت تكتب بخطها في الاجازات ودفنت بالقرافة (وفيها) في جمادى الاولى توفي الفاضل بدر الدين محمد بن شرف الدين أبى بكر الحموى المعروف بابن السمين بحماة وكان أبوه من فصحاء القراء رحمهما الله تعالى (وفيها) في جمادى الآخرة توفي بحاب شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن ابن القاضى عماد الدين بن العجمى سمع الشمائل على والده وحدث وأقام مع والده بمكة في صباه أربع سنين وكان شيخا محترما من أعيان العدول وعنده سلامة صدر رحمه الله تعالى ومات الامير شمس الدين محمد بن الصيمرى ابن واقف المارستان بالصالحية (وفيها) في رجب وصل كتاب من المدينة النبوية يذكر فيه ان وادى العقيق سال من صفر والى الآن ودخل السيل قبة حمزة رضى الله عنه وبقى الناس عشرين يوما مايصلون الى القبة وأخذ نخلا كثيرا وخرب أماكن*ومات الامير عز الدين نقيب العساكر المصرية ودفن بالقرافة * ومات الامين ناصر الدين بن سويد التكريتى سمع على جماعة من أصحاب ابن طبرزد وحدث وكان له بر وصدقات وحج مرات وجاور بمكة ومات الشيخ العالم الربانى الزاهد بقية السلف نجم الدين اللخمى القبابى الحنبلى بحماة وكانت جنازته عظيمة وحمل على الرؤس سمع مسند الدارمى وحدث وكان فاضلا فقيها فرضيا جليل القدر وفضائله وتقلله من الدنيا وزهده معروف نفعنا الله ببركته والقباب المنسوب اليها قرية من قرى اشموم الرمان متصلة بثغر دمياط (قلت) وقدم مرة الى الفوعة وأنا بها فسألنى عن الاكدرية اذا كان بدل الاخت خنثى فأجبت انها بتقدير الانوثة تصح من سبعة وعشرين وبتقدير الذكورة تصح من ستة والانوثة تضر الزوج والام والذكورة تضر الجد والاخت وبين المسألتين موافقة بالثلث فيضرب ثلث السبعة والعشرين وهو تسعة في الستة تبلغ أربعة وخمسين ومنها تصح المسألتان للزوج ثمانية عشر وللام اثنا عشر وللجد تسعة ولا يصرف الى الخنثى شئ والموقوف خمسة عشر وفي طريقها طول ليس هذا موضعه فأعجب الشيخ رحمه الله تعالى ذلك (وفيها) في شعبان مات فجأة الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد ابن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمرى أخذ علم الحديث عن ابن دقيق العيد والدمياطى

وكان أحد الاذكياء الحفاظ له النظم والنثر والبلاغة والتصانيف المتقنة وكان شيخ الظاهرية وخطيب جامع الخندق ﴿وفيها﴾ يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر رمضان انفصل القاضي جمال الدين يوسف بن جملة الحجبى الشافعى من قضاءدمشق وعقد له مجلس عند نائب السلطنة تنكز وحكم بعزله لكونه عزر الشيخ الظهيرالرومى فجاوز في تعزيره الحد ورسم على القاضي المذكور بالعذراوية ثم نقل الى القلعة فان القاضي المالكى حكم بحبسه وطولع السلطان بذلك فأمر بتنفيذه ﴿قلت﴾ وأعجب بعض الناس حبسه أولا ثم رجع الناس الى أنفسهم فأكبروا مثل ذلك ومما قلت فيه

دمشق لازال ربعها خضر بعدلها اليوم يضرب المثل
فضامن المكس مطلق فرح فيها وقاضى القضاة معتقل

ونفى الشيخ الظهير الى بلاد المشرق وكانت مدة ولاية القاضي المذكور سنة ونصفا سوى أيام فكان الناس يرون ان حادثة القاضي وحبسه بالقلعة بقيامه على ابن تيمية جزاء وفاقا (ومات) الشيخ سيف الدين يحيى بن أحمد بن أبى نصر محمد بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلى بحماة وكان شهماً سخيا رحمه الله تعالى وفي منتصف الشهر وجد بالقاهرة يهودى مع مسلمة من بنات الترك فرجم اليهودى وأحرق وأخذ ماله كله وكان متمولا وحبست المرأة (قلت)

هذا تمدى طوره مناله ماناله فاعدموه عرضه وروحه وماله

وحكى لى عدل انه أخذ منه ألف ألف درهم وثلاث صوانى زمرد (وعزل) الامير سيف الدين بلبان عن ثغر دمياط وأخذ منه مال وحبس (وفيها) في شوال توفي الصاحب شمس الدين غبريال وكان قد أخذ منه ألفا ألف درهم وكان حسن التدبير في الدنيويات وأسلم سنة احدى وسبعمائة هو وأمين الملك معا (وفيه) بالقاهرة خصى عبد أسود كان يتعرض الى أولاد الناس فمات (قلت)

يعجبنى وفاة من فيه فساد وأذى لاحبذا حياته وان يمت فحبذا

(ومات) الامام شمس الدين محمد بن عثمان الاصفهانى المعروف بابن العجمى الحنفى كان مدرساً بالاقبالية وحدث بالمدينة النبوية ودرس أيضاً بالمدرسة الشريفة النبوية وحدث بدمشق وكان فاضلا وجمع منسكا على المذاهب ومات الشيخ الزاهد ناصر الدين محمد بن الشرف صالح بجملة أقام أكثر من ثلاثين سنة لايأكل الفاكهة ولا اللحم وكان ملازما للصوم لايقبل من أحد شيئاً قلت

زرته مرتين والحمد لله فيا نعمت خير تلك الزياره
كان فيه تواضع وسكون وصلاح باد وحسن عباره

(وفيه) كتب بدمشق محضر بأن الصاحب غبريال كان احتاط على بيت المال واشترى أملاكا ووقفها وليس له ذلك فشهد بذلك جماعة منهم ابن الشيرازى وابن أخيه عماد الدين وابن مراجل وأثبت عند برهان الدين الزرعى ونفذوه وامتنع المحتسب عزالدين ابن القلانسى من الشهادة بذلك فرسم عليه وعزل من الحسبة قلت

فديت امرأ قدراقب الله ربه ... وأفسد دنياه لاصلاح دينه

وعزل الفتى في الله أكبر منصب ... يقيه الذى يخشى بحسن يقينه

(وفيها) في ذى القعدة تولى قضاء قضاة الشافعية بدمشق شهاب الدين محمد ابن المجد عبد الله بن الحسين درس وأفتى قديماً وضاهى الكبار وتنقلت به الاحوال وهو على ما فيه غزير المروءة سخي النفس متطلع الى قضاء حوائج الناس واستمر قاضيا الى ان كان ماسيذكر وتوجه مهنا بن عيسى أمير العرب الى طاعة السلطان بعد النفرة العظيمة عنه سنين ومعه صاحب حماة الملك الافضل فاقبل السلطان على مهنا وخلع عليه وعلى أصحابه مائة وستين خلعة ورسم له بمال كثير من الذهب والفضة والقماش وأقطعه عدة قرى وعاد الى أهله مكرما*ومات المجود الاديب بدر الدين حسن بن على بن عدنان الحمدانى ابن المحدث (وفيها) أظن في ذى الحجة مات القاضى مجد الدين حرمى ابن قاسم الفاقوسى الشافعي وكيل بيت المال ومدرس قبة الشافعي وكان معمرا وألزمت النصارى واليهود ببغداد بالغيار ثم نقضت كنائسهم وديارتهم وأسلم منهم ومن أعيانهم خلق كثير منهم سديد الدولة وكان ركنا لليهود عمر في زمن يهوديته مدفناً له خسر عليه مالا طائلا فخرب مع الكنائس وجعل بعض الكنائس معبدا للمسلمين وشرع في عمارة جامع بدرب دينار وكانت بيعة كبيرة جدا واشتهر عن جماعة من الشيعة في قرية بتى بالعراق أنهم دخلوا على مريض منهم فجعل يصيح أخذنى المغول خلصونى منهم وكرر ذلك فاختلس من بينهم حيا فكان آخر عهدهم به وكان الرجل من فقهاء الشيعة يتولى عقود أنكحتهم ان في ذلك لعبرة وأطلق ببغداد مكس الغزل وضمان الخمر والفاحشة وأعطيت المواريث لذوى الارحام دون بيت المال وخفف كثير من المكوس ولله الحمد (ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة) في المحرم منها رجع حسام الدين مهنا من مصر مكرما ومات الامير بدر الدين كيكلدى عتيق شمس الدين الاعسر بدمشق وخلف أولادا وأملاكا ومات الامير بكتمر الحسامي بعمر جدد جامع قلعة مصر ومات الملك العزيز ابن الملك المغيث ابن السلطان الملك العادل بن الكامل كتب الكثير وعمر (وفيها) في صفر وصل الى دمشق كاتب السر القاضى جمال الدين عبد الله ابن القاضى كمال الدين بن الاثير صاحب ديوان الانشاء بدلا عن شرف الدين حفيد الشهاب محمود ومات شيخ

المؤذنين وانداهم صوتا برهان الدين ابراهيم الوانى سمع من ابن عبد الدائم وجماعة وحدث (ومات) بدمشق المسند المعمر بدر الدين عبد الله بن أبي العيش الشاهد وقد جاوز التسعين سمع من مكى بن قيس بن علان وكان يطلب على السماع وتفرد باشياء (ومات) بدمشق تقى الدين عبد الرحمن بن الفويرة الحنفى (وفيها) في صفر أمر السلطان بتسمير رجل ساحر اسمه ابراهيم (وفيها) في ربيع الاول مات الشيخ أبو بكر ابن غانم بالقدس وكان له مكارم ونظم ومات المحدث أمين الدين محمد بن ابراهيم الوانى روى عن الشرف ابن عساكر وغيره وكان ذا همة ورحلة وحج ومجاورة وكانت جنازته مشهودة وطاب الثناء عليه ومات نظام الدين حسن ابن عم العلامة كمال الدين بن الزملكانى وقد جاوز الخمسين وكان مليح الشكل لطيف الكلام ناظر الديوان السبر ومات كبير المجودين الخطيب بهاء الدين محمود بن خطيب بعلبك السلمى بالعقبة وتأسف الناس عليه لدينه وتواضعه وحسن شكله وبراعة خطه وعفته وتصونه كتب عليه خلق وكتب صحيح البخارى بخطه وعمر الامير حمزة بدمشق حماما عند القنوات وأدبر فيه أربعة وعشرون جرنا وأوجر كل يوم باربعين درهما وعظم حمزة وأقبل عليه تنكز بعد الدوادار ثم طغى وتجبر وظلم وعظم الخطب به فضربه تنكز وحبسه ونقل الى القلعة ثم حبس بحبس باب الصغير ثم أطاق أياما وصودر ثم أهلك سرا بالبقاع قيل غرق وقطع لسانه من أصله وهو الذى أتلف أمر الدوادار وابن مقلد بن جملة وله حكايات في ظلمه ورفع فيه يوم أمسك تسعمائة قصة وبولغ في ضربه ورمى بالبندق في جسده وما رق عليه أحد (قلت)

لو تفطن العاتى الظلوم لحاله لبكى عليها فهى بئس الحال
يكفيه شؤم وفاته وقبيح ما يثنى عليه وبعد ذا أهوال

﴿ وفيها ﴾ فى ربيع الآخر توفي الفقير الصالح الملازم لمجالس الحديث أبو بكر بن هارون الشيبانى الجزرى روى عن ابن التجارى (وقدم) على نيابة طرابلس سيف الدين طينال الناصرى عوضا عن أقوش الكركى وحبس الكركى بقلعة دمشق ثم نقل الى الاسكندرية (وفيها) في جمادى الاولى مات علاء الدين على ابن الساموس التنوخى وقد باشر صحابة الديوان بدمشق ثم ترك واحتيط بمصر على دار الامير بكتمر الحاجب الحسامى ونبشت فأخذ منها شئ عظيم (وفيها) في جمادى الآخرة مات مشد دار الطراز سيف الدين على بن عمر بن قزل سبط الملك الحافظ ووقف على كرسى وسبع بالجامع * ومات ببعلبك الفقيه أبو طاهر سمع من التاج عبد الخالق وعدة وكتب وحدث وعمل ستر ديباج منقوش على المصحف العثمانى بدمشق بأربعة آلاف درهم وخمسمائة * قلت

ستروا المكرم بالحرير وستره ❊ بالدر والياقوت غير كثير
ستروه وهو من الغواية سترنا ❊ عجبي لهذا الساتر المستور

ومات فجأة التاجر علاء الدين على السنجارى بالقاهرة وهو الذى أنشأ دار القرآن بباب الناطفانيين * قلت

مامات من هذى صفاته ❊ فوفاة ذا عندى حياته
ان مات هـذا صـورة ❊ أحيته معـنى سالفاته

ومات بمصر الواعظ شمس الدين حسين وهو آخر أصحاب الحـافظ المنذرى سمع من جماعة وكان عالمـا حسن الشكل ومات الفاضل الاديب زكى الدين المأمون الحميرى المصرى المالكي بمصر ولى نظر الكرك والشوبك وعمر نحو تسعين سـنة (وفيها) في رجب مات الفقيه محمد بن محي الدين محمد بن القاضى شمس الدين ابن الزكى العثمانى شابا درس مدة بدمشق * ومات الحافظ قطب الدين الكلبى بالحسينية حفظ الالفيـة والشاطبية وسمع من القاضى شمس الدين بن العماد وغيره وحج مرات وصنف وكان كيسا حسن الاخلاق مطرحا للتكلف طاهر اللسان مضبوط الاوقات شرح معظم البخارى وعمل تاريخا لمصر لم يتمه ودرس الحديث بجامع الحاكم وخلف تسعة أولاد ودفن عند خاله الشيخ نصر المنبجى (وفيه) أخرج السلطان من حبس الاسكندرية ثلاثة عشر نفرا منهم تمر الساقى الذى ناب بطرابلس وبيبرس الحـاجب وخلع على الجميع وفيـه طلب قاضى الاسكندرية فخر الدين بن سكين وعزل بسبب فرنجى. (وفيها) في شعبان مات المفتى بدر الدين محمد بن الفويرة الحنفى سمع وحدث (ومات) القاضى زين الدين عبد الكافي بن على بن تمام روى عن الانماطى وأخذ عنه ابن رافع وغيره (ومات) عز الدين يوسف الحنفى بمصر حدث عن ابراهيم وناب في الحكم (وفيها) في رمضان مات صاحبنا شمس الدين محمد بن يوسف التدمرى خطيب حمص كان يفتى ويدرس ونولى قضاء الاسكندرية العماد محمد بن اسحق الصـوفي (وفيها) في شوال قـدم عسكر حلب والنائب من غزاة بلد سيس وقـد خربوا في بلد أذنة وطـرسوس وأحرقوا الزروع واستاقوا المواشى وأتوا بمائتين وأربعين أسيرا وما عدم من المسلمين سوى شخص واحد غرق في النهر وكان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم فلما علم أهل اياس بذلك أحاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم وحبسوهم في خان ثم أحرقوه فقل من نجا فعلوا ذلك بنحو ألفى رجل من التجار البغاددة وغيرهم في يوم عيد الفطر فلله الامر واحترق في حماة مائتان وخمسون حانوتا وذهبت الاموال واهتم الملك بعمارة ذلك وكان الحريق عند الفجر الى طلوع الشمس وذكر أن شخصا رأى ملائكة يسوقون النار فجعل ينادى

أمسكوا ياعباد الله لاترسلوا فقالوا بهذا أمرنا ثم ان الرجل توفي لساعته وناب بدمشق في القضاء شهاب الدين أحمد بن شرف الزرعى الشافعى قاضي حصن الاكراد وورد الخبر بحريق انطاكية قبل رجوع العسكر فلم يبق بها الا القليل ولم يعلم سبب ذلك (وفيها) في ذى القعدة توفيت زينب بنت الخطيب يحيى ابن الامام عزالدين بن عبد السلام السلمى سمعت من جماعة وكان فيها عبادة وخير وحدثت (ومات) الطبيب جمال الدين عبدالله بن عبد السيد ودفن في قبر أعده لنفسه وكان من أطباء المارستان النورى بدمشق وأسلم مع والده الذبان سنة احدى وسبعمائة (ومات) حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب وحزن عليه آله وأقاموا مأتما بليغا ولبسوا السواد أناف على الثمانين وله معروف من ذلك مارستان جيد بسرمين ولقد أحسن برجوعه الى طاعة سلطان الاسلام قبل وفاته وكانت وفاته بالقرب من سلمية (ومات) المحدث الرئيس العالم شمس الدين محمد بن أبي بكر بن طرخان الحنبلى سمع من ابن عبد الدائم وغيره وكان بديع الخط وكتب الطباق وله نظم (وفيها) في ذى الحجة مات الفقيه الزاهد شرف الدين فضل بن عيسى بن قنديل العجلونى الحنبلى بالمسمارية كان له اشتغال وفهم ويد في التعبير وتعفف وقوة نفس عرض عليه خزن المصحف العثمانى فامتنع رحمه الله تعالى (وفيها) وصل الامير سيف الدين أبو بكر الباشرى الى حلب وصحب معه منها الرجال والصناع وتوجه الى قلعة جعبر وشرع في عمارتها وكانت خرابا من زمن هولاكو وهي من أمنع القلاع تسبب في عمارتها الامير سيف الدين تنكز نائب الشام ولحق المملكة الحلبية وغيرها بسبب عمارتها ونفوذ ماء الفرات الى أسفل منها كلفة كثيرة (ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبعمائة) فيها في المحرم باشر السيد النقيب الشريف بدر الدين محمد ابن السيد شمس الدين بن زهرة الحسينى وكالة بيت المال بحلب مكان شيخنا القاضى فخر الدين أبى عمرو عثمان بن الخطيب زين الدين على الجبرينى (وفيها) في المحرم نزل نائب الشام الامير سيف الدين تنكز بعسكر الشام الى قلعة جعبر وتفقدها وقرر قواعدها وتصيد حولها ثم رحل فنزل بمرج بزاعا ومد له نائب حلب الامير علاء الدين الطنبغا به سماطا ثم سافر الى جهة دمشق (وفيها) في صفر طلب من البلاد الحلبية رجال للعمل في نهر قلعة جعبر ورسم أن يخرج من كل قرية نصف أهلها وجلا كثير من الضياع بسبب ذلك ثم طلب من أسواق حلب أيضا رجال واستخرجت أموال وتوجه النائب بحلب الى قلعة جعبر بمن حصل من الرجال وهم نحو عشرين ألفا (وفيها) في جمادى الآخرة وصل البريد الى حلب بعزل القاضى شمس الدين محمد بن بدر الدين أبي بكر بن ابراهيم بن النقيب عن القضاء بالمملكة الحلبية وبتولية شيخنا قاضي القضاة فخر الدين أبى عمرو عثمان ابن خطيب

جبرين

جبرين مكانه ولبس الخلعة وحكم من ساعته واستعفيتــه من مباشرة الحكم بالبر في الحال فاعفانى وكذلك أخى بعد مدة فانشدته ارتجالا

جنبتنى وأخى تكاليف القضا ‏ ‏ ‏ وكفيتنا مرضين مختلفين
ياحى عالمنــا لقــد أنصفتنــا ‏ ‏ ‏ فلك التصرف في دم الاخوين

(وفيه) أعنى ذا الحجة توجه الامــير عز الدين ازدمر النورى نائب بهسنى لمحــاصرة قلعــة درنده بمن عنــده من الامراء والتركمان وفتحت بالامان في منتصف المحــرم سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (وفيها) أعنى سنة ست وثلاثين وسبعمائة توفي الشيخ العارف الزاهد (مهنا ابن الشيخ ابراهيم) بن القدوة مهنا الفوعى بالفوعة في خامس عشر شوال ورثيته بقصيدة أولها

أسأل الفوعة الشديدة حزنا ‏ ‏ ‏ عن مهنا هيهات أين مهنا
أين من كان أبهج الناس وجها ‏ ‏ ‏ فهو أسمى من البدور وأسنى

(ومنها)

أين شيخى وقدوتى وصديقى ‏ ‏ ‏ وحبيبى وكل ماأتمنى
كيف لايعظم المصاب لصدر ‏ ‏ ‏ نحن منــه مودة وهو منــا
جعفرى السلوك والوضع حق ‏ ‏ ‏ قال عبس عنه مهنا مهنا
أى قلب به ولو كان صخرا ‏ ‏ ‏ ليس يحكى الخنساء نوحا وحزنا
أذكرتنا وفاته بأبيــه ‏ ‏ ‏ وأخيــه أيام كانوا وكنا

وهى طويلة كان جده مهنا الكبير من عباد الامة وترك أكل اللحم زمانا طويلا لما رأى من اختلاط الحيوانات في أيام هولا كو لعنه الله وكان قومه على غير الســنة فهدى الله الشيخ مهنا من بينهم وأقام مع التركمان راعيا ببرية حران فبورك للتركمان في مواشيهم ببركته وعرفوا بركته وحصل له نصيب من الشيخ حياه ابن قيس بحران وهو في قبره وجرت له معه كرامات فرجع مهنا الى الفوعة وصحب شيخنا تاج الدين جعفر السراج الحلبي وتلمذ له وانتفع به وصرفه مهنا في ماله وخلفه على السجادة بعد وفاته ودعا الى الله تعالى وجرت له وقائع مع الشيعة وقاسى معهم شدائد وبعد صيته وقصد بالزيارة من البعد وجاور بمكة شرفها الله تعالى سنين ثم بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وجرت له هناك كرامات مشهورة بين أصحابه وغيرهم منها ان النبي صلى الله عليه وسلم رد عليه السلام من الحجرة وقال وعليك الســلام يامهنا ثم عاد الى الفوعــة وأقام بها الى ان توفي الى رحمة الله تعالى في المحرم ســنة أربع وثمــانين وستمائة وجلس بعده على سجادته ابنه الشيخ ابراهيم فسار أحسن سير ودعا الى الله تعالى على قاعدة والده

ورجع من أهل بلد سرمين خلق الى السنة وقاسى من الشيعة شدائد وسببه قتل ملك الامراء بحلب يومئذ سيف الدين قبجق الشيخ الزنديق منصورا من تار وجرت بسبب قتله فتن في بلد سرمين ولم يزل الشيخ ابراهيم على أحسن سيرة وأصدق سريرة الى ان توفي الى رحمة الله تعالى في ذى الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة وجلس بعده على سجادته ابنه الشيخ الصالح اسماعيل ابن الشيخ ابراهيم ابن القدوة مهنا فسار أحسن سير وقاسى من الشيعة غبونا ولم يزل على أحسن طريقة الى ان توفي الى رحمة الله تعالى في ثامن صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وجلس بعده على السجادة أخوه لابويه الشيخ الصالح مهنا بن ابراهيم مهنا الى ان توفي في خامس عشر شوال سنة ست وثلاثين وسبعمائة كما مر وتأسف الناس لموته فانه كان كثير العبادة حسن الطريقة عارفا وجلس بعده على السجادة أخوه لابيه الشيخ حسن وكان شيخنا عبس يحب مهنا هذا محبة عظيمة ويعظمه ويقول عنه مهنا مهنا يعنى انه يشبه في الصلاح والخير جده وهم اليوم ولله الحمد بالفوعة جماعة كثيرة وكلهم على خير وديانة وقد أجزل الله عليهم المنة وجعلهم بتلك الارض ملجأ لاهل السنة ولو ذكرت تفاصيل سيرة الشيخ مهنا الكبير وأولاده وأصحابه وكراماتهم لطال القول والله تعالى أعلم (وفيها) مات القان أبو سعيد بن خربنده بن أرغون بن ابغا بن هولاكو صاحب الشرق ودفن بالمدينة السلطانية وله بضع وثلاثون سنة وكانت دولته عشرين سنة وكان فيه دين وعقل وعدل وكتب خطا منسوبا وأجاد ضرب العود وباشتغال التتار بوفاته تمكنا من عمارة قلعة جعبر بعد ان كانت هى وبلدها دائرة من أيام هولاكو فلله الحمد (وفيها) توفي بدمشق الامامان مدرس الناصرية كمال الدين أحمد بن محمد بن الشيرازى وله ست وستون سنة وقد ذكر لقضاء دمشق ومدرس الامينية قاضى العسكر علاء الدين على بن محمد بن القلانسى وله ثلاث وستون سنة وناظر الخزانة عز الدين أحمد بن محمد العقلى بن القلانسى المحتسب بها * ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبعمائة * فيها في ربيع الاول توفي الامير الشاب الحسن جمال الدين خضر ابن ملك الامراء علاء الدين الطنبغا بحلب ودفن بالمقام ثم عمل له والده تربة حسنة عند جامعه خارج حلب ونقل اليها وكان حسن السيرة ليس من أعجاب أولاد النواب في شئ * ومما قلت فيه تضمينا

أيبست أفئدة بالحزن ياخضر ... فالدمع يسقيك ان لم يسقك المطر
منها خلقت فلم يسمح زمانك ان ... يشين حسنك فيه الشيب والكبر
فان رددت فما في الرد منقصة ... عليك قد رد موسى قبل والخضر

وان كان يتضمن هذا التضمين القول بموت الخضر عليه السلام (وفيه) باشر تاج

الدين محمد بن عبد الكريم أخو الصاحب شرف الدين يعقوب نظر الجيوش المنصورة بحلب فاهينَ بذلك واعترته الامراض حتى مات رحمه الله في سابع جمادى الآخرة من السنة المذكورة قلت

ماالدهر الا عجب فاعتبر أسرار تصريفاته واعجب

كم باذل في منصب ماله مات وما هنى بالمنصب

وباشر مكانه في شعبان منها القاضى جمال الدين سليمان بن ريان (وفيها) في رمضان المعظم وصل الى حلب من مصر عسكر حسن الهيئة مقدمه الحاج ارقطاى وعسكر من دمشق مقدمهم قطلبغا الفخرى وعسكر من طرابلس مقدمه بهادر عبد الله وعسكر من حماة مقدمه الامير صارم الدين أزبك والمقدم على الكل ملك الامراء بحلب علاء الدين الطنبغا ورحل بهم الى بلاد الارمن في ثانى شوال منها ونزل على مينا اياس وحاصرها ثلاثة أيام ثم قدم رسول الارمن من دمشق ومعه كتاب نائب الشام بالكف عنهم على أن يسلموا البلاد والقلاع التى شرقى نهر جهان فتسلموا منهم ذلك وهو ملك كبير وبلاد كثيرة كالمصيصة وكوبرا والهارونية وسرفندكار وآياس وباناس وبخيمة والنقير التى تقدم ذكر تخريبها وغير ذلك فخرب المسلمون برج آياس الذى في البحر واستنابوا بالبلاد المذكورة نواباً وعادوا في ذى الحجة منها والحمد لله (قلت) وهذا فتح اشتمل على فتوح وترك ملك الارمن جسدا بلا روح خائفا على مابقي بيده على الاطلاق وكيف لا ومن خصائص ديننا سراية الاعتاق فياله فتحاً كسر صلب الصليب وقطع يدالزنار وحكم على كبير اناسهم المزمل في بجاده بالخفض على الجوار والله أعلم * (وفيها) * في ذى الحجة توفي الامير العابد الزاهد صارم الدين أزبك المنصورى الحموى بمنزلة نزلها مع العسكر عند آياس وحمل الى حماة فدفن بتربته كان من المعمرين في الامارة ومن ذوى العبادة والمعروف وبنى خانا للسبيل بمعرة النعمان شرقيها وعمل عنده مسجدا وسبيلا للماء وله غير ذلك رحمه الله ذكر لى جماعة بحلب وهو مسافر الى بلاد الارمن انه رؤى له بحماة منام يدل على موته في الجهاد وحمله الى حماة وحوله الملائكة (قلت) ولقد تجمل لهذا الجهاد وتحمل وتكلف لمهمه وتكفل حتى كانه توهم فترة سلاحه عن الكفاح فرسم ان تحد السيوف وتعتقل الرماح فلاح على حركاته الفلاح وسيحمد سراه عند الصباح والله أعلم (وفيها) وقف الامير الفاضل صلاح الدين يوسف بن الاسعد الدواتدار داره النفيسة بحلب المعروفة أولا بدار ابن العديم مدرسة على المذاهب الاربعة وشرط أن يكون القاضي الشافعي والقاضى الحنفي بحلب مدرسيها وذلك عند عوده من بلاد سيس صحبة العسكر منصرفا الى منزله بطرابلس * (قلت) * ولقد كانت الدار

المذكورة باكية لعدم بنى المديم فصارت راضية بالحديث عن القديم نزع الله عنها لباس الباس والحزن وعوضها بحلة يوسف عن شقة الكفن فكمل رخامها وذهبها وجعل تعالى اليتامى عصمة للارامل مكتبها وكللها بالفروع الموصلة والاصول المفرعة وجلها بالمرابع المذهبة والمذاهب الاربعة وبالجملة فقد كتبها صلاح الدنيا في ديوان صلاح الدين الى يوم العرض وتلا لسان حسنها اليوسفى * وكذلك مكنا ليوسف في الارض * ولما وقف الأمير صلاح الدين المذكور على هذه الترجمة تهلل وجهه وقال مامعناه ياليتك زدتنا من هذا (وفيها) توفي الشيخ الكبير الشهير المتزهد محمد بن عبد الله بن المجد المرشدى بقريته من عمل مصر له أحوال وطعام يتجاوز الوصف ويقال انه كان مخدوما قيل انه أنفق في ثلاث ليال مايساوى خمسة وعشرين ألفاً رحمه الله تعالى ونفعنا به (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة) فيها في المحرم توفي ناصر الدين محمد بن مجد الدين محمد بن قرناص دخل بلاد سيس لكشف الفتوحات الجهانية فتوفي هناك رحمه الله تعالى ودفن بتربة هناك للمسلمين (وفيها) فى صفر توفي بدر الدين محمد بن ابراهيم ابن الدقاق الدمشقي ناظر الوقف بحلب وفي أيام نظره فتح الباب المسدود الذى بالجامع بحلب شرقى المحراب الكبير لانه سمع أن بالمكان المذكور رأس زكرياء النبى صلى الله على نبينا وعليه وسلم فارتاب في ذلك فاقدم على فتح الباب المذكور بعد ان نهى عن ذلك فوجد بابا عليه تأزير رخام أبيض ووجد في ذلك تابوت رخام أبيض فوقه رخامة بيضاء مربعة فرفعت الرخامة عن التابوت فاذا فيها بعض جمجمة فهرب الحاضرون هيبة لها ثم رد التابوت وعليه غطاؤه الى موضعه وسد عليه الباب ووضعت خزانة المصحف العزيز على الباب وما أنجح الناظر المذكور بعد هذه الحركة وابتلى بالصرع الى ان عض لسانه فقطعه ومات نسأل الله أن يلهمنا حسن الادب (وفيها) في أواخر ربيع الاول قدم الى حلب العلامة القاضى فخر الدين محمد بن على المصرى الشافعى المعروف بابن كاتب قطلوبك واحتفل به الحلبيون وحصل لنا في البحث معه فوائد منها قولهم اذا طلب الشافعى من القاضى الحنفى شفعة الجار لم يمنع على الصحيح لان حكم الحاكم يرفع الخلاف قال وهذا مشكل فان حكم الحاكم ينفذ ظاهرا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم فانما أقطع له قطعة من نار وأما كون القاضى لاينقض هذا الحكم فتلك سياسة حكمية ومنها قولهم يقضى الشافعى الصلاة اذا اقتدى بالحنفى علم انه ترك واجبا كالبسملة يعنى على صحيح ولا يقضى المقتدى بحنفى افتصد ولم يتوضأ قال وهذا مشكل فان الحنفى اذا افتصد ولم يتوضأ وصلى فهو متلاعب على اعتقاده فينبغى أن يقضى الشافعى المقتدى به واذا ترك البسملة فصلاته صحيحة عنده فينبغى أن لايقضى الشافعى المقتدى به وفيه نظر

ومنها

ومنها قولهم في الصداق ان قيمة النصف غير نصف القيمة هذا معروف ولكنه قال قول الرافعي وغيره ان الزوج في مسائل التشطير يغرمها نصف القيمة لاقيمة النصف مشكل وكانوا بدمشق لايساعدونى على استشكاله حتى رأيته لامام الحرمين وذلك لان القيمة خلف لما تلف. وانما يستحق نصف الصداق فليغرمها قيمة النصف لانصف القيمة (ومنها) انه ذكر ان الشيخ صدر الدين لما قدم من مصر قال لقد سألنى ابن دقيق العيد عن مسألة اسهرته ليلتين وصورتها رجل قال لزوجته ان ظننت بى كذا فأنت طالق فظننت به ذلك قالوا تطلق ومعلوم ان الظنى لاينتج قطعياً فكيف أنتج هنا القطعي قال العلامة فخر الدين وكنت يومئذ صبيا فقلت ليس هذا من ذلك فان المعنى ان حصل لك الظن بكذا فأنت طالق والحصول قطعي فينتج قطعياً فقال صدر الدين بهذا أجبته (ومنها) قولهم اذا ادعى على امرأة في حبالة رجل انها زوجته فقالت طلقتنى تجعل زوجته ويحلف انه لم يطلق رأى في هذه المسألة مايراه شيخنا قاضى القضاة شرف الدين ابن البارزى وهو ان المراد بذلك امرأة مبهمة الحال * ومنها انما انعقد السلم بجميع ألفاظ البيع ولم ينعقد البيع بلفظ السلم لان البيع يشمل بيع الاعيان وبيع مافي الذمة فصدق البيع عليهما صدق الحيوان على الانسان والفرس فان الحيوان جنس لهذين النوعين وكذلك البيع جنس لهذين النوعين بخلاف السلم فانه بيع مافي الذمة فلا يصدق على بيع العين كالنوع لايصدق على الجنس ولذلك تسمعهم يقولون الجنس يصدق على النوع ولا عكس * ومنها قولهم يسجد للسهو بنقل ركن ذكرى ان أريد به انه ترك الفاتحة مثلا في القيام وقرأها في التشهد سهوا فهذا يطرح غير المنظوم وان فعل ذلك عمدا بطلت صلاته وان أريد غير ذلك فما صورته * فأجاب ان صورة المسألة أن يقرأ الفاتحة في القيام ثم يقرأها في التشهد مثلا فوافق ذلك جوابنا فيها * ومنها انهم قالوا خمس رضعات تحرم بشرط كون اللبن المحلوب في خمس مرات على الصحيح ثم ذكروا قطرة اللبن تقع في الحب وهذا تناقض فقال لاتناقض فالمراد بقطرة اللبن في الحب اذا وقعت تتمة لما قبلها وهذا حسن مهم فان شيخنا لفراره من مثل ذلك شرط أن يكون اللبن المغلوب بما شيب به قدرا يمكن أن يسقى منه خمس دفعات لو انفرد عن الخليط ولا شك ان هذا قول ضعيف والصحيح عند الرافعي ان هذا لايشترط والتناقض يندفع بما تقدم من جواب العلامة فخر الدين * وفيها واظنه في ربيع الآخر ورد الخبر الى حلب بأن نائب الشام تنكز قبض على علم الدين كاتب السر القبطي الاصل بدمشق وولى موضعه القاضى شهاب الدين يحيي ابن القاضى عماد الدين اسماعيل بن القيسرانى الخالدى وعذب النائب العلم المذكور وعاقبه وصادره وبينه وبين العلامة فخر الدين

المصرى قرابة فلحقته شؤمه ولفحه سمومه وسافر من حلب خائفا من ثالب الشام فلما وصل دمشق رسم عليه مدة وعزل عن مدارسه وجهاته ثم فك الترسيم عنه وبعد موت تنكز عادت اليه جهاته وحسنت حاله ولله الحمد * وفيها في رجب ورد الخبر بوفاة القاضى شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله قاضى القضاة الشافعى بدمشق صدمت بغلته به حائطا فمات بعد أيام وخلق الناس موضع الصدمة من ذلك الحائط بالخلوق ومن لطف الله به ان السلطان عزله بمصر يوم موته بدمشق وعزل القاضى جلال الدين محمد القزوينى عن قضاء الشافعية بمصر ونقله الى القضاء بالشام موضع ابن المجد ورسم بمصادرة ابن المجد فلما مات صودر أهله وكان ابن المجد فيه خير وشر ودهاء ومروءة قلت

لا ييأسن مخلط من رحمة الله العفو
دليل هذا قوله وآخرون اعترفوا

وولى بعد جلال الدين قضاء الديار المصرية قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وأحسن السيرة وعزل القاضى برهان الدين ابن عبد الحق أيضاً عن قضاء الحنفية بالديار المصرية وولى مكانه القاضى حسام الدين الغورى قاضى القضاة ببغداد كان الوافد الى مصر عقيب الفتن الكائنة بالمشرق لموت أبى سعيد * وفيها في رجب أيضا باشر القاضى بهاء الدين حسن ابن القاضى جمال الدين سليمان بن ريان مكان والده نظر الجيوش بحلب في حياة والده وبسعيه له * وفيها في رجب مات بحلب فاضل الحنفية بها الشيخ شهاب الدين أحمد بن البرهان ابراهيم ابن داود ولى قضاء عزاز ثم نيابة القضاء بحلب مدة ثم انقطع الى العلم وله مصنفات وولى ابنه داود جهاته * وفيها في رمضان توفى القاضى محيي الدين يحيى بن فضل الله كاتب السر بمصر وقد ناف على التسعين وله نظم ونثر * وفيها أخرج الخليفة أبو الربيع سليمان المستكفى بالله من مكانه بمصر عنفا الى قوص وقلت في ذلك مضمنا من القصيدة المشهورة لابى العلاء بيتا وبعض بيت

أخرجوكم الى الصعيد لعذر غير مجد في ملتى واعتقادى
لا يغيركم الصعيد وكونوا فيه مثل السيوف في الاغماد

وفيها في رمضان أيضاً ورد الخبر الى حلب بوفاة العلامة زين الدين محمد ابن أخى الشيخ صدر الدين بن الوكيل المعروف بابن المرحل من أكابر الفقهاء المفتين المدرسين الاعيان المتطلبين للقضاء بدمشق

أدينه تنذسه أم سمته أم عقله الوافر أم علمه
فاق على الاقران في جده فمن رآه خاله عمه

وتولى تدريس الشامية البرانية مكانه القاضي جمال الدين يوسف بن جملة فمات ابن جملة قيل انه ماألقى فيها الا درسا أودرسين لاشتغاله بالمرض ووليها بعده القاضي شمس الدين محمد بن النقيب بعد ان نزل عن العادلية (وفيها) في ثالث شوال ورد الخبر بوفاة العلامة شيخ الاسلام زين الدين محمد بن الكتاني علم الشافعية بمصر وصلى عليه بحلب صلاة الغائب كان مقدما في الفقه والاصول معظما في المحافل متضلعاً من المنقول ولولا انجذابه عن علماء عصره وتيهه على فضلاء دهره لبكى على فقده أعلامهم وكسرت له محابرهم وأقلامهم ولكن طول لسانه عليهم هون فقده لديهم (قلت)

فجعت بكتبانها مصر   فمثله لايسمح الدهر
يازين مذهبه كفى أسفا   ان الصدور بموتك انسروا
ماكان من بأس لوانك يا   علماء بر أيها البحر

(وفيها) في شوال أيضاً رسم ملك الامراء بحلب الطنبغا بتوسيع الطرق التي في الاسواق اقتداء بنائب الشام تنكز فيما فعله في أسواق دمشق كامر ولعمرى قد توقعت عزله عن حلب لما فعل ذلك فقلت حينئذ

رأى حلبا بلدا داثرا   فزاد لاصلاحها حرصه
وقاد الجيوش لفتح البلاد   ودق لقهر العدا فحصه
وما بعد هذا سوى عزله   اذا تم أمر بدا نقصه

(وفيها) في عاشر شوال ورد الخبر بوفاة الفاضل المفتي الشيخ بدر الدين محمد ابن قاضي بارين الشافعي بحماة كان عارفاً بالحاوى الصغير ويعرف نحواً وأصولا وعنده ديانة وتقشف وبيني وبينه صحبة قديمة في الاشتغال على شيخنا قاضي القضاة شرف الدين ابن البارزى وسافر مرة الى اليمن رحمه الله ونفعنا ببركته (قلت)

فجعت حماة ببدرها بل صدرها   بل بحرها بل حبرها الغواص
الله أكبر كيف حال مدينة   مات المطيع بها ويبقى العاصى

(وفيه) ولى قضاء الحنفية بحماة جمال الدين عبد الله ابن القاضي نجم الدين عمر بن العديم شابا أمرد بعد عزل القاضي تقي الدين بن الحكيم فان صاحب حماة آثر أن لاينقطع هذا الامر من هذا البيت بحماة لما حصل لاهل حماة من التأسف على والده القاضي نجم الدين وفضائله وعفته وحسن سيرته رحمه الله تعالى وجهز قاضي القضاة ناصر الدين محمد بن قاضي القضاة كمال الدين عمر بن العديم صاحبنا شهاب الدين أحمد بن المهاجر الى حماة نائباً عن القاضي جمال الدين المذكور الى حين يستقل بالاحكام وخلع صاحب حماة عليهما في يوم واحد (وفيه) ورد الخبر ان الامير سيف الدين أبا بكر

النايرى قدم من الديار المصرية على ولاية بر دمشق (وفيها) في ذى القعدة توفي بدمشق العلامة القاضى جمال الدين يوسف بن جملة الشافعى معزولا عن الحكم من سنة أربع وثلاثين وسبعمائة كان جم الفضائل غزير المادة صحيح الاعتقاد عنده صداقة في الاحكام وتقديم للمستحقين وكان قدعطف عليه النائب وولاه تدريس مدارس بدمشق (قلت)

بكت المجالس والمدارس جملة لك يا ابن جملة حين فاجاك الردى
فاصعد الى درج العلى واسعد فمن خدم العلوم جزاؤه أن يصعدا

(وفيها) في ذى القعدة توفي شيخى المحسن الى ومملى المتفضل على قاضى القضاة شرف الدين أبو القاسم هبة الله ابن قاضى القضاة نجم الدين أبى محمد عبد الرحيم ابن قاضى القضاة شمس الدين أبى الطاهر ابراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد بن البارزى الجهنى الحموى الشافعى علم الائمة وعلامة الامة تعين عليه القضاء بحماة فقبله وتورع لذلك عن معلوم الحكم من بيت المال فما أكله بل فرش خده لخدمة الناس ووضعه ولم يتخذ عمره درة ولا مهمازا ولا مقرعة ولا عزر أحدا بضرب ولا اخراق ولا أسقط شاهدا على الاطلاق هذا مع نفوذ أحكامه وقبول كلامه والمهابة الوافرة والجلالة الظاهرة والوجه البهى الابيض المشرب بحمرة واللحية الحسنة التى تملأ صدره والقامة التامة والمكارم العامة والمحبة العظيمة للصالحين والتواضع الزائد للفقراء والمساكين أفنى شبيبته في المجاهدة والتقشف والاوراد وأنفق كهولته في تحقيق العلوم والارشاد وقضى شيخوخته في تصنيف الكتب الجياد وخطب مرات لقضاء الديار المصرية فأبى وقنع بمصره واجتمع له من الكتب مالم يجتمع لاهل عصره وكف بصره في آخر عمره فولى ابن ابنه مكانه وتفرغ للعلوم والتصوف والديانة وصار كلما علت سنه لطف فكره وجاد ذهنه وشدت الرحال اليه وسار المعول في الفتاوى عليه واشتهرت مصنفاته في حياته بخلاف العاده ورزق في تصانيفه وتآليفه السعاده (فمنها) في التفسير كتاب البستان في تفسير القرآن مجلدان وكتاب روضات جنات المحبين اثنا عشر مجلدا * ومنها في الحديث كتاب المجتبى مختصر جامع الاصول وكتاب المجتنى وكتاب الوفا في أحاديث المصطفى وكتاب المجرد من السند وكتاب المنضد شرح المجرد أربع مجلدات * ومنها في الفقه كتاب شرح الحاوى المسمى باظهار الفتاوى من أعوار الحاوى وكتاب تيسير الفتاوى من تحرير الحاوى وهما أشهر تصانيفه وكتاب شرح نظم الحاوى أربع مجلدات وكتاب المغنى مختصر التنبيه وكتاب تمييز التعجيز * ومنها في غير ذلك كتاب توثيق عرى الايمان في تفضيل حبيب الرحمن والشرعه في قرآت السبعه والدرايه لاحكام الرعايه للمحاسبى وغير ذلك حدثنى رحمه

الله

الله تعالى في ذى القعدة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة قال رأيت الشيخ محيي الدين النووى بعد موته في المنام فقلت له ماتختار في صوم الدهر فقال فيه اثنا عشر قولا للعلماء فظهر لشيخنا ان الامر كما قال وان لم تكن الاقوال مجموعة في كتاب واحد وذلك ان في صوم الدهر في حق من لم ينذر ولم يتضرر به أربعة أقوال الاستحباب وهو اختيار الغزالى وأكثر الاصحاب والكراهة وهو اختيار البغوى صاحب التهذيب والاباحة وهو ظاهر نص الشافعى لانه قال لابأس به والتحريم وهو اختيار أهل الظاهر حملا لقوله صلى الله عليه وسلم فيمن صام الدهر لاصام ولا أفطر على انه دعاء عليه وفي حق من نذر ولم يتضرر به خمسة أقوال الوجوب وهو اختيار أكثر الاصحاب والاستحباب والاباحة والكراهة والتحريم وفي حق من يتضرر بأن تفوته السنن أوالاجتماع بالاهل ثلاثة أقوال التحريم والكراهة والاباحة ولا يجيء الوجوب ولا الاستحباب فهذه اثنا عشر قولا في صوم الدهر وهذا المنام من كرامات الشيخ محيي الدين والقاضى شرف الدين رضى الله عنهما والله أعلم وأخبرنى حين اجازنى انه أخذ الفقه من طريق العراقيين عن والده وجده أبى الطاهر ابراهيم وهو عن القاضى عبد الله ابن ابراهيم الحموى عن القاضى أبى سعد بن أبى عصرون الموصلى عن القاضى أبى على الفارقى عن الشيخ أبى اسحاق الشيرازى عن القاضى أبى الطيب الطبرى عن أبى الحسن الماسرجسى عن أبى الحسن المروزى ومن طريق الخراسانيين عن جده المذكور عن الشيخ فخر الدين عبد الرحمن بن عساكر الدمشقى عن الشيخ قطب الدين مسعود النيسابورى عن عمر بن سهل الدامغانى عن حجة الاسلام أبى حامد الغزالى عن امام الحرمين أبى المعالى الجوينى عن والده أبى محمد الجوينى عن الامام أبى بكر القفال المروزى عن أبى اسحاق المروزى المذكور عن القاضي أبى العباس بن شريح عن أبى القاسم الانماطى عن أبى اسماعيل المزنى والربيع المرادى كلاهما عن الامام الاعظم أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى وهو أخذ عن امام حرم الله مسلم بن خالد الزنجى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهم وعن امام حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك عن نافع عن ابن عمر وابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم عن نبينا سيد المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أفضل صلواته عدد معلوماته وله نظم قايل فمنه ما كتب به الى صاحب حماة يدعوه الى وليمة

طعام العرس مندوب اليه ... وبعض الناس صرح بالوجوب

فجبرا بالتناول منه جريا ... على المعهود في جبر القلوب

من نثره الذي يمرا طردا وعكسا قوله * سور حماه بربها محروس * ولما بلغني خبر وفاته كتبت كتاباً الى ابن ابنه القاضي نجم الدين عبد الرحيم ابن القاضي شمس الدين ابراهيم ابن قاضي القضاة شرف الدين المذكور (صورته) وينهي انه بلغ المملوك وفاة الحبر الراسخ بل انهداد الطود الشامخ * وزوال الجبل الباذخ * الذي بكته السماء والارض * وقابلت فيه المكروه بالسد وذلك فرض * فشرقت أجفان المملوك بالدموع واحترق قلبه بين الضلوع * وساواه في الحزن الصادر والوارد * واجتمعت القلوب لمأتم لمأتم واحد * فالعلوم تبكيه * والمحاسن تعزي فيه * والحكم ينعاه * والبر يتمداه * والاقلام تمشي على الرؤس لفقده * والمصنفات تلبس حداد المداد من بعده * ولما صلى عليه يوم الجمعة صلاة الغائب بجلد اشتد الضجيج * وارتفع النشيج * وعلت الاصوات فلا حاس الا حزن قلبه * ولا عام الا طار لبه * فانه مصاب زلزل الارض * وهدم الكرم المحض * وسلب الابدان قواها * ومنع عيون الاعيان كراها * ولكن عزى الناس لفقده * كون مولانا الخليفة من بعده * فانه بحمد الله خلف عظيم * لسلف كريم * وهو أولى من قابل هذا الفادح القادح بالرضا * وسلم الى الله سبحانه فيما قضى * فانه سبحانه يحيي ما كانت الحياة أصلح * ويميت اذا كانت الوفاة أروح * وقد نظم المملوك فيه مرثية أعجزه عن تحريرها اضطرام صدره * وحمله على تسطيرها انتهاب صبره وهاهي

برغمي ان بيتكم يضام ... ويبعد عنكم القاضي الامام
سراج للعلوم أضاء دهرا ... على الدنيا لغيبته ظلام
تعطلت المكارم والمعالي ... ومات العلم وارتفع الطغام
عجبت لفكرتي سمحت بنظم ... ايسعدني على شيخي نظام
وأرثيه رثاه مستقيما ... ويمكنني القوافي والكلام
ولو أنصفته لقضيت نحبي ... ففي عنقي له نعم جسام
حشا أذني درا ساقطته ... عيوني يوم حم له الحمام
لقد لؤم الحمام فان رضينا ... بما يجنى فنحن اذا لئام
ألا ياعامنا لا كنت عاما ... فمثلك مامضى في الدهر عام
أتفجعنا بكتاني مصر ... وكان به لساكنها اعتصام
وتفتك بابن حملة في دمشق ... ويعلوها لمصرعه القتام
وكان ابن المرحل حين يبكي ... لخوف الله تبتسم الشآم
وحبر حماة نجمله ختاما ... أذاب قلوبنا هذا الختام
ولما قام ناعيه استطارت ... عقول الناس واضطرب الانام

ولو نبقى تسلونا من سواه ... فان بموته مات الكرام
ألهو بعدهم وأقر عينا ... حلال اللهو بعدهم حرام
فياقاضي القضاة دعاء صب ... برعمي أن يغيرك الرغام
ويا شرف الفتاوى والدعاوى ... على الدنيا لغيبتك السلام
ويا أبن البارزي اذا برزنا ... بثوب الحزن فيك فلا نلام
سقى قبراً حللت به غمام ... من الأجفان أن يحل الغمام
الى من ترحل الطلاب يوما ... وهل يرجى لذى نقص تمام
ومن للمشكلات وللفتاوى ... وفصل الأمر ان عظم الخصام
وكان خليفة في كل فن ... وعينا للخليفة لا تنام
ألا يا بابه لازلت قصدا ... لاهل العلم يغشاك الزحام
فان حفيد شيخ العصر باق ... يقل به على الدهر الملام
أنجم الدين مثلك من تسلى ... اذا فدحت من النوب العظام
وفي بقياك عن ماض عزاء ... قيامك بعده نعم القيام
* اذا ولى لبيتكم امام ... عديم المثل يخلفه امام
وفي خير الأنام لكم عزاء ... وليس لساكن الدنيا دوام
أنا تلميذ بيتكم قديماً ... بكم فخري اذا افتخر الانام
وان كنتم بخير كنت فيه ... ويرضيني رضاكم والسلام
لكم منى الدعاء بكل أرض ... ونشر الذكر ماناح الحمام

* ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة * فيها في المحرم توفي بمصر شيخنا قاضي القضاة فخر الدين عثمان بن زين الدين على بن عثمان المعروف بابن خطيب جبرين قاضي حلب وابنه كمال الدين محمد وذلك أن الشناعات كثرت عليه فطلبه السلطان على البريد اليه فحضر عنده * وقد طار لبه * وخرج وقد انقطع قلبه * وتمرض بمصر مده * وأراحه الله بالموت من تلك الشده * وحسب المنايا ان يكن أمانيا * ولقد كان رحمه الله فاضلا في الفقه والأصول والنحو والتصريف والقرا آت مشاركا في المنطق والبيان وغيرهما وله الشرح الشامل الصغير ويدل حله اياه على ذكاء مفرط وله شرح مختصر ابن الحاجب في الاصول وشرح البديع لابن الساعاتي في الأصول أيضا وفرائض نظم وفرائض نثر ومجموع صغير في اللغة وغير ذلك كان رحمه الله سريع الغضب سريع الرضا كثير الذكر لله تعالى (قلت)

من هو فخر الدين عثمان في ... مصر احياه الله واحيانا

مات غريبا خائفا نازحا عن أنس أهليه وأوطانه
وبعض هذى فيه مايرتجى له به رحمة ديانه
فقل لشانيه ترفق ففى شانك مايغنيك عن شانه

ورأيت مكتوبا بخطه هذه الكلمات * وكنت سمعتها من لفظه قبل ذلك وهى الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع ومحو الاسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل فمن جعل السبب موجبا فقد أخطأ ومن محاه ولم يجعل له أثراً فقد أخطأ ومن جعل السبب سببا والمسبب هو الفاعل فقد أصاب ومولده رحمه الله بمصر في العشر الاواخر من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وستمائة ﴿ وفيها ﴾ في العشر الاوسط من ربيع الآخر توفي السيد الشريف بدر الدين محمد بن زهرة الحسيني نقيب الاشراف وكيل بيت المال بحلب * ومن الاتفاق انه مات يوم ورود الخبر بعزل ملك الامراء علاء الدين الطنبغا عن نيابة حلب وكان بينهما شحناء في الباطن (قلت)

قد كان كل منهما يرجو شفا أضغانه
فصار كل واحد مشتغلا بشانه

كان السيد رحمه الله حسن الشكل وافر النعمة معظما عند الناس شهما ذكيا وجده الشريف أبو ابراهيم هو ممدوح أبي العلاء المعرى كتب الى أبى العلاء القصيدة التى أولها

غير مستحسن وصال الغوانى بعد ستين حجة وثمان
(ومنها) كل علم مفرق فى البرايا جمعته معرة النعمان

فاجابه أبو العلاء بالقصيدة التى أولها

عللانى فان بيض الامانى فنيت والظلام ليس بفانى
(ومنها) ياأبا ابراهيم قصر عنك الشعر لما وصفت بالقرآن

(وفيها) في العشر الاول من جمادى الاولى قدم الامير سيف الدين طرغاى الى حلب نائباً بها وسر الناس بقدومه وأظهروا الزينة وصحبته القاضى شهاب الدين أحمد بن القطب كاتب السر مكان تاج الدين بن الزين خضر المتوجه الى مصر صحبة الامير علاء الدين الطنبغا وكان رنك المنفصل جوكانين ورنك المتصل خونجا فقال بعض الناس في ذلك

كم أتى الدهر بطرد وبعكس وبدع
راح عنا رنك ضرب وأتانا رنك بلع

(وفيها) في السابع والعشرين من جمادى الاولى ورد الخبر الى حلب بوفاة قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى قاضى دمشق بها كان رحمه الله اماما

في علم المعاني والبيان له فيه مصنفات جامعة متقنة وله يد في الاصولين ويحل الحاوى وكان كبير القدر واسع الصدر ولى أولا خطابة دمشق ثم قضاءها ثم قضاء مصر ثم قضاء دمشق حتى مات بها سامحه الله تعالى و بلغني ان بينه و بين الامام الرافعي قرابة وقرب العهد بسيرته يغني عن الاطالة وبنى على النيل دارا قيل بما يزيد على ألف ألف درهم فاخذت منه ثم أخرج الى دمشق قاضيا كما تقدم (وفيها) في جمادى الآخرة ورد الخبر الى حلب بوفاة الشيخ بدر الدين أبي اليسر محمد ابن القاضى عز الدين محمد ابن الصائغ الدمشقي بها كان نفعنا الله به عالما فاضلا متقللا من الدنيا زاهدا جاءته الخلعة والتقليد بقضاء دمشق فامتنع أتم امتناع واستعفى بصدق الى أن أعفى فمن يومئذ حسن ظن الناس به وفطن أهل القلم وأهل السيف لجلالة قدره قلت

ماقضاء الشام الاشرف ولمن يتركه أعلى شرف

ياأبا اليسر لقد أذكرنا فعلك المشكور أفعال السلف

(وفيه) ورد الخبر ان الامير علاء الدين الطنبغا وصل من مصر الى غزة نائباً بها فسبحان من يرفع ويضع ألاله الخلق والامر جرت بينه وبين نائب الشام الامير سيف الدين تنكز شحناء اقتضت نقلته من حلب وتوليته بعدها غزة فان نائب الشام متمكن عند السلطان رفيع المنزلة (وفيها) في أوائل رجب توفي بمعرة النعمان ابن شيخنا العابد ابراهيم بن عيسى بن عبد السلام كان من عباد الامة ويعرف الشاطبية والقراآت وله يد طولى في التفسير وزهادته مشهورة كان أولا يحترف بالنساجة ثم تركها واقبل على العبادة والصيام والقيام ونسخ كتب الرقائق وغيرها فاكثر ووقف كتبه على زوايا وأماكن وهو من أصحاب الشيخ القدوة مهنا الفوعى نفعنا الله ببركتهما وكان داعيا الى السنة بتلك البلاد وتوفي بعده بأيام الشرف حسين بن داود بن يعقوب الفوعى بالفوعة وكان داعيا الى التشيع بتلك البلاد (قلت)

وقام لنصر مذهبه عظيما وحدد ظفره واطال نابه

تبارك من أراح الدين منه وخلص منه اعراض الصحابه

(وفيه) ورد الخبر بوفاة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله المعروف بابن المهاجر الحنفي بحماة نائباً عن قاضيها جمال الدين عبد الله بن العديم حسبما تقدم ذكره كان فاضلا في النحو والعروض وله نظم حسن ولهج في آخر وقته بمدائح الرسول صلى الله عليه وسلم (وفيه) ورد الخبر الى حلب ان الشيخ تقي الدين على بن السبكى تولى قضاء القضاة الشافعية بدمشق المحروسة بعد ان حدث الخطيب بدر الدين محمد ابن القاضى جلال الدين نفسه بذلك وجزم به وقبل الهناء فقال فيه بعض أهل دمشق

قدسبك السبكى قلب الخطيب　　فعيشه من بعدها مايطيب

(وفيه) طلب القاضى جمال الدين سليمان بن ريان على البريد من حلب الى دمشق لمباشرة نظر الجيوش بالشام واستمر بدمشق الى ان نكب تنكز كما سيأتى فعزل بالتاج اسحاق ثم حضر الى حلب وأقام بداره بالمقام (وفيها) في شعبان قدم الامير الفاضل صلاح الدين يوسف الدواندار شادا بالمملكة الحلبية (وفيها) في رمضان ورد الخبر ان الامير سيف الدين أبا بكر البانيرى باشر النيابة بقلعة الرحبة وهو الذى كان تولى تجديد عمارة جعبر كما تقدم فقال فيه بعض الناس

ياباذلا في جعبر جهده　　ماخيب السلطان مسعاكا

عوضك الرحبة عن ضيق　　ماقاسيت قد أفرحنا ذا كا

أضاجع البق وناموسها　　لولا ضجيعاك لزرناكا

﴿ وفيه ﴾ شرع نائب الشام تنكز في الرجوع من متصيده بالمملكة الحلبية وكان قد حضر اليها من شعبان ومعه صاحب حماة الملك الافضل وحريم وحظايا وحشم وحام ولحق الفلاحين والرعية بذلك كلفة وضرر كبير واجتمع نائب الشام وصاحب حماة على اعادة بدر الدين محمد بن على المعروف بابن الحمص رامى البندق المشهور الى منزلته من الرماية بعد ان كان قد أسقط على عادتهم وأسقطوا من كان أسقطه واجتمعت أنا بابن الحمص المذكور بحلب فسألته أن يرينى شيئاً من حذفه في البندق فرمى الى حائط فكتب عليه بالبندق ماصورته محمد بن على بخط جيد ثم أمر غلامه فصار الغلام يرمى بندقا الى الجو وهو يتلقاه فيصيبه في سرعة على التوالى فجاء من ذلك بالعجب العجيب ﴿ وفيه ﴾ نادى مناد في جامع حلب وأسواقها وقدامه شاد الوقف بدر الدين بتليك الاسندمرى من أمراء العشرات بما صورته معاشر الفقهاء والمدرسين والمؤذنين وأرباب وظائف الدين قد برز المرسوم العالى ان كل من انقطع منكم عن وظيفته وغمز عليه يستاهل مايجرى عليه فانكسرت لذلك قلوب الخاص والعام وعظم به تألم الأنام وظهر مشد الوقف المذكور عن بغض وعناد لاهل العلم والدين فوقع منه يوم عيد الفطر كلمة قبيحة أقامت عليه الناس أجمعين وعقدله بدار العدل يوم العيد مجلس مشهود وافتينا بتجديد اسلامه وعزله وضربه وهو ممدود ونودى عليه في الملا جزاء وفاقا وقطعنا ان لحوم العلماء مسمومة اتفاقا ولولا شفاعة الشافعى فيه لدخل نار مالك بما خرج من فيه ولو كان برا لماخاض هذا البحر وبلجم قلبه ومذبحه بين الفطر والنحر وبالجملة فقد ذاق مرارة القهر والقسر فان نداءه الذى انكسر به القلب انقلب به الكسر (وفيها) في تاسع شوال وصل الى حلب قاضى القضاة زين الدين عمر بن شرف الدين محمد بن البلفياثى المصرى الشافعى وباشر الحكم

من يومه وخرج النائب والاكابر لتلقيه وسربه الناس لما سمعوا من ديانته بعد شغور المنصب نحو عشرة أشهر من حاكم شافعى (وفيها) حج الامير سيف الدين بشتك الناصرى من مصر وانفق في الحج أموالا عظيمة وكان صحبته على مابلغنا ستمائة راوية وتكلم الناس في القبض عليه عند عوده بمدينة الكرك فما أمكن ذلك ودخل مصر وصعد القلعة فتلقاه السلطان بالحسنى (ثم دخلت سنة أربعين وسبعمائة) فيها في المحرم ورد الخبر بوفاة الشيخ علم الدين أبى محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالى المحدث الدمشقى بخليص مريدا للحج رحمه الله تعالى كان حسن الاخلاق كثير الموافاة للناس محبوبا اليهم وله تصانيف في الحديث والتاريخ والشروط وكان حسن الاداء كثير البكاء في حال قراءة الحديث فصيحا رحمه الله تعالى (وفيها) في المحرم بلغنا شنق ابن المؤيد شرف الدين أبى بكر الواعظ المحتسب نائب الوكالة باللاذقية خافوا بطرابلس من طول لسانه واتصاله بأعيان المصريين وقامت عليه بينة بألفاظ تقتضى انحلال العقيدة فحملوا عبد العزيز المالكى قاضى القدموس على الحكم بقتله وشارك في واقعته القاضى جلال الدين عبد الحق المالكى قاضى اللاذقية فتعب القاضيان بجريرته وقاسيا شدائد (وفيها) في صفر وردت البشارة بقبض الملك الناصر على النشو شرف الدين القبطى الاصل وانه وأخاه رزق الله تحت العقوبة ثم قتل أخوه نفسه وأوقدت لهلاكهما الشموع بالقاهرة كان النشو قد قهر أهل القاهرة وبالغ في الطرح والمصادرة فعظمت به المصيبه وقتل خلقا تحت العقوبة فأتى الناس في هلاكه بيوت المسألة من أبوابها وبنت الاوتاد نظم الدعوات على أسبابها وطلبوا لبحر ظلمه المديد من الله خبنا وبترا فدارت الدوائر عليه بهذه الفاصلة الكبرى (قلت)

النشو لا عدل ولا معرفه　　قد آن للاقدار ان تصرفه

من أتلف الناس وأموالهم　　يحق للسلطان أن يتلفه

﴿وفيه﴾ قدم الامير المكاس الغشوم المشوم (لؤلؤ القندشى) الى حلب منفيا من مصر بلا اقطاع (وفيه) عزل قاضى القضاة بحلب زين الدين عمر البلفيائى عنها لوحشة جرت بينه وبين طرغاى نائب حلب فكاتب فيه فعزل وهو فقيه كبير مقتصد في المأكل والملبس (قلت)

كان والله عفيفا نزها　　وله عرض عريض ماأتهم

وهو لايدرى مداراة الورى　　ومداراة الورى أمر مهم

(وفيها) في ربيع الاول عزل الامير صلاح الدين يوسف بن الاسعد الدواتدار عن الشد على المال والوقف بحلب ونقل الى طرابلس فضاق طرغاى من جيرته فعمل عليه وكان قد عزم على تحرير الاوقاف بحلب فما قدر قلت

لقد قالت لنا حلب مقالا	وقدعزم المشد على الرواح
اذاعم الفساد جميع وقفي	فكيف أكون قابلة الصلاح

(وفيها) في جمادى الآخرة ولى القاضي برهان الدين بن ابراهيم بن خليل بن ابراهيم الرسعني قضاء الشافعية بحلب بذل لطرغاى نائبها مالا فكاتب في ولايته وهو أول من بذل في زماننا على القضاء بحلب وكان القضاة قبله يخطبون ويعطون من بيت المال حتى يلوا ولذلك لم يصادف راحة في ولايته ويعجبني قول القائل

فلان لا تحزن اذا	نكبت واعرف ما السبب
* فما تولى حاكم	بفضة الا ذهب *

(وفيها) توفي طقتمر الخازن نائب قلعة حلب كانت تصدر منه في الدين الفاظ منكرة واشترى قبل وفاته دارا عند مدرسة الشاذ بخت وعمل فيها تصاوير وكثر الطعن عليه بسببها قلت

ماحل فيها زحل	الا لنحس المشترى
فانعدمت صورته	من شؤم تلك الصور

وخلف مالا طائلا (وفيها) في شعبان توفي الخليفة أبو الربيع سليمان المستكفي بالله في قوص وقد تقدم انه أخرج الى الصعيد سنة ثمان وثلاثين وخلافته تسع وثلاثون سنة ولله قولي على لسانه مثلي يعيش بالموت * ويبلغ المنى بالفوت * الى كم لهم العيشة الرطبه * ولي مجرد الخطبه * فلهم الملك الصريح * ولسليمان الريح *

أحمد الله الذي جنبني	كاف الملك وأمراصعبا
لم أجد للملك ماءصافيا	فتيممت صعيدا طيبا

(وفيها) بعد موت المستكفي بويع بالخلافة أبو اسحاق ابراهيم ابن أخي المستكفي (وفيها) كان الحريق بدمشق وذهبت فيه أموال ونفوس واحترقت المنارة الشرقية والدهشة وقيسارية القواسين وتكرر واقرت طائفة من النصارى بدمشق بفعله فصلب تنكز منهم احد عشر رجلا ثم وسطوا بعد ان أخذ منهم ألف ألف درهم وأسلم ناس منهم وبيعت بنت الملين بمال كثير فاشتراها تنكز وعملت المقامة الدمشقية في هذا المعنى وسميتها صفو الرحيق * في وصف الحريق * وختمتها بقولي

وعادت دمشق فوق ما كان حسنها	وأمست عروسا في جمال مجدد
وقالت لاهل الكفر موتوا بغيظكم	فما أنا الا للنبي محمد *
ولا تذكروا عندي معابد دينكم	فما قصبات السبق الا لمعبد

(وفيها) في ذى الحجة باشر القاضي ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب

كتابة

كتابة السر بحلب وسرر نابه (وفيه) قبض على تنكز نائب الشام وأهلك بمصر رسم السلطان لطشتمر حمص أخضر وكان نائباً بصفد أن يأتيه من حيث لا يحتسب ويقبض عليه وما أشبه تمكنه عند السلطان الملك الناصر الا بجعفر عند الرشيد والرشيد أضمر اهلاك جعفر ست سنين حتى قتله والملك الناصر أضمر اهلاك تنكز عشر سنين وهو يخوله ويعظمه وينمم عليه وفي قلبه له مافيه حتى قبض عليه وكان تنكز عظيم السطوة شديد الغضب قتل خلقا منهم عماد الدين اسماعيل بن مزروع الفوعى نائب الخليس بدمشق وعلى بن مقلد حاجب العرب والامير حمزة رماه بالبندق ثم أهلكه سرا وغيرهم وله بدمشق والقدس وغيرهما آثار حسنة وأوقاف وقتل أكثر الكلاب بدمشق ثم حبس الباقي وحال بين أنانها وذكورها ولما استوحش من السلطان عزم على نكثه من جهة التتر وأخذ السلطان من أمواله مايفوت الحصر زعم بعضهم انه يقارب مال قارون وكان قبل ذلك قد تبرم من نقيق الضفادع فاخرجها من الماء فقال بعض الناس فيه

تنكز تنكز بدمشق تيها ... وذلك قد يدل على الذهاب

وقالوا للضفادع ألف بشرى ... بميتته فقلت وللكلاب

(وتولى دمشق بعده الطنبغا) الحاجب الصالحي كان تنكز قد سعى عليه حتى نقل من نيابة حلب الى نيابة غزة فأورثه الله أرضه ودياره (وفيها) بعد حادثة تنكز عوقب أمين الملك عبد الله الصاحب بدمشق واستصفى ماله ومات تحت العقوبة قبطى الاصل وكان فيه خير وشر ووزر بمصر ثلاث مرات وفيه يقول صاحبنا الشيخ جمال الدين بن نباتة المصرى

لله كم حال امرئ مقتر ... قصيت فى القدس بتنفيسه

كم درهم ولى ولكنه ... قد أخذ الاجر على كيسه

وقال فيه أيضاً

روت عنك أخبار المعالى محاسن ... كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد

فوجهك عن بشر وكفك عن عطا ... وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

﴿ثم دخلت سنة احدى وأربعين وسبعمائة﴾ فيها في المحرم وسط بدمشق (طغية وجنغية) من أصحاب تنكز وكانا ظالمين (وفيها) عزل طرغاى عن حلب وكان على طمعه يصلى ويتلو كثيرا (وفيها) توفي الشيخ محمد بن أحمد بن تمام زاهد الوقت بدمشق (وتوفي الملك) أنوك ابن الملك الناصر وكان عظيم الشكل (وفيها) ضربت رقبة عثمان الزنديق بدمشق على الالحاد والباجربقية سمع منه من الزندقة مالم يسمع من غيره لعنه الله (وتوفي الامير صلاح الدين) يوسف ابن الملك الاوحد وكان من أكابر أمراء دمشق ومن

بقايا اجواد بني شيركوه وكان تنكز على شممه بدمشق ينزل الى ضيافته كل سنة فينفق على ضيافة تنكز نحو ستين ألف درهم (وفيها توفي السلطان الملك الناصر) محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي رحمه الله تعالى وله ستون سنة بعد ان خطب له ببغداد والعراق وديار بكر والموصل والروم وضرب الدينار والدرهم هناك باسمه كما يضرب له بالشام ومصر وحج مرات وحصل لقلوب الناس بوفاته ألم عظيم فانه أبطل مكوسا وكان يستحي أن يخيب قاصديه وأيامه أيام أمن وسكينة وبنى جوامع وغيرها لولا تسليط لؤلؤ والنشو على الناس في آخر وقته وعهد لولده ﴿ السلطان الملك المنصور ﴾ أبي بكر فجلس على الكرسي قبل موت والده وضربت له البشائر في البلاد ﴿ ولي من تهنئة وتعزية في ذلك ﴾

ماأساء الدهر حتى أحسنا	رق فاستدرك حزنا بهنا
بينما البأساء عمت من هنا	واذا النعماء عمت من هنا
فبحق أن يسمى محزنا	وبصدق حين يدعى محسنا
فلئن أوحشنا بدر السما	فلقد آنسنا شمس السنا
علما أبدله من علم	ظاهر الاعراب مرفوع البنا
فجزى الله بخير من نأى	ووقى من كل ضير من دنا

أجل والله لقد أساء الدهر وأحسن وأهزل وأسمن وأحزن وسر وعق وبر اذ أصبح الملك وباعه بفقد الناصر قاصر قدضعفت أركانه ومات سلطانه فماله من قوة ولا ناصر فامسى بحمدالله وقد ملأ القصور بالمنصور سرورا وأطاعه الدهر وأهله فلا يسرف في القتل انه كان منصورا (وفيها) ورد الى حلب زائرا صاحبنا (التاج اليماني) عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله النحوي اللغوي الكاتب العروضي الشاعر المنشي وجرت معه بحوث (منها مسألة نفيسة) وهي مالوقال له عندي اثنا عشر درهما وسدسا كم يلزمه فاستبهمت هذه المسألة على الجماعة فيسر الله لي حلها فقلت يلزمه سبعة دراهم اذ المعنى اثنا عشر دراهم وأسداسا فيكون النصف دراهم وهي ستة دراهم والنصف أسداسا وهي ستة أسداس بدرهم فهذه سبعة ولو قال اثنا عشر درهما وربعا لزمه سبعة ونصف ولو قال اثنا عشر درهما وثلثا لزمه ثمانية أو ونصفا فتسعة وهكذا ومما أنشدني لنفسه قوله

تجنب ان تذم بك الليالي	وحاول أن يذم لك الزمان
ولا تحفل اذا كلت ذاتا	أصبت العزأم حصل الهوان

وقوله

بخلت لواحظ من أتانا مقبلا	بسلامها ورموزهن سلام

فعذرت نرجس مقلتيه لانها　　تخشى العذار فانه نمام

(وفيها) نقل طشتمر حمص أخضر من نيابة صفد الى نيابة حلب (وفيها) في ذى الحجة وصل الى حلب الفيل والزرافة جهزهما الملك الناصر قبل وفاته لصاحب ماردين (وفيها) فتح الامير علاء الدين ايدغدى الزراق ومعه بعض عسكر حلب قلعة خندروس من الروم كانت عاصية وبها أرمن وتتر يقطعون الطرقات (وفيها) صلى بحلب صلاة الغائب على الشيخ عز الدين عبد المؤمن بن قطب الدين عبد الرحمن بن العجمى الحلبي توفي بمصر وكان عنده تزهد وكتب المنسوب (وفيها) توفي بباياس نائبها الامير علاء الدين مغلطاى الغزى تقدمت له نكاية في الارمن ونقل الى تربته بحلب *(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة)* في المحرم منها بايع السلطان الملك المنصور أبو بكر الملك الناصر الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد بن المستكفي بالله أبى الربيع سليمان كان قد عهد اليه والده بالخلافة فلم يبايع في حياة الملك الناصر فلما ولى المنصور بايعه وجلس معه على كرسى الملك وبايعه القضاة وغيرهم (وفيها) في صفر توفي شيخ الاسلام الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن المزى الدمشقي بها منقطع القرين في معرفة أسماء الرجال مشاركا في علوم وتولى مشيخة دار الحديث بعده قاضى القضاة تقى الدين السبكى (وفيها) في صفر (خلع السلطان الملك المنصور) أبو بكر ابن الملك احتج عليه قوصون الناصرى ولى نعمة أبيه بحجج ونسب اليه أمورا وأخرجه الى قوص الى الدار التى أخرج الملك الناصر والده الخليفة المستكفي اليها جزاء وفاقا ثم أمر قوصون والى قوص فقتله بها وأقام في الملك أخاه الملك الاشرف كجك وهو ابن ثمان سنين (فقلت في ذلك)

سلطاننا اليوم طفل والاكابر في　　خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
وكيف يطمع من مسته مظلمة　　أن يبلغ السؤل والسلطان ما بلغا

(وفيها) في جمادى الآخرة جهز قوصون مع الامير قطلبغا الفخرى الناصرى عسكرا لحصار السلطان أحمد ابن الملك الناصر بالكرك وسار الطنبغا نائب دمشق والحاج ارقطاى نائب طرابلس باشارة قوصون الى قتال طشتمر بحلب لكون طشتمر أنكر على قوصون ما اعتمده في حق أخيه المنصور أبى بكر ونهب الطنبغا بحلب مال طشتمر وهرب طشتمر الى الروم واجتمع بصاحب الروم ارتنا ثم ان الفخرى عاد عن الكرك الى دمشق بعد محاصرة أحمد بها أياما وبعد ان استمال الناصر أحمد الفخرى فبايعه ولما وصل الفخرى الى دمشق بايع للناصر من بقى من عسكر دمشق المتأخرين عن المضى الى حلب صحبة الطنبغا هذا كله والطنبغا ومن معه بالمملكة الحلبية ثم سار الفخرى الى ثنية العقاب وأخذ من مخزن الايتام بدمشق أربعمائة ألف درهم وكان الطنبغا قد استدان منه مائتى

ألف درهم وهو الذى فتح هذا الباب ولما بلغ الطنبغا ماجرى بدمشق رجع على عقبه فلما قرب من دمشق أرسل الفخرى اليه القضاة وطلب الكف عن القتال في رجب فقويت نفس الطنبغا وأبى دلك وطال الامر على العسكر فلما تقاربوا بعضهم من بعض لحقت ميسرة الطنبغا بالفخرى ثم الميمنة وبقى الطنبغا والحاج ارقطاى والمرقبى وابن الابى بكرى في قليل من العسكر فهرب الطنبغا وهؤلاء الى جهة مصر فجهز الفخرى وأعلم الناصر بالكرك (وخطب للناصر أحمد) بدمشق وغزة والقدس فلما وصل الطنبغا مصر وهو قوى النفس بقوصون قدر الله سبحانه تغير أمر قوصون وكان قد غاب على الامر لصغر الاشرف فاتفق أيد غمش الناصرى أميراخور ويلبغا الناصرى وغيرهما وقبضوا على قوصون ونهبت دياره واختطف الحرافيش وغيرهم من دياره وخزائنه من الذهب والفضه والجواهر والزركش والحشم والسروج والآلات مالا يحصى لان قوصون كان قد انتقى عيون ذخائر بيت المال واستغنى من دار قوصون خلق كثير وقتل على ذلك خلق وأرسلوا قوصون الى الاسكندرية وأهلك بها (وقبضوا على الطنبغا) وحبسوه بمصر ولما بلغ طشتمر بالروم ماجرى رجع من الروم الى دمشق فتلقاه الفخرى والقضاة ثم رحل الفخرى وطشتمر الى مصر بمن معهما (وفيها) في شهر رمضان سافر الملك الناصر أحمد من الكرك فوصل مصر وعمل أعزية لوالده وأخيه وأمر بتسمير والى قوص لقتله المنصور (وحلم)الاشرف كجك الصغير (وجلس الناصر على الكرسى) هو والخليفة وعقد بيعته قاضى القضاه تقى الدين السبكى ثم أعدم الطنبغا والمرقبى (وفيها) كسر حسن بن تمر تاش بن جوبان من التتر طغاى بن سوتاى في الشرق وتبعه الى بلد قلعة الروم فاستبشر الناس لذلك (وفيها عزل الملك الافضل) محمد ابن السلطان الملك المؤيد صاحب حماه والمعرة وبارين وبلادهن ونقل الى دمشق من جملة أمرائها تغيرت سيرة الافضل وما كان فيه من التزهد قبل عزله وحبس التاج بن العز طاهر بن قرناص بين حائطين حتى مات وقطع أشجار بستانه وظهر في الليل من بعض اعقاب أشجار البستان التى قطعت نور فما أفلح بعد ذلك * وتولى نيابة حماه بعده مملوك أبيه سيف الدين طقز تمر * وفيها عزل عن قضاء الحنفية بحماة القاضى جمال الدين عبد الله ابن القاضى نجم الدين بن العديم وتولى مكانه القاضى تقى الدين محمود بن الحكم * وفيها أهلك طاجار الدواتدار وكان مسرفا على نفسه * وفيها توفي الافضل صاحب حماه بدمشق معزولا ونقل الى تربته بحماه فخرج نائبها للقاء تابوته وحزن عليه وحلف أنه ماتولى حماه الا رجاء أن يردها الى الافضل مكافأة لاحسان أبيه * وفيها في جمادى الاولى توفي القاضى برهان الدين ابراهيم الرسعنى قاضى الشافعية بحلب

وكان

وكان متمففا ويعرف فرائض رحمه الله تعالى * وفيها فى جمادى الاولى أيضا عوقب لؤلؤ القندشي بدار العدل بحلب حتى مات واستصفى ماله وشمت به الناس * قلت

ألؤلؤ قد ظلمت الناس لكن بقدر طلوعك اتفق النزول
كبرت فكنت في تاج فلما صغرت سحقت سنة كل لولو

* وفيها توفي الامير بدر الدين محمد بن الحاج أبي بكر أحد الامراء بحلب كان من رجال الدنيا وله مارستان بطرابلس وارتفع به الدهر وانخفض ودفن بتربة في جامع أنشأه بحلب بباب انطاكيه * وفيها توفي الخطيب بدر الدين محمد ابن القاضي جلال الدين القزويني خطيب دمشق وتولى السبكي الخطابة وجرى بينه وبين تاج الدين عبد الرحيم أخي الخطيب المتوفي وقائع وفي آخر الامر تعصب الدماشقة مع تاج الدين فاستمر خطيبا (وفيها) في شهر رمضان وصل القاضي علاء الدين على بن عثمان الزرعي المعروف بالمرع الى حلب قاضي القضاة ولاه الطاغية انفحرى بالبذل فاجتمع الناس وحملوا المصحف وتضرروا من ولاية مثله فرفعت يده عن الحكم فسافر أياما ثم عاد بكتب فما التفتوا اليها فسافر الى مصر وحلب خالية عن قاضي شافعي (وفيها) في شوال عم الشام ومصر جراد عظيم وكان أداه نايلا (وفيها) في ذي الحجة وصل أيدغمش الناصري الى حلب نائبا بها في حشمة عظيمة وأحسن وعدل وخلع على كثير من الناس وأقام بحلب الى صفر ثم نقل الى نيابة دمشق وتأسف الحلبيون لانتقاله عنهم (قلت)

يعرف من تقبله أرضنا من لزم الاوسط من فعله
لاتقبل المسرف في جوره كلاولا المسرف في عدله

(ونقل) طقزتمر من حماة الى حلب مكان أيدغمش ودخلها في عشرى صفر وتولى نيابة حماه مكانه الامير العالم علم الدين الجاولى * ثم نقل الجاولى الى نيابة غزة وولى نيابة حماه مكانه آل ملك ثم بعده الطنبغا الماردانى كل هذا في مدة يسيرة وجرى في هذه السنة من تقلبات الملوك والنواب واضطرابهم مالم يجر في مئات من السنين (قلت)

عجائب عامنا عظمت وجلت أعاما كان أم مائتين عاما
تصول على الملوك صيال قاض قليل الدين في مال اليتامى

(وفيها) في ذي الحجة وصل الى حلب القاضي حسام الدين الغوري قاضي الحنفية بمصر الوافد اليها من قضاء بغداد منفيا من القاهرة لما اعتمده في الاحكام ولمعاضدته لقوصون ولسوء سيرته فانه قاضي تتر * ولى بيتان في ذم حمامها

حمامكم في كل أوصافه يشبه شخصا غير مذكور

شديد برد وسخ موحش　　قليـل ماء فاقد النور

فغيرهما بعض الناس فجعل البيت الاول كذا

حماكم في كل أوصافه　　يشبه وجه الحاكم الغوري

وتممه بالبيت الثاني على حاله (وفيها) في ذى الحجة سافر السلطان الناصر أحمد الى الكرك وأخذ من ذخائر بيت المال بمصر مالا يحصى وصحب طشتمر والفخرى مقيدين فقتلهما بالكرك قتلة شنيعة ويطول الشرح في وصف جراءة الفخرى واقدامه على الفواحش حتى في رمضان ومصادرته للناس حتى انه جهز من صادر أهـل حلب فأراح الله العالم منه وحصن الناصر الكرك واتخذها مقاماً له (ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة) فيها في المحرم انقلب عسكر الشأم على الملك الناصر أحمد وهو بالكرك وكاتبوا الى مصر (فخلع الناصر وأجلس أخوه السلطان الملك الصالح اسماعيل) على الكرسي بقلعة الجبل واستناب آل ملك (وفيها) في ربيع الآخر حوصر السلطان أحمـد بالكرك واحتج عليه أخوه الصالح بمـا أخذه من أموال بيت المـال وحصـل بنواحى الكرك غلاء لذلك (وفيها) في جمادى الآخرة توفي نائب دمشق ايدغمش ودفن بالقبيبات ويقال ان دمشق لم يمت بها من قديم الزمان الى الآن نائب سواه وتولاها مكانه طقزتمر نائب حلب (وفيها) في رجب وصل الامير علاء الدين الطنبغا المـاردانى نائبا الى حلب (وفيها) في شهر رمضان توفي الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليمـانى الاديب وقد أناف على الستين وتقدم ذكر وفوده الى حلب رحمه الله تعالى وزر باليمن وتنقلت به الاحوال وله نظم ونثر كثير وتصانيف (وفيها) في شوال خرج الامير ركن الدين بيبرس الاحمدى من مصر بعسكر لحصار الكرك وكذلك من دمشـق فحاصروا الناصر بها بالنفط والمجانيق وبلغ الخبز أوقية بدرهم وغلت دمشـق لذلك حتى أكلوا خبز الشعير (وفيها) وصـل علاء الدين القرع الى حلب قاضيا للشافعية وأول درس ألقاه بالمدرسة قال فيـه كتاب الطهارة باب الميات فأبدل الهـاء بالتاء فقلت أنا للحاضرين لو كان باب الميات لمـا وصل القرع اليه ولكنه باب الالوف ثم قال قال الله تعالى وجعلها كلمة باقية في عنقه مكان في عقبه فقلت أنا لاوالله ولكنها في عنق الذى ولاه فاشتهرت عنى هاتان التنديدتان في الآفاق (وفيها) في ربيع الآخر عزل الامير سليمان بن مهنا بن عيسى عن امارة العرب ووليها مكانه الامير عيسى بن فضل بن عيسى وذلك بعـد القبض على فياض بن مهنا بمصر وكان سليمان قد ظلم وصادر أهل سرمين وربط بعض النساء في الزناجـير وهجم عبيده على المخـدرات فاغاثهم الله في وسط الشدة ثم أعيد بعـد مدة قريبة الى

الامارة (وفيها) توفي بحلب الامير الطاعن في السن سيف الدين يلبصطى التركانى الاصل رأس الميمنة بها وكان قليل الاذى مجموع الخاطر (وفيها) توفي بحلب طنبغا جحي كان جهزه الفخرى اليها نائبا عنه في أيام خروجه بدمشق وهو الذى جبى أموالا من أهل حلب وحملها الى الفخرى وأخذ لنفسه بعضها وباء بأثم ذلك (وفيها) توفي بحلب الشيخ كمال الدين المهمازى كان له قبول عند الملك الناصر محمد ووقف عليه حمام السلطان بحلب وسلم اليه تربة ابن قرا سنقر بها وكان عنده تصون ومروءة (قلت)

لوفاة الكمال في العجم وهن فلقد أكثروا عليه التعازى

قل لهم لو يكون فيكم جواد كان في غنية عن المهمازى

(وفيها) في رجب اعتقل القرع بقلعة حلب معزولا ثم فك عنه الترسيم وسافر الى جهة مصر (وفيها) في رجب توفي بطرابلس نائبها ملك تمر الحجازى وولها مكانه طرغاى وفيه تولى نيابة حماة يلبغا التجباوى (وفيها) في شعبان وصل القاضى بدر الدين ابراهيم بن الخشاب على قضاء الشافعية بحلب فاحسن السيرة * وفيها توفي بحلب الحاج على بن معتوق الديبسرى وهو الذى عمر الجامع بطرف بانقوسا ودفن بتربته بجانب الجامع * وفيها توفي بهادر التمرتاشى بالقاهرة وكان بعد وفاة الملك الناصر من الامراء الغالبين على الامر (ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعمائة) فيها أغارت التركمان مرات على بلاد سيس فقتلوا ونهبوا وأسروا وشفوا الغليل بما فتكت الارمن ببلاد قرمان (وفيها) في صفر توفي الامير علاء الدين الطنبغا الماردانى نائب حلب ودفن خارج باب المقام وله بمصر جامع عظيم وكان شابا حسنا عاقلا ذا سكينة (وفيها) مزقنا كتاب فصوص الحكم بالمدرسة العصرونية بحلب عقيب الدرس وغسلناه وهو من تصانيف ابن عربى تنبيها على تحريم قنيته ومطالعته وقلت فيه

هذى فصوص لم تكن بنفيسة في نفسها

انا قد قرأت نقوشها فصوابها في عكسها

(وفيها) توفي بحلب الامير سيف الدين بهادر المعروف بحلاوة أحد الامراء بها وله أثر عظيم في القبض على تنكز وكان عنده ظلم وتوعد أهل حلب بشر كبير فاراحهم الله منه (قلت)

حلاوة مر فما أملحه أن يدفنا

الى البلا مسيرا وفي الثرى مكفنا

(وفيها) في صفر بلغنا انه توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن المرحل النحوى الحرانى الاصل المصرى الدار والوفاة كان متضلعاً من العربية وعنده تواضع وديانة نقلت له مرة

وهو بحلب ان أبا العباس ثعلبا أجاز الضم في المنادى المضاف والشبيه به الصالحين للالف واللام فاستغرب ذلك وأنكره جدا ثم طالع كتبه فرآه كما نقلت فاستحيى من انكار ذلك مع دعواه كثرة الاطلاع فقلت

من بعد يومك هذا　　لاتنقل النقل تغلب
لو انك ابن خروف　　ماكنت عندي كثعلب

(وفيها) في ربيع الأول وصل يلبغا التجباوي الى حلب نائباً وهو شاب حسن كان الملك الناصر يميل اليه وأعطاه مرة أربعمائة ألف درهم ومرة مائة فرس مسومة وغالب مال تنكز وتولى نيابة حماه مكانه سيف الدين طقزتمر الاحمدى وعنده عقل وعدل وعند يلبغا عفاف عن مال الرعية وسطوة وحسن أخلاق في الخلوة * وفيه سافر قاضي القضاة بحلب بدر الدين ابراهيم بن الخشاب الى مصر ذاهبا بنفسه عن مساواة القرع وذلك حين بلغه تطلب القرع بحلب ولابن الخشاب يد طولى في الاحكام وفن القضاء متوسط الفقه * وفيه توفي سليمان بن مهنا أمير العرب وفرح أهل اقطاعه بوفاته والقاضي شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود الحلبي كاتب السر وكيل بيت المال بدمشق توفي بالقدس الشريف كتب السر بالقاهرة للملك الناصر محمد أولا وفيه وصل عسكران من حماه وطرابلس للدخول الى بلاد سيس لتمرد صاحبها كنداصطبل الفرنجي ولمنعه الحمل ومقدم عسكر طرابلس الامير صلاح الدين يوسف الدواتدار أنشدني بحلب في سفرته هذين البيتين للامام الشافعي قيل انهما ينفعان لحفظ البصر

ياناظري بيعقوب أعيذ كما　　بما استعاذ به اذ خانه البصر
قميص يوسف ألقاه على بصري　　بشير يوسف فاذهب أيها الضرر

فانشدت بيتين لي ينفعان ان شاء الله تعالى لحفظ النفس والدين والاهل والمال وهما

أمررت كفا سبحت فيها الحصى　　وروت الركب بماء طاهر
* على معاشي ومعادي وعلى　　ذريتي وباطني وظاهري *

(وفيها) في جمادى الاولى عاد العسكر المجهز الى بلد سيس وما ظفروا بطائل وكانوا قد أشرفوا على أخذ اذنه وفيها خلق عظيم واموال عظيمة وجفال من الارمن فتبرطل اقسنقر مقدم عسكر حلب من الارمن وثبط الجيش عن فتحها واحتج بأن السلطان مارسم بأخذها وتوفي اقسنقر المذكور بعد مدة يسيرة بحلب مذموما وأبى الله أن يتوفاه ببلاد سيس مغازيا (وفيها) نقلت جثة تنكز من ديار مصر الى تربته بدمشق وتلقاها الناس ليلا بالشمع والمصاحف والبكاء ورقوا له ووقع بدمشق عقيب ذلك مطر فعدوا

ذلك من بركة القدوم بجثته (وفيها) في جمادى الاولى توفي بدمشق الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الهادى كان بحرا زاخرا في العلم * وفيه قتل الزنديق ابراهيم بن يوسف المقصاتى بدمشق لسبه الصحابة وقذفه عائشة رضى الله عنهم ووقوعه في حق جبريل عليه السلام * وفيها في العشرين من شهر رجب توفي بجبرين الشيخ محمد ابن الشيخ نبهان كان له القبول التام عند الخاص والعام وناهيك ان طشتمر حمص أحضر على قوة نفسه وشممه وقف على زاويته بجبرين حصة من قرية حريثان لها مغل جيد وبالجملة فكانما ماتت بموته مكارم الاخلاق وكاد الشام يخلو من المشهورين على الاطلاق * قلت

وكنت اذا قابلت جبرين زائرا   يكون لقلبى بالمقابلة الجبر

كان بنى نبهان يوم وفاته   نجوم سماء خر من بينها البدر

زرته قبل وفاته رحمه الله فحكى لى قال حضرت عند الشيخ عبس السرجاوى وأنا شاب وهو لايعرفنى فحين رآنى دمعت عينه وقال مرحبا بشعار نبهان وأنشد

وما أنت الا من سليمى لاننى   أرى شبها منها عليك يلوح

وحكى لى مرة أخرى قال حضرت بالفوعة غسل الشيخ ابراهيم بن الشيخ مهنا لما مات وقرأنا عنده سورة البقرة وهو يغسل فلما وصلنا الى قوله تعالى ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا رفعنا أيدينا للدعاء فرفع الشيخ ابراهيم يديه معنا للدعاء وهو ميت على المغتسل ومحاسن الشيخ محمد وتلقيه للناس وتواضعه ومناقبه ومكاشفاته كثيرة مشهورة رحمه الله ورحمنا به آمين * وفيها في منتصف شعبان وقعت الزلزلة العظيمة وخربت بحلب وبلادها أماكن ولا سيما منبج فانها أفنت ساكنها وأزالت محاسنها وكذلك قلعة الراوندان وعملت أنا في ذلك رسالة أولها نعوذ بالله من شر مايلج في الارض وما يخرج منها ونستعينه في طيب الاقامة بها وحسن الرحلة عنها نعم نستعيذ بالله ونستعين من سم هذه السنة فهى أم أربعة وأربعين وختمتها بقولى

منبج أهلها حكوا دود قز   عندهم تجعل البيوت قبورا

رب نعمهم فقد ألفوا من   شجر التوب جنة وحريرا

والله أعلم وصارت الزلازل تعاود حلب وغيرها سنة وبعض أخرى * وفي الحديث ان كثرة الزلازل من اشراط الساعة * وفيه توفي طرغاى نائب طرابلس * وفيه بلغنا ان ارتنا صاحب الروم كسر سليمان خان ملك التتر قصد بالتتار الى الروم فانكسر كسرة شنيعة * ثم بلغنا ان الشيخ حسن بن تمرتاش بن جوبان قتل وهذا من سعادة الاسلام فان المذكور كان فاسد النية لكون الملك الناصر محمد قتل أباه وأخذ ماله كما تقدم

(وفيها) قطع خبز فياض بن مهنا بن عيسى فقطع الطرق ونهب (وفيها) في شهر رمضان وصل الى حلب قاضي القضاة نور الدين محمد بن الصائغ على قضاء الشافعية وهو قاض عفيف حسن السيرة عابد (وفيها) في شوال حاصر يلبغا النائب بحلب زين الدين قراجا بن دلغادر التركماني بجبل الدلدل وهو عسر الى جانب جيحان فاعتصم منه بالجبل وقتل في العسكر واسر وجرح وما نالوا منه طائلا فكبر قدره بذلك واشتهر اسمه وعظم على الناس شره وكانت هذه حركة رديئة من يلبغا (وفيها) توفي كمال الدين عمر بن شهاب الدين محمد بن العجمي الحلبي كان قد تفنن وعرف أصولا وفقها وبحث على شرح الشافية الكافية في النحو مرة وبعض أخرى ودفن ببستانه رحمه الله وما خرج من بني العجمي مثله * ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمائة)* فيها في صفر حوصرت الكرك ونقبت وأخذ الملك الناصر أحمد وحمل الى أخيه الملك الصالح بمصر فكان آخر العهد به (وفيها) وصل الى ابن دلغادر امان من السلطان وأفرج عن حريمه وكن بحلب واستقر في الابلستين (وفيها) في ربيع الآخر بلغنا وفاة الشيخ أثير الدين (أبي حيان) النحوي المغربي بالقاهرة كان بحرا زاخرا في النحو وهو فيه ظاهري وكان يستهزئ بالفضلاء من أهل القاهرة ويحتملونه لحقوق اشتغالهم عليه وكان يقول عن نفسه انا أبو حيات بالتاء يعني بذلك تلاميذه وله مصنفات جليلة منها تفسير القرآن العظيم وشرح التسهيل وارتشاف الضرب من ألسنة العرب مجلد كبير جامع ومختصرات في النحو وله نظم ليس على قدر فضيلته فمن احسنه قوله

وقابلني في الدرس أبيض ناعم ... واسمر لدن أورثا جسمي الردى

فذا هز من عطفيه رمحا مثقفا ... وذا سل من جفنيه عضبا مهندا

(وفيها) في جمادى الاولى توفي بحلب الحاج محمد بن سلمان الحلبي المعزم كان عنده ديانة وايثار وله مع المصر وعين وقائع وعجائب (وفيه) توفي بطرابلس الامير الفاضل صلاح الدين يوسف بن الاسعد الدواتدار أحد الامراء بطرابلس وهو واقف المدرسة الصلاحية بحلب كما تقدم وكان من أكمل الامراء ذكيا فطنا معظما لرسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخط وله نظم كان كاتباً ثم صار دواتدار قبجق بحماة ثم شاد الدواوين بحلب ثم حاجباً بها ثم دواتدار الملك الناصر ثم نائباً بالاسكندرية ثم أميرا بحلب وشاد المال والوقف ثم أميراً بطرابلس رحمه الله تعالى (وفيها) في شعبان بلغنا وفاة الشيخ نجم الدين القحفيزي بدمشق فاضل في العربية والاصولين ظريف حسن الاخلاق ومن ذلك انه أنشد مرة قول الشاعر *أيا نخلتي سلمى* الخ فقال له بعض التلامذة ياسيدي وما تيس الماء * فقال الشيخ ان شئت ان تنظره فانظر في الخابية تره (وفيها) توفي

بدمشق

بدمشق قاضى القضاة جلال الدين الحنفى الاطروش (وفيها) توفي الامير عـلاء الدين ايدغدى الزراق اتابك عسكر حلب مسنا وله سماع وحكى لى انه حر الاصـل من أولاد المسلمين وهو فاتح قلعة خندروس كما تقدم *وتوفي كندغدى العمرى نائب البيرة مسنا عزل عنها قبل موته بايام وعزموا على الكشف عليه فستره الله بالوفاة ببركة محبته للعلماء والفقراء وسيف الدين بلبان حركس نائب قلعة المسلمين طال مقامه بها وخلف مالا كثيرا لبيت المـال (وفيها) في شهر رمضان اتفق سيل عظيم بطرابلس هلك فيه خلق منهم ابنا القاضى تاج الدين محمد بن البارنبارى كاتب سرها وكان أحد الابنين الغريقين ناظر الجيش بها والآخر موقع الدست ورق الناس لابيهما فقلت وفيه تضمين واهتدام

وارحمتاه له فان مصابه   بابن يبرحه فكيف ابنان

ما أنصفته الحادثات رمينه   بعودعين وما له قلبان

وزاد نهر حمـاه وغرق دورا كثيرة ولطم العاصى خرطلة شيزر فأخذها وتلفت بساتين البلد لذلك ويحتاج اعادتها الى كلفة كبيرة (وفيها) في ذى القعدة توفي بدمشق القاضى شمس الدين محمد بن النقيب الشافعي وتولى تدريس الشامية مكانه تاج الدين عبدالوهاب ابن السبكي ثم تولاها السبكي بنفسه خوفا عليها كان ابن النقيب بقية الناس ومن أهـل الايثار وأقام حرمة المنصب لمـا كان قاضى حلب فقيها كبيرا محدثا أصولياً متواضعا مع الضعفاء شديدا على النواب (قال رحمه الله) دخلت وأنا صبى أشتغل على الشيخ محيي الدين النووى فقال لى أهلا بقاضى القضاة فنظرت فلم أجد عنده أحدا غيرى فقال اجلس يامدرس الشامية * وهذا من جملة كشف الشيخ محيى الدين وابن النقيب حكى هذا بحلب قبل توليته الشامية * وحكى لى يوما وان كنت قد وقفت عليه في مواضع من الكتب انه رفع الى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة رضى الله عنهما مسلم قتل كافرا فحكم عليه بالقود فأتاه رجل برقعة ألقاها اليه فيها

ياقاتل المسلم بالكافر   جرت وما العادل كالجائر

يامن ببغـداد وأعمالهـا   من علماء الناس أوشاعر

استرجعوا وابكوا على دينكم   واصطبروا فالأجر للصابر

فبلغ الرشيد ذلك فقال لابى يوسف تدارك هذا الامر بحيلة لئلا تكون فتنـة فطالب أبو يوسف أصحاب الدم ببينة على صحة الذمة وثبوتها فلم يأتوا بها فأسقط القود وحكى لنا يوما في بعض دروسه بحلب ان مسألة القيت على المدرسين والفقهاء بدمشق فما حلها الا عامل المدرسة وهى رجل صلى الخمس بخمسة وضوآت وبعد ذلك علم انه ترك مسح

الرأس في أحد الوضوآت فتوضأ خمس وضوآت وصلى الخمس ثم تيقن أيضا انه ترك مسح الرأس في أحد الوضوآت * الجواب يتوضأ ويصلى العشاء فيخرج عن العهدة بيقين لان الصلاة المتروكة المسح أولا ان كانت العشاء فقد صحت الصلوات الاربع قبلها وهذه العشاء المأمور بفعلها خاتمة الخمس وان كانت غير العشاء فالعشاء الاولى والصلوات الخمس المعادة والعشاء الثالثة صحيحة وغايته ترك مسح في تجديدوضوء ولهذا يجب أن يشترط عدم الحدث الى أن يصلى الخمس ثانيا (قلت) التحقيق ان الوضوء ثانيا كان يغنيه عنه مسح الرأس وغسل الرجلين لان الشرط انه لم يحدث الى ان يصلى الخمس ثانيا وكذلك كان ينبغى للمجيب أن يقول له ان كنت لم تحدث الى الآن فامسح رأسك واغسل رجليك وصل العشاء اذ الجديد عدم وجوب التتابع وان كنت محدثا الآن فلا بد من الوضوء كماقال ﴿ وفيها ﴾ استرجع السلطان الملك الصالح ماباعه الملك المؤيد وابنه الافضل بحماه والمعرة وبلادهما من أملاك بيت المال وهو بأموال عظيمة وكان غالب الملك قد طرح على الناس غصبا وقد اشتربت به تقادم الى الملك الناصر فقال بعض المعريين في ذلك

طرحوا املاك الملك طرح مصادر ... ثم استردوه بلا أثمان
واذا يد لسلطان طالت واعتدت ... فيد الاله على يد السلطان

وكأنما كاشف هذا القائل فان مدة السلطان لم تطل بعد ذلك (ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمائة) والتتار مختلفون مقتتلون من حين مات القان أبو سعيد وبلاد الشرق والعجم في غلاء ونهب وجور بسبب الخلف من حين وفاته الى هذه السنة (وفيها) في ربيع الآخر (توفي السلطان) الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون بوجع المفاصل والقولنج وكان فيه ديانة ويقرأ القرآن وفي آخر يوم موته جلس مكانه أخوه السلطان الملك الكامل شعبان وأخرج آل ملك نائب أخيه الى نيابة صفد وقمارى الى نيابة طرابلس (وفيها) في ربيع الآخر نقل يلبغا الناصرى من نيابة حلب الى نيابة دمشق مكان طقزتمر وسافر طقزتمر الى مصر بعد المبالغة في امتناعه من النقلة من دمشق فما أجيب الى ذلك وتوفي طقزتمر بمصر بعد مدة يسيرة وكان عنده ديانة (وفيه) وصل الامير سيف الدين ارقطاى الى حلب نائبا وأبطل الخمور والفجور بعد اشتهارها ورفع عن القرى الطرح وكثيرا من المظالم ورخص السعر وسررنا به (وفيها) عزل سيف بن فضل بن عيسى عن امارة العرب ووليها أحمد بن مهنا وأعيد اقطاع فياض بن مهنا اليه ورضى عنه واستعيد من ايدى العرب من الاقطاعات والملك شئ كثير وجعل خاصاً لبيت المال ﴿ وفيها ﴾ في جمادى الاولى

صلى بحلب صلاة الغائب على القاضى عز الدين بن المنجا الحنبلى قاضى دمشق وهو معرى الاصل ﴿ وفيها ﴾ في شهر رمضان وصل القاضى بهاء الدين حسن بن جمال الدين سليمان بن ريان الى حلب ناظرا على الجيش على عادته عوضا عن القاضى بدر الدين محمد بن الشهاب محمود الحلبى ثم مامضى شهر حتى أعيد بدر الدين عوضاً عن بهاء الدين وهكذا صارت المناصب كلها بحلب قصيرة المدة كثيرة الكلفة (قلت)

ساكنى مصر أين ذاك التأنى والتأبى وما لكم عنه عذر

يخسر الشخص ماله ويقاسى تعب الدهر والولاية شهر

﴿ وفيها ﴾ كتب على باب قلعة حلب وغيرها من القلاع نقرا في الحجر مامضمونه مسامحة الجند بما كان يؤخذ منهم لبيت المال بعد وفاة الجندى والامير وذلك أحد عشر يوما وبعض يوم في كل سنة وهذا القدر هو التفاوت بين السنة الشمسية والقمرية وهذه مسامحة عال عظيم ﴿ وفيها ﴾ قتلت الارمن ملكهم كنداصطبل الفرنجى كان علجا لايدارى المسلمين فخربت بلادهم وملكوا مكانه ﴿ وفيها ﴾ في أواخرها ملكت التركمان قلعة كابان وبعضها بالحيلة وهى من أمنع قلاع سيس مما يلى الروم وقتلوا رجالها وسبوا النساء والاطفال فبادر صاحب سيس الجديد لاستنقاذها فصادفه ابن دلغادر فأوقع بالارمن وقتل منهم خلقا وانهزم الباقون (قلت)

صاحب سيس الجديد نادى كابان عندى عديل روحى

* قلنا تأهب لغير هذا فهذا فتوح على الفتوح

وبعد فتحها قصد النائب بحلب أن يستديب فيها من جهة السلطان فعق ابن دلغادر عن ذلك فجهزوا عسكرا لهدمها ثم أخذتها الارمن منه بشؤم مخالفته لولى الامر وذلك في رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة ﴿ وفيها ﴾ في ذى الحجة قبض على قمارى الناصرى نائب طرابلس وعلى آل ملك نائب صفد وولى طرابلس بيدمر البدرى وصفد ارغون الناصرى ﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة ﴾ والتتار مختلفون كما كانوا (وفيها) في المحرم طلب الحاج ارقطاى نائب حلب الى مصر وتمكن في مصر وارتفع شأنه وصار رأس مشورة مكان حسنكلى بن البابا فانه توفي قبل ذلك بأيام وفيه أقبل الي حلب وبلادها من جهة الشرق جراد عظيم فكان أذاه قليلا بحمد الله (قلت)

رجل جراد صدها عن الفساد الصمد

فكم وكم للطفه في هذه الرجل يد

(وفيها)في ربيع الاول وصل الي حلب الامير سيف الدين طقتمر الاحمدى نائبا نقل اليها من حماه وولى حماه مكانه اسندمر العمرى (وفيها) في جمادى الاولى سافر

القاضى ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب وولى كتابة السر بدمشق وتولى كتابة السر بحلب مكانه القاضى جمال الدين ابراهيم بن الشهاب محمود الحلبى (وفيها) في جمادى الاولى بلغنا أن نائب الشام يلبغا خرج الى ظاهر دمشق خوفا من القبض عليه وشق العصا وعاضد أمراء مصر حتى خلع السلطان الملك الكامل شعبان وأجلسوا مكانه أخاه السلطان الملك المظفر أمير حاج وسلموا اليه أخاه الكامل فكان آخر العهد به وناب عن المظفر بمصر الحاج ارقطاى المنصورى ولما تم هذا الامر تصدق يلبغا في المملكة الحلبية وغيرها بمال كثير ذهب وفضة شكرا لله تعالى وكان هذا الملك الكامل سيئ التصرف بولى المناصب غير أهلها بالبذل ويعزلهم عن قريب ببذل غيرهم وكان يقول عن نفسه أنا ثعبان لاشعبان (وفيها) في رجب توفي بحلب الامير شهاب الدين قرطاى الاسندمرى من مقدمى الالوف أمير عفيف الذيل متصون (وفيها) في مستهل رجب سافر طقتمر الاحمدى نائب حلب الى الديار المصرية وسببه وحشة بينه وبين نائب الشام فانه ماساعده على خلع الكامل وحفظ ايمانه (وفيها وقع الوباء ببلاد أزبك) وخلت قرى ومدن من الناس ثم اتصل الوباء بالقرم حتى صار يخرج منها في اليوم ألف جنازة أو نحو ذلك حكى لى ذلك من أثق به من التجار ثم اتصل الوباء بالروم وهلك منهم خلق وأخبرنى تاجر من أهل بلدنا قدم من تلك البلاد أن قاضى القرم قال أحصينا من مات بالوباء فكانوا خمسة وثمانين ألفا غير من لانعرفه والوباء اليوم بقبرس والغلاء العظيم أيضا (وفيها) في شعبان وصل الى حلب الامير سيف الدين بيدمر البدرى نقل اليها من طرابلس وولى طرابلس مكانه وهذا البدرى عنده حدة وفيه بدرة ويكتب على كثير من القصص بخطه وهو خط قوى (وفيها) توفي بطرابلس قاضيها شهاب الدين أحمد بن شرف الزرعى وتولى مكانه القاضى شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الحموى * وفيها * في ذى الحجة صدرت بحلب واقعة غريبة وهى أن بنتا بكرا من أولاد أولاد عمرو التبريزى كرهت زوجها ابن المقصوص فلقنت كلمة الكفر لينفسخ نكاحها قبل الدخول فقالتها وهى لاتعلم معناها فاحضرها البدرى بدار العدل بحلب وأمر فقطعت أذناها وشعرها وعلق ذلك في عنقها وشق أنفها وطيف بها على دابة بحلب وبتيزين وهى من أجل البنات وأحياهن فشق ذلك على الناس وعمل النساء عليها عزاء في كل ناحية بحلب حتى نساء اليهود وأنكرت القلوب قبح ذلك وما أفلح البدرى بعدها * قلت *

وضج الناس من بدر منير ... يطوف مشرعا بين الرجال
ذكرت ولا سواء بها السبايا ... وقد طافوا بهن على الجمال

وفيه

(وفيه) ورد البريد بتولية السيد علاء الدين على بن زهرة الحسيني نقابة الاشراف بحلب مكان ابن عمه الامير شمس الدين حسن بن السيد بدر الدين محمد بن زهرة وأعطى هذا امارة طبلخانات بحلب (ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة) والتتار مختلفون * وفيها * في ثالث المحرم وصل الى حلب القاضى شهاب الدين بن أحمد بن الرياحى على قضاء المالكية بحلب وهو أول مالكى استقضى بحلب ولا بد لها من قاض حنبلى بعد مدة لتكمل به العدة أسوة مصر ودمشق وفي السنة التى قبلها تجدد بطرابلس قاض حنفى مع الشافعى (وفيها) في المحرم صلى بحلب صلاة الغائب على القاضى شرف الدين محمد ابن أبي بكر بن ظافر الهمدانى المالكى قاضى المالكية بدمشق وقد أناف على الثمانين كان دينا خيرا متجملا في الملبس وهو الذى عاضد تنكز على نكبة قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن جملة وهاهم قد التقوا عند الله تعالى * وفيه * ظهر بين منبج والباب جراد عظيم صغير من بزر السنة الماضية فخرج عسكر من حلب وخلق من فلاحى النواحى الحلبية نحو أربعة آلاف نفس لقتله ودفنه وقامت عندهم أسواق وصرفت عليهم من الرعية أموال وهذه سنة ابتدأ بها الطنبغا الحاجب من قبلهم * قلت

قصد الشام جراد سن للغلات سنا فتصالحنا عليه وحفرنا ودفنا

* وفيها * في المحرم سافر الامير ناصر الدين بن المحسنى بعسكر من حلب لتسكين فتنة ببلد شيزر بين العرب والاكراد قتل فيها من الاكراد نحو خمسمائة نفس ونهبت أموال ودواب * وفيها * في المحرم عزمت الارمن على نكبة لاياس فاوقع بهم أمير اياس حسام الدين محمود بن داود الشيبانى وقتل من الارمن خلقا وأسر خلقا وأحضرت الرؤس والاسرى الى حلب في يوم مشهود فلله الحمد * وفيها * منتصف ربيع الاول سافر بيدمر البدرى نائب حلب الى مصر معزولا أنكروا عليه ما اعتمده في حق البنت من تيزين المقدم ذكرها وندم على ذلك حيث لا ينفعه الندم * وفيه * وصل الى حلب نائبها أرغون شاه الناصرى في حشمة عظيمة نقل اليها من صفد * وفيه قطعت الطرق وأخيفت السبل بسبب الفتنة بين العرب لخروج امرة العرب عن أحمد بن مهنا الى سيف بن فضل بن عيسى * قلت *

نريد لاهل مصر كل خير وقصدهم لنا حتف وحيف
وهل يسمو لاهل الشام رمح اذا استولى على العربان سيف

* وفيها * في ربيع الآخر قدم على كركر وحنا وما يليها عصافير كالجراد المنتشر فتبازع الناس الى شيل الغلات بدارا وهذا مما لم يسمع بمثله (وفيه) وصل تقليد القاضى شرف الدين موسى بن فياض الحنبلى بقضاء الحنابلة بحلب فصار القضاة أربعة ولما بلغ

بعض الظرفاء أن حلب تجدد بها قاضيان مالكي وحنبلي أنشد قول الحريري في الملحة

ثم كلا النوعين جاء فضله　　منكرا بعد تمام الجمله

(وفيها) في جمادى الاولى هرب يلبغا من دمشق باموإله وذخائره التي تكاد تفوت الحصر خشية من القبض عليه وقصد البر نخانه الدليل وخذله أصحابه وتناوبته العربان من كل جانب وألزمه أصحابه قهرا بقصد حماه ملقيا للسلاح فلقيه نائب حماه مستشعرا منه وأدخله حماه ثم حضر من تسلمه من جهة السلطان وساروا به الى جهة مصر فقتلوه بقاقون ودفن بها وهذا من لطف الله بالاسلام فانه لو دخل بلاد التتار أتعب الناس ورسم السلطان باكمال جامعه الذى أنشأه بدمشق وأطلق له ماوقفه عليه وهو جامع حسن بوقف كثير وكان يلبغا خيرا للناس من حاشيته بكثير وكان عفيفا عن أموال الرعية وما علمنا أن أحدا من الترك ببلادنا حصل له ماحصل ليلبغا جمع شمله بأبيه وأمه واخوته وكل منهم أمير الى أن قضى نحبه رحمه الله تعالى (وفيها) في جمادى الآخرة نقل أرغون شاه من نيابة حلب الى نيابة دمشق فسافر عاشر الشهر وبلغنا أنه وسط في طريقه مسلمين وهذا أرغون شاه في غاية السطوة مقدم على سفك الدم بلا تثبت قتل بحلب خلقا ووسط وسمر وقطع بدويا سبع قطع بمجرد الظن بحضرته (وغضب) على فرس له قيمة كثيرة مرح بالعلافة فضربه حتى سقط ثم قام فضربه حتى سقط وهكذا مرات حتى عجز عن القيام فبكى الحاضرون على هذا الفرس فقيل فيه

عقلت طرفك حتى　　أظهرت للناس عقلك

لا كان دهر يولي　　على بني الناس مثلك

(وفيه) اقتتل سيف بن فضل أمير العرب وأتباعه أحمد وفياض في جمع عظيم قرب سلمية فانكسر سيف ونهبت جماله وماله ونجا بعد اللتيا والتي في عشرين فارسا وجرى على بلد المعرة وحماه وغيرهما في هذه السنة بل في هذا الشهر من العرب أصحاب سيف وأحمد وفياض من النهب وقطع الطرق ورعي الكروم والزروع والقطن والمقاثى ما لا يوصف ﴿ وفيه ﴾ انكسر الملك الاشتر بن تمرتاش ببلاد الشرق كسرة شنيعة ثم شربوا من نهر مسموم فمات أكثرهم ومزقهم الله كل ممزق وكان هذا المذكور رديء النية موتورا فذاق وبال أمره (وفيها) في أواخرها وصل الى حلب نائبا فخر الدين اياز نقل اليها من صفد (وفيها) في رمضان (قتل السلطان الملك المظفر) أمير حاج ابن الملك الناصر بن قلاوون بمصر وأقيم مكانه أخوه (السلطان الملك الناصر حسن) كان الملك المظفر قد أعدم أخاه الاشرف كجك وفتك بالامراء وقتل من أعيانهم نحو أربعين أميرا مثل بيدمر البدري نائب حلب ويلبغا نائب الشام وطقتمر النجمي الدوادار واقسنقر

الذى

الذى كان نائب طرابلس ثم صار الغالب على الامر بمصر أرغون العلائى والكتمر الحجازى وتمش عبد الغنى أمير مائة مقدم ألف وشجاع الدين غرلو وهو أظلمهم ونجم الدين محمود بن شروين وزير بغداد ثم وزير مصر وهو أجودهم وأكثرهم برا ومعروفا حكى لنا أن النور شوهد على قبره بغزة وكان المظفر قد رسم لعبد أسود سورة بابا أن يأخذ على كل رأس غنم تباع بحلب وحماة ودمشق نصف درهم فيوم وصول الاسود الى حلب وصل الخبر بقتل السلطان فسر الناس بخيبة الاسود * وفيها * في شوال طلب السلطان فخر الدين اياز نائب حلب الى مصر وخافت الامراء أن يهرب فركبوا من أول الليل وأحاطوا به فخرج من دار العدل وسلم نفسه اليهم فاودعوه القلعة ثم حمل الى مصر فحبس وهو أحد الساعين في نكبة يلبغا وأيضاً فانه من الجركس وهم أضداد لجنس التتار بمصر وكان المظفر قد مال عن جنس التتار الى الجركس ونحوهم فكان ذلك أحد ذنوبه عندهم فانظر الى هذه الدول القصار التى ماسمع بمثلها في الاعصار (قلت)

هذى أمور عظام — من بعضها القلب ذائب
ماحال قطر يليه — فى كل شهرين نائب

(وفيها) في ذى الحجة وصل الى حلب (الحاج ارقطاى) نائبا بعد أن خطبوه الى السلطنة والجلوس على الكرسى بمصر فابى وخطبوا قبله الى ذلك الخليفة الحاكم بامر الله فامتنع كل هذا خوفا من القتل فلما جلس الملك الناصر حسن على الكرسى طلب الحاج ارقطاى منه نيابة حلب فاجيب وأعفى الناس من زينة الاسواق بحلب لانها تكررت حتى سمجت (قلت)

كم ملك جاء وكم نائب — يازينة الاسواق حتى متى
قد كرروا الزينة حتى اللحى — مابقيت تلحق ان تنبتا

(وفيه) بلغنا أن السلطان أبا الحسن المرينى صاحب المغرب انتقل من الغرب الجوانى من فاس الى مدينة تونس وهى أقرب الينا من فاس بثلاثة أشهر وذلك بعد موت ملكها أبى بكر من الحفصيين بالفالج وبعد أن أجلس أبو الحسن ابنه على الكرسى بالغرب الجوانى وقد أوجس المصريون من ذلك خيفة فان بعض الامراء المصريين الاذكياء أخبرنى أن الملك الناصر محمدا كان يقول رأيت في بعض الملاحم أن المغاربة تملك مصر وتبيع أولاد الترك في سويقة مازن وهذا السلطان أبو الحسن ملك عالم مجاهد عادل كتب من مدة قريبة بخطه ثلاثة مصاحف ووقفها على الحرمين وعلى حرم القدس وجهز معها عشرة آلاف دينار اشترى بها أملاكا بالشام ووقفت على القراء والخزنة للمصاحف المذكورة (ووقفت على نسخة توقيع) بمسامحة الاوقاف المذكورة بمؤن وكلف واحكار أنشأه

صاحبنا الشيخ جمال الدين بن نباتة المصري أحد الموقعين الآن بدمشق أوله الحمد لله الذي أرهف لعزائم الموحدين غربا وأطلعهم بهممهم حتى في مطالع الغرب شهبا وعرف بين قلوب المؤمنين حتى كان البعد قربا وكان القلبان قلبا وأيد بولاء هذا البيت الناصري ملوك الارض وعبيد الحق سلما وحربا وعضد ببقائه كل ملك اذا نزل البر أنبته يوم الكفاح أسلا ويوم السماح عشبا واذا ركب البحر لنهب الاعداء كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا واذا بعث هداياه المتنوعة كانت عرابا تصحب عربا ورياضا تسحب سحبا واذا وقف أوقاف البر سمعت الآفاق من خط يده قرآنا عجبا واهتزت بذكراه عجبا (ومنها) وذو الولاء قريب وان نأت داره ودان بالمحبة وان شط شط بحره ومزاره وهو باخباره النيرة محبوب كالجنة قبل أن ترى موصوف كوصف المشاهد وان حالت عن الاكتحال بطلعته أميال السرى ولما كان السلطان أبو الحسن سر الله ببقائه الاسلام والمسلمين وسره بما كتب من اسمه في أصحاب اليمين وما أدراك ما أصحاب اليمين هو الذي مد اليمين بالسيف والقلم فكتب في أصحابها وسطر الختمات الشريفة فنصر الله حزبه بما سطر من أحزابها ومد الرماح أرشية فاشتقت من قلوب الاعداء قليبا والاقلام أروية فشفت ضعف البصائر وحسبك بالذكر الحكيم طبيبا (ومنها) ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدي وخط سطورها بالعربي وطالما خط في صفوف الاعداء بالهندي ﴿ومنها﴾ وأمر بترتيب خزنة وقراء على مطالع أفقها ووقف أوقافها تجرى أقلام الحسنات في اطلاقها وطلقها وحبس أملاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التي سرت من مغرب الشمس الى مشرقها ورغب في المسامحة على تلك الاملاك من أحكار ومؤونات وأوضاع ديوانية وصح بها خط المسامحة في دواوين الحسنات المسطرات فأجيب على البعد داعيه وقوبل بالاسعاف والاسعاد وقفه ومساعيه وختمها بقوله والله تعالى يمتع من وقف هذه الجهات بما سطر له في أكرم الصحائف وينفع المجالس من ولاة الامور في تقريرها ويتقبل من الواقف ﴿وفيه﴾ صلى بحلب صلاة الغائب على الشيخ شمس الدين بن محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي منقطع القرين في معرفة أسماء الرجال محدث كبير مؤرخ من مصنفاته كتاب تاريخ الاسلام وكتاب الموت وما بعده وغير ذلك وكف بصره في آخر عمره ومولده سنة ثلاث وسبعين وستمائة واستعجل قبل موته فترجم في تواريخه الاحياء المشهورين بدمشق وغيرها واعتمد في ذكر سير الناس على احداث يجتمعون به وكان في أنفسهم من الناس فآذى بهذا السبب في مصنفاته اعراض خلق من المشهورين ﴿وفيها كان الغلاء﴾ بمصر ودمشق وحلب وبلادهن والامر بدمشق أشد حتى انكشفت فيه أحوال خلق وجلا كثيرون منها الى حلب وغيرها وأخبرني بعض

بني تيمية ان الفرارة وصلت بدمشق الى ثلثمائة و بيع البيض كل خمس بيضات بدرهم واللحم رطل بخمسة وأكثر والزيت رطل بستة أوسبعة (وفيها) في ذى الحجة قيد الامير شهاب الدين أحمد بن الحاج مغلطاى القره سنقرى وحمل الى دمشق فسجن بالقلعة وكان مشد الوقف بحلب وحاجبا وكان قبل هذه الحادثة قد سعى في بعض القضاة وقصد له اهانة بدار العدل فسلم الله القاضي وأصيب الساعى المذكور وربما كان طلبه من مصر يوم سعيه في القاضي ثم خلص بعد ذلك وأعيد الى حلب وصلح حاله ﴿وفيها﴾ توفي بدمشق ابن علوى أوصى بثلاثين ألف درهم تفرق صدقة وبمائتى ألف وخمسين ألفا تشترى بها أملاك وتوقف على البر فاجتمع خلق من الحرافيش والضعفاء لتفريق الثلاثين ألفا ونهبوا خبزا من قدام الخبازين فقطع ارغون شاه نائب دمشق منهم ايدى خلق وسمر خلقا بسبب ذلك فخرج منهم خلق من دمشق وتفرقوا ببلاد الشمال (وفيها) في ذى الحجة ضرب نيروز بالنون نائب قلعة المسلمين قاضيها برهان الدين ابراهيم بن محمد بن محمود واعتقله ظلما وتجبرا فبعد أيام قليلة طلب النائب الى مصر معزولا ويغلب على ظنى انه طلب يوم تعرضه للقاضي فسبحان رب الارض والسماء الذى لايهمل من استطال على العلماء (قلت)

قل لاهل الجاه مهما   رمتم عزا وطاعه
لاتهينوا أهل علم   فاذا هم سم ساعه

(وفيه) في العشر الاوسط من آذار وقع بحلب وبلادها ثلج عظيم وتكرر اغاث الله به البلاد * واطمأنت به قلوب العباد * وجاء عقيب غلاء أسعار * وقلة امطار (قلت)

ثلج بآذار أم الكافور في   مزاجه ولونه والمطعم
لولاه سالت بالغلاء دماؤنا   من عادة الكافور امساك الدم

(وفيها) جاءت ريح عظيمة قلعت أشجارا كثيرة وكانت مراكب للفرنج قد لججت للوثوب على سواحل المسلمين ففرقت بهذه الريح وكفى الله المؤمنين القتال قلت

قل للفرنج تأدبوا وتجنبوا   فالريح جند نبينا اجماعا
ان قلعت في البر أشجارا فكم   في البحر بوماشجرت اقلاعا

﴿وفيها﴾ توفي الحاج اسماعيل بن عبد الرحمن المزازى بعزاز كان له منزلة عند الطنبغا الحاجب نائب حلب وبنى بعزاز مدرسة حسنة وساق اليها القناة الحلوة وانتفع الجامع وكثير من المساجد بهذه القناة وله آثار حسنة غير ذلك رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة) وقراجا ابن دلغادر التركمانى وجماعته قد شغبوا واستطالوا ونهبوا وتسمى بالملك القاهر وأبان عن فجور وحمق ظاهر ودلاه بغروره

الشيطان حتى طلب من صاحب سيس الحمل الذى يحمل الى السلطان (وفيها) في شهر رجب وصل الوباء الى حلب كفانا الله شره وهذا الوباء قيل لنا انه ابتدأ من الظلمات من خمس عشرة سنة متقدمة على تاريخه وعملت فيه رسالة سميتها النبا عن الوبا (فمنها) اللهم صل على سيدنا محمد وسلم * ونجنا بجاهه من طغيان الطاعون وسلم * طاعون روّع وأمات * وابتدأ خبره من الظلمات * فواها له من زائر * من خمس عشرة سنة دائر * ماصين عنه الصين * ولا منع منه حصن حصين * سل هنديا في الهند * واشتد على السند * وقبض بكفيه وشبك * على بلاد أزبك * وكم قصم من ظهر * فيماوراء النهر ثم ارتفع ونجم * وهجم على العجم * وأوسع الخطا * الى أرض الخطا * وقرم القرم ورمى الروم بجمر مضطرم * وجر الجرائر * الى قبرس والجزائر * ثم قهر خلقا بالقاهره وتنبهت عينه لمصر فاذاهم بالساهره * وأسكن حركة الاسكندرية * فعمل شغل الفقراء مع الحريريه (ومنها)

اسكندرية ذا الوبا   سبع يمد اليك ضبعه
صبرا لقسمته التى   تركت من السبعين سبعه

ثم تيمم الصعيد الطيب * وأبرق على برقة منه صيب * ثم غزا غزه * وهز عسقلان هزه * وعك الى عكا * واستشهد بالقدس وزكى * فالحق من الهاربين الاقصى بقلب كالصخره * ولولا فتح باب الرحمة لقامت القيامة في مره * ثم طوى المراحل * ونوى ان يحلق الساحل فصاد صيدا * وبغت بروت كيدا * ثم صدد الرشق * الى جهة دمشق * فتربع ثم وتميد وفتك كل يوم بألف وأزيد * فاقل الكثره * وقتل خلقا ببثره (ومنها)

أصلح الله دمشقا   وحماها عن مسبه
نفسها خست الى أن   تقتل النفس بحبه

ثم أمر المزه * وبرز الى برزه * وركب تركيب مزج على بعلبك * وأنشد في قارة قفانبك * ورمى حمص بخالل * وصرفها مع علمه أن فيها ثلاث علل * ثم طلق الكنه في حماه * فبردت أطراف عاصيها من حماه

يا أيها الطاعون ان حماة من   خير البلاد ومن أعز حصونها
لا كنت حين شممتها فسممتها   ولثمت فاها آخذا بقرونها

ثم دخل معرة النعمان * فقال لها أنت مني في أمان * حماة تكفيك * فلا حاجة لى فيك

رأى المعرة عينا زانها حور   لكن حاجبها بالجور مقرون
ماذا الذى يصنع الطاعون في بلد   فى كل يوم له بالظلم طاعون

ثم سرى الى سرمين والفوعه * فشمت على السنة والشيعه * فسن للسنة اسنته شرعا *

وشيع في منازل الشيعة مصرعاً * ثم أنطى انطاكية بعض نصيب * ورحل عنها حياء من نسيانه ذكرى حبيب * ثم قال لشيزر وحارم لاتخافا مني فاتتما من قبل ومن بعد في غنى عني * فالامكنة الرديه * تصح في الازمنة الوبيه * ثم أذل عزاز وكازه * وأصبح في بيوتهما الحارث ولا أغنى ابن حلزه * وأخذ من أهل الباب * اهل الالباب * وباشر تل باشر * ودلك دلوك وحاشر * وقصد الوهاد والتلاع * وقلع خلقا من القلاع * ثم طلب حلب * ولكنه ماغلب (ومنها) ومن الاقدار * انه يتتبع أهل الدار * فتى بصق أحدمنهم دما * تحققوا كلهم عدما * ثم يسكن الباصق الاجداث * بعد ليلتين أو ثلاث سألت بارئ النسم * في دفع طاعون صدم فمن أحس بلع دم * فقد أحس بالعدم

(ومنها)

حلب والله يكفى شرها أرض مشقه
أصبحت حية سوء تقتل الناس ببزقه

فلقد كثرت فيها أرزاق الجنائزية فلا رزقوا * وعاشوا بهذا الموسم وعرقوا من الحمل فلا عاشوا ولا عرقوا * فهم يلهون ويلعبون * ويتقاعدون على الزبون
اسودت الشهباء في * عيني من وهم وغش كادت بنو نعش بها * أن يلحقوا ببنات نعش
ومما أغضب الاسلام * وأوجب الآلام * ان أهل سيس الملاعين * مسرورون لبلادنا بالطواعين

سكان سيس يسرهم ماساءنا وكذا العوائد من عدو الدين
فالله ينقله اليهم عاجلا ليمزق الطاغوت بالطاعون

(ومنها) فان قال قائل هو يعدى ويبيد قلت بل الله يبدى ويعيد فان جادل الكاذب في دعوى العدوى وتأول قلنا فقد قال الصادق صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الاول استرسل ثعبانه وانساب وسمي طاعون الانساب وهو سادس طاعون وقع فى الاسلام وعندى انه الموتان الذى أنذر به نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام

كان وكان

أعوذ بالله ربى من شر طاعون النسب باروده المستعلى قد طار فى الاقطار
دولاب دهاشاته ساعي لصارخ مارثى ولا فدا بذخيره فتاشه الطيار
يدخل الى الدار يحلف ماأخرج الا بأهلها معى كتاب القاضى بكل من في الدار

وفي هذا كفاية فى الرسالة طول (وفيها) أسقط القاضى المالكى الرياحى بحلب تسعة من الشهود ضربة واحدة فاستهجن منه ذلك وأعيدوا الى عدالتهم ووظائفهم (وفيها) قتل بحلب زنديقان أعجميان كانا مقيمين بدلوك (وفيها) بلغنا وفاة القاضى زين الدين عمر البلفيائى بصفد بالوباء والشيخ ناصر الدين العطار بطرابلس بالوباء وهو واقف الجامع المعروف به بها (وفيها) توفي القاضى جمال الدين سليمان بن ريان الطائى

بحلب منقطعا تاركا للخدم ملازما للتلاوة (وفيها) بلغنا ان أرغون شاه وسط بدمشق كثيراً من الكلاب (وفيها) توفي الامير أحمد بن مهنا أمير العرب وفت ذلك في اعضاد آل مهنا وتوجه أخوه فياض الغشوم القاطع للطرق الظالم للرعية الى مصر ليتولى الامارة على العرب مكان أخيه أحمد فأجيب الى ذلك فشكا عليه رجل شريف انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله وتعرض الى حريمه فرسم السلطان بانصافه منه فأغلظ فياض في القول طمعاً بصغر سن السلطان فقبضوا عليه قبضاً شنيعاً ﴿ وفيها ﴾ في سلخ شوال توفي قاضي القضاة نور الدين محمد بن الصائغ بحلب وكان صالحاً عفيفاً ديناً لم يكسر قلب أحد ولكنه لخيريته طمع قضاة السوء في المناصب وصار المناحيس يطلعون الى مصر ويتولون القضاء في النواحي بالبذل وحصل بذلك وهن في الاحكام الشرعية (قلت)

مريد قضا بلدة له حلب قاعده فيطلع في ألفه وينزل في واحده

وكان رحمه الله من أكبر أصحاب ابن تيمية وكان حامل رايته في وقعة الكسروان المشهورة ﴿ وفيها ﴾ في عاشر ذى القعدة توفي بحلب صاحبنا الشيخ الصالح زين الدين عبد الرحمن بن هبة الله المعرى المعروف بامام الزجاجية من أهل القرآن والفقه والحديث عزب منقطع عن الناس كان له بحلب دويرات وقفهن على بنى عمه وظهر له بعد موته كرامات منها انه لما وضع في الجامع ليصلى عليه بعد العصر ظهر من جنازته نور شاهده الحاضرون ولما حمل لم يجد حاملوه عليهم منه ثقلا حتى كانه محمول عنهم فتعجبوا لذلك ولما دفن وجلسنا نقرأ عنده سورة الانعام شممنا من قبره رائحة طيبة تغلب رائحة المسك والعنبر وتكرر ذلك فتواجد الناس وبكوا وغلبتهم العبرة وله محاسن كثيرة رحمه الله ورحمنا به آمين ومكاشفاته معروفة عند أصحابه (وفي العشر) الاوسط منه توفي (أخى الشقيق) وشيخى الشفيق القاضى جمال الدين يوسف ترك في آخر عمره الحكم وأقبل على التدريس والافتاء وكان من كثرة الفقه والكرم وسعة النفس وسلامة الصدر بالمحل الرفيع رحمه الله تعالى ودفن بمقابر الصالحين قبلى المقام بحلب (قلت)

أخ أبقى ببذل المال ذكرا وان لاموه فيه وبخوه
أزال فراقه لذات عيشى وكل أخ مفارقه أخوه

(وفيه) توفي الشيخ على ابن الشيخ محمد بن القدوة نبهان الجبرينى بجبرين وجلس على السجادة ابنه الشيخ محمد الصوفى كان الشيخ على بحرا في الكرم رحمه الله ورحمنا بهم آمين (وفي الثامن والعشرين) من ذى القعدة ورد البريد من مصر بتولية قاضى القضاة نجم الدين عبد القاهر بن أبى السفاح قضاء الشافعية بالمملكة الحلبية وسررنا بذلك ولله الحمد (وفيه) ظهر بمنبج على قبر النبي مق وقبر حنظلة بن خويلد أخى خديجة

رضى الله عنها وهذان القبران بمشهد انور خارج منبج وعلى قبر الشيخ عقيل المنبجى وعلى قبر الشيخ ينبوب وهما داخل منبج وعلى قبر الشيخ على وعلى مشهد المسيحات شمالى منبج أنوار عظيمة وصارت الانوار تنتقل من قبر بعضهم الى قبر بعض وتجتمع وتتراكم ودام ذلك الى ربع الليل حتى انبهر لذلك أهل منبج وكتب قاضيهم بذلك محضرا وجهزه الى دار العدل بحلب ثم أخبرنى القاضى بمشاهدة ذلك أكابر وأعيان من أهل منبج أيضاً وهؤلاء السادة هم خفراء الشام ونرجوا من الله تعالى ارتفاع هذا الوباء الذى كاد يفنى العالم ببركتهم ان شاء الله تعالى (قلت)

اشفعوا يارجال منبج فينا ... لارتفاع الوبا عن البلدان

نزل النور في الظلام عليكم ... ان هذا يزيد في الايمان

(وفيها) في ذى الحجة بلغنا وفاة القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى بدمشق بالطاعون منزلته في الانشاء معروفه * وفضيلته في النظم والنثر موصوفه * كتب السر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة بعد أبيه محيى الدين ثم عزل باخيه القاضى علاء الدين وكتب السر بدمشق ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف حتى مات عن نعمة وافرة دخل رحمه الله قبل وفاته بعدة معرة النعمان فنزل بالمدرسة التى أنشأتها ففرح لى بها وأنشد فيها بيتين أرسلهما الى بخطه وهما

وفي بلد المعرة دار علم ... بنى الوردى منها كل مجد

هى الوردية الحلواء حسنا ... وماء البئر منها ماء ورد

* (فأجبته بقولى) *

أمولانا شهاب الدين انى ... حمدت الله اذ بك تم مجدى

جميع الناس عندكم نزول ... وأنت جبرتنى ونزلت عندى

قد تم بعون الله تعالى طبع هذا التاريخ الذى يرتاح اليه كل حاذق في هذا المضمار * لما قد اشتهر فضله اشتهار الشمس في رابعة النهار * اذ تجلى بالاخبار اللطيفة الصحيحه وتحلى بقلائد عقيان الاقوال الفصيحه * وتكفل بابداء نكت الاخبار * وأبدى محاسن آثار الاخيار * فهو مرآة الزمان * وسجل غرائب الحدثان * وهو للملك المؤيد اسماعيل أبى الفدا الى غاية سنة ٧٢٩ ومن ابتداء سنة ٧٣٠ من تذييل تاريخ ابن الوردى الى آخره وكان ذلك الطبع الزاهى الزاهر * والوضع الباهى الباهر * بالمطبعة الحسينية المصريه * التى مركزها (بكفر الطماعين) قسم الجماليه * ادارة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وفاح مسك الختام * وتم سلك النظام * في أول شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٣٢٥ هجريه * على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحيه

﴿ فهرست الجزء الرابع من تاريخ الملك المؤيد اسمعيل أبي الفدا صاحب حماة ﴾

صحيفة

﴿ تمت ﴾